

تأليف

الإمام العلامة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب

ابن قيم الجوزية

المولود ٧ صفر ٦٩١هـ - ١٢٩٢م المتوفى ١٣ رجب ٧٥١هـ - ١٣٥٠م

حقق أصوله ووثق نصوصه وخرج أحاديثه
وقدم له وضبطه بالشكل ووضع عناوينه

الأستاذ/ صفوت جودة أحمد

وكيل العلوم الشرعية بالأزهر الشريف

دار السنن للتراث الإسلامي

Elsondos For Islamic Heritage

ش السيد الدواخلى - أمام جامعة الأزهر بالحسين - القاهرة

- اسم الكتــــاب: كتاب الكبائر
- تــألــيــف: الإمام ابن قيم الجوزية
- تحــقــيق: الأستاذ/ صفوت جودة أحمد
- الناشــــر: دار السندس - للتراث الإسلامي
- تليــفــون: ٢٧٨٧٣٤٧٦ - ٢٥٨٩٧٥٢٩ - ٠١٢٣٧٠٧٠٢٦ - ٠١٢٢٥٩٢٤٦٧
- سنة النشــر: ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م
- عدد الصفحات: ٣٢٠ صفحــة
- رقم الإيـداع: / ٢٠١٠
- تصميم الكتاب: م/ مصطفى أبو غنيمة

طبعة جديدة محققة ومنقحة

أصح الطبعات وأكثرها شمولا

الطبعــة الأولــى
١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

رقم الإيداع
٢٠١٠/٢٣٦٤



Elsondos For Islamic Heritage

شارع السيد الدواخلى أمام باب جامعة الأزهر - بالحسين - القاهرة
تليفون: 25 89 75 29 تليفاكس: 27 87 34 76 جوال: 012 259 24 67 - 012 370 70 26
E-mail: dar-elsondos@yahoo.com



كلمة الناشر

الحمد لله رب العالمين حمداً يليق بجلاله وكماله، وعظمته، وكبريائه، حمد المتواضعين لعظمته الراضين بقضائه، الشاكرين لنعمائه، الصابرين على بلائه الراجين رحمته، الخائفين من عذابه.

والصلاة والسلام على البشير النذير السراج المنير الصادق الوعد الأمين أسعد مخلوقاتك، وأكمل أهل الأرض والسموات وعلى آله وصحبه الكرام وبعد،،

يطيب لنا أن نقدم للأمة الإسلامية بخاصة، وللبشرية بعامة إحدى كتب التراث وهو كتاب «الطب النبوي» للعالم المجدد ابن القيم الجوزية وهو واحد من عشرات الكتب القيمة التى قام بتأليفها.

وهذا الكتاب يتناول العلاج من الأمراض التى تصيب الخلق بعامة، عن طريق النباتات والأعشاب مرة، وعن طريق آيات الكتاب العزيز مرة، قال الله تعالى: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ والتداوى عن طريق الأعشاب عرفته البشرية من قديم.

ولقد روت كتب الطب قديمًا الكثير من الخصائص العلاجية لبعض الأعشاب ويتردد دائمًا على ألسنة بعضهم حديث رسول الله ﷺ: «ما خلق الله من داء إلا وأوجد له دواء».

نرجو من الله العلى القدير أن ينفع بهذا الكتاب ويكون شفاء للأبدان من أسقامها وأمراضها، طريقًا إلى حياة صحية سليمة، وجنة عرضها السموات والأرض عند مليك مقتدر في الاخرة.

وأصلى وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

دار السندس للتراث الإسلامي

جعلها الله منارا لخدمة العلم والدين

الطب النبوي

لابن قيم الجوزية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (الشعراء: ٨٠).

صدق الله العظيم



مقدمـــــة

حمدا لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة، نحمده تعالى حمدا كبيرا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحبه ربنا ويرضاه.

ونشكره على ما أنعم به علينا من النعم الجزيلة وصحة الدين والعقل والجسد وما أعظمها من نعم تفضل بها علينا خالق الوجود رب الكون المعبود.

ونصلي ونسلم على خير من خلقه الله فى الوجود المعلم الأول الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه فلا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى -علمه شديد القوى.

اللهـــم صل وسلم وبارك علـــى سيدنا محمد النبى الأمـــى وعلى آله وأصحابه والتابعين وتابعى التابعين وعلى كل من سار على نهجهم واتبع طريقهم إلى يوم أن يقول الحق جـــل فى علاه ﴿ **لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ...** ﴾ فلا يكون هناك حى من نبى مرسل ولا ملك مقرب فيجيب الله نفسه الشريفة بكلامه الكريم ﴿ ... **لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** ﴾ **(غافر: ١٦).**

أما بعـــد:

فها نحن نقدم لك تحفة من تحف الإمام شيخ الإسلام صاحب التصانيف الجليلة والمؤلفات الخطيرة العالم العامل: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية.

كتابه الشهير فى الطب النبوى، وهو جزء مأخوذ من أصل كتابه الكبير:

(زاد المعاد فى هدى خير العباد)

هذا والطب النبوي نفحة من نفحات سيد الوجود خاتم الأنبياء والمرسلين وكل كلامه صدق وكل تجاربه حق وهو المنزل عليه ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ **(الإسراء: ٨٢)** وهو القائل: «**تداووا عباد الله ولا تتداووا بمحرم فما جعل الله داء إلا جعل له دواء**».

ويقـول الشاعـر:

لكل داء دواء يُستطـبُّ بـــه إلا الحماقة أعيت من يداويها

وها نحن نقدم للسادة القراء فى مشارق الأرض ومغاربها تلك الطبعة القيمة من هذا الكتاب المجيد فى ثوب قشيب محققة مخرجة الأحاديث معتنى بها فى الإخراج حتى فاقت بذلك كل ما سبقها من طبعات.

فخذها إليك أيها القارىء الكريم درة ثمينة وجوهرة جليلة نفعك الله بها وحمى جسدك من الأمراض وشفى الله من اختبره فأمرضه.

اللهم يا كريم يا متعال يا صاحب الفضل والنوال انفع بكتابي هذا كل من قرأه، واجعلنا من الذين يقولون فيفعلون ويفعلون فيخلصون ويخلصون فيقبلون، واجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وسلام على المرسلين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المحـــقق
صفــوت جــودة أحمـد





ترجمة المؤلف

ابن قيم الجوزية

المولـــود ٧ صفر ٦٩١هـ - ١٢٩٢م

المتوفى ١٣ رجب ٧٥١هـ - ١٣٥٠م

هـو محمد بـن أبـي بكر بن أيـوب بن سعـد بن حـريز الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله شمس الدين ابن قيم الجوزية –رحمه الله–.

أطلق على الشيخ محمد بن أبي بكر بن أيوب: «ابن القيم» وعرف بذلك واشتهر به وكذلك بـ «**ابن قيم الجوزية**»، وذلك أن أباه كان قيمًا على الجوزية ومدبرًا لشئونها، والجوزية هي مدرسة بناها محيي الدين بن الحافظ بسوق القمح بدمشق، وكان والد ابن القيم قيمًا عليها فأطلق عليه لذلك ابن قيم الجوزية – أي ابن ناظر المدرسة ومديرها–.

وفيما بعد أصبح ابن القيم إمامًا بالمدرسة الجوزية، وقد صارت مدرسة الجوزية فيما بعد محكمة ثم أغلقت فترة ثم افتتحت مدرسة للأطفال، وقد احترقت في الثورة السورية.

ومما تَجدر الإشارة إليه. أن كثيرًا من الناس يظنون أن «**ابن قيم الجوزية**» هو «**ابن الجوزي**». والبعض الآخر لا يفرق بينهما، لكن الحقيقة أن «**ابن الجوزي**» رحمه الله سبق «**ابن قيم الجوزية**» بحوالي مائتي عام، وكان عالمًا فقيهًا ثبتًا، واسمه: عبد الرحمن أبو الفرج بن الجوزي الحنبلي المتوفى ببغداد عام ٥٩٧هـ، وله مؤلفات عظيمة منها: تلبيس إبليس، حتى وإني رأيت أحد المؤلفات على غلافه اسم هذا وعلى أوله اسم الآخر.

تحكي لنا المصادر التاريخية أن الإمام ابن القيم رحمه الله ولد في صفر سنة ٦٩١هـ – ١٢٩٢م.

تتلمذ الإمام ابن قيم الجوزية على علماء كبار وأساتذة عظام وفقهاء ومحدثين حفاظ منهم: أبو بكر بن عبد الدايم، وعيسى المطعم، وابن الشيرازي، وإسماعيل بن مكتوم، والشهاب النابلسي، والقاضي تقي الدين سليمان، وفاطمة بنت جوهر.

وتحكي كتب التاريخ أنه قرأ العربية على ابن أبي الفتح والمجد التونسي، وقرأ الفقه على المجد الحراني وابن تيمية، وقد ترك ابن تيمية في نفسه أثرًا بالغًا واتخذه مثلاً أعلى ولازمه منذ سنة ٧١٢هـ، وأخذ عنه الكثير من الآراء وعدم التقيد بآراء السابقين ونَهج نَهجه في محاربة المخالفين لعقيدة السلف.

● **تلاميذه:** كما كان لابن القيم أساتذة فقهاء محدثون ولغويون، حتى أطلق عليه تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، كان له أيضًا تلامذة أئمة أعلام منهم:

الحافظ زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، وتتلمذ عليه أيضًا شَمس الدين محمد بن عبد القادر النابلسي، ومنهم أيضًا ولده عبد الله والذي تولى منصب التدريس بالمدرسة المستنصرية بعد وفاة والده، ومدرسة المستنصرية كانت بدرب الريحان بدمشق.

وممن تتلمذ على ابن القيم رحمه الله: الإمام المفسر الحافظ ابن كثير، وابن عبد الهادي.

يقول ابن رجب الحنبلي: أخذ عنه العلم خلق كثير، وكان الفضلاء يعظمونه ويتتلمذون عليه.

● **أنصاره وخصومه:** أثارت دعوة ابن القيم إلى اعتناق مذهب السلف ومحاربة الآراء المنحرفة والأهواء المضللة والخروج على التقاليد الموروثة والبدع المألوفة ضجة حوله وحول آرائه، وانقسم الناس بين مؤيدين ومعارضين، ومنهم أنصار متعصبون لرأيه، وخصوم حاقدون عليه. وهذه سنة الله في كل من أتَى بالحق كالرسل والأنبياء أو من تابعهم عليه من الصديقين والشهداء والصالحين، مخالفين بذلك ما اعتاد الناس عليه ومخالفًا لأهوائهم.

وقد أصاب ابن القيم من ذلك محنة وأذى شديد كما أصاب شيخه ابن تيمية، فنتيجة اختلافه في بعض القضايا مع الفقهاء والقضاة سجن مع شيخه ابن تيمية ولم يفرج عنه إلا بعد موت ابن تيمية.

وكان مدة حبسه مشتغلاً بتلاوة القرآن والتدبر والتفكر وفتح عليه من ذلك خير كثير، وحج بعد ذلك مرات كثيرة، وجاور بمكة وكان كثير العبادة وكثير الطواف.

أما أنصار ابن القيم فدافعوا عنه كثيراً، وأشهرهم ابن رجب الذي تتلمذ على

يديه فقال: كان رحمه الله ذا عبادة وتَهجد وطول صلاة إلى الغاية القصوى، لم أشاهد مثله فـي ذلك، ولا رأيت أوسع منـه علمًا ولا أعـرف بمعاني القرآن والسنة وحقائق الإيمان منه، وليس هو بالمعصوم، ولكن لم أرَ في معناه مثله، ولازمت مَجالسه قبل موته أزيد من سنة وسمعت عليه قصيدته النونية الطويلة في السُّنة وأشياء من تصانيفه.

ويقول عنه ابن كثير: كان حسن القراءة والخلق، كثير التودد، لا يحسد أحداً ولا يؤذيه ولا يستعيبه، ولا يحقد على أحد، وكنت من أصحب الناس له، وأحب الناس إليه.

• **ثناء العلماء عليه:** أثنى على ابن القيم كثير من العلماء وشهدوا له بالفضل وخدمة العلم منهم:

الحافظ الإمام الذهبي: قال مثنيًا عليه: عُنِيَ بالحديث وفنونه وبعض رجاله، وكان يشتغل بالفقه، ويجيد تقريره، وفي النحو ويدريه.

القاضي برهان الدين الزرعي: قال عنه: ما تحت أديم السماء أوسع علمًا منه، درس بالصدرية، وأمَّ بالجوزية مدة طويلة، وكتب بخطه ما لا يوصف كثرة.

شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني: (صاحب فتح الباري وغيره من الكتب العظام) قال عنه: كان جريء الجنان، واسع العلم، عارفًا بالخلاف ومذاهب السلف، وغلب عليه حب ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله بل ينتصر له في جميع ذلك وقد هذَّب كتبه.

• **شخصيته:** كان ابن القيم باحثًا حرًّا، قوي الشخصية يعمل بفكره، ولا يلتزم رأي غيره ولو كان هذا الرأي رأي شيخه ابن تيمية، بل كان أحيانًا يناقشه ويرد رأيه إذا بدا له ما هو أرجح منه، ومن ذلك مخالفته في مسألة حكم رضاع الطفل إذا انتقل من ثدي المرضعة إلى ثدي غيرها. ورأى أن الرضعة الثانية ليست مستقلة عن الأولى وأنَّها مع الأولى رضعة واحدة.

ومن هنا تظهر لنا قوة شخصيته وحريته في البحث، وكان لا يتكبر عن ارتضاء آراء شيخه ما دام مقتنعًا بها، وكان أمينًا في تحقيق الهدف الذي دعا إليه وهو الاجتهاد ونبذ التقليد.

• **مؤلفاته:** كان رحمه الله دائرة معارف حية تمشي على رجلين، اتسم بسعة الأفق ومعارفه المتعددة وثقافته المتعمقة، وقد ترك لنا مصنفات عديدة في الفقه

والأصول والتصوف والسيرة النبوية والتاريخ وغير ذلك من المؤلفات التي تبين لنا خبرته الواسعة وإلمامه بكثير من العلوم.

• ومن أهم مؤلفاته ما يلي:

١- تَهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته.

٢- طريق الهجرتين وباب السعادتين.

٣- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، وهو شرح كتاب (منازل السائرين) لشيخ الإسلام الأنصاري.

٤- عقد محكم الأحباء بين الكلم الطيب والعمل الصالح المرفوع إلى رب السماء.

٥- أخبار النساء. ٦- علم البيان. ٧- شفاء العليل في القضاء والقدر.

٨- شرح أسماء الكتاب العزيز.

٩- زاد المسافرين إلى منازل السعداء في هدي خاتم الأنبياء.

١٠- جلاء الأفهام في ذكر الصلاة والسلام على خير الأنام.

١١- بيان الاستدلال على بطلان اشتراط محلل السباق والنضال.

١٢- نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول. ١٣- بدائع الفوائد.

١٤- الشافية الكافية في الانتصار للفرقة الناجية، وهي قصيدته النونية نحو ستة آلاف بيت.

١٥- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة.

١٦- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح. ١٧- نزهة المشتاقين وروضة المحبين.

١٨- الداء والدواء. ١٩- تحفة الودود في أحكام المولود.

٢٠- مفتاح دار السعادة، ومنشور لواء أهل العلم والإرادة.

٢١- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو الفرقة الجهمية.

٢٢- رفع اليدين في الصلاة. ٢٣- نكاح المحرم.

٢٤- تفضيل مكة على المدينة. ٢٥- فضل العلم.

٢٦- عدة الصابرين. ٢٧- كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء.

٢٨- معاني الأدوات والحروف. ٢٩- الرسالة الشافية في أسرار المعوذتين.

٣٠ـ هداية الحيارى لأجوبة اليهود والنصارى .

٣١ـ إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان . ٣٢ـ حكم ترك الصلاة .

٣٣ـ نور المؤمن وحياته . ٣٤ـ التحرير فيما يحل ويحرم من لباس الحرير .

٣٥ـ الفرق بين الخلة والمحبة . ٣٦ـ الوابل الصيب من الكلم الطيب .

٣٧ـ أعلام الموقعين عن رب العالمين . ٣٨ـ الفتح القدسي .

٣٩ـ التحفة المكية . ٤٠ـ أمثال القرآن . ٤١ـ شرح الأسماء الحسنى .

٤٢ـ أيمان القرآن . ٤٣ـ تفسير الفاتحة . ٤٤ـ الفروسية الشرعية .

٤٥ـ الطرق الحكمية في السياسة الشرعية . ٤٦ـ الروح .

٤٧ـ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان .

٤٨ـ الفوائد . ٤٩ـ روضة المحبين ونزهة المشتاقين .

٥٠ـ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي . ٥١ـ تفسير أسماء القرآن .

٥٢ـ زاد المعاد في هدي خير العباد . ٥٣ـ المنار المنيف في الصحيح والضعيف .

وغير ذلك من المؤلفات النافعة والمفيدة والتي قمت بعون الله بتحقيق أغلبها لأهم دور النشر بمصر وخارجها .

وفاته: توفي رضي الله عنه وقت العشاء ليلة الخميس، الثالث عشر من شهر رجب سنة ٧٥١هـ - ١٣٥٠م، وصلى عليه يوم الخميس بعد صلاة الظهر، ودفن بمقبرة الباب الصغير، وشيعه خلق كثير، وتوفي عن ستين سنة قضى أغلبها في الدفاع عن علوم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والدعوة إلى التحرر من ربقة التقليد الأعمى الذي يطمس معالم الحق .

اللهم اجعل كتابه هذا وكتبه الأخرى من العلم الذي ينتفع به المرء بعد مماته، فإذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له . واجعلنا من المنتفعين به في حياتنا يا أكرم مسئول وخير مأمول .

وكتبه محققه
الخائف وعيد ربه الراجي منه الوعد
الأستاذ/ صفوت جودة أحمد
وكيل العلوم الشرعية بالأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الكتاب

الحَمدُ لله ربّ العالمين، وصلواته على أَشرف المرسلين: مُحَمَّد خاتَم النبيين؛ وآله وصحْبه أجمعين.

أما بعد: فهذه فصول نافعةٌ في هَدْيه ﷺ في الطبِّ الذى تَطَبَّبَ به، ووَصَفه لغيره. نبينُ ما فيه من الحكمة التى تعجز عقول أكبر الأَطباءِ عن الوصول إليها. فنقول – وبالله نستعين، ومنه نَسْتَمدُّ الحولَ والقوة –:

● **نوعان من المرض (فصل):** المرض نوعان: مرض القلوب، ومرض الأبدان وهما: مذكوران في القرآن.

● **نوعان من مرض القلوب:** ومرض القلوب نوعان: مرضُ شُبهةٍ وشكٍّ، ومرضُ شَهوة وغيٍّ. وكلاهما في القرآن، قال تعالىٰ فى مرض الشبهة: ﴿**فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا**﴾ **(البقرة: ١٠)** وقال تعالى: ﴿**وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً**﴾ **(المدثر: ٣١)**، وقال تعالى فى حقِّ مَنْ دُعيَ إلى تَحْكيم القرآن والسنَّة، فأَبَى وأعرض: ﴿**وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ **(النور: ٤٨-٥٠)** فهذا مرضُ الشبهات والشكوك.

● **مرض الشهوات:** وأما مرضُ الشهوات، فقال تعالى: ﴿**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ**﴾ **(الأحزاب: ٣٢)**. فَهذا مرضُ شَهْوة الزِّنا. و الله أَعلم.

● **مرض الأبدان (فصل):** وأَمّا مرضُ الأَبدان، فقال تعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ**﴾ **(النور: ٦١)**. وذكر أمراضَ البدن في الحَجِّ والصوْم والوضوءِ، لسرٍّ بديع: يبين لَكَ عظمةَ القرآنِ، والاستغناءَ به لمن فَهِمَه وعَقله، عن سواه.

● **قواعد طب الأبدان وذلك:** أَنَّ قواعدَ طبِّ الأَبدان ثلاثةٌ: حفظُ الصحة، والحِمْيَةُ عن المؤذى، واستفراغُ الموادِّ الفاسدةِ. فذكر سبحانه وتعالى هذه الأَصولَ الثلاثة، في

هذه المواضع الثلاثة؛ فقال فى آية الصوم: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾(البقرة: ١٨٤)؛ فأباح الفطر للمريض: لعُذر المرض؛ وللمسافر: طلبًا لحفظ صحته وقُوَّته؛ لئلا يُذهبها الصوم في السفر، لاجتماع شدَّة الحركة، وما يوجبُه: منَ التحليل وَعدم الغذاء الذى يُخْلفُ ما تحلَّلَ؛ فتخورُ القوة وتَضْعف فأباحَ للمسافر الفطرَ: حفظًا لصحته وقوته عما يُضعفها.

وقال فى آية الحج: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾(البقرة: ١٩٦)؛ فأباح للمريض وَمن به أَذًى من رأسه: من قَمْل، أو حكة، أو غيرهما - أن يَحْلقَ رأسَه فى الإحرام: استفراغًا لمادة الأَبخرة الرديئة التى أَوجبت له الأذى فى رأسَه باحتقانها تحت الشعر. فاذا حلق رأسه تَفتَّحت المسامُ. فخرجَت تلك الأَبخرة منها -: فهذا الاستفراغُ يقاسُ عليه كل استفراغ يؤذى انحباسُه.

● **الأشياء التى يؤذى انحباسها فى الجسد:** الأَشياءُ التى يُؤذى انحباسها ومُدافعتها عشرة: الدمُ إذا هاجَ، والمنيُّ إذا تتابع، والبولُ، والغائطُ، والريحُ، والقيءُ، والعطاسُ، والنومُ، والجوعُ، والعطشُ. وكل واحد - من هذه العشرة - يوجب حبسه داءً من الأَدواء بحسبه. وقد نبه سبحانه باستفراغ أَدْناها - وهو: البخار المحتقنُ فى الرأس. على استفراغ ما هو أَصعبُ منه، كما هى طريقةُ القرآن: التنبيهُ بالأَدنى على الأَعلى.

وأما الحِمْيَةُ، فقال تعالى فى آية الوضوء: ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾(النساء: ٤٣)، فأباح للمريض العدولَ عن الماء إلى التراب: حِمْيةً له أن يصيبَ جسدَه ما يؤذيه. وهذا تنبيه على الحمية عن كل مؤذ له من داخل أو خارج.

● **أصول الطب الثلاثة:** فقد أرشد سبحانه عباده إلى أُصول الطب الثلاثة، ومجامع قواعده. ونحن نذكر هَدْيَ رسول الله ﷺ فى ذلك، ونُبيِّنُ أَنَّ هَدْيَه فيه أكملُ هَدْيٍ.

● **طب القلوب:** فأَما طبُّ القلوب، فمسلَّم إلى الرُّسُل صلوات الله وسلامه عليهم، ولا سبيلَ إلى حصوله إلا من جهتهم وعلى أيديهم. فإنَّ صلاحَ القلوب: أَن تكون عارفَةً بربها وفاطرها، وبأَسمائه وصفاته، وأفعاله وأحكامه، وأَن تكونَ مُؤْثِرَةً لمرْضاته ولمحابِّه، متجنِّبةً لمَنَاهيه ومَسَاخطه. ولا صحةَ ولا حياةَ البتةَ إلا بذلك، ولا سبيلَ إلى

تلقِّيه إلا من جهة الرُّسُلِ. وما يُظَنَّ -: من حصول صحة القلب بدون اتِّباعهم - فغلطٌ ممن يَظنُّ ذلك. وإنما ذلك: حياةُ نفسه البهيمية الشهوانية، وصحتُها وقوَّتُها. وحياةُ قلبه وصحته وقوته عن ذلك بمَعْزل. ومن لم يميز بينَ هذا وهذا: فليبْكِ على حياة قلبه: فإنَّه من الأموات؛ وعلى نوره: فإنه منغمسٌ في بحارِ الظلمات.

● **طب الأبدان نوعان (فصل)**: وأما طِبُّ الأَبدان، فإنه نوعان:

● **النوع الأول**: نوعٌ قد فَطر الله عليه الحيوان ناطقَه وبهيمَه؛ فهذا لا يُحتاج فيه إلى معالجة طبيب: كطبِّ الجوع والعطش والبردِ والتعب بأضدادها وما يزيلها.

● **النوع الثاني**: والثاني ما يَحتاج إلى فكر وتأمل: كدفع الأمراض المتشابهة الحادثة في المِزاج، بحيثُ يخرج بها عن الاعتدال: إما إلى حرارة، أو برودة أو يُبوسة، أو رطوبة، أو ما يتركبُ من اثنين منها. وهي نوعان: إما مادية، وإما كيفيةٌ أعني: إما أن يكونَ بانصباب مادة، أو بحدوث كيفية والفرق بينهما: أنَّ أَمراضَ الكيفية تكون بعد زوال - الموادِّ التي أَوجبتها، فتزولُ موادُّها، ويبقى أثرها كيفيةً في المزاج. وأمراضَ المادة أسبابها معها تُمدُّها. وإذا كان سبب المرضِ معه: فالنظرُ في السببِ ينبغي أن يقع أولاً، ثم في المرض ثانيًا، ثم في الدواء ثالثًا.

● **الأمراض الآلية**: وهي: التي تُخرِج العضو عن هيئته: إما في شكْلٍ، أو تجويفٍ أو مجرى، أو خشونةٍ، أو ملامسة، أو غُددٍ، أو عظمٍ، أو وضع. فإن هذه الأعضاءَ إذا تألَّفت، وكان منها البدنُ - سمى تَأَلُّفُها. اتصالاً؛ والخروجُ عن الاعتدالِ فيه يسمى: تفرقَ الاتصال.

● **الأمراض العامة وهي**: التي تعم المتشابهة والآلية.

● **الأمراضُ المتشابهة**: هي التي يخرج بها المزاج عن الاعتدال؛ وهذا الخروجُ يسمى مرضًا: بعد أن يُضِرَّ بالفعل إضرارًا محسوسًا. وهي على ثمانية أضرُب: أربعةٌ بسيطة، وأربعةٌ مركَّبة. والبسيطةُ: البارد، والحار، والرطبُ، واليابس. والمركَّبةُ: الحار الرطب، والحار اليابس، والبارد الرطب، والبارد اليابس. وهي إما أن تكون بانصباب مادة، أو بغير انصباب مادة.

وإن لم يضر المرض بالفعل، يسمى خروجًا عن الاعتدال صحة.

● **أحوال البدن الثلاثة**: للبدن ثلاثة أحوالٍ: حالٌ طبيعية، وحال خارجة عن

الطبيعية. وحال متوسطةٌ بين الأمرين. فالأُولى بها يكون البدن صحيحًا، والثانيةُ يكون بها مريضًا، والحال الثالثةُ هي متوسطة بين الحالتين: فإنَّ الضد لا ينتقل إلى ضدِّه إلاَّ بمتوسط.

وسبب خروج البدن عن طبيعته: إما من داخله، لأنه مركَّب من الحار والبارد، والرطب واليابس. وإما من خارج: فلأن ما يلقاه قد يكون موافقًا، وقد يكون غير موافق.

● **الضرر الذى يلحق الإنسان مرضيا:** والضررُ الذى يلحقُ الإنسانَ قد يكون من سوءِ المزاج: بخروجه عن الاعتدال وقد يكون من فساد العضو؛ وقد يكونُ من ضعف فى القُوَى أو الأَرواح الحاملة لها ويرجع ذلك إلى زيادةِ ما الاعتدالُ فى عدم زيادته، أَوْ نُقْصانِ ما الاعتدالُ فى عدم نقصانه، أو تَفَرُّقِ ما الاعتدالُ فى اتصاله، أو اتصال ما الاعتدالُ فى تفرُّقه، أو امتدادِ ما الاعتدالُ فى انقباضه، أو خروجِ ذى وضع وشكل عن وضعِه وشكله: بحيث يُخرجه عن اعتداله.

● **تدخل الطبيب:** فالطبيبُ هو الذى يفرقُ ما يضرُّ بالإنسان جمعُه، أو يجمعُ فيه ما يضرُّه تفرقُه أو ينقصُ منه ما يضرُّه زيادتُه، أو يزيدُ فيه ما يضرُّه نقصُه. فيجلبُ الصحةَ المفقودةَ، أو يَحفظُها بالشكل والشَّبَه؛ ويدفعُ العلَّةَ الموجودةَ بالضد والنقيض ويخرجُها أو يدفعها بما يمنع من حصولها بالحِمْية. وسترى هذا كله فى هَدْى رسول الله ﷺ شافيًا كافيًا، بحول الله وقوته، وفضله ومعونته.

● **هديه ﷺ في التداوي (فصل):** فكان من هَدْيِه ﷺ: فعلُ التداوي في نفسه، والأَمْرُ به لمن أَصابه مرضٌ من أَهْله أو أَصْحابه. ولكن لم يكن من هَدْيِه ولا هَدْى أَصحابه، استعمالُ هذه الأَدوية المركبة التى تسمى «أَقْراباذين». بل كان غالبُ أَدويتهم بالمفردات؛ وربما أَضافوا إلى المفرد ما يعاونه، أو يكسر سَوْرته. هذا غالبُ طبِّ الأُمم على اختلافِ أَجْناسها: من العربِ، والترك، وأَهْل البوادى قاطبةً وإنما عُنى بالمركبات: الرومُ واليونانيون، وأكثرُ طب الهند بالمفردات.

● **التداوي بالغذاء وبالدواء البسيط إذا لزم الأمر:** وقد اتفقَ الأَطباءُ على أنه متى أمكنَ التداوى بالغذاء: لا يُعدَل إلى الدواءِ ومتى أمكن بالبسيط: لا يُعدلُ إلى المركب. قالوا: وكل داءٍ قُدر على دفعه بالأَغذية والحمية، لم يحاوَلْ دفعه بالأَدوية. قالوا: ولا ينبغى للطبيب أن يولَعَ بسقى الأَدوية فإن الدواءَ إذا لم يجد فى البدن داءً

يحلله، أو وجد داءً لا يوافقه، أو وجد ما يوافقه فزادت كميتُه عليه أو كيفيتُه -: تَشبَّثَ بالصحة وَعَبَثَ بها.

وأربابُ التجارب من الأطباء طبُّهم بالمفردات غالبًا؛ وهم أحد فرق الطب الثلاث.

● **اختلاف التداوى بين البدو وأهل المدن:** والتحقيقُ في ذلك: أنَّ الأدوية من جنس الأغذية؛ والأُمَّةُ والطائفةُ التى غالبُ أغذيتها المفردات: أمراضُها قليلة جداً، وطبُّها بالمفردات. وأهل المدن الذين غلبتْ عليهم الأغذية المركبة، يَحْتاجون إلى الأدْوِيَة المركبة. وسَبَبُ ذلك أنَّ أمراضَهم فى الغالبِ مركبةٌ، فالأدويةُ المركبةُ أنْفعُ لها. وأمراضُ أهل البوادى والصَّحارى مفردةٌ: فيكفى فى مداواتها الأدويةُ المفردة. فهذا برهان بحسَبِ الصناعةِ الطبية.

● **بين الطب النبوى وطب الأطباء:** ونحن نقولُ: إنَّ ههنا أمرًا آخرَ نسبةُ طبِّ الأطباء إليه، كنسبة طب الطُّرْقية[1] والعجائز إلى طبهم. وقد اعترف به حُذَّاقهم وأئمَّتهم. فإن ما عندهم من العلم بالطب (منهم) من يقولُ: هو قياسٌ؛ (ومنهم) من يقول: هو تجربة؛ (ومنهم) من يقول: إلهاماتٌ ومناماتٌ وحَدْسٌ صائبٌ، (ومنهم) من يقول أُخذ كثير منه من الحيوانات البهيمية. كما نشاهد السنانيرَ إذا أكَلتْ ذوات السموم: تَعْمِدُ إلى السراج. فتلغ فى الزيت تَتَداوى به. وكما رؤيت الحياتُ إذا خرجت من بطون الأرض - وقد غَشِيَت أبصارُها - تأتى إلى ورق الرازيانج؛ فتمرُّ عيونَها عليها. وكما عُهِدَ من الطير الذى يحتقن بماءِ البحر عند انحباس طبعه. وأمثال ذلك: مما ذكر فى مبادئ الطب.

وأين يقع هذا وأمثالُهُ من الوحى يوحيه الله إلى رسوله بما ينفعه ويضره؟ فنسبةُ ما عندهم من الطب إلى هذا الوحى: كنسبة ما عندهم من العلوم إلى ما جاءت به الأنبياءُ. بل ههنا من الأدوية التى تشفى من الأمراض، ما لم يهتد إليها عقولُ أكابر الأطباء، ولم تصل إليها علومهم وتجاربهم وأقيستهم -: من الأدوية القلبية والروحانية، وقوة القلب واعتماده على الله والتوكل عليه، والالتجاء إليه، والانطراحِ والانكسارِ بين يديه والتذللِ له؛ والصدقة والدعاء، والتوبة والاستغفار، والإحسان إلى الخلق، وإغاثة الملهوفِ والتفريج عن المكروب. فإنَّ هذه الأدويةَ قد جربتها الأُمَمُ - على اختلافِ

(1) الطرقية: من الطرق، وهو ضرب الكاهن بالحصى، والمقصود: طب الكهان.

أديانها ومللها فوجدوا لها: من التأثير في الشفاء؛ مالا يصلُ إليه علمُ أعلمِ الأطباء، ولا تجربتُه ولا قياسُه.

وقد جربنا نحن وغيرُنا من هذا أُموراً كثيرةً، ورأيناها تفعلُ مالا تفعلُ الأدويةُ الحسيةُ، بل تَصيرُ الأدويةُ الحسيةُ عندها بمنزلة الأدوية الطَّرْقية[1] عند الأطباء، وهذا جار على قانون الحِكْمَة الإلهية: ليسَ خارجًا عنها. ولكنَّ الأسباب متنوعة: فإنَّ القلبَ متى اتصل برب العالمين، وخالق الداء والدواء، ومُدَبِّر الطبيعة ومصرِّفها على ما يشاءُ -: كانت له أدوية أُخرى غيرُ الأدوية التي يُعانيها القلبُ البعيدُ منه، المُعْرِضُ عنه. وقد عُلِمَ أنَّ الأرواحَ متى قويتْ وقويت النفسُ والطبيعةُ تعاونَا على دفْع الداء وقَهْره؛ فكيف يُنكر لمن قويتْ طبيعتهُ ونفسُه، وفرحت بقربها من بارئها وأنسها به، وحُبِّها له، وتنعُّمها بذكره وانصراف قواها كلها إليه، وجَمْعها عليه، واستعانتها به، وتوكلها عليه - أن يكونَ ذلك لها من أكبر الأدوية، وتُوجبَ لها هذه القوةُ دفعَ الألم بالكلية؟! ولا يُنكرُ هذا إلا أجهلُ الناس، وأعظمُهم حجابًا، وأكثفُهم نفسًا، وأبعدُهم عن الله وعن حقية الإنسان. وسنذكر -إن شاء الله- السببَ الذي به أزالتْ قراءَةُ الفاتحة داءَ - اللَّدْغَة عن اللَّديغ، التي رُقي بها فقام حتى كان ما به قَلَبة[2].

فهذان نوعان من الطب النبويِّ، نحن - بحولِ الله- نتكلمُ عليهما بحسَب الجُهد والطاقة، ومبلغ علومنا القاصرة، ومعارفنا المتلاشية جدا، وبضاعتنا المزجاة. ولكنا نستوهب من بيده الخير كله، ونستمد من فضله. فإنه العزيز الوهاب.

● **لكل داء دواء: (فصل)**: روى مسلم في صحيحه - من حديث أبي الزُّبَيْر، عن جابر بن عبد الله، عن النبيِّ ﷺ - أنه قال: «**لكُلِّ دَاءٍ دَواءٌ**[3]، **فإذا أُصيبَ دواءُ الدَّاء: بَرأ بإذْنِ الله عزَّ وجل**[4]».

وفي الصحيحين: عن عطاءٍ، عن أبي هريرة؛ قال قال رسول الله ﷺ: «**مَا أنْزَلَ اللهُ مِنْ داءٍ، إلاَّ أنْزلَ لَهُ شفاءً**»[5].

---

(١) المقصود طب الكهان كما ذكرنا قريبا.

(٢) القلبة: الألم والعلة، وفي الحديث: «فانطلق يمشي وما به قلبة» النهاية في غريب الحديث.

(٣) يقول الشاعر العربي: **لكل داء دواء يستطب به ... إلا الحماقة أعيت من يداويها**

(٤) الحديث أخرجه مسلم في: ٣٩- كتاب السلام (٢٦) باب لكل داء دواء واستحباب التداوي، حديث (٦٩).

(٥) الحديث أخرجه البخاري في: ٧٦- كتاب الطب (١) باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء».

● **لا دواء للهرم:** وفي مُسند الإمام أحمد، من حديث زياد بن علاقةَ عن أُسامةَ ابن شريك، قال: «**كنت عند النبيِّ ﷺ، وجاءَت الأعرابُ، فقالوا: يا رسول الله، أنَتَداوَى؟ فقال: نَعم يا عبادَ الله، تَداوَوْا: فإن الله عز وجل لَم يضَع داءً، إلا وَضعَ لَهُ شفاءً، غيرَ داءٍ واحد. قالوا: ما هو؟ قال: الهرمُ**»[1].

وفي لفظ: «**إنَّ اللهَ لم يُنْزِلْ داءً، إلا أنزل له شفاءً؛ عَلمَهُ مَنْ عَلمَهُ، وَجهلَهُ مَنْ جَهلَهُ**»[2]. وفي المسند -من حديث ابن مسعود يرفعه-: «**إنَّ اللهَ عز وجل لم يُنْزِلْ داءً، إلا أَنْزلَ له شفاءً: عَلمَهُ مَنْ عَلمَهُ وَجَهلَهُ مَنْ جَهلَهُ**»[3].

وفي المُسند والسُّنن، عن أبي خُزَامةَ، قال: «**قلتُ يا رسول الله، أَرأَيْتَ رُقًى نَسْتَرْقيها ودواءً نتداوى به، وتُقَاةً نَتَّقيها[4]، هل تَرُدُّ من قَدَرِ الله شيئًا؟ فقال: هي من قدرِ الله[5]**».

● **إثبات الأسباب والمسببات،** فقد تضمنت هذه الأحاديث إثبات الأسباب والمسبَّبات، وإبطال قول مَن أنكرها.

ويجوز أن يكون قَوْله: «**لكل داءٍ دواءٌ**» على عمومه: حتى يتناول الأدواءَ القاتلة والأدواءَ التي لا يمكن طبيبًا أن يُبرئها. ويكون الله عز وجل قد جعل لها أدويةً تبرئها ولكن: طَوَى علمها عن البشر، ولم يَجْعل لهم إليه سبيلاً لأنه لا علْمَ للخلق إلا ما عَلَّمهم الله. ولهذا عَلَّقَ النبيُّ ﷺ الشفاءَ، على مُصادفَة الدواء للداء، فإنه لا شَيْءَ من المخلوقات إلاَّ له ضد؛ فكل داءٍ له ضد من الدواء: يُعالَجُ بضده. فعلَّقَ - النبي ﷺ البرءَ، بموافقة الداء للدواء. وهذا قدرٌ زائدٌ على مجرد وجوده. فإنَّ الدواء متى جاوزَ درجة الداءِ في الكيفية، أو زادَ في الكمية على ما ينبغي: نقله إلى داء آخرَ. ومتى قصر عنها: لم يَفِ بمقاومته، وكان العلاجُ قاصراً ومتى لم يَقع المداوى على الدواء: لم يحصل الشفاءُ. ومتى لم يكن الزمان صالحًا لذلك الدواء: لم ينفع. ومتى كان البدنُ غيرَ قابلٍ له، أو القوةُ عاجزةٌ عن حمله؛ أو ثَمَّ مانعٌ يمنعُ من تأثيره-: لم يحصل البرءُ،

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الطب، ح (٣٨٥٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٤:٢٧٨).

(٣) أخرجه ابن ماجه في: ٣١- كتاب الطب (١) باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، ح (٣٤٣٨).

(٤) (تقى): جمع تقاة، وأصلها وقاة، قلبت الواو تاء، وهو ما يلجأ إليه الناس خوف الأعداء.

(٥) الحديث أخرجه الترمذي في (باب) ما جاء في الرُّقى والأدوية من كتاب الطب، ح (٢٠٦٥).

لعدم المصادفة. ومتى تمت المصادفة: حصَلَ البرء ولا بد، وهذا أَحسنُ المحْمَلَيْن في الحديث.

والثاني: أن يكونَ من العامِّ المرادِ به الخاصُّ، لا سيَّما والداخلُ فى اللفظ أضعافُ الخارج منه. وهذا يُستعملُ فى كل لسان. ويكونُ المراد: أن الله لم يضع داءً يقبل الدواءَ إلا وضعَ له دواءً. فلا يَدْخل في هذا الأَدْواءُ التى لا تَقبل الدواءَ.

وهذا كقوله تعالى فى الريح التى سلَّطها على قوم عاد: ﴿ **تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا** ﴾ **(الأحقاف: ٢٥)**، أى: كلَّ شيءٍ يقبلُ التدميرَ، ومن شأن الريح أن تدمره، ونظائرُه كثيرةٌ.

ومَنْ تَأَمَّلَ خَلْقَ الأَضْدَادِ في هذا العالم، ومقاومةَ بعضها لبعض، ودفْعَ بعضها ببعض وتسليطَ بعضها على بعض -: تبيَّن له كمالُ قدرة الرب تعالى وحكمته وإتقانه ما صنعه وتفرده بالربوبية والوحدانية والقهر؛ وأن كل ما سواه فله ما يُضادُّه ويُمانعُه، كما أنَّه الغنيُّ بذاته، وكلُّ ما سواه محتاجٌ بذاته.

● **التداوى لا ينافى التوكل:** وفى هذه الأَحاديث الصحيحة: الأَمرُ بالتداوى، وأنه لا ينافى التوكل كما لا ينافيه دَفْعُ داءِ الجوعِ والعطش والحرِّ والبردِ بأضدادها؛ بل لا يتم حقيقةُ التوحيد إلا بمباشرة الأَسباب التى نَصَبَها الله مقتضيات لمسبِّباتها قدرًا وشرعًا. وأَنَّ تعطيلَها يقدح فى نفس التوكل، كما يقدح في الأَمر والحكمة. ويُضعفُه من حيثُ يظنُ مُعطِّلُها: أَنَّ تركها أقوى فى التوكل. فَإِنَّ تَرْكَها عجزًا ينافى التوكلَ الذى حقيقته: اعتمادُ القلب على الله فى حصول ما ينفعُ العبد فى دينه ودنياه، ودفع ما يضره فى دينه ودنياه. ولا بد مَعَ هذا الاعتماد من مباشرة الأَسباب وإلا كان معطلاً للحكمةِ والشرع، فلا يجعلُ العبدُ عجزَه توكلاً، ولا توكلَه عجزًا.

● **الرد على من أنكر التداوى:** وفيها ردٌّ على مَن أنكر التداوىَ، وقال: إن كان الشفاءُ قد قُدر فالتداوى لا يفيدُ وإن لم يكن قُدر فكذلك. وأيضا: فإن المرض حصل بَقدَرِ الله، وقدَرُ الله لا يُدْفَعُ ولا يُرَدُّ.

وهذا السؤالُ هو الذى أورده الأَعراب على رسول الله ﷺ. وأَما أفاضلُ الصحابةِ: فأَعلَمُ بالله وحكمته وصفاته، من أن يُوردوا مثلَ هذا.

وقد أجابَهم النبيُّ ﷺ بما شَفَى وكفى، فقال: هذه الأدويةُ والرُّقَى والتُّقَى هى من قدر الله. فما خرج شيءٌ عن قدره، بل يُردُّ قدرُه بقَدره. وهذا الرَّدُّ من قدَره. فلا سبيلَ إلى الخروجِ عن قَدَره بوجه ما. وهذا: كردِّ قَدَرِ الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها، وكردِّ قدَرِ العدُوِّ بالجهاد. وكلٌّ من قَدرِ الله: الدافعُ والمدفوعُ، والدَّفْعُ.

ويُقال لمُورد هذا السؤال: هذا يُوجب عليك أن لا تباشر سببًا من الأسباب التى تَجْلِبُ بها منفعةً، أو تدفعُ بها مضرة. لأن المنفعة والمضرة: إن قُدِّرتا لم يكن بدٌّ من وقوعهما، وإن لم تُقَدَّرا لم يكن سبيلٌ إلى وقوعهما. وفى ذلك خرابُ الدِّين والدنيا، وفسادُ العَالَم. وهذا لا يقوله إلا دافعٌ للحق، معاندٌ له. فيَذكرُ القَدَر: ليدْفعَ حُجَّةَ المُحق عليه. كالمشركين الذين قالوا: ﴿ **لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا** ﴾ **(الأنعام: ١٤٨)**، و ﴿ **لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا** ﴾ **(النحل: ٣٥)**. فهذا قالوه: دَفْعًا لحجة الله عليهم بالرسل.

وجوابُ هذا السائل أن يقال: بقى قسم ثالث لم تذكره، وهو: أنَّ الله قَدَّرَ كذا وكذا بهذا السبب، فإن أتيْتَ بالسببِ حصل المسبب، وإلا فَلا.

فإن قال: إن كان قَدَّر لى السبب فعلتُه، وإن لم يقدره لى لَمْ أتمكنْ من فعله.

قيل: فهل تَقبلُ هذا الاحتجاج من عبدك وولدك وأجيرك، إذا احتَجَّ به عليك فيما أمرتَه به، ونهيتَه عنه -فخالَفَك- فإن قَبلتَه: فلا تَلُم مَنْ عَصاك وأخذ مالَك، وقَذف عِرْضَكَ وضَيَّع حقوقَك. وإن لم تَقْبَلْه: فكيف يكونُ مقبولاً منك فى دفع حقوق الله عليك!!.

وقد رُوى فى أثرٍ إسرائيلى: «أنَّ إبراهيم الخليلَ قال: يارَبِّ، ممَّن الداءُ؟ قال: منِّى. قال: فَممَّنِ الدَّوَاءُ؟ قال: منى. قال: فَما بَالُ الطَّبيبِ؟ قال: رَجُلٌ أُرسلَ الدواءَ عَلى يديْه».

● **لكل داء دواء رجاء للمريض وأمل للطبيب:** وفى قوله ﷺ: «**لكل داءٍ دواءٌ**» تقويةٌ لنفس المريضِ والطبيب، وحَثٌّ على طلب ذلك الدواءِ والتفتيشِ عليه. فإنّ المريضَ إذا استشعرتْ نفسُه أن لدائه دواءً يزيله: تعلق قلبه بروح الرجاء، وبَرد من حرارة اليأْس، وانفَتَحَ له بابُ الرجاء. ومتى قَوِيَتْ نَفْسُه: انبعثتْ حرارتُه الغريزية، وكان ذلك سببًا لقوة الأرواح الحيوانية والنفسانية والطبيعية. ومتى قويتْ هذه

الأَرواحُ: قويت القُوى التي هى حاملةٌ لها: فقَهرت المرضَ ودفعتْه، وكذلك الطبيب: إذا علم أن لهذا الداءِ دواءً، أمكنه طلبُه والتفتيشُ عليه.

وأَمراضُ الأَبدانِ على وزانِ أَمراضِ القلوب، وما جعل الله للقلب مرضًا إلا جعل له شفاءً بضده. فإنْ علمه صاحبُ الداءِ واستعمله، وصادف داءَ قلبه: أبرأه بإذن الله تعالى.

فصل فى هديه ﷺ: فى الاحتماء من التخم والزيادة فى الأكل على قدر الحاجة والقانون الذى ينبغى مراعاته فى الأكل والشرب

في المسند وغيره عنه ﷺ أنه قال: «**ما مَلأَ آدميٌّ وعاءً شَرًّا من بَطْنٍ، بحَسْبِ ابنِ آدَمَ لُقَيْماتٌ يُقمنَ صُلْبَه، فإن كان لا بُدَّ فاعلاً: فثلثٌ لطَعَامه، وثُلثٌ لشَرابه، وثُلُثٌ لنَفَسه**»(1).

فصـــــل

● **الأمراض المادية وسببها وأعراضها وعلاجها:** الأمراض نوعان: أَمراضٌ مادية تكونُ عَن زيادَة مادَّة: أفرطتْ فى البدنِ حتى أَضرتْ بأفعاله الطبيعية، وهي الأَمراض الأَكثريةُ. وسببها: إدخالُ الطعام على البدن قبل هضم الأَول، والزيادةُ في القدر الذي يَحتاج إليه البدنُ، وتناولُ الأَغذيةِ القليلة النفع، البطيئة الهضم، والإكثارُ من الأَغذية المختلفة التراكيب المتنوعة. فإذا ملأ الآدمى بطنه من هذه الأَغذية، واعتاد ذلك: أَورثته أَمراضًا متنوعةً، منها بطيءُ الزوالِ أَوْ سَريعُه. فإذا توسط فى الغذاء، وتناول منه قدر الحاجة، وكان معتدلاً فى كميته وكيفيته: كان انتفاعُ البدن به أكثرَ من انتفاعه بالغذاءِ الكثير.

● **مراتب الغذاء:** ومراتب الغذاءَ ثلاث: **(أحدها):** مرتبة الحاجة، **(والثانية):** مرتبةُ الكفاية، **(والثالثة):** مرتبة الفَضْلَةُ. فأَخبرَ النبيُّ ﷺ: أنه يكفيه لُقيماتٌ يُقمن صلبه، فلا تَسْقُط قوته ولا تضعف معها، فإن تجاوزها: فليأْكل فى ثلث بطنه، ويدع الثلثَ الآخر للماءِ، والثالثَ للنَّفَسِ. وهذا من أنفع ما للبدن والقلب: فان البطن إذا امتلأَ من

(1) الحديث أخرجه الترمذي في: ٣٧- كتاب الزهد (٤٧) باب ما جاء فى كراهية كثرة الأكل، ح (٢٣٨٠)، وقال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسنٌ صحيح.

الطعام، ضاق عن الشراب فإذا أوردَ عليه الشرابَ: ضاقَ عن النَّفَس، وعرض له الكَرْبُ والتعبُ، وصار محمله بمنزلة حامل الحمل الثقيل. هذا إلى ما يلزم ذلك: من فساد القلب، وكَسَل الجوارح عن الطاعات، وتحركها فى الشهوات التى يستلزمها الشِّبَع.

● **مفاسد ملء البطن من الطعام:** فامتلاءُ البطن من الطعام مضرٌّ للقلب والبدن. هذا إذا كان دائمًا أو أكثريًّا. وأما إذا كان فى الأحيان، فلا بأس به: فقد شرب أبو هريرة بحضرة النبىِّ ﷺ من اللبن، حتى قال: «**والَّذى بعثكَ بالحقِّ لا أجدُ له مَسْلَكًا**»[1]، وأكلَ الصحابةُ بحضرته مرارًا، حتى شَبعوا. والشبعُ المفرط يُضعف القُوَى والبدن: وإنْ أخصبَه. وإنما يَقوى البدنُ بحسب ما يقبلُ من الغذاء، لا بحسب كثرته.

ولما كان فى الإنسان جزءٌ أرضىٌّ، وجزءٌ هوائىٌّ، وجزءٌ مائىٌّ: قسم النبىُّ ﷺ طعامَه وشرابَه ونَفَسه، على الأجزاءِ الثلاثة.

فإن قيل: فأينَ حظُّ جزء النار؟. قيل: هذه مسألةٌ تكلم فيها الأطباءُ وقالوا: إن فى البدن جزءًا ناريًّا بالفعل، وهو أحد أركانه واسطقساته[2].

ونازعهم فى ذلك آخرون من العقلاءِ - من الأطباءِ وغيرهم - وقالوا: ليس فى البدن جزءٌ ناريٌّ بالفعل. واستدلوا بوجوهٍ.

(أحدها): أن ذلك الجزءَ النارى إما أن يدعى: أنه نزل عن الأثير واختلطَ بهذه الأجزاء المائية والأرضية؛ أو يقال: إنه تولَّد فيها وتكوَّن.

والأول مستبعدٌ لوجهين: **أحدهما:** أن النارَ بالطبع صاعدة، فلو نزلت لكانت بقاسر[3] من مركزها إلى هذا العالم. **الثاني:** أن تلك الأجزاءَ النارية لا بد فى نزولها أن تعبر على كرة الزمهرير التى هى فى غاية البرد. ونحن نشاهد فى هذا العالم: أنَّ النارَ العظيمةَ تنطفىءُ بالماء القليل، فتلك الأجزاءُ الصغيرة عند مرورها بكرة الزمهرير - التى هى فى غاية البرد، ونهاية العظم - أولى بالانطفاءَ.

وأما الثانى: وهو أن يقال: إنها تكونت ههنا. - فهو أبعد وأبعد: لأن الجسمَ الذى صار ناراً، بعد أن لم يكن كذلك، قد كان قبل صيرورته: إما أرضا، وإما ماءً وإما

---

(١) المسند للإمام أحمد. (٢) اسطقساته: أصله.

(٣) بقاسر: اسم فاعل من قسره على الأمر: أى أكرهه عليه، وقهره.

هواءً. لانحصار الأركان فى هذه الأربعة. وهذا الذى قد صار ناراً أولاً، كان مختلطًا بأحد هذه الأجسام ومتصلاً بها. والجسم الذى لا يكون ناراً: إذا اختلط بأجسام عظيمة ليست بنار ولا واحدٌ منها، لا يكون مستعدًّا لأن ينقلب ناراً. لأنه فى نفسه ليس بنار. والأجسام المختلطة به باردة. فكيف يكون مستعدًّا لانقلابه ناراً؟

وإن قلتم: لم لا تكون هناك أجزاءٌ نارية تقلب هذه الأجسامَ وتجعلها ناراً، بسبب مخالطتها إياها؟

قلنا: الكلام فى حصول تلك الأجزاء النارية، كالكلام فى الأول.

فإن قلتم: إنا نرى فى رش الماءِ على النُّورَة(1) المطفأة تنفصل منها نار، وإذا وقع شعاع الشمس على البلورة ظهرت النار منها، وإذا ضربنا الحجر على الحديد ظهرت النار وكل هذه النارية حدثت عند الاختلاط. وذلك يبطل ما قررتموه فى القسم الأول أيضا.

قال المنكرون: نحن لا ننكر أن تكونَ المصاكة(2) الشديدة محدثةً للنار، كما فى ضرب الحجارة على الحديد، أو تكونَ قوة تسخين الشمس محدثة للنار، كما فى البلورة. لكنا نستبعد ذلك جدًّا فى أجرام النبات والحيوان: إذ ليس فى أجرامها من الاصطكاك ما يوجب حدوث النار، ولا فيها من الصفاء والصقال ما يبلغ إلى حد البلورة، كيف: وشعاعَ الشمس يقع على ظاهرها، فلا تتولد النار البتة؟!. فالشعاعُ الذى يصل إلى باطنها كيف يولد النارَ؟

(الوجه الثاني فى أصل المسألة): أن الأطباءَ مجمعون على أن الشراب العتيق فى غاية السخونة بالطبع؛ فلو كانت السخونة بسبب الأجزاءِ النارية: لكانت محالاً. إذ تلك الأجزاءُ الناريةُ مع حقارتها، كيف يُعْقلُ بقاؤُها فى الأجزاءِ المائية الغالبة دهراً طويلاً بحيث لا تنطفىءُ؟ مع أنا نرى النار العظيمة تُطفأُ بالماءِ القليل.

(الوجه الثالث): أنه لو كان فى الحيوان والنبات جزءٌ نارى بالفعل، لكان مغلوبًا بالجزءِ المائى الذى فيه، وكان الجزءُ الناريُّ مقهوراً به، وغلبةُ بعض الطبائع والعناصر

---

(1) النُّورة: هى الجير - حجر الكلس وأخلاط من أملاح الكالسيوم والباريون وبهذا التركيب تستعمل لإزالة الشعر الزائد.
(2) المصاكة: من الصك وهى الضرب الشديد.

على بعض، يقتضى انقلاب طبيعة المغلوب إلى طبيعة الغالب، فكان يلزم بالضرورة انقلابُ تلك الأجزاءِ النارية القليلة جداً، إلى طبيعة الماءِ الذى هو ضد النار.

(الوجه الرابع): أن الله سبحانه وتعالى ذكر خَلْق الإنسان فى كتابه، فى مواضع متعددة، يُخبرُ فى بعضها: أنه خلقه من ماء، وفى بعضها: أنه خلقه من تراب، وفى بعضها: أنه خلق من المركب منهما، وهو: الطين، وفى بعضها: أنه خلقه من صلصال كالفَخَّار، وهو: الطين الذى ضربته الشمس والريح حتى صار صلصالاً كالفَخَّار. ولم يُخْبِرْ فى موضع واحد: أنه خَلَقَه من نار، بل جعل ذلك خاصيةَ إبليسَ.

وثبت فى صحيح مسلم، عن النبيِّ ﷺ قال: «**خُلقَت الملائكةُ من نور، وخُلقَ إبليسُ من مارجٍ[1] من نارٍ، وخُلِقَ آدمُ مما وُصفَ لكم**»[2].

وهذا صريحٌ فى أنه خُلِقَ مما وصفه الله فى كتابه فقط؛ ولم يَصِفْ لنا سبحانه: أنَّه خلقه من نار، ولا أنَّ فى مادته شيئًا من النار.

(الوجه الخامس): أن غاية ما يستدلون به، ما يشاهدون: من الحرارة فى أبدان الحيوان، وهىَ دليلٌ على الأجزاءِ النارية. وهذا لا يدلُّ: فإنَّ أسبابَ الحرارةِ أعمُّ من النَّار، فإنها تكونُ عن النار تارة، وعن الحركة أُخرى، وعن انعكاس الأشعة، وعن سخونة الهواءِ، وعن مجاورة النار. وذلك بواسطة سخونة الهواءِ أيضا. وتكون عن أسباب أُخرَ. فلا يلزم من الحرارةِ النارُ.

قال أصحاب النار: من المعلوم أنَّ الترابَ والماءَ: إذا اختلطا فلا بد لهما من حرارة تقتضى طبخَهما وامتزاجهما، وإلا: كان كل منهما غيرَ ممازج للآخر ولا متحداً به. وكذلك إذا ألقينا البذر فى الطين - بحيث لا يصل إليه الهواءُ ولا الشمسُ - فسد. فلا يخلو إما أن يحصل فى المركب جسم منضج طابخ بالطبع، أَوْ لا. فإن حصل: فهو الجزءُ النارىُّ، وإن لم يحصل لم يكن المركب مسخِّنا بطبعه، بل إن سخن: كان التسخين عرضيًّا. فإذا زال التسخين العرضىُّ: لم يكن الشىءُ حارا فى طبعه، ولا فى كيفيته؛ وكان بارداً مُطلقًا، لكن: من الأغذية والأدوية ما يكون حارا بالطبع، فعلمنا أن حرارتها إنما كانت: لأن فيها جوهراً ناريًّا.

---

(١) (مارج): اللهب المختلط بسواد النار.

(٢) الحديث أخرجه مسلم فى: ٥٣- كتاب الزهد (١٠) باب فى أحاديث متفرقة، ح (٦٠).

وأيضا: فلو لم يكن في البدن جزءٌ مسخِّن، لوجب أن يكون في نهاية البرد. لأن الطبيعةَ إذا كانت مقتضيةً للبرد، وكانت خاليةً عن المعاوق والمعارض: وجب انتهاءُ البرد إلى أقصى الغاية. ولو كان كذلك: لما حصل لها الإحساس بالبرد لأن البرد الواصل إليه: إذا كان في الغاية كان مثله، والشيءُ لا ينفعل عن مثله. وإذا لم ينفعل عنه لم يُحَسَّ به، وإذا لم يحس به: لم يتألم عنه. وإن كان دونه: فعدمُ الانفعال يكون أولى. فلو لم يكن في البدن جزءٌ مسخِّن بالطبع: لما انفعل عن البرد، ولا تألم به.

قالوا: وأدلتكم إنما تُبطل قول من يقول: الأَجزاءُ النارية باقيةٌ في هذه المركبات على حالها وطبيعتها النارية. ونحن لا نقول بذلك، بل نقول: إنَّ صورتها النوعية تَفسد عند الامتزاج.

قال الآخرون: لم لا يجوز أن يُقال: إن الأَرض والماءَ والهواءَ إذا اختلطتْ فالحرارةُ المنضجة الطابخة لها، هي: حرارةُ الشمس وسائر الكواكب. ثم ذلك المركبُ، عند كمال نُضجه، يستعدُّ لقبولِ الهيئة التركيبية بواسطة السخونة: نباتًا كان، أو حيوانًا أو معدنا؟ وما المانع أن تكون السخونة والحرارة التي في المركبات، هي بسبب خواص. وقُوًى يُحدثها الله تعالى عند ذلك الامتزاج. لا من أَجزاءٍ نارية بالفعل؟ ولا سبيلَ لكم إلى إبطال هذا الإمكان البتة. وقد اعترف جماعة من فضلاء الأَطباء بذلك.

وأما حديثُ إحساس البدن بالبرد، فنقولُ: هذا يدل على أنَّ في البدن حرارةً وتسخينًا؛ وَمن يُنكر ذلك؟! لكن: ما الدليلُ على انحصار المسخِّن في النار؟ فإنه وإن كان كل نار مسخِّنا، فإن هذه القضيةَ لا تنعكس كليةً، بل عكسُها الصادقُ: «بعضُ المسخِّن نار».

وأما قولكم بفساد صورة النار النوعية، فأكثرُ الأَطباء على بقاء صورتها النوعية. والقولُ بفسادها قولٌ فاسد قد اعترف بفساده أفضلُ متأخِّريكم، في كتابه المسمى: «بالشفاء»[1]، وبرهَنَ على بقاء الأَركان أجمعَ، على طبائعها في المركبات. وبالله التوفيق.

● **علاجه ﷺ للمرض ثلاثة أنواع (فصل):** وكان علاجه ﷺ للمرض، ثلاثةَ

(١) كتاب «الشفاء» لابن سينا.

أنـــواع: (**أحدها**) بالأدوية الطبيعية. (**والثاني**)، بالأدوية الإلهية. (**والثالث**)، بالمركب من الأَمْرين.

ونحن نذكر الأنواع الثلاثةَ من هَدْيه ﷺ، فنبدأ بذكر الأدوية الطبيعية التى وَصَفَها واستَعْمَلها، ثم نذكر الأدوية الإلهية، ثم المركبة.

وهذا إنما نُشير إليه إشارةً: فإن رسول الله ﷺ إنما بُعث: هاديًا، وداعيًا إلى الله وإلى جنته، ومعرِّفًا بالله، ومبيِّنا للأُمة مواقعَ رضاه وآمرًا لهم بها؛ ومواقعَ سَخَطه وناهيًا لهم عنها، ومُخْبِرَهم أَخبارَ الأنبياءِ والرسل وأَحْوالهم مع أُممهم، وأَخبارَ تخليق العالم، وأَمْر المبدإ والمعاد، وكيفيةِ شَقَاوة النفوس وسعادتها، وأسباب ذلك.

● **طب الأبدان من تكميل الشريعة:** وأما طِبُّ الأبدان، فجاءَ من تَكْميل شريعته، ومقصوداً لغيره: بحيث إنما يُستعمل عند الحاجة إليه. فإذا قُدر الاستغناءُ عنه: كان صَرْفُ الهمم والقُوَى إلى علاجِ القلوب والأرواح، وحفظ صحتها، ودفْع أسقامها، وَحِمْيَتِها مما يُفسدُها – هو المقصود بالقصد الأَول وإصلاحُ البدن بدون إصلاح القلب لا ينفع، وفساد البدن مع إصلاح القلب مَضَرتهُ يسيرة جدًا، وهى مضرةٌ زائلة تعقبها المنفعة الدائمة التامة. وبالله التوفيق.

ذكر القسم الأول وهو العلاج بالأدوية الطبيعية

فصل فى هديه ﷺ فى علاج الحمى

ثَبَتَ فى الصحيحين، عن نافع عن ابن عمرَ: أَن النبىَّ ﷺ قال: «**إنَّمَا الحُمى -أو شدة الحمَّى- منْ فَيْحِ جَهنَّم، فأَبْرِدُوهَا بالماء**»(1).

وقد أَشكل هذا الحديث على كثير من جَهَلَة الأَطباء، ورآه منافيًا لدواءِ الحُمَّى وعلاجها، ونحن نبين – بحول الله وقوته – وجهَهُ وفقهَه، فنقول:

خطابُ النبيِّ ﷺ نَوعان: عامٌّ لأَهل الأرض، وخاصٌّ ببعضهم. فالأَول: كعامة خطابه.

والثاني كقوله: «**لا تَسْتَقبلوا القبلة بغائط ولا بَوْل، ولا تَسْتَدْبروهَا، ولكن**

(1) الحديث أخرجه البخارى فى: 59- كتاب بدء الخلق، (10) باب صفة النار. من حديث أبى ذر.

شَرِّقوا أو غَربُوا»[1] فهذا ليس بخطاب لأَهل المشرق ولا المغرب ولا العراق؛ ولكن لأَهل المدينة وما على سَمْتها: كالشام وغيرها. وكذلك قوله: «**ما بَيْنَ المشْرِق والمغْرِب قِبْلَةٌ**»[2].

وإذا عُرِفَ هذا. فخطابُه فى هذا الحديث خاصٌ بأَهل الحجاز وما والاهُم، إذا كان أَكثرُ الحميات التى تَعرض لهم، من نوع الحمى اليومية العَرَضيَّة، الحادثة عن شدة حرارة الشمس وهذه ينفعها الماءُ البارِدُ: شرْبًا واغتسالاً. فإنَّ الحُمَّى حرارةٌ غريبةٌ تشتعلُ بالقلب، وتنبث منه – بتوسط الروح والدَّم فى الشرايين والعروق – إلى جميع البدن فَتَشْتَعِلُ فيه اشتعالاً: يضر بالأَفعال الطبيعية.

● **الحمى تنقسم إلى قسمين:** الحمى العرضية: وهى الحادثةُ: إما عن الورمِ، أَو الحركة، أَو إصابة حرارةِ الشمس أَو القَيْظِ الشديد، ونحو ذلك.

● **الحمى المرضية وأنواعها:** وهى ثلاثة أنواع وهى لا تكون إلا فى مادة أُولى، ثم منها يَسْخن جميع البدن. فإن كان مبدأ تعلقها بالروح، سميت: حُمَّى يَوْمٍ، لأَنها فى الغالب تزول فى يوم، ونهايتُها ثلاثة أَيام.

وإن كان مبدأ تعلقها بالأَخلاط، سُميت: عفنية، وهى أربعة أصناف: صفراوية، وسوداوية، وبلغمية، ودموية. وإن كان مبدأ تعلقها بالأَعضاءِ الصلبة الأَصلية، سميت: حُمَّى دق. وتحت هذه الأَنواع أَصنافٌ كثيرة.

● **قد ينتفع البدن بالحمى:** وقد ينتفع البدن بالحمى انتفاعًا عظيمًا لا يبلغه الدواء، وكثيراً ما يكون حمى يوم وحُمى العفن، سببًا لإنضاج موادٍّ غليظة لم تكن تنضج بدونها، وسببًا لتفتح سُدَدٍ لم تكن تصل إليها الأَدوية المُفَتِّحَة.

وأما الرمدُ الحديثُ والمتقادمُ: فإنَّها تبرىءُ أَكثرَ أَنواعه بُرءًا عجيبًا سريعًا وتنفعُ من الفالجِ واللَّقْوةِ[3] والتشنج الامتلائى، وكثيراً من الأَمراض الحادثة عن الفضول الغليظة.

وقال لى بعض فضلاءِ الأَطباء: إنَّ كثيراً من الأَمراض نَسْتَبْشِرُ فيها بالحمى: كما

---

(١) أخرجه البخارى فى: ٨- كتاب الصلاة (٢٩) باب قبلة أهل المدينة.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي فى الصلاة، ح (٣٤٢، ٣٤٤)، ص (٢: ١٧١، ١٧٣) من طريق أبى هريرة، وقال حسن صحيح.

(٣) الفالج: شلل يصيب أحد شقى الإنسان طولا. واللقوة: داء عصبى يعرض للوجه يعوج منه الشدق.

يَسْتَبْشرُ المريضُ بالعافية؛ فتكون الحُمى فيه أَنفعَ من شُرْبِ الدواءِ بكثير: فإنها تُنْضِجُ من الأَخلاط والمواد الفاسدة، ما يضر بالبدن، فإذا أنضجتها صادفها الدواء: متهيئةً للخروج بنضاجها، فأخرجها. فكانت سببًا للشفاء.

وإذا عُرف هذا فيجوز أن يكونَ مرادُ الحديث من أقسام الحميات العرضية. فإنها تسكن على المكان: بالانغماس فى الماءِ البارد، وسقى الماء البارد المثلوج ولا يحتاج صاحبُها مع ذلك إلى علاج آخر. فإنها مجرد كيفية حارة متعلقة بالروح، فيكفى فى زوالها مجرد وصول كيفية باردة: تسكنها وتُخْمد لهَبَها، من غير حاجة إلى استفراغِ مادة، أو انتظار نُضج.

ويجوز: أن يراد به جميعُ أنواع الحميات.

وقد اعترفَ فاضلُ الأَطباء جالينوس: بأن الماءَ الباردَ ينفع فيها، قال فى المقالة العاشرة من كتاب «حيلة البرء»: (ولو أن رَجُلاً شابًّا، حَسَنَ اللحم، خَصِبَ البدن - فى وقت القيظ، وفى وقت منتهى الحمى - وليس فى أحشائه ورمٌ، استحمَّ بماءٍ بارد، أَوْ سَبَحَ فيه -: لانتفع بذلك). وقال: «ونحن نأْمر بذلك بلا توقف».

وقال الرازىُّ فى كتابه الكبير[1]: «إذا كانت القوة قويةً والحُمَّى حادّةً جدًّا - والنضجُ بَيِّنٌ، ولا وَرَمَ فى الجوف، ولا فَتْقَ -: ينفع الماءُ الباردُ شربًا. وإن كان العليل خصبَ البدن، والزمان حارًّا، وكان معتاداً لاستعمال الماء البارد من خارجٍ -: فليؤْذَنْ فيه».

● **الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء:** وقوله: «**الحُمى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّم**» هو: شدّة لهبها وانتشارها ونظيرُهُ قوله: «**شدَّةُ الحَرِّ من فيحِ جَهنم**». وفيه وجهان:

(أحدهما): أن ذلك أُنموذَجٌ ورقيقةٌ اشتقتْ من جهنم، ليستدلَّ بها العبادُ عليها ويعتبروا بها. ثم إن الله سبحانه قدَّر ظهورها بأسبابٍ تقتضيها. كما أن الروح والفرح والسرور واللذة: من نعيم الجنة، أَظهرها الله فى هذه الدار: عبرةً ودلالةً، وقدَّرَ ظهورَها بأسباب توجبها.

---

(١) الرازي: محمد بن زكريا، أبو بكر الرازي الطبيب (٢٥١-٣١١) رئيس أطباء البيمارستان العضدي، جالينوس العرب، وأحد أعظم أطباء الإنسانية وليس هو الرازي صاحب التفسير الكبير.

(والثانى): أن يكون المراد التشبيهَ، فَشَبَّه شدة الحُمّى ولهبها بفيْح جهنم وشبَّه شدة الحر به أيضًا. تنبيهًا للنفوس على شدة عذاب النَّار، وأنَّ هذه الحرارة العظيمة مشبهةٌ بفيْحها. وهو: ما يصيب مَنْ قَرُب منها: من حرها.

وقوله: «**فابْردوها**» رُوِىَ بوجهين: بقطع الهمزة وفتحها، رُباعىٌّ، من «**أبْرَدَ الشيءَ**»: إذا صيَّرَهُ بارداً، مثل «**أَسْخَنَهُ**»: إِذَا صيَّرهُ سُخْنًا. والثانى: بهمزة الوصل مضمومةً، من «**بَرَدَ الشيءَ يبْرُدُه**» وهو أفصحُ: لغةً واستعمالاً. والرباعى لغةٌ رديئة عندهم. قال الحماسىُّ:

إذا وجدتُ لهيب[1] الحُبِّ فى كَبدى: أَقْبَلْتُ نحو سقاء القوم أبْتَرِد
هَبْنى بَرَدْتُ ببَرْدِ الماءِ ظاهِرُهُ فمن لنَارٍ على الأَحشاء تَتَّقِدُ[2]؟

● **الماء الذى يبرد الحمى**: وقوله: «**بالماء**»، فيه قولان: «**أحدهما**»: أنه كلُّ ماءٍ. وهو الصحيح. **(والثانى)**: أنه ماء زمزمَ. واحْتجَّ أصحابُ هذا القول، بما رواه البخاريُّ فى صحيحه عن أبى جَمْرة نَصْر بن عمْران الضبَعىِّ، قال: «كنت أُجالسُ ابن عباس بمكةَ فأَخَذَتْنى الحُمى فقال: ابْرُدْها عنك بماءِ زمزمَ، فإنَّ رسولَ الله ﷺ قال: إنَّ الحُمَّى من فَيْح جهنَّم، فَابْرُدوها بالماءِ»، أو قال: (بماءِ زمزمَ)[3].

وراوى هذا قد شك فيه. ولو جَزَمَ به: لكان أمرًا لأَهْل مكة: بماءِ زمزم، إذ هو متيسر عندهم؛ ولغيرهم: بما عندهم من الماء.

ثم اختلفَ مَن قال: إنه على عمومه، هل المرادُ به: الصدقةُ بالماءِ؟ أو استعمالُه؟ على قولَيْن. والصحيح: أنه استعماله. وأَظن: أن الذى حَمَل من قالَ: المرادُ الصدقةُ به: أنه أشْكَلَ عليه استعمالُ الماءِ البارد فى الْحُمَّى، ولم يَفهم وجهَه. مع أن لقوله وجهًا حسنًا، وهو: أنَّ الجزاءَ من جنس العمل. فكما أُخْمِد لهيبُ العطشِ عن الظمآن

(١) روى أوار بدل لهيب.

(٢) ذكر المصنف أن هذا الشعر للحماسى، والذى فى المزهر أنه لعروة بن أذينة الشاعر الغزلى.

(٣) الحديث رواه أحمد والبخارى عن ابن عباس، وعن ابن عمر: أحمد والبيهقي والنسائي وابن ماجه، وعن عائشة: البيهقي والترمذي وابن ماجه، وعن رافع بن خديج: أحمد والبيهقي والترمذى والنسائى وابن ماجه، وعن أسماء بنت أبى بكر: البيهقي والترمذي وابن ماجه. ورمز له السيوطي بالصحة، وقد تتبع ابن حجر فى الفتح طرقه وألفاظه فى فتح البارى (انظر لنا: مفاتيح القارى).

بالماء البارد، أَخمَدَ اللهُ لهيبَ الحمى عنه: جزاءً وِفاقًا. ولكن هذا يؤخذ من فِقه الحديث وإشارته. وأما المرادُ به: فاستعمالُه.

وقد ذكر أبو نُعَيْمٍ وغيره – من حديث أنس، يَرفعهُ –: «**إذا حُمَّ أحَدُكُم: فلْيُرش عليه الماءُ الباردُ ثلاثَ لَيالٍ من السَّحَرِ**»[1].

وفي سنن ابن ماجَهْ –عن أبي هُريرةَ يرفعه–: «**الحُمَّى من كِيرِ جهنَّمَ، فَنَحُّوها عَنْكُمْ بالماءِ البارد**»[2].

وفي المسند وغيره – من حديث الحسن، عن سَمُرَةَ يرفعُه–: «**الْحُمَّى قطعةٌ من النَّارِ، فأَبْرِدُوهَا عَنْكم بالماءِ البارد**».

وكان رسولُ الله ﷺ إذا حُمَّ دعا بقِرْبة من ماءٍ، فأَفْرَغَها عَلى رأسه، فاغْتَسَلَ[3].

● **الحمى تنفى الذنوب:** وفي السُّنَنِ من حديث أَبي هُريرةَ، قال: «**ذُكِرَت الحُمَّى عنْدَ رسول الله ﷺ فَسَبَّهَا رجلٌ، فقال رسولُ الله ﷺ: لا تَسُبَّها، فإنها تَنْفى الذنوبَ كما تَنْفى النارُ خَبَثَ الحَديد**»[4].

● **ما يعالج به الحمى ينقى البدن:** لما كانت الحمى يتبعها حميةٌ عن الأغذية الرديئة. وتناولُ الأغذية والأدوية النافعة؛ وفي ذلك إعانةٌ على تنقية البدن، ونَفْي أَخباثه وفضوله، وتصفيته من مواده الرديئة، وتفعل فيه كما تفعل النارُ في الحديد: في نَفْي خَبَثه، وتصفية جوهَره–: كانت أَشبهَ الأَشياءِ بنار الكير التي تصفى جوهر الحديد. وهذا القدر هو المعلوم عند أطباء الأبدان.

● **الحمى تنقى القلب:** وأما تصفيتُها القلبَ من وسَخه ودَرَنه، وإخراجها خبائثَهُ–: فأَمْرٌ يعلمه أَطباءُ القلوب، ويَجدونه: كما أَخبرهم به نبيهم رسول الله ﷺ ولكن مرضَ القلب إذا صار ميئوسًا من برئه: لم ينفع فيه هذا العلاج.

---

(١) أخرجه النسائى وأبو يعلى والحاكم فى المستدرك (٤:٢٠٠)، وقال: صحيح، ووافقه الذهبي والضياء المقدسي، والطحاوي وأبو نعيم ورمز له السيوطي بالصحة.

(٢) سنن ابن ماجه (٢:١١٥٠).

(٣) أخرجه الهيثمي فى الزوائد (٥:٩٤)، وقال: فيه إسماعيل بن مسلم، وهو متروك.

(٤) أخرجه ابن ماجه عن أبى هريرة قال فى الزوائد: فى إسناده موسى بن عبينة وهو ضعيف، وأخرجه مسلم فى باب الأدب عن جابر: بلفظ «لا تسبى الحمى» خطابًا منه صلى الله عليه وسلم لأم السائب، ورمز له السيوطى بالصحة.

فالحُمَّى تنفع البدنَ والقلبَ. وما كان بهذه المثابة: فسَبُّه ظلم وعدوان، وذكرتُ مرة -وأنا محموم- قولَ بعض الشعراء يسبُّها:

زارَتْ مُكفِّرةُ الذنوبِ، وَوَدَّعتْ تَبًّا لها: مِن زائرٍ ومُوَدِّعِ
قالت - وقد عَزَمتْ على تَرْحالِها ماذا تُريد؟ فقلتُ: أن لا تَرْجِعي

فقلت: تَبًّا له، إذ سبَّ ما نَهى رسول الله ﷺ- عن سَبِّه. ولو قال:

زارتْ مكفِّرةُ الذنوب لصَبِّها أهلاً بها: مِنْ زائرٍ وَمُودِّعِ
قالتْ- وقد عَزَمَتْ على ترْحالها ماذا تريدُ؟ فقلتُ: أن لا تُقْلعي

لكان أولى به، ولأَقلعت عنه. فأَقلعت عني سريعًا.

وقد رُوى فى أثر - لا أعرف حاله: «حُمَّى يَوْم كَفَّارَةُ سنة»(١). وفيه قولان:

(أحدهما): أَنَّ الحُمَّى تدخلُ فى كل الأَعضاءِ والمفاصل، وعِدتُّها ثلثمائة وستون مفصلاً فتكفرُ عنه -بعدد كل مفصل- ذنوبَ يوم.

(والثانى): أنها تؤثر فى البدن تأثيرًا لا يزول بالكلية إلى سنة؛ كما قيل فى قوله ﷺ-: «**مَنْ شَربَ الخمرَ: لمْ تُقبلْ له صَلاةٌ أربعينَ يَوْمًا**»(٢): إذ أثر الخمر يَبقى فى جوف العبد وعروقه وأعضائه، أربعين يومًا. والله أعلم.

قال أبو هريرةَ: «ما من مَرَضٍ يصيبنى أَحبَّ إِليَّ منَ الحمَّى: لانهَا تدخلُ فى كلِّ عضوٍ منِّى، وأَنَّ الله سبحانهُ مُعْطى كلَّ عضو حظَّه من الأَجرِ».

وقد روى الترمذيُّ فى جامعه - من حديث رافع بن خَديج، يرفعُه-: «**إذَا أَصابتْ أَحَدَكُم الحمَّى - وإنما الحمَّى قطْعةٌ من النَّار - فَلْيُطفئها بالماء البارد، ويَسْتقبلْ نَهرًا جاريًا. فَلْيستقبلْ جَرْيَةَ الماء بعدَ الفجْرِ، وقَبلَ طلوعِ الشَّمس وليقلْ: باسمِ اللهِ اللهمَّ: اشْفِ عَبْدك، وصدِّق رسولكَ. ويَنْغَمسُ فيه ثلاث**

(١) العبارة من حديث رواه القضاعي فى «مسنده: الشهاب»، عن ابن مسعود، وضعف ببعض رواته، وكذا الديلمي عن ابن مسعود، وأعله ابن طاهر بالحسن بن صالح، وقال: تركه يحيى القطان وابن مهدي انظر فيض القدير (٣:٤٢١-٤٤٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه، ح (٣٣٧٧)، والإمام أحمد في مسنده (٢:١٩٧)، والترمذي في أول كتاب الأشربة، ح (١٨٦٢)، وأخرجه الحاكم فى «المستدرك» (٤:١٤٦)، وقال: صحيح، ووافقه الذهبي.

غَمْسات، ثلاثةَ أيام فإن بَرِىءَ وإلاَّ: ففى خمس، فإن لمْ يَبْرأ فى خمس: فسبعٌ، فإنها لا تَكادُ تُجاوزُ السبع بإذن الله»[1].

قلتُ، وهو ينفع فعله – فى فصل الصيف، فى البلاد الحارة – على الشرائط التى تقدّمت. فإن الماءَ فى ذلك الوقت أبردُ ما يكون: لبعده عن ملاقاة الشمس، ووُفور القُوى فى ذلك الوقت: لما أفادها النومُ والسكونُ وبردُ الهواء. فيجتمعُ قوةُ القوى، وقوةُ الدواء وهو الماءُ البارد – على حرارة الحمى العرضية، أو الغبِّ الخالصة – أعْنى: التى لا ورم معها ولا شيءَ من الأعراض الرديئة، والمواد الفاسدة – فيطفئها بإذن الله، لا سيّما فى أحد الأيام المذكورة فى الحديث. وهى الأيام التى يقع فيها بحرَّانَ الأمراضُ الحادةُ كثيرًا لا سيما فى البلاد المذكورة: لرقة أخلاط سكانها، وسرعة انفعالهم عن الدواء النافع.

فصل من هديه ﷺ فى علاج استطلاق البطن [2]

فى الصحيحين – من حديث أبى المُتوكل عن أبى سعيد الخُدْرِىِّ–: «**أنَّ رجلاً أتى النبىَّ ﷺ فقال: إنَّ أخى يَشْتَكى بَطْنَهُ**: وفي رواية: **استطلقَ بطنُه؛ فقال: اسْقه عَسَلاً. فذهب ثم رجعَ، فقالَ: قد سقيتُهُ فلم يُغْنِ عنه شيئًا**. وفى لَفْظ: **فلَم يزِدْهُ إلا اسْتِطْلاقًا. مرتين أو ثلاثًا. كلَّ ذلك يَقولُ له: اسقِه عسلاً. فقال له فى الثالثة أو الرابعة: صَدَقَ الله وكَذَب بطنُ أَخيكَ**»[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥:٢٨١)، والترمذي في كتاب الطب، حديث (٢٠٨٤).

(٢) الاستطلاق: الإسهال.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في: ٧٦- كتاب الطب (٤) باب الدواء بالعسل، وقول الله تعالى ﴿فيه شفاء للناس﴾، ثم أخرجه البخاري بعده في (٢٤) باب دواء المبطون.

وأخرجه مسلم في: ٣٩- كتاب السلام (٣١) باب التداوي بالعسل، حديث (٩١).

وأخرجه الترمذي فى كتاب الطب (باب) ما جاء فى التداوي بالعسل حديث (٢٠٨٢). وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وأخرجه الإمام أحمد فى «مسنده» (٣:١٩، ٢٠).

قال الله تعالى فى (سورة النحل: ٦٨-٦٩): ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

وقال الله تبارك وتعالى في (سورة محمد ﷺ: ١٥) ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾. =

وفي صحيح مسلم، في لفظ له: «إن أخي عَرِبَ بَطنُهُ[1]» أى فسَد هضْمُه واعتلتْ معدته والاسم: العربُ بفتح الراء و (الذَّرَبُ) أيضا.

● **منافع عسل النحل:** والعسلُ فيه منافعُ عظيمة: فإنَّهُ جلاءٌ للأوْساخ التى فى العروق والأمعاء وغيرها. محللٌ للرطوبات. أكلاً وطلاءً، نافعٌ للمشايخ وأصحاب البلغم، ومَن كان مزاجه باردًا رطبًا. وهو مغذٍ، مليِّنٌ للطبيعة، حافظٌ لقُوَى المعاجين ولما استُودع فيه، مُذْهِبٌ لكيفيات الأدوية الكريهة، مُنَقٍّ للكبد والصدر، مُدرٌّ للبول، موافقٌ للسعال الكائن عن البلغم. وإذا شرب حارًّا بدهن الورد: نَفَعَ من نهش الهوام وشرب الأفيون وإن شُرِبَ وَحْدَهُ ممزوجًا بماء: نفع من عضَّة الكَلْب الكَلِب[2]، وأكل الفُطْر القتال[3]. وإذا جُعل فيه اللحم الطريُّ: حفظ طراوته ثلاثة أشهر. وكذلك: إن جُعِل فيه القثاءُ والخيار والقرع والباذنجان. ويحفظ كثيراً من الفاكهة ستة أشهر. ويحفظ جثة الموتى. ويُسمى: الحافظَ الأمينَ. وإذا لُطِخَ به البدنُ المقمل والشعر: قتل قملَه وصِئْبانه[4]، وطوَّل الشعر وحسَّنه ونَعَّمه. وإن اكتُحلَ به: جلا ظُلمةَ البصر. وإن استُن به: بَيَّض الأسنان وصقَلها، وحفظ صحتَها وصحةَ اللثَّة، ويفتح أفواه العروق، ويُدِرُّ الطَّمْثَ. ولَعْقُه على الريق: يُذهب البلغمَ، ويغسلُ خَمْلَ المعدة، ويَدْفع الفَضَلات عنها، ويسخنها تسخينًا معتدلاً، ويفتح سَدَدَها، ويفعل ذلك بالكبد والكُلَى والمَثَانة. وهو أقل ضرراً لسَدَد الكبد والطحال من كل حلو.

وهو -مع هذا كله- مأمونُ الغائلة، قليلُ المضار، مضر بالعرض للصفراويين ودفعُها: بالخل ونحوه، فيعود حينئذ نافعًا له جداً.

وهو غذاءٌ مع الأغذية، ودواءٌ مع الأدوية، وشرابٌ معَ الأشربة، وحلوٌ مع الحلو، وطلاءٌ مع الأطلية، ومفرحٌ من المفرِّحات. فما خُلق لنا شيءٌ فى معناه: أفضلُ منه ولا

= (فائدة): صدق الله وكذب بطن أخيك، قد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن غيب أطلعه الله عليه، وأعلمه بالوحي أن شفاءه بالعسل فكرر عليه الأمر بسقي العسل ليظهر ما وعد به، (وأيضا) فقد علم أن هذا المرض يشفيه العسل.

(١) صحيح مسلم، أى فسدت معدته.

(٢) أى المسعور.

(٣) الفُطر: بضم الفاء، وتسكين الطاء، واحدته فطرة، وتطلق على طائفة من اللازهريات، منها ما يؤكل، ومنها ما هو سام، ومنها (الكمأة) وفى الحديث «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين».

(٤) (صئبانه): بيضه.

مثلُه ولا قريب منه. ولم يكن معوّلُ القدماءِ إلا عليه. وأكثرُ كتب القدماءِ لا ذكرَ فيها للسكّر البتةَ، ولا يعرفونه، فإنه حديث العهد: حدث قريبا.

وكان النبى ﷺ: يشربُه بالماءِ على الريق. وفى ذلك سرٌّ بديعٌ فى حفظِ الصحة، لا يُدْرِكه إلا الفَطِنُ الفاضل. وسنذكر ذلك -إن شاءَ الله- عند ذكر هدْيه: فى حفظ الصحة.

وفى سنن ابن ماجهْ مرفوعًا، من حديث أَبى هريرة-: «**مَنْ لَعِقَ ثلاث غَدَوات كلَّ شهرٍ: لَمْ يُصِبْه عظيمُ البلاءِ**»(١).

● **الجمع بين الطب البشرى والإلهى:** وفى أثر آخر: «**عَلَيْكُمْ بالشِّفاءَيْن: العسلِ والقرآن**»(٢).

فجمع بين الطب البشريّ والإلهيّ، وبين طبِّ الأَبدان وَطِبِّ الأَرْواحِ، وبين الدواءِ الأَرضيِّ والدواءِ السمائيِّ.

● **وصفه للمعدة:** إذا عُرف هذا: فهذا الذى وَصف له النبىُّ ﷺ العسلَ، كان اسْتطلاقُ بطنه: عن تخمة أَصابته عن امتلاءَ، فأَمره بشرب العسل: لدفع الفضول المجتمعة فى نواحى المعدة والأَمعاءَ، فإنَّ العسل فيه جلاءٌ وَدَفْعٌ للفضول. وكان قد أَصاب المعدةَ أَخلاطٌ لزجةٌ تمنع استقرار الغذاء فيه للزوجتها: فإن المعدة لها خَمْلٌ كَخَمْلِ المنشفة، فإذا علقت بها الأَخلاط اللزجة: أَفسدتها وأَفسدت الغذاءَ. فدواؤُها بما يجْلوها من تلك الأَخلاط. والعسلُ جلاءٌ، والعسلُ من أَحسن ما عولج به هذا الداءُ: لا سيما إن مُزِج بالماءِ الحار.

وفى تكرار سقيه العسلَ معنى طبيٌّ بديع وهو: أَن الدواءَ يجب أَن يكون له مقدار وكمية بحسب حال الداء: إن قصر عنه لم يُزله بالكلية، وإن جاوزه أَوهن القُوى فأَحدث ضرراً آخر. فلما أَمره أَن يسقيه العسل: سقاه مقداراً لا يفى بمقاومة الداءِ ولا يبلغ الغرض. فلما أَخبره: علم أَن الذى سقاه لا يبلغ مقدار الحاجة. فلما تكرر تردادُه

---

(١) سنن ابن ماجه (٢: ١١٤٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه فى كتاب الطب، حديث رقم (٣٤٥٢)، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤: ٢٠٠) وقال: «إسناده صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي على ذلك، وقال الهيثمي فى الزوائد: «إسناده» صحيح، ورجاله ثقات».

إلى النبى ﷺ، أكد عليه المعاودة: ليصل إلى المقدار المقاوم للداء. فلما تكررت الشَّرَبات بحسب مادة الداء: برئَ بإذن الله. واعتبارُ مقاديرِ الأدوية وكيفياتها، ومقدارِ قوة المرض والمريض – من أكبر قواعد الطب.

وفى قوله ﷺ: «**صَدَقَ الله وكَذَبَ بطنُ أخيك**» إشارةٌ إلى تحقيق نفع هذا الدواء، وأن بقاءَ الداءِ ليس لقصور الدواءِ فى نفسه، ولكن: لكذبِ البطن وكثرةِ المادة الفاسدة فيه. فأمره بتكرار الدواءِ: لكثرة المادة.

وليس طِبُّه ﷺ – كطب الأطباء، فإن طبَّ النبى ﷺ -: متيقَّنٌ قطعىٌّ إلهىٌّ: صادرٌ عن الوحى، ومِشْكاة النبوة، وكمالِ العقل. وطبُّ غيره أكثرُه حَدْسٌ وظنونٌ وتجاربُ، ولا يُنْكَر عدمُ انتفاع كثير من المرضى بطب النبوة، فإنه إنما ينتفع به مَن تلقاه بالقبولِ واعتقادِ الشفاء عليه، وكمال التلقى له: بالإيمان والإذعان. فهذا القرآن الذى هو شفاءٌ لما فى الصدور – إن لم يُتَلَقَّ هذا التلقِّى: لم يحصل به شفاءُ الصدور من أدوائها؛ بل لا يزيد المنافقين إلا رِجْسًا إلى رِجْسهم، ومرضًا إلى مرضهم وأين يقع طبُّ الأَبدان منه؟! فطبُّ النبوَّة لا يناسب إلا الأبدانَ الطيبة: كما أن شفاءَ القرآن لا يناسب إلا الأرواحَ الطيبة، والقلوبَ الحية. فإعراض الناس عن طب النبوة كإعراضهم عن الاسْتِشْفاءِ بالقرآن الذى هو: الشفاءُ النافع. وليس ذلك القصور فى الدواءِ ولكن لخبثِ الطبيعة، وفساد المحل وعدم قبوله. والله الموفق.

(فصل): وقد اختلف الناس فى قوله تعالى: ﴿ **يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مختَلِفٌ أَلوانُهُ: فيه شِفَاءٌ للنَّاس** ﴾ (النحل: ٦٩) هل الضمير فى ﴿ **فيه** ﴾ راجعٌ إلى الشراب؟ أَو راجعٌ إلى القرآن؟ على قولين الصحيح منهما: رجوعُه إلى الشراب. وهو قول ابن مسعود وابن عباس، والحسن، وقتادةَ، والأكثرين، فإنه هو المذكور، والكلامُ سيق لأَجله. ولا ذكر للقرآن فى الآية. وهذا الحديث الصحيحُ – وهو قوله (صدق الله) كالصريح فيه. والله تعالى أعلم.

فصل في هديه ﷺ فى الطاعون وعلاجه، والاحتراز منه

● **الإسلام والحجر الصحى:** فى الصحيحين – عن عامر بن سعد بن أَبى وقَّاص، عن أَبيه -: «أنه سمعه يَسأَلُ أُسَامَةَ بنَ زيد: ماذا سمعتَ من رسول الله ﷺ فى الطاعون؟ فقال أُسامةُ: قال رسول الله ﷺ: «**الطاعُونُ رِجْزٌ أُرْسِلَ علَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنى**

إسرائيلَ، أوْ على مَنْ كان قَبْلكم، فإذا سمعتم به بأرض: فلا تَدخُلوا عليه؛ وإذا وقَع بأرض - وأنتم بها - فلا تَخْرجوا منْها فِرارًا منْهُ»(1).

● **الطاعون شهادة للمسلم:** وفي الصحيحين أيضا: عن حَفْصَةَ بنت سيرين، قالت: قال أَنسُ بن مالكٍ: قال رسول الله ﷺ: «**الطاعونُ شَهَادةٌ لكُل مسلم**»(2).

● **وصف لمرض الطاعون:** الطاعون من حيث اللغة: نوعٌ من الوباء. قاله صاحب الصحاح. وهو عند أهل الطب: ورمٌ رديءٌ قتَّالٌ، يخرج معه تلهبٌ شديد مُؤلم جدًا، يتجاوز المقدار فى ذلك، ويصير ما حوله فى الأكثر أسود أو أخضرَ أو أكمدَ؛ ويؤولُ أمره إلى التقرُّحِ سريعا. وفى الأكثر يحدث فى ثلاثة مواضع: فى الإِبْط. وخلف الأُذن والأَرْنَبة، وفى اللحوم الرخوة.

وفى أثر عن عائشةَ: «**أنها قالت للنبى ﷺ: الطَّعْن قد عرفْناه؛ فما الطاعون؟ قال: غُدَّةٌ كَغُدَّة البعير يخرجُ فى المَرَاقِّ والإبْط**»(3).

قال الأطباء: إذا وقع الخراج فى اللحوم الرَّخْوَة والمغابن، وخلْفَ الأُذن والأَرْنبة؛ وكان من جنس فاسد سُمِّيٍّ - يُسمَّى: طاعونًا. وسَبَبُهُ: دمٌ رديءٌ مائلٌ إلى العفونة والفساد، مستحيلٌ إلى جوْهرٍ سُميٍّ: يُفْسدُ العُضْوَ، ويُغَيِّرُ ما يليه؛ وربما رشَح دمًا وصديدًا؛ ويؤدِّى إلى القلب كيفيَّةً رديئة: فَيُحْدِثُ القَيْءَ والخفقانَ والغشىَ. وهذا الاسم - وإن كان يَعُمُّ كلَّ وَرَمٍ يؤدى إلى القلب كيفيةً رديئة، حتى يصير لذلك قتالاً فإنه يختص به الحادث فى اللحم الغددى: لأنه لرداءَته لا يقبله من الأَعضاء، إلا ما كان أَضعف بالطبع. وأَردؤُه: ما حدث فى الإبط وخلفَ الأُذن، لقربهما من الأَعضاءِ

---

(1) الحديث أخرجه مالك في الموطأ، في: ٤٥- كتاب الجامع (٧) باب ما جاء فى الطاعون، حديث (٢٣) من تحقيقنا. وأخرجه البخاري في: ٦٠- كتاب الأنبياء، (٥٤) باب حدثنا أبو اليمان، وأخرجه مسلم في ٣٩- كتاب السلام، (٣٢) باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، حديث (٩٢، ٩٤، ٩٥)، وأخرجه الإمام أحمد فى «مسنده» (١٨٢:١)، (٢١٣:٥).
وهذا هو الحجر الصحي الذى استجده الأطباء بعد مئات السنين وقال به الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ.

(2) أخرجه البخاري في: ٧٦- كتاب الطب، (٣٠) باب ما يُذكر فى الطاعون. وأخرجه مسلم فى ٣٣- كتاب الإمارة (٥١) باب بيان الشهداء، حديث (١٦٦)، كما أخرجه النسائى فى الجنائز والدارمي في الجهاد، والإمام أحمد فى «مسنده» (٣١٠:٢)، (١٥٠:٣).

(3) الحديث أخرجه أحمد (١٤٥:٦)، ومراق البطن: ما رق منه ولان فى أسافله ونحوها.

التى هــى أرْأس. وأسلمُه: الأحمر. ثم الأصفر، والذى إلى السواد: فلا يُفلت منه أحد.

ولما كان الطاعون يكثر فى الوباء وفى البلاد الحربية، عُبر عنه: بالوباء، كما قال الخليلُ: «الوباءُ: الطَّاعون». وقيل: هو كل مرض يعم.

• **بين الوباء والطاعون:** والتحقيقُ: أنَّ بين الوباءِ والطاعون عمومًا وخصوصًا مُطلَقًا؛ فكلُّ طاعون وباءٌ، وليس كلُّ وباءٍ طاعونًا. وكذلك الأمراض العامة: أعمُّ من الطاعون، فإنه واحدٌ منها.

والطواعينُ: خُراجاتٌ. وقُروحٌ، وأورامٌ رديئةٌ حادثة فى المواضع المتقدم ذكرها.

قلت: هذه القروحُ والأَوْرامُ والخراجات، هى: آثارُ الطاعون، وليست نفسَه.

ولكن الأطباءَ لَمَّا لم تدرك منه إلا الأثر الظاهر: جعلوه نفسَ الطاعون.

والطاعون يعبر به عن ثلاثة أُمور:

(أحدُها): هذا الأثر الظاهر؛ وهو الذى ذكرهُ الأَطبَّاءُ.

(والثانى): الموت الحادث عنه. وهو المراد بالحديث الصحيح، فى قوله: «**الطاعون شهادَةٌ لكُلِّ مُسْلم**».

(والثالث): السببُ الفاعلُ لهذا الداء.

وقد ورد فى الحديث الصحيح: «**أَنهُ بقيةُ رجْزٍ أُرْسِلَ عَلَى بنى إسرائيل**»[1]؛ وورد فيه: «**أنهُ وخزُ الجنِّ**»[2] وجاءَ: «**أنهُ دعْوةُ نبىٍّ**».

وهذه العللُ والأسبابُ ليس عند الأطباءِ ما يَدْفعُها، كما ليْس عندهم ما يدلُّ عليها.

• **الأرواح الشيطانية وأثرها عند انتشار الوباء:** والرسلُ تخبرُ بالأُمور الغائبة وهذه الآثار التى أدركوها من أمرِ الطاعون، ليس معهم ما ينفى أن تكون بتوسط الأرْواح: فإنَّ تأثير الأرواح فى الطبيعة وأمراضها وهلاكِها، أَمرٌ لا يُنْكره إلا من هو أَجْهلُ الناس

---

(١) هو جزء من حديث أخرجه البخاري فى كتاب الأنبياء، وأخرجه مسلم فى: ٣٩ كتاب السلام (٣٢) باب الطاعون، حديث (٩٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٤:٣٩٥)، واستدركه الحاكم على الصحيحين (١:٥٠)، وقال: «صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، وأقره الذهبي.

بالأَرْواح وتأثيراتها، وانفعال الأَجسام وطبائعها عنها. والله سبحانه قد يجعل لهذه الأرواحِ تصرفًا في أجسام بني آدمَ: عند حدوث الوباء، وفساد الهواء. كما يجعلُ لها تصرفًا: عند غَلَبة بعض المواد الرديئة، التي تحدث للنفوس هيئةً رديئة؛ ولا سيما: عند هيجان الدم والمِرَّة السوداء؛ وعند هيجان المنيِّ. فإن الأَرواح الشيطانية تتمكنُ من فعلها بصاحب هذه العوارض، مالا تَتمكَّنُ من غيره -: ما لم يدْفَعها دافعٌ أقوى من هذه الأَسباب: من الذِّكْر والدُّعاء، والابتهال والتضرع، والصدقة، وقراءَة القرآن. فإنه يسْتَنْزل لذلك من الأَرواح الملكية، ما يقهر هذه الأَرواح الخبيثة، ويبطل شرَّها، ويَدفع تأثيرها، وقد جربنا -نحن وغيرنا- هذا مراراً لا يحصيها إلا الله، ورأينا لاستنزال هذه الأَرواح الطيبة، واستجلاب قربها - تأْثيراً عظيمًا: في تقوية الطبيعة، ودَفْع المواد الرديئة. وهذا يكون قبل استحكامها وتمكنها، ولا يكاد يُخرم[1] فمن وفقه الله: بادر عند إحساسه بأَسباب الشر، إلى هذه الأَسباب: التي تدفعها عنه. وهي له من أنفع الدواء. وإذا أَراد الله عزَّ وجلَّ إنْفاذَ قضائه وقَدره: أَغْفَلَ قَلْبَ العبد عن مَعْرفتها وتصوُّرها وإرادتها، فلا يشعر بها ولا يريدها: ليقضي الله فيه أمرًا كان مفعولاً.

وسنزيد هذا المعنى - إن شاءَ الله تعالى - إيضاحًا وبيانًا: عند الكلام على التداوي بالرُّقَى والعُوذ النبوية، والأَذكار والدعوات. وفعل الخيرات. ونبين: أَنَّ نسبة طبِّ الأَطباء إلى هذا الطب النبويِّ، كنسبة طبِّ الطرْقية والعجائز إلى طبِّهم. كما اعترف به حُذاقهم وأئمتهم: ونبين: أَن الطبيعة الإنسانية أَشد شيء انفعالاً عن الأَرواح، وأَن قوى العُوذ[2] والرُّقى والدعوات فوق قُوَى الأَدوية: حتى إنها تبطل قُوَى السموم القاتلة.

● **فساد الهواء وأثره في وباء الطاعون؛** والمقصود: أَنَّ فساد الهواء جزءٌ من أَجزاءِ السبب التام والعلَّة الفاعلة للطاعون، وأَنَّ فساد جوهر الهواء الموجبُ لحدوث الوباء. وفساده يكون لاستحالة جوهره إلى الرداءَة: لغلبة إحدى الكيفيات الرديئة عليه، كالعفونة والنَّتَن والسُّمِّيَّة، في أي وقت كان من أَوقات السنة؛ وإن كان أكثر حدوثه: في أَواخر الصيف، وفي الخريف غالبًا. لكثرة اجتماع الفضلات المرارية الحادة وغيرها

(١) لا يكاد يخرم: لا يعدل عنه.

(٢) والمفرد العوذة: التميمة والرقية بها الإنسان من فزع أو جنون جمع «عوذ».

فى فصلِ الصيف، وعدَمِ تحللها فى آخره. وفى الخريف: لبرْدِ الجو، وردْغَه الأبخرة والفضلات التى كانت تتحلل فى زمن الصيف، فتنحصرُ فتسخن وتعفن: فتُحدثُ الأمراضَ العفنة. ولا سيما: إذا صادفت البدن مستعداً قابلاً، رهلاً، قليل الحركة، كثير المواد، فهذا لا يكاد يفلت من العطب.

● **أصح الفصول:** وأصح الفصول فيه: فصل الربيع، قال أبقراط: «إن فى الخريف أشدَّ ما يكون من الأمراض وأقتل؛ وأما الربيع: فأصحُّ الأوقات كلها، وأقلُّها موتا». وقد جرت عادة الصيادلة ومجهزي الموتى: أنهم يستدينون ويتسلَّفون فى الربيع والصيف، على فصل الخريف. فهو ربيعهم، وهم أشوق شيءٍ إليه، وأفرحُ بقدومه.

وقد روى فى حديث: «**إذا طلع النَّجْمُ: ارْتَفَعت الْعاهَةُ عن كلِّ بلد**»[1] وفُسر: بطلوع الثريا؛ وفُسر: بطلوعِ النبات زمن الربيع. ومنه: ﴿**النَّجْمُ والشَّجرُ يسْجُدَانِ**﴾ (الرحمن: ٦)؛ فإن كمال طلوعه وتمامه يكونُ فى فصل الربيع؛ وهو: الفصل الذي ترتفع فيه الآفات.

● **متى تكثر الأمراض:** وأما الثريا: فالأمراضُ تكثر وقت طلوعها مع الفجر وسقوطها. قال التَّميميُّ فى كتاب «مادة البقاءِ»: «أشد أوقات السنة فساداً، وأعظمها بلية على الأجساد – وقتان: (**أحدهما**)؛ وقت سقوط الثريا للمغيب عند طلوع الفجر؛ (**والثاني**)؛ وقت طلوعها من المشرق قبل طلوع الشمس على العالم، بمنزلة من منازل القمر. وهو: وقت تصرُّمِ فصل الربيع وانقضائه. غير أن الفساد الكائن عند طلوعها، أقلُّ ضرراً من الفساد الكائن عند سقوطها».

وقال أبو محمد بن قتيبةَ: «يقال: ما طلعت الثريا ولا نأتْ إلا بعاهة فى الناس؛ والإبلُ، وغروبها أَعْوهُ[2] من طلوعها».

---

(١) الحديث أخرجه الطحاوى في مشكل الآثار (٩١:٣) من طريق: أحمد بن داود، عن إسماعيل بن مسلم، عن محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبى حنيفة عن الإمام الأعظم أبي حنيفة صاحب المذهب المشهور عن عطاء بن أبي رباح، عن أبى هريرة.

قال أبو جعفر الطحاوي: «فتأملنا هذا الحديث فلم نجد ذكر ذلك النجم أي نجم هو، فطلبناه في غيره من الأحاديث فوجدنا... عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الثمار حتى تذهب العاهة.... إلخ» اهـ.

(٢) أى أشد عاهة. أفعل تفضيل.

وفى الحديث قولٌ ثالث – ولعله أولى الأقوال به – أن المراد بالنجم: الثريا؛ وبالعاهة: الآفة التى تلحق الزرع والثمار، فى فصل الشتاءِ وصدْرِ فصل الربيع. فحصل الأَمنُ عليها: عند طلوع الثريا فى الوقت المذكور. ولذلك نهى ﷺ عن بيع الثمرة وشرائها: قبل أن يبدوَ صلاحُها.

والمقصود الكلام على هَدْيه ﷺ عند وقوع الطاعون.

● **الحكمة من الحجر الصحى عند وقوع الطاعون (فصل)**؛ وقد جمعَ النبيُّ ﷺ للأُمة فى نهيِه عن الدُّخولِ إلى الأَرضِ التى هُوَ بها، ونهيِه عن الخروجِ منها بعد وقوعه؛ كمالُ التحرزِ منه. فإنَّ فى الدخول فى الأَرض التى هو بها: تعرضًا للبلاءِ، وموافاةً له فى محل سلطانه، وإعانةَ الإنسان على نفسه. وهذا مخالفٌ للشرع والعقل. بل تجنُّبُه الدخول إلى أَرضه: من باب الحِمْية التى أَرشدَ الله سبحانه إليها؛ وهى: حِمْيةٌ عن الأَمكنة والأَهوية المؤذية.

وأَما نهيه عن الخروج من بلده، ففيه معنيان:

(أحدهما): حمل النفوس على الثقة بالله، والتوكل عليه، والصبر على أَقْضِيَته والرضا بها.

(والثاني): ما قاله أئمة الطب: أَنه يجب على كل محترز من الوباءِ، أَن يخرج من بدنه الرطوبات الفضلية، ويقلل الغذاءَ، ويميل إلى التدبير المجفف من كل وجه؛ إلا الرياضة والحمام: فإنهما يجب أَن يحذرا. لأَن البدن لا يخلو غالبًا من فضل رديءٍ كامن فيه، فتثيره الرياضة والحمام، ويخلطانه بالكيموس الجيد. وذلك يجلبُ علة عظيمة. بل يجب عند وقوع الطاعون: السكون والدَّعة، وتسكين هيجان الأَخلاط. ولا يمكن الخروج من أَرض الوباءِ والسفر منها، إلا بحركة شديدة. وهي مضرة جدًا.

هذا كلام أفضل الأَطباءِ والمتأَخرين. فَظَهَر المعْنى الطِّبىُّ من الحديث النبوىِّ، وما فيه: من علاجِ القلبِ والبدن، وصلاحهما.

فإن قيل: ففي قول النبى ﷺ: «**لا تَخْرُجوا فراراً منهُ**»؛ ما يُبْطِلُ أَنْ يكونَ أَراد هذا المعنى الذى ذكرتموه؛ وأَنه لا يمنع الخروجَ لعارضٍ، ولا يحبس مسافرًا عن سفره.

قيل: لم يقل أحدٌ -طبيبٌ ولا غيره- : إن الناس يتركون حركاتهم عند الطواعين، ويصيرون بمنزلة الجمادات. وإنما ينبغى فيه التقليلُ من الحركة بحسب الإمكان والفارُّ منه لا موجبَ لحركته إلا مُجردُ الفرار منه؛ ودعَته وسكونه : أنفعُ لقلبه وبدنه، وأقربُ إلى توكله على الله تعالى واستسلامه لقضائه. وأما من لا يَسْتغنى عن الحركة- : كالصُّناع، والأُجراء، والمسافرينَ والبُرُد (عمال البريد)، وغيرهم- فلا يقال لهم : اتركوا حركاتكم جملةً؛ وإن أُمروا : أن يتركوا منها ما لا حاجة لهم إليه : كحركة المسافر فاراًّ منه. والله تعالى أعلم.

• **الحكمة من المنع من دخول الأرض التى وقع بها الطاعون:** وفى المنع من الدخول إلى الأرْضِ التى قد وَقَعَ بها، عدةُ حكَم :

(أحدها): تجنب الأسباب المؤذية، والبعد منها.

(الثانى): الأخذ بالعافية التى هى مادة المعاش والمعاد.

(الثالث): أن لا يستنشقوا الهواءَ الذى قد عَفِنَ وفَسَد؛ فيمرضون.

(الرابع): أن لا يجاوروا المرضى الذينَ قد مَرِضوا بذلك؛ فيحصل لهم بمجاورتهم، من جنس أمراضهم.

وفى سنن أبى داود مرفوعًا : «**إنَّ من القرف التلفَ**»(1) قال ابن قتيبة : القرف : مداناة الوباء، ومداناة المرضى.

(الخامس): حميةُ النفوس عن الطِّيرة والعدوى؛ فإنها تتأثر بهما، فإن الطيرة على مَن تطيَّر بها.

وبالجملة ففى النهى عن الدخول فى أرضه : الأمرُ بالحذر والحمية، والنهىُ عن التعرض لأسباب التلف. وفى النهى عن الفرار منه : الأمر بالتوكل والتسليم والتفويض. فالأولُ تأديبٌ وتعليمٌ، والثانى تفويضٌ وتسليم.

---

(1) جزء من حديث أخرجه أبو داود فى كتاب الطب، (باب) فى الطيرة، حديث رقم (٣٩٢٣) أن فروة بن مسيك، قال: يا رسول الله! أرض عندنا يقال لها أرضُ أَبْيَنَ هي أرض ريفنا وميرتنا وإنها وَبِئَة، أو قال: وباؤها شديد، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: «دعها عَنْك فإنَّ من القَرَف التَّلَفَ».
وأخرجه الإمام أحمد فى «مسنده» (٣:٤٥١)، والبيهقى فى شعب الإيمان.
(والقَرف) هو ملابسة الداء، ومداناة المرض. (والتلف): الهلاك.

● **عمر بن الخطاب ووقوع الطاعون بالشام**؛ وفى الصحيح[1] : « أنَّ عمرَ بن الخطاب خَرج إلى الشام، حتى إذا كان بسرْغَ لَقيهُ أبو عبيدةَ بن الجرَّاح وأصحابه. فأخبرُوه : أن الوباءَ قد وقع بالشام. فاختلفوا، فقال لابن عباس : ادع لى المهاجرينَ الأولينَ. قال : فدعوْتُهم، فاسْتَشَارهم، وأخبرهم : أنَّ الوباءَ قد وقعَ بالشام. فاختلفوا؛ فقال له بعضهم : خرجتَ لأمر، فلا نرى أن ترجعَ عنه. وقال آخرون : معك بقيةُ الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ؛ فلا نرى أن تَقْدمهم على هذا الوباء. فقال عمر : ارتفعوا عنى. ثم قال : ادعُ لىَ الأنصار. فدعوْتُهم له، فاستشارهم فسلكوا سبيلَ المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم. فقال : ارتفعوا عنى. ثم قال : ادع لى منْ هٰهُنَا من مشيخة قريشٍ : من مهاجرة الفتح. فدعوتُهم له، فلم يختلف عليه منهم رجلان؛ قالوا : نرى أن تَرْجع بالناس، ولا تقدمهمْ على هذا الوباء. فَأَذَّنَ عمر فى الناس : إنى مُصبحٌ على ظهرٍ (مسافر). فأصبحوا عليه. فقال أبو عبيدة بن الجراح : يا أمير المؤمنين؛ أفراراً من قَدَرِ الله تعالى ؟!. قال : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة؛ نعم : نَفرٌ من قَدرِ الله تعالى إلى قدر الله تعالى؛ أرأيت : لو كان لك إبلٌ فهبطت وَاديًا له عُدْوَتان : إحداهما خصبة، والأُخرى جدبة؛ ألستَ إنْ رعيتَها الخصبة : رعيتَها بقدَرِ الله تعالى؛ وإن رَعَيْتَها الجدبةَ : رعيتها بقدر الله؟!. قال : فجاءَ عبد الرحمن بن عوف – وكان متغيبًا فى بعض حاجاته – فقال : إن عندى فى هذا علمًا؛ سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : إذا كان بأرض وأنتمْ بها : فلا تَخرُجوا فِرَاراً منه؛ وإذا سَمعتُم به بأرضٍ : فلا تَقدموا عليه.

فصل في هديه ﷺ فى داء الاستسقاء وعلاجه

فى الصحيحين – من حديث أنس بن مالك – قال : **«قَدمَ رَهْطٌ من عُرَيْنَةَ وعُكَل، على النبىِّ ﷺ ، فاجْتَوَوْا المدينة[2]، فَشكَوْا ذلك إلى النبىِّ ﷺ ، فقالَ : لو خَرجْتُم إلى إبلِ الصدقة، فشربْتُم من أَبْوالها وأَلْبانها. فَفَعلوا. فلما صحُّوْا : عَمَدوا إلى الرعاة، فقتلوهم واستاقوا الإبلَ، وحارَبوا الله ورسولَهُ فبعث**

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الطب (باب) ما يذكر في الطاعون.

(٢) (اجْتَوَوْا) المدينة أي: كرهوا المقام فيها لِسقم أصابهم، من الجوى، وهو داء في الجوف، وقيل: تضرروا، وقال القزاز: «لم يوافقهم طعامها»، وقال ابن العربيّ: «الجوى داء يأخذ من الوباء».

رسـولُ الله ﷺ فى آثارهم، فأُخذوا: فقَطَّع أيديهم وأرجلهم وسمَلَ أعينَهم[1]، وألقاهم فى الشمس حتى ماتوا»[2].

والدليل على أن هذا المرض كان الاستسقاء، ما رواه مسلم فى صحيحه -فى هذا الحديث- أنهم قالوا: «إنا اجتوينا المدينة، فَعَظُمَتْ بطونُنا، وارْتَهشت[3] أَعضاؤُنا»؛ وذكر تمام الحديث.

والجوى: داءُ من أدواءِ الجوْف، والاستسقاءُ[4]: مرضٌ ماديٌّ، سببه: مادة غريبة باردة، تتخللُ الأعضاءَ، فتربو لها: إما الأعضاءُ الظاهرة كلها، وإما المواضع الخالية من النواحي التى فيها تدبير الغذاءِ والأخلاط وأقسامُه ثلاثة: لَحْمِيٌّ وهو أصعبها، وزقيٌّ، وطبليٌّ.

● **الأدوية النافعة للاستسقاء:** ولما كانت الأدويةُ المحتاج إليها فى علاجه، هى الأدوية الجالبة التى فيها إطلاقٌ معتدل، وإدرارٌ بحسب الحاجة - وهذه الأُمور موجودة فى أبْوال الإبل وألبانها-: أمرهم النبى ﷺ بشربها. فإن فى لبن اللِّقَاح جلاءً وتليينًا، وإدراراً وتلطيفًا وتفتيحًا للسَّدد؛ إذا كان أكثرُ رعْيِها الشيح والقيصوم والبابونج والأُقْحوانَ والإذْخرَ، وغير ذلك: من الأدوية النافعة للاستسقاء.

● **فوائد ألبان الإبل:** وهذا المرضُ لا يكونُ إلا مع آفة فى الكبد خاصة، أو مع مشاركة. وأكثرها عن السدد فيها. ولبن اللَّقاح العربية نافعٌ من السَّدَد، لما فيه: من التفتيح والمنافع المذكورة. قال الرازيُّ: «لبن اللَّقاح يَشفى أوجاع الكبد، وفساد المزاج». وقال الإسرائيليُّ: «لبن اللَّقاح: أرقُّ الألبان، وأكثرُها مائيَّة وحدَّة، وأقلُّها غذاءً. فلذلك صار أقواها على تلطيفِ الفضول، وإطلاقِ البطن، وتفتيحِ السَّدَد. ويدلُّ على ذلك ملوحتُه اليسيرة التى فيه لإفراط حرارة حيوانية بالطبع. ولذلك صار أخص الألبان بتطرية الكبد، وتفتيحِ سدَدِها، وتحليلِ صلابة الطعام: إذا كان حديثًا؛

(١) (سمل أعينهم): فقأها وأذهب ما فيها. قال أنس: «إنما سَمَلَ أعينهم لأنهم سملوا أعين الرعاء».

(٢) الحديث أخرجه البخاري فى: ٨٦- كتاب الحدود (١٧) باب لم يُسق المرتدون حتى ماتوا. وأخرجه مسلم فى: ٢٨- كتاب القسامة (٢) باب حكم المحاربين والمرتدين، حديث (٩).

(٣) ارتهشت: بالسين أو الشين: اضطربت.

(٤) الاستسقاء: هو تجمع غير طبيعى للسوائل فى التجويف البريتونى، وتزيد علاماته كلما زادت كمية السائل المتجمعة.

والنفع من الاستسقاء خاصة: إذا استُعمل لحرارته التى يخرج بها من الضَّرْع، مع بول الفصيل وهو حار، كما يخرج من الحيوان. فإن ذلك مما يزيد فى ملوحته، وتقطيعه الفضولَ، وإطلاقه البطن. فإن تعذر انحدارُه وإطلاقُه البطن: وجبَ أن يطلق بدواءٍ مسهل. قال صاحب القانون[1]: ولا يلتفت إلى ما يقال: من أن طبيعة اللبن مضادة لعلاج الاستسقاء. قال: واعلم أن لبن النُّوق دواءٌ نافع، لما فيه: من الجلاء برفق؛ وما فيه: من خاصية. وإن هذا اللبن شديد المنفعة. فلو أن إنسانًا أقام عليه بدل الماء والطعام: شُفى به. وقد جُرب ذلك فى قوم: دُفعوا إلى بلاد العرب، فقادتهم الضرورة إلى ذلك، فعُوفوا. وأنفعُ الأبوال: بوْل الجمل الأعرابىِّ، وهو النجيبُ» انتهى.

● **القول فى بول مأكول اللحم:** وفى القصة دليلٌ على التداوى والتطبُّب. وعلى طهارة بَوْل مأكول اللحم: فإن التداوى بالمحرَّمات غير جائز ولم يؤمروا –مع قُرْبِ عهْدهم بالإسلام– بغسل أفواههم. وما أصابته ثيابهم من أبوالها، للصلاة. وتأخير البيان لا يجوز عن وقت الحاجة. وعلى مقابلة الجانى بمثل ما فعل: فإن هؤلاء قتلوا الراعىَ، وسَمَلوا عينيه. ثبتَ ذلك فى صحيح مسلم. وعلى قتل الجماعة وأخذ أطرافهم بالواحد. وعلى أنه إذا اجتمع فى حق الجانى حدٌّ وقصاصٌ: استوفيا معا. فإن النبى ﷺ قطع أيديهم وأرجلهم: حدًّا لله على جرأتهم؛ وقتَلهم: لقتلهم الراعى. وعلى أن المحارب: إذا أخذ المال وقتل، قطعت يده ورجله فى مقام واحد، وقتل. وعلى أن الجنايات: إذا تعددت تغلَّظت عقوباتها، فإن هؤلاء: ارتدّوا بعد إسلامهم، وقتلوا النفس، ومثَّلوا بالمقتول، وأخذوا المال، وجاهروا بالمحاربة. وعلى أن حكم ردة المحاربين حكم مباشرهم؛ فإنه من المعلوم أن كل واحد منهم لم يباشر القتل بنفسه، ولا سأل النبى ﷺ عن ذلك. وعلى أنَّ قتلَ الغيلة يوجب قتلَ القاتل حدًّا: فلا يسقطه العفو، ولا تعتبر فيه المكافأة. وهذا مذهبُ أَهْلِ المدينة، وأحدُ الوَجْهَيْنِ فى مذهب أحمد: اختاره شيخنا[2]، وأفتى به.

فصل فى هديه ﷺ في علاج الجرح

فى الصحيحين عن أبى حازم: «**أنه سمع سهْلَ بن سعد يسأل عما دُووىَ به**

---

(١) هو ابن سينا الطبيب الفيلسوف.

(٢) ابن تيمية رحمه الله تعالى.

جُرْحُ رسولِ الله ﷺ، يوم أُحُد. فقال: جُرِحَ وجْهُهُ، وكُسِرَتْ رَباعيتُه وهُشِمت البيضة على رأسه. وكانت فاطمةُ بنتُ رسول الله ﷺ: تَغْسِلُ الدَّمَ، وكان عليُّ بن أبى طالب يَسْكُبُ عليها بالْمِجنِّ. فلما رأت فاطمةُ الدَّمَ لا يزيد إلا كَثْرةً: أخذت قِطْعَةَ حَصير فأحرقتها، حتى صارت رماداً: ألصقتهُ بالجُرحِ، فاستمسكَ الدَّمُ»(1) برَماد الحصير المعمول من البَردى. وله فعلٌ قوىٌّ فى حَبْس الدَّم: لأن فيه تجفيفًا قويًّا، وقلة لذْعٍ فإنَّ الأدوية القوية التجفيف، إذا كان فيها لذعٌ: هيجت الدم وجلبتْه.

وهذا الرَّماد إذا نُفخ وَحْدهُ أو مع الخل فى أنْف الراعف: قُطِع رُعافُه.

وقال صاحب القانون (2): «البَرْدِىُّ يَنْفَعُ من النَّزْف ويمنعه، ويُذَرُّ على الجراحات الطريَّة فَيُدْمِلها. والقرطاسُ المصرىُّ كانَ قديمًا يُعْمل منْهُ. ومزاجُهُ باردٌ يابسٌ ورماده نافعٌ من أكلة الفم، ويحبِسُ نَفَثَ الدَّم، ويمنعُ القروح الخبيثةَ أن تسعى».

فصل فى هديه ﷺ فى العلاج بشراب العسل والحجامة والكى

فى صحيح البخارىِّ: عن سَعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس، عن النبى ﷺ؛ قال: «**الشفاءُ فى ثلاث: شَرْبةِ عسَلٍ، وشَرْطةِ محْجَمٍ، وكَيَّةِ نارٍ. وأنا أنْهَى أُمتى عن الْكَيِّ**»(3).

قال أبو عبد الله المازَرِىُّ: «الأمراض الامتلائية: إما أن تكون دمويةً، أو صفراويةً، أو بلْغميَّةً، أو سوْداويَّةً. فإن كانت دمويةً: فَشفاؤُها إخْراجُ الدم. وإنْ كانت من الأقسام الثلاثة الباقية: فشفاؤُها بالإسهال الذى يليق بكل خلط منها. وكأنه ﷺ: نبَّه بالعسل على المسهلات، وبالحجامة على الفَصْد. وقد قال بعضُ الناس: إن الفصد يدخل فى قوله: شَرْطة محْجم؛ فإذا أعْيَا الدواءُ: فآخرُ الطبِّ الْكَيُّ. فذكره ﷺ من الأدوية: لأنه يُستعمل عند غلبة الطباع لقوى الأدوية، وحيث لا ينفعُ الدواءُ المشروب. وقوله: «**أنا أنْهَى أمتى عن الكَيِّ**»؛ وفي الحديث الآخر: «**وما أُحبُّ أن**

---

(1) الحديث أخرجه البخاري فى: ٥٦- كتاب الجهاد (٨٥) باب لبس البَيْضة، (٩٧:٦) وأخرجه البخاري (ايضا) في: ٦٤- كتاب المغازي (٢٤) (باب) ما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم من الجراح يوم أحد، فتح الباري.

(2) صاحب كتاب القانون فى الطب هو الرئيس ابن سينا.

(3) الحديث أخرجه البخاري في: ٧٦- كتاب الطب (٣) باب الشفاء في ثلاث.

أَكْتَوِىَ»(١). إشارةٌ إلى أن يؤخَّرَ العلاج به، حتى تَدفَع الضرورة إليه؛ ولا يعجلَ التداوى به، لما فيه: من استعجال الألم الشديد فى دفع ألمٍ قد يكون أضعفَ من ألم الكى » انتهى كلامه.

وقال بعضُ الأطباء: الأَمراضُ المزاجيَّةُ إما أن تكون بمادة أَو بغير مادة؛ والمادية منها: إما حارةٌ، أَو باردةٌ، أَو رطبةٌ، أَو يابسةٌ، أَو ما تركَّب منها وهذه الكيفياتُ الأَربعُ منها كيفيتان فاعلتان – وهما: الحرارةُ والبرودة – وكيفيتان منفعلتان، وهما: الرطوبةُ واليبوسةُ. ويلزم من غلبة إحدى الكيفيتين الفاعلتين، استصحابُ كيفية منفعلةٍ معها. وكذلك كان لكلٍّ واحد من الأَخْلاط الموجودة فى البدن وسائر المركبات، كيفيتان: فاعلةٌ ومنفعلةٌ.

فحصل من ذلك: أنَّ أَصلَ الأَمْراضِ المزاجية، هى التابعة لأَقوى كيفيات الأَخلاط، التى هى: الحرارة والبرودة. فجاء كلام النبوة فى أَصل معالجة الأَمراض – التى هى الحارة والباردة – على طريق التمثيل. فإن كان المرض حارًّا: عالجناه بإخراج الدم: بالفَصْد كان، أَو بالحجامة. لأَن فى ذلك استفراغًا للمادة، وتبريدًا للمزاج. وإن كان باردًا: عالجناه بالتسخين؛ وذلك موجودٌ فى العسل. فإن كان يحتاج مع ذلك إلى استفراغ المادة الباردة، فالعسلُ أَيضًا يفعل فى ذلك لما فيه: من الإنضاج والتقطيع، والتلطيف، والجلاء، والتليين. فيحصل بذلك استفراغ تلك المادة: برفق، وأَمْنٍ من نكاية المسهلات القوية.

● **آخر الطب الكى:** وأَما الكىُّ: فلأَن كل واحد من الأَمراض المادية، إما أن يكونَ حادًّا: فيكون سريع الإفضاء لأَحد الطرفين، فلا يُحتاج إليه فيه. وإما أن يكون مُزْمنًا؛ وأَفضلُ علاجه بعد الاستفراغ: الكىُّ فى الأَعضاء التى يجوز فيها الكىُّ. لأَنه لا يكون مزمنًا إلا عن مادة باردة غليظة: قد رسختْ فى العضو، وأَفسدتْ مزاجه، وأَحالتْ جميع ما يتصل إليه إلى مشابهة جوهرها، فيشتعل فى ذلك العضو. فيُستخرجُ بالكى تلك المادةُ، من ذلك المكان الذى هى فيه، بإفناءِ الجزءِ النارى الموجود: بالكى لتلك المادة.

---

(١) أخرجه البخاري في: ٧٦- كتاب الطب (١٥) باب الحجامة في الشقيقة والصداع، وأخرجه مسلم في: ٣٩- كتاب السلام (٢٦) باب لكل داء دواء، واستحباب الدواء، حديث (٧١).

فتعلمنا بهذا الحديث الشريف أَخْذَ معالجة الأَمراض المادية جميعها، كما استنبطنا معالجة الأَمراضِ الساذَجةِ من قوله ﷺ: «**إنَّ شدةَ الحمَّى من فيحِ جَهنمَ، فأبردُوهَا بالماء**»[1].

(فصل): وأَما الحِجَامةُ، ففى سنن ابن ماجهْ - من حديث جُبارَةَ بن المُغَلِّس وهو ضعيفٌ، عن كثير بن سليم - قال: سمعتُ أَنَسَ بن مالك، يقولُ: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مَررْتُ ليلةَ أُسْرِىَ بى بملإٍ، إلا قالُوا: يَا مُحمدُ؛ مُرْ أُمتكَ بالحجامة**»[2]. وروى الترمذيُّ في جامعه - من حديث ابن عباس - هذا الحديث - وقال فيه: «**عليْكَ بالحجامة يا محمدُ**»[3].

● **احتجامه ﷺ (فصل):** وأما الحجامة: ففى الصحيحين: من حديث طَاوُسٍ، عن ابن عباسٍ: «**أنَّ النبيَّ ﷺ، احتجمَ، وأَعْطى الحجام أَجْرَه**»[4].

وفى الصحيحين أيضًا - عن حُميدٍ الطويلِ، عن أَنس - أنَّ رسول الله ﷺ، «**حجمهُ أَبُو طيبةَ: فأَمرَ لهُ بصَاعينِ من طعامٍ؛ وكلَّم مواليَهُ: فخففُوا عنهُ من ضريبته؛ وقال: خيرُ مَا تداويتمْ به الْحجَامةُ**»[5].

وفى جامع الترمذيِّ: عن عباد بن منصور، قال: سمعتُ عكْرِمة يقولُ: «كانَ لابن عباس غلمةٌ ثلاثةٌ حجامُونَ، فكانَ اثنَان يغلان عليه وعَلَى أَهله. وواحدٌ لحجمه وحجمِ أَهله[6]. قال: وقال ابنُ عباسٍ: قال نبيُّ الله ﷺ: **نعم العبدُ الحجامُ: يُذهبُ الدمَ، ويجففُ الصلب، ويجلُو عَن البصرِ**»[7] وقال: إن رَسولَ الله ﷺ -حيثُ عُرِجَ به - **ما مرَّ عَلَى ملأٍ من الملائكةِ، إلاَّ قَالُوا: عليكَ بالحجامة**[8]. وقالَ: **إنَّ خيرَ ما**

(١) تقدم الحديث.

(٢) الحديث فى جامع الترمذي، في كتاب الطب (١٢) باب ما جاء فى الحجامة، حديث ٢٠٥٢.

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الطب، حديث (٢٠٥٣).

(٤) الحديث أخرجه البخاري في: ٣٧- كتاب الإجارة (١٨) باب خراج الحجام.

(٥) الحديث فى موطأ مالك، فى: ٥٤- كتاب الاستئذان (١٠) باب ما جاء فى الحجامة ح (٢٦، ٢٧)، ص (٩٢٤)، وأخرجه البخاري في: ٣٤- كتاب البيوع (٣٩) باب ذكر الحجام، وفي الطب، باب الحجامة من الداء، وأخرجه مسلم في كتاب المساقاة، باب حل إجرة الحجامة، والإمام أحمد في «مسنده» (١٨:١) و (١٠٧:٣، ١٨٢).

(٦) فى الحديث عباد بن منصور، وقد روى ابن حبان حديثه هذا في كتابه «المجروحين» (١٦٥:٢).

(٧) الترمذي (٤: ٣٩١)، ابن ماجه (١١٥١:٢) وفي سنده: عباد بن منصور، وبهذا الإسناد هو في المستدرك (٢٠٩:٤).

(٨) حديث ضعيف.

يحتجمونَ فيه يومُ سبع عشرةَ، ويومُ تسعَ عشرةَ ويومُ إحدَى وعشرينَ[1]**، وقال: إنَّ خير ما تداويتمْ به السَّعوطُ، واللدودُ، والحجامةُ، والمشيُّ**[2]**. وإنَّ رسولَ الله ﷺ لُدَّ، فقالَ: مَن لدّني؟ فكُلّهُمْ أمسكُوا. فقال: لا يبقَى أحدٌ في البيتِ إلا لدَّ، إلاَّ العباسَ**». قال: هذا حديث غريب. ورواه ابن ماجَه[3].

● **منافع الحجامة (فصل)**: وأما منافعُ الحجامة: فإنها تُنقي سطح البدن أكثرَ من الفَصْد؛ والفصدُ لأعماق البدن أفضلُ. والحجامةُ تستخرجُ الدمَ من نواحي الجلد.

● **الحجامة والفصد**: قلتُ: والتحقيق في أمرها وأمْر الفصد[4]: أنهما يختلفان باختلاف الزمان والمكان، والأسنان والأمزجة. والبلاد الحارة، والأزمنة الحارة، والأمزجة الحارة التي دمُ أصحابها في غاية النُّضج – الحجامةُ فيها أنفعُ من الفصد بكثير: فإن الدم ينضج ويروق ويخرج إلى سطح الجسد الداخل، فتُخرجُ الحجامة ما لا يُخرجه الفصدُ. ولذلك كانتْ أنفعَ للصبيان من الفصد، ولمنْ لا يَقْوَى على الفصد.

وقد نَصَّ الأطباءُ: على أن البلادَ الحارةَ الحجامةُ فيها أنفعُ وأفضلُ من الفصد؛ وتستحبُّ في وسط الشهر وبعد وسطه؛ وبالجملة: في الربع الثالث من أرباع الشهر. لأن الدم في أول الشهر لم يكن بعدُ قد هاج وتبيَّغَ[5] وفي آخره: يكونُ قد سكن. وأما في وسطه وبُعيده: فيكونُ في نهاية التَّزَيُّد.

قال صاحبُ القانون: «ويأمرُ باستعمال الحجامة لا في أول الشهر: لأن الأخلاطَ لا تكون قد تحركت وهاجت؛ ولا في آخره: لأنها تكون قد نقصت بل في وسط الشهر:

---

(١) هو عند الحاكم في «المستدرك» (٤:٢١٠)، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» وقال الذهبي: صحيح، رغم أنه ضعَّف عباد بن منصور أحد رواته، وهو عند الترمذي (٤:٣٩١) من طريق عباد أيضًا، وكذا عند أحمد (١:٣٥٤).

(٢) هو في الترمذي (٤:٣٨٨)، و (٤:٣٩١) كلاهما من طريق عباد بن منصور، وقال: «هذا الحديث حَسَنٌ غريب، وهو حديث عباد بن منصور».
و (السَّعُوطُ): ما يُجعل في الأنف من الدواء.
و (اللَّدُود): ما يُسقاه المريض من الأدوية في أحد شقي فمه.
و (المَشِيُّ): الدواء المسهل لأنه يحمل شاربه على المشي إلى الخلاء.

(٣) أخرجه البخاري في: ٦٤- كتاب المغازي من حديث عائشة: لَددْناه في مرضه، فَجَعَلَ يُشِيُر إلينا أن لا تلدُّوني، فقلنا: كراهية المريض للدواء، فلما أفاقَ، قال: ألم أنهكم أن تلدوني؟ قلنا: كراهية المريض للدواء، فقال: لا يبقى أحد في البيت إلا لُدَّ وأنا أنظر، إلا العباس فإنه لم يشهدكم».

(٤) فصد العرق فصدا شقه ويقال فصد المريض أخرج مقدارا من دم وريده بقصد العلاج.

(٥) تبوَّغ: هاج وثار، والتبيغ: غلبة الدم على الإنسان.

حين تكون الأخلاطُ هائجةً بالغةً فى تزايدها، لتزايد النور فى جرم القمر. وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «**خير ما تداويتم به: الحجامة، والفَصْدُ**»(١) وفى حديث: «**خَيْرُ الدَّواءِ: الحِجامة والفصاد**» انتهى.

● **فوائد الحجامة ولمن تنفع ولا ينفع الفصد:** وقوله ﷺ: «**خير ما تداويتم به الحجامة**»، إشارة إلى أهل الحجاز والبلاد الحارة: لأنَ دماءَهم رقيقةٌ، وهى أميَلُ إلى ظاهر أبدانهم، لجذب الحرارة الخارجة لها إلى سطح الجسد، واجتماعها فى نواحى الجلد، ولأن مسامَّ أبدانهم واسعةٌ، وقواهم متخلخلةٌ. ففى الفصد لهم خطرٌ. والحجامة تفرُّقٌ اتصالىٌّ إرادىٌّ: يتبعه استفراغٌ كلِّىٌّ من العروق، وخاصةً العروق التى لا تفصد كثيراً، ولِفصد كل واحد منها نفعٌ خاصٌّ. ففصد الباسليق: ينفع من حرارة الكبد والطحال والأورام الكائنة فيهما من الدم؛ وينفع من أورام الرئة، وينفع الشَّوْصة(٢) وذات الجنب، وجميع الأمراض الدموية العارضة من أسفل الركبة إلى الورك. وفصد الأكحل(٣) ينفع من الامتلاء العارض فى جميع البدن: إذا كان دمويًّا. وكذلك: إذا كان الدم قد فسد فى جميع البدن. وفصد القفال ينفع من العلل العارضة فى الرأس والرقبة، من كثرة الدم أو فساده، وفصد الودجيْنِ ينفع من وجع الطحال والربو والبهو، ووجع الجبين.

● **الحجامة على الكاهل والأخدعين:** والحجامة على الكاهل تنفع من وجع المنكب والحلق. والحجامة على الأخدعين تنفع من أمراض الرأس وأجزائه: كالوجه والأسنان والأُذنين والعينين والأنف والحلق؛ إذا كان حدوث ذلك عن كثرة الدم، أو فساده، أو عنهما جميعاً.

قال أنس رضى الله تعالى عنه: «**كان رسول الله ﷺ يحتجم فى الأَخْدَعَيْنِ والكاهل**»(٤).

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى الطب النبوي، عن علي، وذكره السيوطي فى الجامع الصغير، وأشار إليه بالحسن. فيض القدير (٣:٤٩٠)، وروي في البخاري ومسلم دون لفظ «الفصد».
(٢) (الشَّوْصَة): وجع في البطن من ريح.... النهاية فى غريب الحديث.
(٣) الأكحل: وريد فى وسط الذراع.
(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الطب، (باب) موضع الحجامة، حديث رقم (٣٨٦٠)، ص (٤:٤).

وفى الصحيحين عن أنس : «**كان رسولُ الله ﷺ يحْتَجِمُ ثَلاثًا : واحدة على كاهله، واثنتين على الأَخدعيْن**»(١).

وفى الصحيح عنه أنه احتجم -وهو محرمٌ- فى رأسه : لِصُداعٍ كان به »(٢).

وفى سنن ابن ماجه، عن على : «**نزل جبريل على النبى ﷺ بحجامة الأَخدعين والكاهل**»(٣).

وفى سنن أبى داود - من حديث جابر - : «**أن النبى ﷺ ، احتجم فى وركه من وثء كان به**»(٤).

(**فصل**)، واختلف الأَطباءُ فى الحجامة على نقرة القفا وهى : القَمحْدُوَةُ .

وذكر أبو نعيم - فى كتاب الطب النبوىِّ - حديثًا مرفوعًا : «**عليكم بالحجامة فى جوزة القمحدوةِ ؛ فإنها تشفى من خمسة أدواء**»(٥) ذكر منها الجُذام. وفى حديث آخر : «**عليكم بالحجامة فى جوْزة القمحدوةِ ؛ فإنها شفاءٌ من اثنين وسبعين داءً**»(٦).

فطائفةٌ منهم استحسنته وقالت : إنها تنفع فى جحوظ العين والنُّتُوءِ العارض فيها، وكثير من أمراضها، ومن ثقل الحاجبين والجفن؛ وتنفع من جربه.

وروى، أن أحمد بـن حنبل احتاج إليها، فاحتجم فى جانبى قفاه، ولم يحتجم فى النُّقْرة.

وممن كرهها صاحب القانون، وقال : «إنها تورث النِّسيان حقا؛ كما قال سيدنا ومولانا وصاحب شريعتنا محمدٌ ﷺ . فإن مؤخَّر الدماغ موضع الحفظ، والحجامة تذهبه» انتهى كلامه.

---

(١) الحاكم (٤ :٢١٠)، وقال «حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

(٢) أخرجه البخاري في: ٧٦- كتاب الطب (١٥) باب الحجامة من الشقيقة والصداع.

(٣) أخرجه ابن ماجه في: ٣١- كتاب الطب (٢١) باب موضع الحجامة، ح (٣٤٨٢).

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الطب، (باب) متى تستحب الحجامة ح (٣٨٦٣)
و (الوَثْء): وهن يصيب العضو أقل من الخلع والكسر.

(٥) في الخبر: «فإنها دواء من اثنين وسبعين داء، وخمسة أدواء». أخرجه الطبراني في الكبير، وابن السنى وأبو نعيم في الطب، وأشار السيوطي إلى ضعفه. وقال الهيثمى: رجال الطبرانى ثقات، ورواه عنه الديلمي. فيض القدير (٤ :٣٣٩).

(٦) مجمع الزوائد (٥ :٩٤).

ورد عليه آخرون، وقالوا: الحديث لا يَثبتُ؛ وإن ثبت: فالحجامه إنما تُضعف مؤخّر الدماغ، إذا استُعملتْ بغير ضرورة. فأما إذا استعملت لغلبة الدم عليها: فإنها نافعة له طبًّا وشرعًا؛ فقد ثبتَ عن النبى ﷺ: أنه احتَجم فى عدة أماكن من قفاه، بحسب ما اقتضاه الحال فى ذلك؛ واحتَجَم فى غير القفا بحسب ما دعت إليه حاجتُه.

● **أماكن أخرى للحجامة (فصل)**، والحجامةُ تحت الذقن تنفعُ من وجع الأسنان والوجه والحلقوم إذا استعملت فى وقتها؛ وتُنقِّى الرأس والكفين.

والحجامةُ على ظهر القدم تَنوبُ عن فصْد الصَّافِن؛ وهو: عرق عظيم عند الكعب. وتنفع من قروح الفَخِذين والساقين، وانقطاعِ الطَّمْثِ، والحِكَّة العارضة فى الأُنْثَيَيْن (الخصيتين).

والحجامةُ فى أَسْفل الصدر نافعةٌ من دماميل الفخذِ وجرَبِه وبثوره، ومن النِّقْرِس والبواسير والفِيل وحكةِ الظهر.

فصل فى هديه ﷺ فى أوقات الحجامة

روى الترمذى فى جامعه - من حديث ابن عباس، يرفعه -: «**إنَّ خير ما تحتجمون فيه يوم سابع عشرةَ أو تاسع عشرة، ويوم إحدى وعشرين**»(1).

وفيه عن أنس: «**كان رسول الله ﷺ: يَحْتَجِمُ فى الأَخدعَين والكاهل؛ وكان يحتجم لسبعة عشر وتسعة عشر، وفى إحدى وعشرين**»(2).

وفى سنن ابن ماجه - عن أنس مرفوعًا: «**من أراد الحجامة: فَلْيَتَحَرَّ سبعة عشر، أو تسعة عشر، أو إحدى وعشرينَ؛ لا يَتَبيَّغْ بأحدكم الدم، فيقتلَه**»(3).

وفى سنن أبى داود - من حديث أبى هريرة مرفوعًا-: «**من احتجم لسبع عشرة، أو تسع عشرة، أو إحدى وعشرين-: كانت شِفاءً من كلِّ داءٍ**»(4). وهذا معناه: من كل داءٍ سببه غلبة الدم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٩١:٤)، وفي سنده: عباد بن منصور: ضعيف.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٩٠:٤)، (باب) ما جاء فى الحجامة، من حديث قتادة، عن أنس.

(٣) أخرجه ابن ماجه في: ٣١- كتاب الطب، (٢٢) باب في أي الأيام يحتجم، ح (٣٤٨٦)، وفي سنده: النهاس ابن قهم القيسي: ضعفه يحيى بن سعيد القطان.

(٤) أخرجه أبو داود فى (باب) متى تستحب الحجامة (٤:٤-٥)، وفي سنده: سعيد بن عبد الرحمن الجمحي، ضعيف.

وهذه الأحاديث موافقة لما أجمع عليه الأطباءُ: أن الحجامة - فى النصف الثانى، وما يليه من الربع الثالث من أرباعه - أنفع من أوله وآخره؛ وإذا استعملت عند الحاجة إليها، نفعت أيَّ وقت كان: من أول الشهر وآخره.

قال الخَلاَّل: أخبرنى عصمة بن عصام، قال: حدثنا حَنبل، قال: كان أبو عبد الله أحمد بن حنبل يحتجم أىَّ وقت هاج به الدم، وأىَّ ساعة كانت.

وقال صاحب القانون: «أوقاتها فى النهار: الساعة الثانية أو الثالثة»[1]. ويجب توقيتُها بعد الحمام، إلا فى من دمُه غليظ: فيجب أن يستحمَّ، ثم يحم ساعة، ثم يحتجم» انتهى.

● **متى تكره الحجامة:** وتكره عندهم الحجامة على الشِّبع: فإنها ربما أورثت سددًا وأمراضًا رديئة، ولا سيما: إذا كان الغذاءُ رديئًا غليظًا.

وفى أثــر: «الحجامةُ علَى الريق دوَاءٌ، وعَلَى الشبع داءٌ، وفى سبعة عشر من الشهر شفاءٌ».

واختيار هذه الأوقات للحجامة: فيما إذا كانت على سبيل الاحتياط والتحرز من الأذى، وحفظًا للصحة. وأما فى مداواة الأمراض: فحيثما وجد الاحتياج إليها، وجب استعمالها.

وفى قوله: «**لا يَتَبَيَّغْ الدمُ، فيقتلهُ**»؛ دلالة على ذلك. يعنى: لئلا يتبيغَ؛ فحذف حرف الجر مع «أنَّ»، ثم حُذفت «أنَّ». و«التَّبَيُّغُ»: الهيْجُ؛ وهو مقلوب البغى. وهو بمعناه: فإنه بغيُ الدم وهيجانه. وقد تقدم: أن الإمام أحمدَ كان يحتجم أىَّ وقتٍ احتاج من الشهر.

● **فى أى أيام الأسبوع تكره الحجامة (فصل):** وأما اختيار أيام الأُسبوع للحجامة، فقال الخَلاَّل فى جامعه: «أخبرنا حرب بن إسماعيل، قال قلت لأحمد: تُكره الحجامة فى شىءٍ من الأيام؟ قال: قد جاءَ فى الأربعاءِ والسبت». وفيه عن الحسين بن حسان: «أنه سأل أبا عبد الله عن الحجامة: أىَّ وقت تكرة؟ فقال: فى يوم السبت، ويوم الأربعاءِ؛ ويقولون: يوم الجمعة».

---

(1) حوالي الساعة الثامنة أو التاسعة بالتوقيت الإفرنجي.

وروى الخلال – عن أبى سلمة وأبى سعيد المقبُرِىِّ، عن أبى هريرة، مرفوعًا–: « من احتجم يوم الأربعاءِ، أو يوم السبت – فأصابه بياضٌ أو برص–: فلا يلومَنَّ إلا نفسهُ »(1).

وقال الخلال: أخبرنا محمد بن على بن جعفر: أن يعقوب بن بختان حدثهم. قال: « سُئل أحمد عن النُّورَة والحجامة يوم السبت ويوم الأربعاء؟ فكرهها وقال: بلغنى عن رجل أنه تَنَوَّرَ واحتجم (يعنى: يوم الأربعاء)؛ فأصابه البرص. فقلت له: كأنه تهاوَن بالحديث. قال: نعم ».

وفى كتاب « الأفراد » للدَّارقطنىِّ –من حديث نافع– قال: قال لى عبد الله بن عمر: « تَبَيَّغَ بى الدم، فابغِ لى حجامًا؛ ولا يكن صبيًّا، ولا شيخًا كبيرًا. فإنى سمعت رسول الله ﷺ، يقول: الحجامة تزيد الحافظ حفظًا، والعاقل عقلاً؛ فاحتجموا على اسم الله تعالى؛ ولا تحتجموا: الخميسَ والجمعةَ والسبت والأحد؛ واحتجموا الاثنين. وما كان من جُذَام ولا برصٍ، إلا نزل يوم الأربعاءِ(2). قال الدارقطنىُّ: تفرَّد به زيادُ بن يحيى؛ وقد رواه أيوب عن نافع، وقال فيه: « واحتجموا يوم الاثنين والثلاثاء، ولا تحتجموا يوم الأربعاء ».

وقد روى أبو داود فى سننه – من حديث أبى بكرة –: « أنه كان يكره الحجامة يوم الثلاثاء، وقال: إن رسولَ الله ﷺ. قال: يومُ الثلاثاءِ: يوم الدَّمِ؛ وفيه ساعَةٌ لا يَرْقَأُ فيه الدمُ(3) ».

● **احتجام المحرم والصائم (فصل)**: وفى ضمن هذه الأحاديث المتقدمة: استحبابُ التداوى، واستحبابُ الحجامة، وأنها تكون فى الموضع الذى يقتضيه الحال، وجوازُ

---

(1) أخرجه الحاكم فى «المستدرك» (٤:٤٠٩) والبيهقي في السنن (٩:٣٤٠)، وقال الذهبي تعليقًا عليه: فيه سليمان بن أرقم: متروك.

(2) الخبر أخرجه ابن ماجه من طريقين ضعفهما، والحاكم (٤:٤٠٩).

(3) فى إسناد الخبر: أبو بكرة اختلف فيه، وذكر ابن الجوزي هذا الحديث فى الموضوعات وتعقبه السيوطى فى ذلك. مختصر السنن ٥-٣٤٩، فيض القدير (٢:٥٤٩).

(فائدة): قلت: كل هذه الأحاديث – التـــى ورد فيها ذكر الأيام – ضعيفة ومدلسة، قال الحافظ ابن حجر فى الفتح: نقــل الخــلال عــن أحمد أنه كره الحجامة في هذه الأيام، وإن كان الحديث لم يثبت، وقال الفيــروز ابادي فى سفر السعادة: وباب الحجامة واختيارها في بعض الأيام، وكراهتها في بعضها – ما ثبت فيه شيء (وراجع فتح الباري – من تحقيقنا).

احتجامِ الْمُحْرِم: وإنْ آل إلى قطع شيء من الشعر فإن ذلك جائز. وفى وجوب الفدية عليه. نظر؛ ولا يَقوى الوجوبُ وجوازُ احتجام الصائم: فإنَّ فى صحيح البخارى: «**أنَّ رسـول الله ﷺ احْتَـجم وهو صـائمٌ**»(1)؛ ولكن: هل يُضطرُ بذلك؟ أم لا؟ مسـألة أُخرى؛ الصوابُ: الفطرُ بالحجامة؛ لصحته عن رسول الله ﷺ، من غير معارض. وأَصحُّ ما يعارضُ به، حديثُ حِجامته وهو صائم. ولكنْ: لا يدلُّ على عدم الفطر؛ إلا بعد أَربعة أُمور: (**أحدها**) أن الصوم كان فرضا. (**الثانى**)؛ أنه كان مقيمًا. (**الثالث**)؛ أنه لم يكن به مرضٌ احتاج معه إلى الحجامة. (**الرابع**)، أن هذا الحديثَ متأخرٌ عن قوله: «**أفطر الحاجمُ والمحجُومُ**»(2). فإذا ثبتتْ هذه المقدمات الأَربعُ: أَمكن الاستدلال بفعله ﷺ، على بقاءِ الصوم مع الحجامة. وإلا: فما المانعُ أن يكونَ الصوم نفلاً يجوز الخروج منه بالحجامة وغيرها، أو من رمضانَ لكنه فى السفر، أو من رمضانَ فى الحضَر لكن دعت الحاجةُ إليها: كما تدعو حاجةُ مَن به مرضٌ إلى الفطر؛ أَو يكون فرضًا من رمضانَ فى الحضر من غير حاجة إليها، لكنه مُبقًى على الأَصل. وقولُه: «أفطَر الحاجمُ والمحجومُ»؛ ناقلٌ ومتأخرٌ. فتعين المصيرُ إليه. ولا سبيل إلى إثبات واحدة من هذه المقدماتِ الأَربع؛ فكيف بإثباتها كلها؟!.

وفيها؛ دليل على استئجار الطبيبِ وغيره، من غير عقد إجارة؛ بل يُعطه أَجرةَ المِثْل، أَو ما يُرضيه.

وفيها؛ دليلٌ على جواز التكسُّبِ بصناعة الحجامة، وإن كان لا يَطيب للحُرِّ أكلُ أَجرته من غير تحريم عليه. فإن النبى ﷺ، أَعطاه أَجره، ولم يمنعْه من أكله. وتسميتهُ إياه خبيثًا: كتسميته للثوم والبصل خبيثين، ولم يلزم من ذلك تحريمُهما.

---

(1) الحديث أخـرجه مالك في الموطأ في: ١٨- كتاب الصيام (١٠) باب ما جاء في حجامة الصائم ح (٣٠، ٣٢)، ص (٢٩٨) (انظره من تحقيقنا).

أخرجه البخاري في: ٧٦- كتاب الطب (١١) باب في أي ساعة يحتجم.

وأخرجه أبو داود في الصوم، ح (٢٣٧٢)، ص (٢:٣٠٩)، والترمذي في كتاب الصوم ص (٣:١٣٧، ١٣٨)، وابن ماجه في الصيام قال مالك: لا تُكْرَهُ الحجامَةُ للصائم، إلاَّ خَشيَةً من ان يضْعُفَ، وَلَوْلا ذَلِكَ لَمْ تُكْرَهْ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلاً احْتَجَمَ في رَمَضَانٍ ثُمَّ سَلِمَ مِنْ أَنْ يُفْطِرَ لَمْ ارَ عَلَيْه شَيْئا، وَلَمْ آمُرْهُ بالقَضَاء لذلك اليوم الذي احْتَجَم فيه، لأَنَّ الحجامة إنما تُكْرَهُ للصائِم لموضع التَّغْرير بالصيام، فَمَن احْتَجَمَ وَسَلِمَ مِنْ أَن يُفْطِر حتى يُمْسي، فَلا أرى عليه شَيْئا، وَلَيْسَ عَلَيْهِ قَضَاءَ ذَلِكَ اليوم (انظر شرح الزرقانى على الموطأ - من تحقيقنا).

(2) الحديث رواه أبو داود في باب الصائم يحتجم بأسانيد صحيحة على شرط مسلم.

وفيها: دليلٌ على جواز ضرب الرجُلِ الخَراجَ على عبده كلَّ يوم شيئًا معلوما، بقدر طاقته؛ وأن للعبد أن يتصرف فيما زاد على خَراجه. ولو مُنع من التصرف فيه: لكان كسْبُه كلُّه خراجا، ولم يكن لتقديره فائدةٌ. بل ما زاد على خراجه، فهو تمليكٌ من سيده له: يتصرف فيه كما أراد. والله أعلم.

فصل في هديه ﷺ فى قطع العروق والكىّ

ثبت فى الصحيح - من حديث جابر بن عبد الله -: «**أن النبىَّ ﷺ بعَثَ إلى أُبى بن كعبٍ طَبيبًا، فقَطَع له عِرْقًا، وكواهُ علَيْه**»[1].

ولما رُمى سعدُ بن معاذ فى أَكْحَله: حسَمَهُ النبىُّ ﷺ: ثم ورِمَت فحسمهُ ثانيةً. و (الحسْمُ) هو: الكَيُّ. وفى طريق آخر: «أن النبىَّ ﷺ، كَوَى سعد بن مُعاذ فى أَكْحله بمِشْقَصٍ. ثم حسمَهُ سعد بن مُعاذ، أو غيرُه من أصحابه»[2]. وفى لفظ آخر: «**أن رجلا من الأنصار رُمِى فى أَكْحله بمِشْقَصٍ، فأَمر النبى ﷺ، فكُوِىَ**».

وقال أبو عُبيد: «**وقد أُتِىَ النبىُّ ﷺ، برجلٍ نُعت له الكَىُّ، فقال اكْوُوهُ وارْضِفُوهُ**»[3]. قال أبو عُبيدةَ: الرَّضْفُ الحجارة تُسخَّنُ ثم تكمدُ بها.

وقال الفضل بن دُكَين: حدثنا سُفيان، عن أبى الزبيْر، عن جابر: «**أن النبىَّ ﷺ كَواهُ فى أَكْحَله**»[4].

وفى صحيح البخارى -من حديث أنس-: «**أنه كُوِىَ من ذات الْجنْب والنبىُّ ﷺ حى**»[5].

وفى الترمذى عن أَنسٍ: «**أن النبى ﷺ، كَوَى أَسْعد بن زُرارة من الشَّوْكَةِ**»[6].

---

(١) أخرجه مسلم فى: ٣٩- كتاب السلام (٢٦) باب لكل داءٍ دواء، واستحباب التداوي، ح (٧٣).
(٢) أخرجه الترمذي فى كتاب السير، (باب) ما جاء في النُّزول على الحكم، ح (١٥٨٢).
(٣) الرَّضْف: الحجارة المحماة على النار واحدتها: رضفة.
وارضفوه: كمدوه بالرضف، والحديث في المستدرك عن ابن مسعود.
(٤) مروي ضمن الروايات السابقة، في البخاري، وغيره.
(٥) لفظ الحديث عن أنس، كويت من ذات الجنب ورسول الله صلى الله عليه وسلم حيٌّ، وشهدني أبو طلحة، وأنس بن النضر، وزيد بن ثابت، وأبو طلحة كواني، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٣:١٣٩).
(٦) أخرجه الترمذي في كتاب الطب، ح (٢٠٥٠)، وقال: «حسن غريب».

وقد تقدم الحديث المتفَقُ عليه؛ وفيه: «**ومَا أُحِبُّ أَن أَكْتوىَ**»؛ وفى لفظ آخَر: «**وأنا أَنْهَى أُمَّتى عن الْكَىِّ**»(١).

وفى جامع الترمذىِّ وغيره – عن عمرانَ بن حصين –: «**أن النبىَّ ﷺ، نَهَى عن الكَىِّ. قال: فابْتُلينَا فاكْتوينْا؛ فما أفلحن، ولا أنجحن**»(٢).

وفي لفظ: «**نُهينا عن الكَىِّ**» وقال: «**فما أَفْلحنا ولا أَنجعنا**».

● **متى يكوى ومتى ينهى عن الكى:** قال الخطابىُّ: «إنما كَوى سعدًا ليَرْقَأَ الدمُ من جُرحه، وخاف عليه أَنْ ينْزِفَ فيَهْلكَ. والكىُّ مستعملٌ فى هذا الباب: كما يُكْوَى مَن تُقطعُ يدُه أو رجلُه. وأما النهىُ عن الكى، فهو: أن يكتوىَ طلبًا للشفاء. وكانوا يعتقدون: أنه متى لم يَكتوِ هلَك؛ فنهاهم عنه: لأَجل هذه النية. وقيل: إنما نَهى عنه عمرانَ بن حُصيْنٍ خاصةً؛ لأنه كان به ناصُورٌ وكان موضعه خطرًا، فنهى عن كيِّه. فيُشْبهُ أن يكونَ النهى منصرفًا إلى الموضع المخوف منه. والله تعالى أعلم.

وقال ابن قتيبةَ: الكىُّ جنسان: كىُّ الصحيح لئلا يَعتلَّ؛ فهذا الذى قيل فيه: «**لمْ يتوكلْ مَن اكتوَى**»(٣)؛ لأنه يريد أن يَدفعَ القَدَرَ عن نفسه والثانى: كىُّ الجرْحِ إذا نَغلَ، والعُضو إذا قُطعَ. ففى هذا الشفاءُ. وأما إذا كان الكىُّ. للتداوى: الذى يجوز أن ينجحَ، ويجوز أن لا ينجح، فإنه إلى الكراهة أقربُ» انتهى.

وثبتَ فى الصحيح – من حديث السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنةَ بغير حساب: «**أنهم الذين لاَ يَسْتَرقونَ، ولا يكتوُونَ، ولاَ يتطيَّرُونَ؛ وعلَى ربهمْ يتوكلونَ**»(٤).

● **أحاديث الكى على أربعة أنواع،** فقد تضمنتْ أحاديث الكىِّ أَربعةَ أَنواع: **(أحدها)** فعله. **(والثانى)،** عدمُ محبته له. **(والثالث)،** الثناءُ على من تركه. **(والرابع)،** النهى عنه.

---

(١) جزء من حديث مضى، وسبق تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي (٤:٣٨٩)، وقال: حسن صحيح.

(٣) بلفظ «لم يتوكل من استرقى أو اكتوى» هو حديث في مسند أحمد (٤:٢٥١، ٢٥٣) من حديث المغيرة ابن شعبة.

(٤) الحديث أخرجه البخاري في ٧٦- كتاب الطب (١٧) باب من اكتوى أو كوى غيره، وفضل من لم يكتو، وأخرجه مسلم في: ١- كتاب الإيمان، (٩٤) باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، ح (٣٧١، ٣٧٢).

ولا تَعَارُضَ بينها -بحمد الله تعالى-: فإنَّ فعلَه يدلُّ على جوازه، وعدم محبته له لا يدُلُّ على المنع منه. وأما الثناءُ على تاركه: فيدلُّ على أن تَرْكَه أولى وأفضل. وأما النهى عنه: فعلى سبيل الاختيار والكراهة؛ أو عن النوع الذى لا يُحتاجُ إليه، بل يفعل خوفًا من حدوث الداء. والله أعلم.

فصل فى هديه ﷺ فى علاج الصرع

أخرجا (البخاري ومسلم) فى الصحيحين - من حديث عطاء بن أبى رَباح - قال: قال ابنُ عباس: «**ألاَ أُريكَ امْرأَةً من أَهْلِ الْجنَّة؟ قلتُ: بَلَى. قَالَ: هذه الْمَرْأَةُ السَّوْداءُ، أَتَت النبىَّ ﷺ، فقَالَتْ: إنِّى أُصْرَعُ، وَإنِّى أَتَكَشَّفُ؛ فَادْعُ الله لى. فقَالَ: إنْ شئْت صبرت ولك الجنةُ؛ وإن شئت دعوت الله لك أن يُعافيَك. فقالت: أصبرُ. قالتْ: فإنى أتكشَّفُ؛ فَادعُ الله أن لاَّ أتَكشَّفَ. فدعا لَها**»(1).

● **صرع من الأرواح الخبيثة:** قلت: الصَّرْعُ صرعان(2): صَرْعٌ من الأَرواحِ الخبيثة الأَرضية، وصَرْعٌ من الأَخلاطِ الرديئة. والثانى هو الذى يتكلم فيه الأَطباءُ: فى سببه وعلاجه.

● **صرع الأرواح:** وأما صَرْع الأَرواح: فأئمتُهم وعقلاؤُهم يعترفون به، ولا يدفعونه. ويعترفون: بأن علاجَه مقابلةُ الأَرواحِ الشريفةِ الخيِّرةِ العُلْويَّة، لتلك الأَرواح الشريرة الخبيثة؛ فتدفعُ آثارَها، وتعارضُ أفعالَها وتبطلها. وقد نص على ذلك أبقراط فى بعض كتبه، فذكر بعض علاج الصَّرْعِ، وقال: «هذا إنما ينفع فى الصَّرْعِ الذى سببهُ: الأَخلاط والمادة. وأما الصَّرْع الذى يكون من الأَرواح، فلا ينفعُ فيه هذا العلاجُ».

● **من أنكر صرع الأرواح والرد عليه:** أما جهلةُ الأَطباءِ وسقَطُهم وسفْلَتُهم، ومَن يعتقدُ بالزندقة فضيلةً - فأُولئك ينكرون صرْع الأَرواح، ولا يُقرون بأنها تُؤثر فى بدن المصْروع. وليس معهم إلا الجهلُ. وإلا: فليس فى الصناعة الطبية ما يَدفع ذلك؛ والحسُّ والوجودُ شاهدٌ به. وإحالتهم ذلك على غلبة بعض الأَخلاط، هو صادق فى بعض أقسامه، لا فى كلِّها.

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في: ٧٥- كتاب المرضى (٦) باب فضل من يصرع من الريح، ومسلم في (٤٥) كتاب البر والصلة، (١٤) باب ثواب المؤمن فيما يصيبه، حديث (٥٤).

(2) الصرع التشنجي: عبارة عن اضطراب في الوظائف المخية وعادة يصاحب باضطراب الإحساس وعدم الشعور.

وقدماءُ الأَطباءِ كانوا يسمون هذا الصَّرْعَ: المرضَ الإلهى؛ وقالوا: إنه من الأَرواح.

وأما جالينوسُ وغيرُه، فتأولوا عليهم هذه التسميةَ، وقالوا: إنما سمَّوْها بالمرض الإلهى، لكون هذه العلة تَحدث فى الرأس، فتَضُرُّ بالجزءِ الإلهى الظاهر الذى مسكنُه الدماغُ.

وهذا التأْويل نشأَ لهم من جهلهم بهذه الأَرواح، وأَحكامِها، وتأثيراتها.

وجاءَت زنادقةُ الأَطباءِ: فلم يُثبتوا إلا صرع الأَخلاطِ وحده.

ومن له عقل ومعرفة بهذه الأَرواح وتأثيراتها، يضحك من جهل هؤلاء، وضعف عقولهم.

• **علاج صرع الأرواح،** وعلاج هذا النوع يكون بأمرين: أَمْرٍ من جهة المصروع، وأَمْرٍ من جهة المعالِج.

• **علاجه من جهة المصروع،** فالذى من جهة المصروع، يكون: بقوة نفسه، وصدْقِ توجهه إلى فاطر هذه الأَرواح وبارئها، والتعوُّذ الصحيح الذى قد تواطأَ عليه القلبُ واللسان. فإن هذا نوع محاربة؛ والمحارب لا يتمُّ له الانتصاف من عدوه بالسلاح إلا لأَمرين: أَن يكون السلاح صحيحًا فى نفسه جيداً، وأَن يكون الساعدُ قويًّا. فمتى تخلَّف أَحدُهما لم يُغن السلاحُ كثيرَ طائلٍ؛ فكيف إذا عدم الأَمران جميعًا: يكون القلب خرابا من التوحيد والتوكلِ والتقوى والتوجه ولا سلاح له؟!.

• **علاجه من جهة الطبيب،** والثانى من جهة المعالِج: بأن يكون فيه هذان الأَمران أيضًا؛ حتى إن من المعالجين مَن يكتفى بقوله: اخرُجْ منه؛ أو يقول باسم الله؛ أو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله.

والنبىُّ ﷺ، كان يقولُ: «**اخْرُجْ عدُوَّ الله؛ أَنَا رَسُولُ الله**»(١).

وشاهدت شيخنَا: يُرسل إلى المصروع من يخاطبُ الروح التى فيه، ويقول: قال لكِ الشيخ: اخرُجى فإن هذا لا يَحلُّ لك. فيُفيق المصرُوعُ. وربَّما خاطبها بنفسه، وربما كانت الروحُ ماردةً: فيُخرجُهَا بالضربِ(٢)؛ فيُفيق المصروعُ؛ ولا يُحس بأَلم. وقد شاهدنا -نحن وغيرُنا- منه ذلك مراراً.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في: ٣١- كتاب الطب (٤٦) باب الفزع والأرق ح (٣٥٤٨).

(٢) غير الشديد.

وكان كثيراً ما يقرأ فى أُذن المصروع: ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ** ﴾ (المؤمنون: ١١٥).

وحدثنى: «أنه قرأها مرة فى أُذن المصروع، فقالتْ الروح: نعمْ، ومد بها صوته. قال: فأَخذتُ له عصاً، وضربتُه بها فى عروق عنقه، حتى كَلّت يدَاى من الضرب. ولم يَشُكَّ الحاضرون: بأنه يموتُ لذلك الضرب. ففى أَثناء الضرب. قالتْ: أَنَا أُحبُّه. فقلتُ لها: هو لا يُحبُّك. قالتْ: أَنَا أُريد أَنْ أَحُجَّ به. فقلت لها: هو لا يُريدُ أَنْ يَحجَّ معَك. فقالتْ: أنا أَدَعُه كَرامةً لكَ. (قال) قلت: لا، ولكنْ: طاعةً لله ولرسوله. قالتْ: فأَنَا أَخرجُ منه. قال: فقعَد المصروعُ يلتفت يمينًا وشمالاً، وقال: ما جاءَ بى إلى حضرة الشيخ؟ قالوا له: وهذا الضربُ كله؟ فقال: وعلى أى شيءٍ يضربُنى الشيخ، ولم أُذنبْ؟ ولم يَشعُرْ بأنه وقع به الضربُ البتة(1).

وكان يعالجُ بآية الكرسى، وكان يأمر بكثرة قراءتها للمصروع ومَن يعالجه بها، وبقراءة المعوِّذتين.

وبالجملة: فهذا النوع من الصَّرْع وعلاجه لا ينكرُه إلا قليل الحظ من العلم والعقل والمعرفة. وأكثرُ تسلط الأَرواح الخبيثة على أهله، تكون: من جهة قلة دينهم، وخرابِ قلوبهم وأَلسنتهم من حقائق الذكر والتعاويذ، والتحصُّنات النبوية والإيمانيَّة. فتَلقَى الروحُ الخبيثةُ الرجلَ، أعزلَ لا سلاحَ معه؛ وربما كان عُريانًا: فيؤثرُ فيه هذا.

ولو كشف الغطاء: لرأيتَ أكثر النفوسِ البشرية صَرْعَى مع هذه الأَرواحِ الخبيثة؛ وهى فى أَسرها وقبضتها: تسوقها حيث شاءَتْ، ولا يمكنها الامتناعُ عنها، ولا مخالفتُها؛ وبها الصَّرْعُ الأَعظمُ: الذى لا يُفيقُ صاحبهُ إلا عند المفارقة والمعاينة. فهناك يتَحقَّقُ: أنه كان هو المصروع حقيقةً. وبالله المستعان.

وعلاجُ هذا الصَّرْع: باقتران العقل الصحيح إلى الإيمان بما جاءَتْ به الرسلُ، وأَن تكون الجنةَ والنارُ نَصبَ عينه، وقبلَة قلْبه؛ ويستحضرَ أَهلَ الدنيا وحلولَ المُثُولات والآفات بهم، ووقوعَها خلالَ ديارهم: كمواقع القَطْر، وهم صرعَى لا يُفيقون.

وما أَشدَّ أَعداءَ هذا الصرع. ولكن لما عمتْ البليةُ به بحيثُ يَنظرُ الإنسان لا

(١) والله أعلم بصحة الخبر.

يَرى إلا مصروعًا؛ لم يَصرْ مستغربًا ولا مستنكرا. بل صار لكثرة المصروعين، عَيْنُ المستنكَرِ المستغرَبِ خلافه.

فإذا أراد الله بعبد خيرًا: أَفَاقَ من هذه الصَّرْعة، ونظر إلى أبناء الدنيا مصروعينَ حولَه يمينا وشمالا، على اختلاف طبقاتهم. فمنهم: من أطبَقَ به الجنونُ؛ ومنهم: من يفيق أحيانًا قليلةً ويعودُ إلى جنونه؛ ومنهم: من يُجنُّ مرة ويفيقُ أُخرى؛ فإذا أفاق: عَمِل عَمَلَ أهلِ الإفاقة والعقل، ثم يُعَاودُه الصَّرْعُ: فيقعُ فى التخبيط.

• **صرع الأخلاط (فصل)**؛ وأما صَرْعُ الأَخلاط فهو: علةٌ تمنع الأعضاءَ النفيسةَ عن الأفعال والحركةِ والانتصابِ، منعًا غير تام. وسببهُ: خلطٌ غليظٌ لزج، يسدُّ منافذ بطون الدماغ سدة غير تامة، فيمتنعُ نفوذُ الحس والحركة، فيه وفى الأعضاءِ، نفوذًا ما من غير انقطاع بالكلية. وقد يكون لأسباب أُخَرَ: كريح غليظ يحتبسُ فى منافذ الروح، أو بخارٍ ردىءٍ يرتفعُ إليه من بعض الأعضاءِ، أو كيفيةٍ لاذعة. فينقبضُ الدماغُ لدفع المؤذى، فيتبعُه تشنُّجٌ فى جميع الأعضاء؛ ولا يمكن أن يبقى الإنسان معه منتصبًا، بل يسقطُ ويظهرُ فى فيه الزَّبَد غالبًا.

وهذه العلةُ تُعدُّ من جملة الأمراض الحادثة: باعتبار وقت وجوده المؤلم خاصة وقد تُعدُّ من جملة الأمراض المُزْمنة: باعتبار طول مُكثها، وعُسْرِ بُرئها؛ لا سيما إن جاوز فى السن خمسًا وعشرين سنة. وهذه العلة فى دماغه وخاصةً فى جوهره. فإن صرْعَ هؤلاءِ يكون لازما. قال أبقراط: «إن الصرعَ يَبقى فى هؤلاء حتى يموتوا».

إذا عُرف هذا: فهذه المرأة التى جاءَ فى الحديث: أنها كانت تُصْرَعُ وتَنكشف يجوز: أن يكون صَرْعها من هذا النوع؛ فوعدها النبى ﷺ الجنة: بصبرها على هذا المرض؛ ودعا لها: أن لا تنكشفَ؛ وخيَّرها بين الصبر والجنة، وبين الدعاء لها بالشفاءِ: من غير ضمان؛ فاختارت الصبرَ والجنةَ.

وفى ذلك؛ دليلٌ على جواز ترك المعالجة والتداوى؛ وأن علاجَ الأرواح بالدعوات والتوجُّه إلى الله، يفعلُ ما لا ينالُه علاجُ الأطباء؛ وأن تأْثيرَه وفعلهُ، وتأَثُّرَ الطبيعة عنه وانفعالها – أعظمُ من تأثيرِ الأدوية البدنيةِ، وانفعالِ الطبيعة عنها. وقد جربنا هذا مرارا نحن وغيرُنا.

وعقلاءُ الأطباءِ معترفون: بأن فى فعل القوى النفسيةِ وانفعالاتها، فى شفاء الأمراض، عجائبَ. وما على الصناعة الطبِّيةِ أضرُّ من زنادقة القوم وسِفْلَتِهم وجُهالهم.

والظاهر: أن صرع هذه المرأة كان من هذا النوع. ويجوز: أن يكون من جهة الأرواح، ويكون رسول الله ﷺ: قد خيَّرها بين الصبر على ذلك مع الجنة، وبين الدعاء لها بالشفاءِ؛ فاختارت الصبرَ والسَّترَ. والله أعلم.

فصل فى هديه ﷺ فى علاج عرق النَّسا

روى ابن ماجه فى سننه – من حديث محمد بن سيرينَ عن أنس بن مالك – قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «**دواءُ عرْق النَّسا: إلْيةُ شاة أعْرابِيَّة تُذابُ، ثمَّ تَجزَّأُ ثلاثةَ أجزاءٍ، ثُمَّ تُشْرَبُ على الريق: فى كلِّ يومْ جزءٌ**»[1].

● **أعراض عرق النَّسا:** عرق النَّسا[2] وجعٌ يبتدىءُ من مفْصل الوَرِك، وينزل من خلفٍ على الفَخذِ، وربما امتد على الكعب. وكلما طالت مدَّته: زاد نزولُه ويُهزَلُ معه الرجلُ والفَخذ.

وهذا الحديثُ فيه معنى لغوىٌّ، ومعنى طبىٌّ.

● **النَّسا أو عرق النَّسا:** فأَما المعنى اللغوىُّ: فدليلٌ على جواز تسمية هذا المرض: بِعرْقِ النَّسا، خلافًا لمن منع هذه التسمية، وقال: النَّسا هو العرْقُ نفسه؛ فيكونُ من باب إضافة الشيء إلى نفسه. وهو ممتنعٌ.

وجواب هذا القائل من وجهين: **(أحدهما):** أن العرق أعمُّ من النَّسا، فهو من باب إضافة العام إلى الخاص. نحو: كل الدراهم وبعضها. **(الثانى):** أن النَّسا هو المرضُ الحالُّ بالعرْق؛ والإضافة فيه من باب إضافة الشيء إلى محله وموضعه. قيل: وسمى بذلك: لأَن أَلمه يُنسى ما سواه. وهذا العِرق ممتد من مِفْصل الورك، وينتهى إلى آخر القدم وراءَ الكعب، من الجانب الوحشى فيما بين عظم الساق والوتر.

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجه فى: ٣١- كتاب الطب (١٤) باب دواء عرق النسا، ح (٣٤٦٣)، وقال الهيثمى فى الزوائد: «إسناده صحيح، رجاله ثقات»، واستدركه الحاكم (٤:٢٠٦)، وقال «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

(٢) عرق النَّسا: هو ألم شديد متردد يبدأ من أسفل العمود الفقري، ويمتد إلى أحدى الإليتين، ثم خلف الفخذ وأحيانا يمتد إلى الكعب، وتمركزه هذا على حسب سير العصب الوركي ويزيد الألم بالعطاس والسعال.

● **المعنى الطبى لعلاج عرق النَّسا:** وأما المعنى الطبىُّ، فقد تقدم: أن كلام رسول الله ﷺ نوعان؛ **(أحدهما)؛** عامٌّ بحسب الأزمان والأماكن، والأشخاص والأحوال. **(والثانى)؛** خاصٌّ بحسب هذه الأمور أو بعضها. وهذا من هذا القسم: فإن هذا خطابٌ للعرب وأهل الحجاز ومن جاورهم، ولا سيما أعراب البوادى. فإن هذا العلاج من أنفع العلاج لهم؛ فإن هذا المرض: يَحدث من يبْس، وقد يحدث من مادة غليظة لزجة. فعلاجها بالإسهال. «والألْيةُ» فيها الخاصيَّتان: الإنضاج والتليين ففيها الإنضاج والإخراج. وهذا المرضُ يَحتاج علاجه إلى هذين الأمرين.

وفى تعيين الشاة الأعرابية: قلةُ فضولها، وصغرُ مقدارها، ولُطفُ جوهرها، وخاصيَّةُ مرعاها. لأنها ترعى أعشاب البَرِّ الحارةَ: كالشِّيح والقَيْصوم، ونحوهما. وهذه النباتاتُ: إذا تغذَّى بها الحيوانُ، صار فى لحمه من طبعها، بعد أن يُلَطفَها تغذيةً بها، ويُكسبها مزاجًا أَلطَف منها، ولا سيما الألية. وظهورُ فعل هذه النباتات فى اللبن، أقوى منه فى اللحم. ولكنَّ الخاصيةَ التى فى الإلية - من الإنضاج والتَّلْيين - لا تُوجد فى اللبن. وهذا مما تقدم: أن أدويةَ غالب الأُمم والبوادى بالأدوية المفردة؛ وعليه أطباءُ الهند. وأما الروم واليونانُ: فيعتَنون بالمركبة. وهم متفقون كلُّهم: على أن من سعادة البيت أن يداوى بالغذاء؛ فإن عجز: فبالمفرد، فإن عجز: فبما كان أَقلَّ تركيبًا.

وقد تقدم؛ أن غالب عادات العرب وأهل البوادى الأمراضُ البسيطةُ، فالأدوية البسيطة تناسبُها. وهذه لبساطة أغذيتهم فى الغالب. وأما الأمراض المركبة: فغالبًا تحدث عن تركيب الأغذية وتنوُّعها واختلافها؛ فاختيرت لها الأدوية المركبة. والله تعالى أعلم.

فصل فى هديه ﷺ فى علاج يبس الطبع واحتياجه إلى ما يُمَشِّيه ويلينُه

روى الترمذىُّ فى جامعه، وابن ماجه فى سننه - من حديث أسماءَ بنت عُمْيس - قالت: «قال رسول الله ﷺ: «**بماذا كنت تَسْتَمْشِين**[1]»، **قالت: بالشُّبْرُم**[2]. **قال:**

(١) أى تمشين بطنك أى تليين الطبيعة.
(٢) الشبرم حب كحب الحمص يطبخ ويشرب وقيل هو نوع من الشيح.

حارٌ جـــارٌ(١) **ثم قالت : استمشيْتُ بالسَّنا . فقال لو كان شيءٌ يشفي من الموت لكان السَّنا**»(٢).

وفى سنن ابن ماجه، عن إبراهيم بن أبى عَبلة، قال : « سمعتُ عبد الله ابن أُم حرام – وكان مما صلى مع رسول الله ﷺ، القبلتين – يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **عليكم بالسَّنا والسَّنُوت، فإن فيهما شفاءً من كلِّ داءٍ إلا السَّامَّ. قيل : يا رسول الله، وما السامُّ؟ قال : الموتُ**»(٣).

قوله : «**بم تَسْتَمشين؟**» أى : تليين الطبع حتى يمشى ولا يصير بمنزلة الواقف، فيؤذى باحتباس النجوِ(٤). ولهذا سُمى الدواءُ المسهل : مشيا، على وزن فعيل. وقيل : لأَن المسهول يكثر المشى والاختلاف لقضاء الحاجة.

وقد روى: «**بماذا تستشفين؟ فقالت : بالشُّبْرُم**». وهو من جملة الأَدوية البتوعية، وهو : قشر عرق شجرة. وهو حار يابس فى الدرجة الرابعة. وأَجودُه المائل إلى الحمرة، الخفيف الرقيقُ الذى يشبه الجلد الملفوف. وبالجملة : فهو من الأَدوية التى أَوصى الأَطباءُ بترك استعمالها، لخطرها وفرط إسهالها.

وقوله ﷺ : «**حارٌ جارٌ**»؛ ويروى : «**حارٌ يارٌ**». قال أَبو عبيد، وأَكثر كلامهم بالياء. قلتُ : وفيه قولان، (**أحدهما**)؛ أَن الحارَّ الجارَّ بالجيم : الشديدُ الإسهال؛ فوصفه بالحرارة وشدة الإسهال؛ وكذلك هو قاله أَبو حنيفةَ الدِّينَوَرىُّ(٥). (**والثانى**) – وهو الصواب –: أَن هذا من الإتباع الذى يقصد به تأكيد الأَول، ويكون بين التأكيد اللفظىِّ والمعنوىِّ. ولهذا يُراعون فيه إتباعه فى أَكثر حروفه. كقولهم : حسنٌ بَسَنٌ؛ أَى : كامل الحسن وقولهم : حسنٌ قَسنٌ بالقاف. ومنه شيطانٌ لَيطانٌ، وحارٌ جارٌ. مع أَن فى الجار معنى آخرَ، وهو : الذى يجر الشيءَ الذى يصيبه، من شدة حرارته وجَذْبه

(١) إتباع للفظ حار.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الطب، (باب) ما جاء في السَّنَا، حديث (٢٠٨١).

(٣) الحديث أخرجه ابن ماجه في كتاب الطب، (٩) باب السنا والسنوت، ح (٣٤٥٧).

والسَّنُّوت: الكمّون، وقال ابن أبى عبلة: السَّنُّوت: الشبت. وقال آخرون: بل هو العسل الذي يكون في زقاق السمن. وقيل غير ذلك.

وتستخرج السنا من شجيرة عربية ومنها السنامكى والسنا الهندي ويحضر منها الأدوية.

(٤) النجو: ما يخرج من البطن من ريح وغائط. (٥) في كتابه (النبات).

له، كأنه ينزعه ويَسلخهُ. و «يار» إما لغةٌ فى «جار»؛ كقولهم: صهرى وصهريج، والصهارى والصهاريج. وإما إتباع مستقل.

● **حبوب السناء الملينة:** وأما «السَّناء» ففيه لغتان: المد والقصر. وهو نبتٌ حجازىٌّ، أفضله المكى وهو: دواءٌ شريف مأمون الغائلة، قريب من الاعتدال، حار يابس فى الدرجة الأُولى؛ يسهِّلُ الصفراءَ والسوداءَ، ويقوِّى جِرْمَ[1] القلب. وهذه فضيلَةٌ شريفةٌ فيه. وخاصِّيَّتُه: النفع من الوسواس السوداوى، ومن الشقاق العارض فى البدن؛ ويفتح العَضَل، وانتشار الشعر؛ ومن القمل والصداع العتيق، والجرب والبثور، والحكة والصَّرْع. وشرب مائه مطبوخا أَصلحُ من شربه مدقوقا. ومقدارُ الشربة منه: إلى ثلاثة دراهمَ، ومن مَائه: إلى خمسة دراهم. وإن طُبِخَ معه شيءٌ من زهرِ البنفسجِ والزبيبِ الأَحمرِ المنزوع العجم[2]. كان أَصلحَ.

قال الرازى[3]: «السَّناء والشاهترج يسهلان الأَخلاط المحترقةَ، وينفعان من الجرب والحكة. والشربةُ من كل واحد منهما: من أَربعة دراهم إلى سبعة دراهم».

● **أقوال فى السنوت الملين:** وأما «السَّنوتُ» ففيه ثمانية أقوال: **(أحدها):** أنه العسل. **(والثانى):** أنه رُبُّ عكة السمن يخرج خططًا سوداءَ على السمن. حكاهما عمر بن بكر السَّكْسَكيُّ. **(الثالث):** أنه حب يشبه الكمون وليس به. قاله ابن الأَعرابى. **(الرابع):** أنه الكمون الكرمانى. **(الخامس):** أنه الرازْيانج. حكاهما أبو حنيفة الدينورىُّ عن بعض الأَعراب. **(السادس):** أنه الشبت. **(السابع):** أنه التمر. حكاهما أبو بكر بن السُّنى الحافظ. **(الثامن):** أنه العسل الذى يكون فى زقاق السمن. حكاه عبد اللطيف البغدادى. قال بعض الأَطباء: وهذا أَجدر بالمعنى وأقرب إلى الصواب. أَى: يخلط السناءَ مدقوقا بالعسل المخالط للسمن، ثم يُلعق؛ فيكون أَصلحَ من استعماله مفردا؛ لما فى العسل والسمن من إصلاح السنا وإعانته على الإسهال. والله أعلم.

وقد روى الترمذىُّ وغيره – من حديث ابن عباس يرفعه: «**إنَّ خيرَ ما تَداويتمُ**

---

(١) جرم القلب: جسده.
(٢) أى المنزوع البزر.
(٣) الطبيب لا المفسر.

به السَّعوطُ، واللَّدُود، والحجامةُ، والمشىُ»(١). المشىُ هو: الذى يمشى الطبع ويليِّنه، ويسهلُ خروجَ الخارج.

فصل فى هديه ﷺ فى علاج حكة الجسم وما يولِّدُ القَمْلَ

● **جواز لبس الحرير للرجال للحاجة:** فى الصحيحين - من حديث قَتادةَ، عن أنس بن مالك - قال: «**رخَّص رسول الله ﷺ لعبد الرحمن بن عوف، والزُّبيْر بن العوام - رضى الله تعالى عنهما -: فى لبس الحرير؛ لحكَّةٍ كانت بهما**»(٢). وفى رواية: «**أن عبد الرحمن بن عوْف، والزبيرَ بن العوام -رضى الله تعالى عنهما- شَكَوْا القَمْلَ إلى النبى ﷺ، فى غَزاةٍ(٣) لهما؛ فرَخَّص لهما فى قُمُصِ الحرير، ورأيته عليهما**». هذا الحديث يتعلق به أمران: أحدُهما فقْهىٌّ، والآخر طبىٌّ.

● **ما يتعلق بالحرير فقهيا:** فأما الفقهىُّ، فالذى استقرت عليه سنته ﷺ: إباحةُ الحرير للنساءِ مطلقا، وتحريمه على الرجال إلا لحاجة، أو مصلحةٍ راجحةٍ. فالحاجة إما من شدة البرد: ولا يَجدُ غيرَه، أو لا يجدُ سُترةً سواه. ومنها: إلباسُه للحرب والمرض، والحكةِ وكثرة القمل. كما دل عليه حديث أنسٍ هذا الصحيح.

والجواز أصح الروايتين عن الإمام أحمدَ، وأصح قولى الشافعى. إذ الأَصلُ: عدمُ التخصيص. والرخصةُ إذا ثبتت فى حق بعض الأُمة لمعنًى، تعدَّتْ إلى كل من وُجد فيه ذلك المعنى. إذ الحكم يعمُّ بعموم سببه.

ومن منع منه قال: أحاديثُ التحريم عامةٌ، وأحاديث الرخصة يحتملُ اختصاصُها بعبد الرحمن بن عوف والزبير، ويحتمل تَعديها إلى غيرهما. وإذا احتمل الأَمران: كان الأَخذ بالعموم أَولى. ولهذا قال بعض الرواة فى هذا الحديث: «فلا أدرى: أَبَلغت الرُّخصة مَن بعدهما، أَم لا؟».

والصحيح: عمومُ الرخصة، فإنه عُرْف خطاب الشرع فى ذلك، ما لم يصرِّح

---

(١) حَسَّنه الترمذي (٤:٣٨٨) و (٤:٣٩١)، وفي سنده: عباد بن منصور، ضعيف.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في: ٥٦- كتاب الجهاد (٩١) باب الحرير في الحرب، وأخرجه مسلم في: ٣٧- كتاب اللباس (٣) باب إباحة لبس الحرير للرجل، إذا كان به حكَّة، حديث رقم (٢٤، ٢٥).

(٣) الترمذي حديث (١٧٢٢)، وفي مسند أحمد (٣:١٢٢).

بالتخصيص وعدم إلحاق غير من رخَّص له أوَّلا به. كقوله لأبى بُرْدة: «تجزيكَ ولن تجزئ عن أحد بعدَك». وكقوله تعالى لنبيه ﷺ - فى نكاح من وهبتْ نفسَها له -: ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأحزاب: ٥٠).وتحريمُ الحرير إنما كان سداً للذريعة؛ ولهذا أُبيح للنساء، وللحاجة والمصلحة الراجحة. وهذه قاعدةُ ما حرم لسد الذرائع: فإنه يباح عند الحاجة والمصلحة الراجحة. كما حُرِّم النظر: سداًّ لذريعة الفعل؛ وأبيح منه ما تدعو إليه الحاجة والمصلحة الراجحة: وكما حُرم التنفلُ بالصلاة فى أوقات النهى: سداًّ لذريعة المشابهَة الصورية بعُبَّاد الشمس؛ وأبيحتْ للمصلحة الراجحة. وكما حَرُم ربا الفضلِ: سداًّ لذريعة ربا النَّسيئة؛ وأبيح منه ما تدعو إليه الحاجة: من العرايا[1] وقد أشبعْنا الكلام فيما يحل ويَحرُم: من لباس الحرير؛ فى كتاب: «التَّحْبِير، لما يحلُّ ويحرُمُ من لِباس الحَرير».

● **ما يتعلق بلبس الحرير طبيا (فصل)؛** وأما الأمر الطبيُّ، فهو: أن الحريرَ من الأدوية المتخَذة من الحيوان؛ ولذلك يُعد فى الأدوية الحيوانية. لأن مخرجَه من الحيوان. وهو كثيرُ المنافع، جليلُ الموقع. ومن خاصيَّته: تقوية القلب وتفريحهُ، والنفع من كثير من أمراضه، ومن غلبة المِرَّة السوداءِ والأدواءِ الحادثة عنها. وهو مقوٍّ للبصر: إذا اكتُحِلَ به. والخامُ منه - وهو المستعملُ فى صناعة الطب - حار يابس فى الدرجة الأُولى. وقيل: حار رطب فيها وقيل معتدل فى صناعة الطب. وإذا اتخذ منه ملبوس: كان معتدل الحرارة فى مزاجه، مسخنا للبدن. وربما برد البدن بتسمينه إياه.

قال الرازىُّ: «الإِبْرَيْسَمُ أَسخنُ من الكتان، وأبردُ من القطن، يُربى اللحم. وكلُّ لباس خشن فإنه يَهزل ويصلب البشرة، وبالعكس».

● **أنواع الملابس الثلاثة؛** قلت: والملابسُ ثلاثة أقسام: قسمٌ يسخنُ البدن ويدفئُه، وقسمُ يدفئُه ولا يسخنه، وقسمٌ لا يسخنه ولا يدفئُه. وليس هناك ما يسخنه ولا يدفئُه: إذا ما يسخنه فهو أولى بتدفئته. فملابسُ الأوبار والأصواف تسخن وتدفىءُ، وملابسُ الكتان والحرير والقطن تدفىءُ ولا تسخن. فثياب الكتان باردة يابسة. وثيابُ

---

(١) العرايا: جمع عرية وهي النخلة يعريها صاحبها رجلاً محتاجًا اى يجعل له ثمرتها عامها.. رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في العرايا في أن يبتاع المعرى ثمنها من المعطاة له بثمر لمكان حاجته.

الصوف حارة يابسة، وثيابُ القطن معتدلة الحرارة، وثيابُ الحرير ألينُ من القطن وأقلّ حرارةً منه. قال صاحب المنهاج: «ولُبسه لا يسخن كالقطن بل هو معتدل». وكل لباس أملَس صقيلٍ: فإنه أقلُّ إسخانا للبدن، وأقلُّ عونًا فى تحلل ما يتحلل منه، وأحْرى أن يُلبسَ فى الصيف وفى البلاد الحارة.

ولَمَّا كانت ثيابُ الحرير، كذلك وليس فيها شيء من اليُبْس والخشونة الكائنتين فى غيرها -: صارتْ نافعةً من الحِكَّة. إذ الحكة لا تكون إلا عن حرارة ويبسٍ وخشونةٍ فلذلك رخّص رسول الله ﷺ، للزُّبير وعبد الرحمن، فى لباس الحرير: لمداواة الحِكة. وثيابُ الحرير أبعدُ عن تولُّدِ القمل فيها: إذ كان مِزَاجها مخالفًا لِمزاج ما يتولدُ منه القمل.

وأما القسمُ الذى لا يدفىءُ ولا يسخنُ: فالمتخذ من الحديد والرصاص والخشب والتراب ونحوها.

● **لماذا حرمت الشريعة الإسلامية لبس الحرير:** فإن قيل: فإذا كان لباسُ الحرير أعدلَ اللباس وأوفَقَه للبدن، فلماذا حرَّمتْه الشريعةُ الكاملةُ الفاضلةُ، التى أباحتْ الطيباتِ، وحرّمتْ الخبائثَ؟.

قيل: هذا السؤال: يجيبُ عنه كلُّ طائفة - من طوائف المسلمين - بجواب.

فمُنْكِرُو الحِكَم والتَّعليلِ: لَمَّا رُفعتْ قاعدةُ التعليلِ من أصلها، لم تَحْتجْ إلى جواب هذا السؤال.

ومُثْبِتُو التعليلِ والحِكَم - وهم الأكثرون - منهم مَن يُجيبُ عن هذا: بأن الشريعةَ حرمتْه: لتَصبرَ النفوسُ عنه، وتَترُكَه لله؛ فتُثابَ على ذلك لا سيما ولها عوضٌ عنه بغيره.

ومنهم من يُجيبُ عنه: بأنه خُلق فى الأَصل للنساءِ كالحلية بالذهب، فحُرِّم على الرجال لما فيه: من مَفسدةِ تَشَبُّه الرجال بالنساء. ومنهم من قال: حُرِّم لما يُورثُه: من الفَخْر والخُيَلاء والعُجب.

ومنهم من قال: حُرم لما يورثه للبدن لملاسته: من الأُنوثيةِ والتَّخَنُّث، وضدٌ الشهامة والرجوليةِ. فإن لُبسه يُكسبُ القلبَ صفةً من صفات الإناث. ولهذا لا تكاد

تجدُ من يَلبَسُه في الأكثر، إلا وعلى شمائله: من التخنُّث والتأنُّث والرَّخَاوة؛ ما لا يَخفى حتى لو كان من أشهم الناس وأكثرهم فحوليةً ورجوليةً، فلا بد أن ينْقُصَه لبسُ الحرير منها وإن لم يُذهبْهَا. ومَن غَلظتْ طباعهُ وكثُفتْ عن فهم هذا: فليُسلِّمْ للشارع الحكيم. ولهذا كان أصح القولين: أنه يَحرُم على الولى أن يُلبسَه الصبىَّ، لما ينشأ عليه من صفات أهل التأنيث.

وقد روى النسائىُّ – من حديث أبى موسى الأشعرىِّ، عن النبى ﷺ أنه قال: «**إن اللهَ أحلَّ لإناث أُمَّتى الحريرَ والذَّهبَ، وحَرَّمَه على ذُكُورها**»(١)، وفى لفظ: «**حُرِّم لباسُ الحريرِ والذَّهَبِ على ذُكورِ أُمَّتى، وأُحلَّ لإناثِهم**»(٢).

وفى صحيح البخارى: عن حُذَيفة، قال: «نهى رسول الله ﷺ، عن لبس الحرير والدِّيباجِ، وأن يُجلسَ عليه. وقال: هو لهم فى الدُّنيا، ولكم فى الآخرة»(٣).

فصل في هديه ﷺ فى علاج ذات الجنب(٤)

روى الترمذىُّ فى جامعه – من حديث زيد بن أرقمَ – أن النبى ﷺ قال: «**تَدَاوَوْا من ذات الجنْبِ بالقُسْطِ البحرى والزيت**»(٥).

● **ذات الجنب نوعان،** ذات الجنب – عند الأطباء – نوعان: حقيقىٌّ، وغيرُ حقيقىٍّ. فالحقيقىُّ: ورمٌ حار يعرض فى نواحى الجنب فى الغشاءِ المستبطن للأضلاع. وغير الحقيقى: ألم يشبهه، يعرض فى نواحى الجنب عن رياحٍ غليظة مؤذيةٍ، تحتقن بين الصِّفاقات، فتحدث وجعا قريبًا من وجع ذات الجنب الحقيقى إلا أن الوجع فى هذا القسم ممدودٌ، وفى الحقيقى ناخسٌ.

قال صاحب القانون: «قد يعرض فى الجنب والصفاقات والعَضَل، التى فى الصدر والأضلاع، ونواحيها، أورامٌ مؤذية جدًّا موجعةٌ، تسمى: شَوْصة، وبَرْسامًا، وذات

(١) أخرجه النسائى فى كتاب الزينة (١٦١:٨)، والترمذي في أول كتاب اللباس، (باب) ما جاء فى الحرير والذهب، ح (١٧٢٠).

(٢) اللفظ عند الترمذي فى أول كتاب اللباس.

(٣) أخرجه البخاري في: ٧٧- كتاب اللباس (٢٥) باب لبس الحرير للرجال وقدر ما يجوز منه.

(٤) ذات الجنب: هو التهاب الغشاء المبطن للرئتين.

(٥) الحديث في جامع الترمذي في كتاب الطب، باب ما جاء في دَوَاءِ ذاتِ الجَنْب، حديث (٢٠٧٩)، وقال أبو عيسى الترمذي: «هذا حديثٌ حَسَنٌ غريب صحيح لا نعرفه إلا من حديث ميمون، عن زيد بن أرقم. إلخ».

الجنْب. وقد تكون أيضًا أوجاعًا فى هذه الأعضاء، ليست من ورم ولكن من رياح غليظة، فيظن: أنها من هذه العلة، ولا تكون. قال: واعلم أنَّ كُلَّ وَجَعٍ فى الجَنْبِ قد يُسمى: ذات الجنْب، اشتقاقًا من مكان الألم. لأن معنى ذاتِ الجنب: صاحبة الجنب. والغرضُ به هٰهنا: وجعُ الجنب. فإذا عرض في الجنْبِ ألم عن أى سبب كان، نُسب إليه. وعليه حُمل كلام أبقراط فى قوله: إن أصحاب ذات الجنْبِ ينتفعون بالحمام. وقيل: المراد به كلُّ من به وجعُ جنبٍ، أو وجعُ رئةٍ من سوءِ مزاجٍ، أو من أخلاط غليظة أو لَذاعة، من غير ورم ولا حمى».

قال بعض الأطباء: وأما معنى ذات الجنْب، فى لغة اليونان، فهو: وَرَمُ الجنبِ الحار؛ وكذلك: ورمُ كل واحد من الأعضاءِ الباطنة. وإنما سُمى ذاتَ الجنب ورمُ ذلك العضو: إذا كان ورما حارا فقط. ويلزم ذات الجنب الحقيقى خمسة أعراض، وهى: الحمى، والسعال، والوجع الناخس، وضيق النفس، والنبضُ المنشارى.

● **علاج ذات الجنب:** والعلاج الموجود فى الحديث ليس هو لهذا القسم، لكن للقسم الثانى الكائن عن الريح الغليظة. فإن القُسْطَ البحريَّ – وهو: العود الهنديُّ؛ على ما جاءَ مفسَّرا فى أحاديث أخرَ – صِنْفٌ من القُسْطِ: إذا دُقَّ دقًّا ناعمًا، وخلط بالزيت المسخَّن، ودُلكَ به مكان الريح المذكور، أو لُعق –: كان دواءً موافقا لذلك، نافعًا له، محللا لمادته، مُذهبا لها، مقويا للأعضاءِ الباطنة، مفتِّحا للسَّدَد. والعودُ المذكور فى منافعه كذلك. قال المسبحيُّ: «العود حار يابس قابض، يحبسُ البطن، ويقوي الأعضاءَ الباطنة، ويطردُ الريح، ويفتح السَّدَدَ؛ نافعٌ من ذات الجنب، ويُذهبُ فضلَ الرطوبة. والعودُ المذكور جيدٌ للدماغ. قال: ويجوز أن ينفع القُسطُ من ذات الجنب الحقيقية أيضا: إذا كان حدوثُها عن مادة بلغمية، لا سيما فى وقت انحطاطِ العلَّة. والله أعلم».

وذاتُ الجنْب: من الأمراض الخطرة. وفى الحديث الصحيح عن أُمِّ سلمةَ، أنها قالت: «بدأ رسول الله ﷺ بمرضه: فى بيت ميمونَةَ؛ وكان كلَّما خفَّ عليه: خرج وصلَّى بالناس؛ وكان كلَّما وجد ثقَلاً، قال: مُرُوا أبا بكرٍ فليصلِّ بالناس. واشتد شكواه حتى غُمرَ. ومن شدةِ الوجع، اجتمع عنده نساؤُه، وعمُّه العباس، وأُمُّ الفضل

بنت الحارث، وأسماءُ بنت عُميْس. فتشاوروا فى لدِّه: فلدُّوه[1] وهو مغمورٌ. فلما أفَاقَ قال: من فعل بى هذا؟ هذا من عمل نساءٍ جئْنَ من ههنا. وأشار بيده إلى أرض الحبشة. وكانت أُمُّ سلمةَ وأسماءُ لدَّتاهُ: فقالوا: يا رسول الله؛ خشينَا أن يكون بكَ ذاتُ الجنب. قال: فبمَ لددتُمُونى؟ قالوا: بالعودِ الهندى، وشىءٍ من ورْسٍ وقَطِرانٍ من زيت. فقال: ما كان الله ليقذفني بذلك الداءِ. ثم قال: عزمت عليكم: أن لاَّ يبقى فى البيت أحد إلا لُدَّ، إلا عمِّىَ العباس».

وفى الصحيحين: عن عائشة رضى الله تعالى عنها؛ قالت: «لدَدنا رسول الله ﷺ؛ فأشار: أن لا تلدُّونى. فقلنا: كراهيةُ المريض للدواء. فلما أفاقَ قال: ألم أنْهكمْ أن لا تَلدُّونى؟! لا يبقى منكم أحد إلا لُدَّ، غير عمَى العباس: فإنه لم يشهدْكُم»[2].

قال أبو عبيد: «عن الأصمعيِّ اللَّدُودُ: ما يسقى الإنسان فى أحد شقَّى الفم؛ أُخذ من لَديدى الوادى، وهما: جانباه. وأما الوَجُورُ فهو فى وسط الفم». قلت: واللَّدُودُ (بالفتح) هو: الدواءُ الذى يُلَدُّ به؛ والسَّعوطُ: ما أُدخل من أنفه.

وفى هـــذا الحديث - من الفقه -: معاقبةُ الجانى بمثل ما فعل سواء، إذا لم يكن فعلــه محرما لحق الله. وهذا هو الصوابُ المقطوعُ به لبضعةَ عشر دليلا قد ذكرناها فى موضع آخر. وهو منصوص أحمد. وهو ثابتٌ عن الخلفاء الراشدين. وترجمةُ المسألة بالقصاص فى اللطمة والضربة. وفيها عدة أحاديث لا معارض لها البتةَ، فيتعين القول بها.

فصل فى هديه ﷺ فى علاج الصداع والشقيقة

روى ابن ماجه فى سننه، حديثا فى صحته نظرٌ، هو: «**أن النبى ﷺ كان إذا صُدع: غَلَّف رأسه بالحنَّاءِ؛ ويقول: إنه نافع بإذن الله من الصداع**»[3].

● **أصل الصداع:** والصداع ألم فى بعض أجزاء الرأس أو فى كله. فما كان منه فى أحد شقَّى الرأس، لازما يسمى: شقيقةً، وإن كان شاملا لجميعه لازما يسمى: بيضةً وخُوذَةً؛ تشبيها ببيْضة السلاح التى تشتمل على الرأس كله. وربما كان فى مؤخَّر

(١) اللدود ما يصب من الأدوية ونحوها بالمُسعط فى أحد شقى الفم.
(٢) أخرجه البخاري انظر فهارس فتح الباري من تحقيقنا.
(٣) أخرجه الإمام أحمد بمعناه في مسنده ٢/٤٦٢.

الرأس أو فى مقدمه. وأنواعه كثيرة، وأسبابه مختلفة. وحقيقة الصداع: سخونة الرأس واحتماؤُه، لما دار فيه من البخار الذى يطلب النفوذ من الرأس، فلا يجد منفذا: فيصدعه، كما يصدع الوعاء إذا حمى ما فيه وطلب النفوذ، فكل شيء رطب: إذا حمى طلب مكانا أوسع من مكانه الذى كان فيه فإذا عرض هذا البخار فى الرأس كله، بحيث لا يمكنه التَّفَشِّى والتحلل وجال فى الرأس - سمى: السَّدَر.

● **أسباب الصداع:** والصداع يكون عن أسباب عديدة. **(أحدها):** من غلبة واحدة من الطبائع الأربعة. **(والخامس)** [1]: يكون من قروح تكون فى المعدة، فيألم الرأس لذلك الورم، للاتصال من العصب المنحدر من الرأس بالمعدة. **(والسادس):** من ريح غليظة تكون فى المعدة، فتصعد إلى الرأس تصدعه. **(والسابع):** يكون من ورم فى عروق المعدة، فيألم الرأس بألم المعدة، للاتصال الذى بينهما. **(والثامن):** صداع يحصل من امتلاء المعدة من الطعام، ثم ينحدر ويبقى بعضه نيئا، فيصدعُ الرأس ويُثْقِلُهُ. **(والتاسع):** يعْرض بعد الجماع: لتخلل الجسم، فيصل إليه من حر الهواء، أكثر من قَدره. **(والعاشر):** صُداعٌ يحصل بعد القيء والاستفراغ: إما لغلبة اليبس، وإما لتصاعد الأبْخرة من المعدة إليه. **(والحادى عشر):** صداعٌ يعْرِض عن شدَّة الحرِّ وسخونَة الهواء. **(والثانى عشر):** ما يعرض من شدَّة البرْد، وتكاثُف الأبخرة فى الرأس، وعدم تحللها. **(والثالث عشر):** ما يحدث من السهر، وحبْس النوْم. **(والرابع عشر):** ما يحدث من ضغط الرأس، وحمل الشيء الثقيل عليه. **(والخامس عشر):** ما يحدث من كَثْرة الكلام، فتضعف قوة الدماغ لأجله. **(والسادس عشر):** ما يحدث من كثرة الحركة، والرياضة المفرطة. **(والسابع عشر):** ما يحدث من الأعراض النفسانية: كالهموم والغموم، والأحزان والوسواس، والأفكار الرديئة. **(والثامن عشر):** ما يحدث من شدة الجوع؛ فإن الأبخرة لا تَجدُ ما تعمل فيه، فتكثر وتتصاعد إلى الدماغ فتؤلمه. **(والتاسع عشر):** ما يحدث من ورم فى صفاق الدماغ، ويجد صاحبه كأنه يُضرب بالمطارق على رأسه. **(والعشرون):** ما يحدث بسبب الحمى، لاشتعال حرارتها فيه، فيتألم. والله أعلم.

● **سبب صداع الشقيقة (فصل):** وسبب صداع الشقيقة[2]: مادة فى شرايين الرأس

---

(١) اعتبر السابق أربعة أسباب باعتبار تنوع الطبائع.

(٢) ألم ينتشر فى نصف الرأس والوجه.

وحدها، حاصلة فيها، أو مرتقية إليها؛ فيقبلها الجانب الأضعف من جانبيه. وتلك المادة: إما بخارية، وإما أخلاط حارة أو باردة. وعلامتها الخاصة بها: ضربان الشرايين وخاصة في الدموى. وإذا ضبطت بالعصائب، ومنعت الضربان: سكن الوجع.

وقد ذكر أبو نُعَيْم – في كتاب الطب النبوىِّ له –: أن هذا النوع كان يصيب النبى ﷺ، فيمكث اليوم واليومين، ولا يخرج. وفيه: عن ابن عباس، قال: «**خَطَبنا رسول الله ﷺ: وقد عصب رأسه بعصابة**»(١).

وفي الصحيح: «**أنه قال في مرض موته: وا رأساه**(٢) **وكان يعصب رأسه في مرضه**».

وعصبُ الرأس ينفع في وجع الشقيقة، وغيرها: من أوجاع الرأس.

• **علاج الصداع (فصل):** وعلاجه يختلف باختلاف أنواعه وأسبابه. فمنه: ما علاجه بالاستفراغ. ومنه: ما علاجه بتناول الغذاء. ومنه: ما علاجه بالسُّكون والدَّعة. ومنه: ما علاجه بالضِّمادات. ومنه: ما علاجه بالتَّبريد. ومنه: ما علاجه بالتَّسْخين. ومنه: ما علاجه بأن يجتنب سماع الأصوات والحركات.

• **علاج الصداع من الحديث:** إذا عرف هذا: فعلاج الصداع – في هذا الحديث – بالحنَّاء، هو جزئىٌّ، لا كلِّىٌّ. وهو علاج نوع من أنواعه. فإن الصداع: إذا كان من حرارة ملتهبة. ولم يكن من مادة يجب استفراغها – نفع فيه الحناءُ نفعًا ظاهرًا. وإذا دُق وضُمدت به الجبهة مع الخل: سكَّن الصداع. وفيه قوة موافقة للعصب: إذا ضُمد به سكَّن أوجاعه. وهذا لا يختص بوجع الرأس، بل يعم الأعضاءَ. وفيه قبضٌ تشد به الأعضاءُ وإذا ضمد به موضع الورم الحار والملتهب، سكَّنه.

وقد روى البخارى في تاريخه، وأبو داود في السنن: «أن رسولَ الله ﷺ ما شكا

---

(١) روى البخاري: «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ملحفة متعطفًا بها على منكبيه وعليه عصابة دسماء حتى جلس على المنبر..» (انظر فتح الباري – من تحقيقنا).

(٢) الحديث في فتح الباري وأخرجه أيضًا النسائي، وابن ماجه وأحمد.

إليه أحدٌ وجعًا في رأسه، إلاَّ قال، احتجمْ. ولا شكا إليه وجعًا في رجليْه، إلاَّ قال له: اختضبْ بالحنَّاءَ»[1].

وفى الترمذيِّ: عن سلْمَى أمِّ رافعٍ، خادمة النبى ﷺ، قالتْ «كان لا يُصيبُ النبيَّ ﷺ، قرْحةٌ ولا شوْكةٌ، إلاَّ وضع عليها الحنَّاءَ».

● **الحناء ومنافعه (فصل):** والحنَّاءُ بارد فى الأولى، يابسٌ فى الثانية. وقوة شجر الحنَّاءِ وأغصانها، مركبةٌ من قوة محللة اكتسبتْها من جوهر فيها مائىٍّ حار باعتدال، ومن قوة قابضة اكتسبتْها من جوهر فيها أرضىٍّ بارد.

ومن منافعه: أنه محللٌ نافع من حرق النار، وفيه قوة موافقة للعصب: إذا ضمد به. وينفع إذا مضغ من قروح الفم والسلاق العارض فيه. ويبرئُ القلاع الحادث فى أفواه الصبيان. والضماد به ينفع من الأورام الحارة الملهبة، ويفعل فى الخراجات فعل دم الأخوين. وإذا خلط نَوْره مع الشمع المصفَّى ودهن الورد: ينفع من أوجاع الجنب.

ومن خواصه: أنه إذا بدأ الجدريُّ يخرج بصبى، فخضبت أسافل رجليه بحنَّاءٍ: فإنه يؤمنُ على عينيه أن يخرج فيها شيءٌ منه. وهذا صحيح مجرب لا شك فيه. وإذا جُعل نوْرُه بين طى ثياب الصوف: طيَّبها، ومنع السوس عنها، وإذا نقع ورقُه فى ماءٍ عذب يغمره، ثم عصر وشرب من صفوه أربعين يوما فإنه ينفع من ابتداءِ الجذام بخاصيةٍ فيه عجيبة.

وحكى: أن رجلا تشققت أظافير أصابع يده، وأنه بذل لمن يبرئه مالا؛ فلم يجد. فوصفت له امرأة: أن يشرب عشرة أيام حناءَ؛ فلم يقدم عليه، ثم نقعه بماء وشربه: فبرأ، ورجعت أظافيره إلى حسنها.

والحناءُ إذا ألزمتْ به الأظفار معجونا: حسَّنها ونفعها. وإذا عجن بالسمن، وضمد به بقايا الأورام الحارة التى ترشح ماءً أصفر: نفعها، ونفع من الجرَب المتقرح

(١) الحديث أخرجه الترمذي وابن ماجه مختصرا، وقال الترمذي: حديث غريب وفي إسناده عبيد الله بن أبى رافع. قال أبو حاتم: لا يحتج بحديثه؛ وقد أخرجه الترمذي من طريق آخر. مختصر وفي السنن للمنذري (٥/٣٤٧) وأخرجه أحمد والحاكم، والبخارى فى التاريخ بأسانيد ضعيفة، ونقل شارح الترمذي عن ابن العربي تضعيف كل ما ورد في الحناء، ورده. وقال الفيروز أبادى فى سفر السعادة: باب الحناء لم يثبت فيه شيء.

المزمن، منفعة بليغة. وهو ينبت الشعر ويقويه ويحسنه، ويقوى الرأس. وينفع من النَّفَّاطات والبثور العارضة فى الساقين والرجلين، وسائر البدن.

فصل: فى هديه ﷺ فى معالجة المرضى بترك إعطائهم ما يكرهون من الطعام والشراب، وأنهم لا يُكرهون على تناولهما

روى الترمذىُّ فى جامعه، وابن ماجه: عن عقبة بن عامر الجُهنى: قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تُكرهوا مرْضاكم على الطعام والشراب؛ فإنَّ الله عزَّ وجل يُطْعمهم ويُسقيهم**»(١).

قال بعض فضلاء الأطبَّاء: ما أغزر فوائد هذه الكلمة النبوية، المشتملة على حِكم إلهية؛ لا سيما للأطباء ولمن يعالج المرضى. وذلك: أن المريض إذا عاف الطعام أو الشراب، فذلك: لاشتغال الطبيعة بمجاهدة المرض، أو لسقوط شهوته أو نقصانها؛ لضعف الحرارة الغريزية، أو خمودها. وكيفما كان: فلا يجوز حينئذ إعطاء الغذاء فى هذه الحالة.

واعلم أن الجوعَ إنما هو: طلب الأعضاء للغذاء، لتُخلفَ الطبيعة به عليها، عوضَ ما يتحلل منها؛ فتجذب الأعضاءَ القصوى من الأعضاء الدنيا، حتى ينتهى الجذب إلى المعدة، فيحس الإنسان بالجوع، فيطلب الغذاءَ. وإذا وجد المرض: اشتغلت الطبيعة بمادته وإنضاجها وإخراجها، عن طلب الغذاء أو الشراب. فإذا أُكره المريض على استعمال شيء من ذلك: تعطلتْ به الطبيعة عن فعلها، واشتغلت بهضْمه وتدبيره عن إنضاج مادة المرض ودفْعه. فيكون ذلك سببًا لضرر المريض، ولا سيما فى أوقات البحارين، أو ضعف الحارِّ الغريزىِّ، أو خموده. فيكون ذلك زيادة فى البلية، وتَعْجيل النازلة المتوقَّعة. ولا ينبغى أن يستعمل فى هذا الوقت والحال، إلا ما يحفظُ عليه قوَّته ويقويها، من غير استعمال مزعج للطبيعة البتة. وذلك يكون مما لَطُف قوامه: من الأشربة والأغذية. واعتدالَ مزاجه: كشراب اللينوفر(٢) والتفاح والورد الطرى، وما أشبه

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الطب، (٤) باب ما جاء: لا تكرهوا مَرْضاكم على الطعام والشراب، حديث (٢٠٤٠).

(٢) نبت مائى له أصل كالجزر، وساق أملس، إذا ساوى ساقه سطح الماء أورق وأزهر... وهو يعرف بمصر بعرائس النيل.

ذلك. ومن الأغذية: أمراق الفراريج المعتدلة المطيبة فقط. وإنعاش قواه: بالأراييج[1] العَطِرة الموافقة، والأخبار السارة. فإنَّ الطبيب خادمُ الطبيعة ومعينها، لا معيقها.

واعلم أن الدَّم الجيدَ هو المغذى للبدن، وأن البلغَم دمٌ فج[2] قد نضج بعض النضج. فإذا كان بعض المرضى فى بدنه بلغم كثير -وعُدم الغذاءُ-: عطفت الطبيعة عليه، وطبختْه وأنضجته، وصيرته دما وغذت به الأعضاءَ، واكتفت به عما سواه. والطبيعة هي: القوة التى وكَّلها الله سبحانه بتدبير البدن وحفظه وصحته، وحراسته مدة حياته.

● **قد يحتاج إلى إجبار المريض على تناول الطعام:** واعلم أنه قد يُحتاج فى النُّدرة إلى إجبار المريض على الطعام والشراب. وذلك فى الأمراض التى يكون معها اختلاطُ العقل.

وعلى هذا: فيكون الحديث من العام المخصوص، أو من المطلَق الذى قد دلَّ على تقييده دليلٌ. ومعنى الحديث: أن المريضَ قد يعيش بلا غذاءٍ أيَامًا، لا يعيش الصحيحُ فى مثلها.

● **لماذا لا يشعر المريض بالجوع:** وفى قوله ﷺ: «**فإنَّ اللّهَ يُطعمُهم ويَسْقيهم**»: معنى لطيفٌ زائدٌ على ما ذكره الأطباءُ، لا يعرفُه إلا من له عناية بأحكام القلوب والأرواح، وتأثيرها فى طبيعة البدنِ وانفعال الطبيعة عنها، كما تنفعل هى كثيرا عن الطبيعة. ونحن نشير إليه إشارةً، فنقول: النفس إذا حصل لها ما يشغلها: من محبوبٍ أو مكروهٍ، أو مَخُوف. اشتغلَتْ به عن طلب الغذاءِ والشراب: فلا تُحس، بجوع ولا عطش، بل ولا حر ولا برد. بل تَشتغل به عن الإحساس بالمؤلم الشديد الألم؛ فلا تحس به. وما من أحد إلا وقد وجد فى نفسه ذلك أو شيئًا منه. وإذا اشتغلتْ النفس بما دهمها وورد عليها: لم تحسَّ بألم الجوع.

فإن كان الوارد مفرِّحا قويَّ التفريح: قام لها مقام الغذاء، فشبعتْ به، وانتعشتْ قُواها وتضاعفت، وجرت الدمويةُ فى الجسد حتى تظهرَ فى سطحه، فيُشرق وجهه، وتظهر دمويته. فإن الفرح يُوجبُ انبساطَ دم القلب، فينبعث فى العروق، فتمتلىءُ

(١) توهج ريح الطيب.

(٢) غير ناضج.

به. فلا تطلبُ الأعضاءُ معلومها: من الغذاء المعتاد؛ لاشتغالها بما هو أحبُّ إليها وإلى الطبيعة منه. والطبيعة إذا ظفرتْ بما تحبُّ: آثرتْه على ما هو دونه.

وإن كان الواردُ مؤلما أو محزنًا أو مَخوفًا: اشتغلتْ بمحاربته ومقاومته ومدافعته، عن طلب الغذاء. فهي -في حال حربها- في شغل عن طلب الطعام والشراب. فإن ظفرتْ في هذا الحرب: انتعشت قواها، وأَخلَفت عليها نظير ما فاتها من قوة الطعام والشراب. وإن كانت مغلوبةً مقهورة: انحطتْ قواها بحسب ما حصل لها من ذلك. وإن كانت الحرب بينها وبين هذا العدو سجالاً: فالقوةُ تظهر تارة، وتَخفَى أُخرى. وبالجملة: فالحرب بينهما على مثال الحرب الخارج بين العدوين المتقابلين، والنصر للغالب. والمغلوب: إما قتيل، وإما جريح، وإما أَسير.

فالمريض له مددٌ من الله تعالى يغذيه به زائدًا على ما ذكره الأَطباءُ: من تغذيته بالدم. وهذا المددُ بحسب ضعفه وانكساره، وانطراحه بين يدى ربه عز وجل. فيحصل له من ذلك ما يوجب له قربا من ربه. فإن العبدَ أَقرب ما يكون من ربه: إذا انكسر قلبُه؛ ورحمة ربه قريبة منه. فإن كان وليًّا له: حصل له من الأَغذية القلبية، ما تَقْوَى به قوى طبيعته وتَنتعشُ به قواه، أَعظمَ من قوتها وانتعاشها بالأَغذية البدنية. وكلما قَوىَ إيمانه وحبُّه لربه وأنسُه به وفرحه به، وقَوى يقينه بربه، واشتد شوقه إليه ورضاه به وعنه: وجد في نفسه من هذه القوة، ما لا يعبر عنه، ولا يُدركه وصف طبيب، ولا يَناله علمه.

ومَن غَلُظ طبعه، وكَثُفَتْ نفسُه عن فهم هذا والتصديق به: فلينظرْ حال كثير من عشاق الصور الذين قد امتلأَتْ قلوبهم بحب ما يعشَقونه: من صورةٍ، أَو جاهٍ، أَو مالٍ، أَو علمٍ. وقد شاهد الناس من هذا عجائبَ في أنفسهم وفي غيرهم.

● **تأثير غذاء الأرواح أكثر من تأثير الطعام في الجسم،** وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ: أنه كان يواصلُ في الصيام الأَيام ذوات العدد، وينهَى أَصحابَه عن الوصال، ويقول: «**لستُ كَهَيْئَتِكُمْ، إني أَظَلُّ يُطعمني ربي ويَسقيني**»(1). ومعلومٌ أن هذا

---

(1) أخرجه البخاريُّ في: ٣٠- كتاب الصوم، (٢٠) باب بركة السحور، ومسلم في: ١٣- كتاب الصيام، (١١) باب النهي عن الوصال في الصوم، ومالك في الموطأ في: ١٨- كتاب الصيام (١٣) باب النهي عن الوصال في الصيام، ح (٣٨).

الطعامَ والشراب ليس هو الطعامَ الذى يأكله الإنسانُ بفهمه . وإلا : لم يكن مواصلا، ولم يَتحقق الفرق؛ بل لم يكن صائما . فإنه قال : «**أظَلُّ يُطعمنى ربى ويسقينى**» وأيضا : فإنه فَرَق بيْنه وبينهم فى نفس الوصال، وأنه يقدرُ منه على ما لا يقدرون عليه . فلو كان يأكل ويشربُ بفمه، لم يقلْ : «**لَستُ كَهَيْئَتِكم**» . وإنما فهم هذا من الحديث، من قلَّ نصيبه من غذاء الأرواح والقلوب، وتأثيره فى القوة وإنعاشها واغتذائها به، فوقَ تأثير الغذاءِ الجسمانيِّ . والله الموفق .

فصل فى هديه ﷺ فى علاج العُذْرة [1]

وفى العلاج بالسَّعوط

ثبت فى الصحيحين أنه قال : «**خيرُ ما تَدَاويْتم به الحجَامةُ، والقُسْطُ البَحْرِىُّ . ولا تعذِّبُوا صبْياتكُم بالغَمْز من العُذْرة**»[2] وفى السُّنَنِ والمسند عنه - من حديث جابر بن عبد الله قال : «**دَخَلَ رسولُ الله ﷺ ، علَى عائشةَ : وعندها صَبىٌّ تَسيلُ منخراهُ دمًا ؛ فقال : ما هذا ؟ فقالوا : به العذرةُ ، أو وجعٌ فى رأسه . فقال : ويلكُنَّ ؛ لا تقتلنَ أولادكُنَّ ؛ أيَّما امرأةٍ أصاب ولدها عذرةٌ أو وجعٌ فى رأسه : فلتأخذْ قُسْطًا هنْديًّا ، فلتحكَّهُ بماءٍ ثم تسعطهُ إيَّاهُ . فأَمَرتْ عائشةُ رضى الله عنها ، فصنع ذلك بالصبىِّ فَبَرأ**»[3] .

قال أَبو عُبيد : «عن أَبى عُبيدةَ، العذرةُ : تهيُّجٌ فى الْحلْق من الدم، فإذا عُولج منه، قيل : قد عُذرَ به، فهو معذورٌ» انتهى . وقيل : العُذْرةُ : قَرحةٌ تخرج فيما بين الأُذن والحلق، وتَعرض للصبيان غالبا .

● **السعوط بالقسط المحكوك:** وأما نفعُ السَّعوط منها بالقُسط المحكوك، فلأن العُذْرَةُ مادتُها دم يغلب عليه البلغم، لكن تولده فى أبدان الصبيان . وفى القُسط تجفيفٌ يَشدُّ اللَّهاةَ ويرفعها إلى مكانها . وقد يكون نفعُه فى هذا الداءِ بالخاصية . وقد

---

(١) العُذرة: وجع الحلق، كما وصفها القدماء وتنطبق أوصافها هذه على التهاب اللوزتين.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الطب باب الحجامة من الداء، ومسلم في المساقاة، باب حل أجرة الحجام، ح (٦٣).

(٣) الحديث رواه بلفظ مختلف ابن ماجه عن أم قيس بنت محصن من طريقين، سنن ابن ماجه ١١٤٦/٢ وفي مسلم بشرح النووي عنها أيضًا (٥٩:٥).

ينفع فى الأَدواءِ الحارة، والأدوية الحارة بالذات تارة، وبالعرَض أُخرى. وقد ذكر صاحب القانون (ابن سينا) فى معالجة سُقوط اللَّهاة: القُسطَ مع الشَّب اليمانيِّ وبزر المرو.

● **القسط البحرى:** والقسط البحريُّ المذكور فى الحديث، فهو: العود الهندى؛ وهو الأَبيض منه. وهو حلو، وفيه منافعُ عديدة. وكانوا يعالجون أَولادهم بغَمز اللَّهاة، وبالعِلاَق. وهو: شيءٌ يعلقونه على الصبيان. فنهاهم النبى ﷺ عن ذلك، وأَرشدهم إلى ما هو أَنفعُ للأَطفال، وأَسهلُ عليهم.

● **السعوط:** والسَّعوطُ ما يُصب فى الأَنف؛ وقد يكون بأَدوية مفردة ومركبة: تُدَق وتُنخل وتُعجن وتُجفف، ثم تُحلُّ عند الحاجة، ويُسعط بها فى أَنف الإنسان: وهو مستلق على ظهره وبين كتفيه ما يرفعُهما؛ لينخفضَ رأسُه، فيتمكن السَّعوط من الوصول إلى دماغه. ويستخرج ما فيه من الداءِ بالعطاس.

وقد مدح النبى ﷺ التداويَ بالسَّعوط فيما يُحتاج إليه فيه. وذكر أَبو داودَ فى سننه: «**أَن النبى ﷺ، استَعطَ**»(1).

فصل فى هديه ﷺ فى علاج المفؤود

روى أَبو داودَ فى سننه – من حديث مُجاهد، عن سعد قال: «**مَرضتُ مرضًا، فأَتَانى رسولُ الله ﷺ، يعودُنى. فوضَع يَدَه بين ثديَيَّ: حتَّى وجَدتُ بَرْدَها على فؤادى، وقال لى: إِنَّكَ رجُلٌ مفؤودٌ، فأْت الحَارثَ بن كَلَدَةَ من ثَقيف(2)، فإنه رجلٌ يتطبَّبُ، فلْيأْخُذْ سبعَ تمرات من عجوَةِ المدينةِ. فليجأْهُنَّ(3) بنوَاهُنَّ، ثم ليلدكَ بهنَّ**»(4).

● **المفؤود وعلاجه وخواص التمر:** المفؤودُ الذى أصيب فؤادُه، فهو يشتكيه. كالمبطون: الذى يشتكى بطنه. واللَّدُودُ: ما يُسقاه الإنسانُ من أَحد جانبى الفم. وفى التمر خاصِّيةٌ عجيبةٌ لهذا الداء ولا سيَّما تمر المدينة، ولا سيَّما العجوة منه. وفى كونها سبعًا خاصيةٌ أُخرى تُدركُ بالوحى.

---

(1) أخرجه أبو داود في كتاب الطب، (باب) في السَّعُوط، ح (٣٨٦٧).

(2) الحارث بن كلدة: طبيب العرب الشهير من حكماء العرب، صاحب كتاب المحاورة في الطب بينه وبين كسرى.

(3) وجأ التمر: دقة حتى تلزج.

(4) الحديث أخرجه أبو داود (٤: ٧-٨) بسند حسن.

● **التمر وفوائده:** وفى الصحيحين من حديث عامر بن سعد بن أَبى وَقَّاص، عن أبيه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تصبَّحَ بسبعِ تمراتٍ من تمر العاليَة، لم يضرَّهُ ذلك اليومَ سمٌّ ولا سحرٌ**»(١) وفى لفظ: «**مَن أكل سبعَ تمراتٍ مِمَّا بَيْن لابَتَيْهَا، حينَ يصبحُ، لم يضرَّهُ سمٌّ حتَّى يمسى**».

والتمرُ حار فى الثانية، يابس فى الأُولى. وقيل: رطبٌ فيها. وقيل: معتدل. وهو غذاءٌ فاضلٌ حافظٌ للصحة، لا سيما لمن اعتاد الغذاءَ به: كأَهل المدينة وغيرهم. وهو من أفضل الأَغذية فى البلاد الباردة والحارة التى حرارتُها فى الدرجة الثانية. وهو لهم أَنفعُ منه لأَهل البلاد الباردة: لبرودة بواطن سكانها، وحرارة بواطن سكان البلاد الباردة. ولذلك يُكثر أَهلُ الحجاز واليمن والطائف، وما يليهم – من البلاد المشابهة لها – من الأَغذية الحارة، مالا يَتأَتَّى لغيرهم: كالتمر والعسل. وشاهدناهم يَضعُون فى أَطعمتهم من الفُلْفُل والزَّنجبيل فوقَ ما يضعه غيرهم، نحو عشرة أَضعاف أَو أكثر؛ ويأكلون الزنجبيل كما يأكل غيرهم الحلوى. ولقد شاهدت من يتَنَقَّل به منهم كان يتنقل بالنَّقْل ويوافقهم ذلك، ولا يضرهم: لبرودة أَجوافهم، وخروج الحرارة إلى ظاهر الجسد. كما تشاهدُ مياه الآبار: تبرد فى الصيف، وتسخن فى الشتاء. وكذلك تنضج المعدة من الأَغذية الغليظة، فى الشتاءِ، ما لا تنضجُه فى الصيف.

وأَما أَهل المدينة: فالتمر لهم يكاد أَن يكون بمنزلة الحنطة لغيرهم، وهو قوتهم ومادتهم. وتمر العالية من أَجود أَصناف تمرهم: فإِنه متين الجسم، لذيذ الطعم، صادق الحلاوة.

والتمر يدخل فى الأَغذية والأَدوية والفاكهة؛ وهو يوافق أكثر الأَبدان، مقوٍّ للحار الغريزى. ولا يتولد عنه من الفضلات الرديئة، ما يتولد عن غيره من الأَغذية والفاكهة؛ بل يمنع لمن اعتاده، من تعفن الأَخلاط وفسادها.

● **للأمكنة اختصاص بنفع الأدوية وعدمه:** وهذا الحديث من الخطاب الذى أُريد به الخاصُّ: كأَهل المدينة وَمن جاوَرهم. ولا ريب أن للأَمكنة اختصاصًا ينفع كثير من

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في: ٧٠- كتاب الأطعمة (٤٣) باب العجوزة، وأخرجه مسلم في: ٣٦- كتاب الأشربة، (٢٧) باب فضل تمر المدينة، ح (١٥٤).

الأدوية فى ذلك المكان دون غيره؛ فيَكون الدواءُ الذى قد نبت فى هذا المكان نافعا من الداء، ولا يوجد فيه ذلك النفعُ: إذا نبت فى مكان غيره؛ لتأثير نفس التربة، أو الهواء، أو هما جميعًا. فإن للأرض خواصَّ وطبائعَ يقارب اختلافها اختلاف طبائع الإنسان. وكثير من النبات يكون فى بعض البلاد غذاءً مأكولا، وفى بعضها سمًّا قاتلاً وربَّ أدوية لقوم أغذية لآخرين، وأدوية لقوم من أمراض هى أدوية لآخرين فى أمراض سواها؛ وأدوية لأهل بلاد لا تناسب غيرهم ولا تنفعهم.

● **خاصية التمرات السبع:** وَأَمَّا خاصية السبع، فإنها قد وقعت قدْرًا وشرعًا: فخلق الله عز وجل السموات سبعا، والأرضينَ سبعًا، والأيامَ سبعًا، والإنسان كمل خلقه فى سبعة أطوار. وشَرَعَ اللهُ لعباده الطوافَ سَبْعًا، والسَّعْىَ بين الصَّفا والمروة سَبْعًا، وَرَمى الجمار سبعا سبعا، وَتكبيرات العيدين سبعا فى الأُولى. وقال ﷺ: «**مُرُوه بالصلاة لسبع**»[1]. وَإِذَا صار للغلام سبع سنين: خيرَ بين أبويه فى رواية؛ وفى رواية أُخرى: أبوه أحقُّ به من أمه؛ وفى ثالثة: أُمُّه أحق به. وأمر النبى ﷺ فى مرضه: أن يُصبَّ عليه من سبع قِرَبٍ[2]، وَسخر الله الريح على قوم عادٍ سبع ليال. وَدعا النبى ﷺ: أن يعينَه الله على قومه بسبعٍ كسبع يوسفَ. ومَثلَ الله سبحانه ما يضاعف به صدقةَ المتصدق: بحبَّة أنبتت سبعَ سنابل فى كلِّ سُنبلة مائة حبة[3]، وَالسنابل التى رآها صاحب يوسفَ سبعًا، والسنين التى زرعوها دأبًا سبعا. وتضاعفُ الصدقة إلى سبعمائة ضعف: إلى أضعاف كثيرة. ويدخل الجنة من هذه الأُمة بغير حساب سبعون ألفا.

● **خاصية العدد سبعة:** فلا ريب أن لهذا العدد خاصيَّة ليست لغيره؛ والسبعة جمعت معانى العدد كله وخواصَّه. فإن العدد شفعٌ ووتْر. والشفع أول وثان، والوتر كذلك. فهذه أربع مراتب: شفع أول وثان، ووتر أول وثان. ولا تجتمع هذه المراتب فى أقل من سبعة. وهى عدد كامل جامع لمراتب العدد الأربعة؛ أعنى: الشفع والوتر

---

(١) الحديث بتمامه فى الجامع الصغير بلفظ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين..» رواه أحمد وأبو داود والحاكم عن ابن عمر، ورمز له السيوطي بالصحة.

(٢) أخرجه البخاري عن عائشة رضى الله عنها.

(٣) راجع الآية ٢٦١ من سورة البقرة: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

والأوائل والثوانى؛ ونعنى بالوتر الأول: الثلاثة، وبالثانى: الخمسة، وبالشفع الأول: الاثنين، وبالثانى: الأربعة. وللأطباء اعتناءٌ عظيم بالسبعة، ولا سيما فى البحارين. وقد قال أبقراط: «كل شيءٍ فى هذا العالم فهو مقدَّرٌ على سبعة أجزاءَ»، والنجوم سبعة، والأيام سبعة، وأسنان الناس سبعة أولها طفل إلى سبع؛ ثم صبىٌّ: إلى أربع عشرة، ثم مراهقٌ، ثم شابٌ، ثم كهلٌ، ثم شيخٌ، ثم هرِمٌ: إلى منتهى العمر. والله تعالى أعلم بحكمته وشرعه وقدْره فى تخصيص هذا العدد: هل هو لهذا المعنى؟ أو لغيره؟.

ونفع هذا العدد من هذا التمر، من هذا البلد، من هذه البقعة بعينها، من السم والسِّحر - بحيث تمنع إصابته -: من الخواص التى لو قالها أبقراطُ وجالينوس وغيرهما من الأطباءَ، لتلقَّاها عنهم الأطباءُ بالقبول والانقياد. مع أن القائل إنما معه الحدْس والتخمين والظنُّ. فمن كلامه كلُّه يقينٌ وقطعٌ وبرهانٌ ووحىٌ، أولى أن تُتلقى أقواله بالقبول والتسليم، وترك الاعتراض. وأدوية السُّموم تارة تكون بالخاصية، كخواص كثير من الأحجار والجواهر واليواقيت والله أعلم.

● **من شريطة انتفاع المريض بالدواء اعتقاده فيه (فصل):** ويجوز نفع التمر المذكور فى بعض السموم. فيكون الحديث من العام المخصوص. ويجوز نفعه، لخاصية تلك البلد وتلك التربة الخاصة، من كل سم. ولكن هٰهنا أمر لا بد من بيانه؛ وهو: أن من شرط انتفاع العليل بالدواءِ قبوله واعتقاده النفع به؛ فتقبله الطبيعة فتستعين به على دفع العلة. حتى إن كثيراً من المعالجات تنفع بالاعتقاد وحسن القبول، وكمال التلقِّى. وقد شاهد الناس من ذلك عجائب. وهذا: لأن الطبيعة يشتد قبولها له، وتفرح النفس به؛ فتنتعش القوة، ويقوى سلطان الطبيعة؛ وينبعث الحار الغريزى فيساعد على دفع المؤذى. وبالعكس يكون كثير من الأدوية نافعا لتلك العلة، فيقطع عملَه سوءُ اعتقاد العليل فيه، وعدم أخذ الطبيعة له بالقبول، فلا يُجدى عليها شيئًا.

● **كيف ينفع القرآن قلوبا ويزيد بعضها مرضا:** واعتبِرْ هذا بأعظم الأدوية والأسقية، وأنفعها للقلوب والأبدان، والمعاش والمعاد والدنيا والآخرة؛ وهو: القرآن الذى هو شفاءٌ من كل داءٍ؛ كيف لا ينفع القلوب التى لا تعتقد فيه الشفاءَ والنفع، بل لا يزيدها إلا مرضًا على مرضها وليس لشفاءِ القلوب دواءٌ قط أنفع من القرآن: فإنه

شفاؤُها التام الكامل الذى لا يغادر فيها سقما إلا أبرأه، ويحفظ عليها صحتها المطلقة، ويحميها الحِمْية التامة من كل مؤذ ومضر. ومع هذا فإعراض أكثر القلوب عنه، وعدم اعتقادها الجازم الذى لا ريب فيه أنه كذلك، وعدم استعماله، والعدول عنه إلى الأدوية التى ركبها بنو جدْسها – حال بينها وبين الشفاء به؛ وغلبت العوائد، واشتد الإعراض، وتمكنت العلل والأدواءُ المزمنة من القلوب، وتربَّى المرضى والأطباء على علاج بنى جنسهم، وما وصفه لهم شيوخهم ومن يعظمونه ويحسنون به ظنونهم. فعظم المصاب، واستحكم الدواء، وتركبت أمراضٌ وعللٌ أعيا عليهم علاجها؛ وكلَّما عالجوها بتلك العلاجات الحادثة: تفاقم أمرها وقويت. ولسان الحال ينادى عليهم:

ومن العجائب -والعجائبُ جَمَّةٌ- قُربُ الشفاء؛ وما إليه وصول
كَالْعيسِ فى البَيْداءِ يقتُلُها الظَّما والماءُ فوق ظهورها محمول

فصل فى هديه ﷺ فى دفع ضرر الأغذية والفاكهة وإصلاحها بما يدفع ضررها، ويقوِّى نفعها

● **أكل الرطب بالقثاء:** ثبت فى الصحيحين – من حديث عبد الله بن جعفر – قال: «**رأيتُ رسول الله ﷺ يأكل الرطب بالقِثَّاء**»[1].

والرطب حار رطْبٌ فى الثانية: يقوى المعدة الباردة ويوافقها، ويزيد فى الباه. ولكنه سريع التعفُّن، معطِّش، معكِّر للدم مصدِّع، مولد للسَّدد ووجع المثانة، ومضر بالأسنان. والقثاء بارد رطب في الثانية: مسكن للعطش، منعش للقوى بشمه: لما فيه من العطرية، مطفىءٌ لحرارة المعدة الملتهبة. وإذا جفف بزره ودق، واستُحلب بالماء وشرب–: سكَّن العطش، وأدرَّ البول، ونفع من وجع المثانة. وإذا دُق ونخل، ودُلِّك به الأسنان: جلاها. وإذا دُق ورقه، وعمل منه ضماد مع الميفختج: نفع من عضة الكَلْب الكَلِب.

وبالجملة: فهذا حار، وهذا بارد. وفى كل منهما صلاح الآخر، وإزالةٌ لأكثر ضرره؛ ومقاومة كل كيفية بضدها، ودفع سوْرتها بالأُخرى. وهذا أصل العلاج كله، وهو أصل فى حفظ الصحة. بل علم الطب كله يستفاد من هذا. وفى استعمال ذلك

(١) الحديث أخرجه مسلم فى: ٣٦- كتاب الأشربة (٢٣) باب أكل القثاء بالرطب، ح (١٤٧).

وأمثاله فى الأغذية والأدوية، إصلاحٌ لها وتعديلٌ، ودفعٌ لما فيها: من الكيفيات المضرة؛ لما يقابلها وفى ذلك عونٌ على صحة البدن وقوته وخصبه.

قالت عائشة رضى الله عنها: «سمَّنونى بكل شىءٍ، فلم أَسمنْ فسمَّنونى بالقثَّاء والرُّطب، فسمِنْتُ»(1).

وبالجملة: فدفعُ ضررِ البارد بالحارِّ، والحار بالبارد، والرَّطب باليابس، واليابس بالرَّطب؛ وتعديلُ أَحدهما بالآخر-: من أَبلغ أنواع العلاجات وحفظ الصحة.

ونظيرُ هذا ما تقدم: من أَمره بالسَّنا والسَّنُّوت؛ وهو: العسل الذى فيه شىءٌ من السمن يصلحُ به السَّنا ويعدله. فصلوات الله وسلامه على من بعث بعمارة القلوب والأَبدان، وبمصالح الدنيا والآخرة.

فصل فى هديه ﷺ فى الحمية

● **التداوى شيئان:** الدواءُ كله شيئان: حِمْيَةٌ، وحِفْظُ صحةٍ. فإذا وقع التخليطُ: احتيجَ إلى الاستفراغ الموافق. وكذلك مدارُ الطب كله على هذه القواعد الثلاث.

● **الحمية حميتان:** حمية عما يجلب المرض، وحمية عما يزيده، فيقف على حاله. فالأُولى: حمية الأَصحاء. والثانية: حمية المرضى. فإن المريض إذا احتمى: وقف مرضه عن التزايد، وأَخذت القوى فى دفعه.

● **أصل الحمية من القرآن الكريم:** والأَصلُ فى الحمية قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ كُنْتُم مَّرْضَى، أَوْ عَلَى سَفَرٍ، أَوْ جَاءَ أَحدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائط، أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ، فَلَمْ تَجدُوا مَاءً: فَتَيَمَّمُوا صَعِيدا طَيِّبًا** ﴾ (المائدة: ٦) فحمى المريض من استعمال الماء: لأنه يضره.

وفى سنن ابن ماجه وغيره، عن أُم المنذر بنت قيسٍ الأنصارية، قالت: «دخل علىَّ رسول الله ﷺ، ومعه علىٌّ، وعلىٌّ ناقةٌ من مرض؛ ولنا دَوالٍ معلقة. فقام رسول الله ﷺ يأكل منها، وقام علىٌّ يأكل منها. فطفقَ رسول الله ﷺ يقول لعلىٍّ: إنك ناقةٌ، حتى كفَّ. قالت: وصنعت شعيرا وسِلْقا، فجئت به. فقال النبىُّ ﷺ لعلىٍّ: من هذا أَصبْ؛ فإنه أَنفع لك».

---

(١) أخرجه ابن ماجه في (٢٩) كتاب الأطعمة، (٣٧) باب القثاء والرطب، حديث (٣٣٢٤).

وفي لفظ: «**فقال: من هذا فأصب؛ فإنه أوفق لك**»(١).

وفي سنن ابن ماجه أيضا، عن صهيْب، قال: «قدمت على النبي ﷺ وبين يديه خبزٌ وتمرٌ فقال: ادْنُ فكل. فأخذت تمرًا فأكلت. فقال: أتأكلُ تمرًا وبك رمدٌ؟! فقلت: يا رسول الله، أمضغُ من الناحية الأُخرى. فتبسم رسول الله ﷺ»(٢).

وفي حديث محفوظ عنه ﷺ: «**إن الله إذا أحبَّ عبداً: حماه من الدنيا، كما يحمى أحدكم مريضه عن الطعام والشراب**»(٣)؛ وفي لفظ: «**إن الله يحمى عبده المؤمن من الدنيا**»(٤).

● **الحمية رأس الدواء حكمة طبيب:** وأما الحديث الدائر على ألسنة كثير من الناس: «الحِمْيةُ رأس الدواء، والمعدة بيت الداء، وعوِّدوا كل جسم ما اعتاد»(٥)، فهذا الحديث إنما هو من كلام الحارث بن كَلَدةَ طبيب العرب؛ ولا يصحُّ رفعه إلى النبي ﷺ قاله غير واحد من أئمة الحديث.

ويُذكر عن النبي ﷺ: «**أن المعدةَ حوض البدن، والعروق إليها واردةٌ، فإذا صحت المعدة: صدرت العروق بالصحة، وإذا سقمت المعدة: صدرت العروق بالسقم**»(٦).

وقال الحارث: «رأس الطِّبِّ الحِمْية» والحِمْية عندهم للصحيح في المضرة، بمنزلة التخليط للمريض والناقه. وأنفع ما تكون الحمية للناقه من المرض: فإن طبيعته لم ترجع بعدُ إلى قوَّتها، والقوة الهاضمة ضعيفةٌ، والطبيعة قابلة، والأعضاء مستعدة، فتخليطه يوجب انتكاسها. وهو أصعب من ابتداءِ مرضه.

● **ضرر الرطب بالناقه:** واعلم أن في منع النبي ﷺ لعليٍّ من الأكل من الدوالي

---

(١) أخرجه في سنن أبي داود، ح (٣٨٥٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب الطب، (٣) باب الحمية، ح (٣٤٤٣).

(٣) أورده السيوطي في الجامع الكبير (١:١٤٧٨) بلفظ مختلف، ورمز له السيوطي بالضعف، وقال: رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم.

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان بلفظ: «إن الله تعالى يحمي عبده المؤمن كما يحمي الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة». ورمز له السيوطي بالضعف.

(٥) علق عليه العجلوني في كشف الخفا ٢-٢٩٧.

(٦) موضوع، سمعه إبراهيم بن جريج - وكان مغفلاً - من سعيد بن أبجر المتطبب، وأورده العقيلي في الضعفاء الكبير في ترجمة إبراهيم بن جريج، وقال: باطل لا أصل له.

وهو ناقهٌ، أحسن التدبير: فإن الدوالى أفناءٌ من الرطب تعلَّقُ فى البيت للأكل، بمنزلة عناقيد العنب. والفاكهة تُضرُّ بالناقه من المرض: لسرعة استحالتها، وضعف الطبيعة عن دفعها؛ فإنها بعدُ لم تتمكن قوَّتها: وهى مشغولةٌ بدفع آثار العلة وإزالتها من البدن. وفى الرُّطب خاصةً نوع ثِقَلٍ على المعدة، فتشتغل بمعالجته وإصلاحه، عما هى بصدده: من إزالة بقية المرض وآثاره؛ فإما أن تقف تلك البقية، وإما أن تتزايد. فلمَّا وُضع بين يديه السِّلق والشعير، أمره: أن يصيب منه. فإنه من أنفع الأغذية للناقه: فإن فى ماءِ الشعير - من التبريد والتغذية، والتلطيف والتليين، وتقوية الطبيعة - ما هو أصلح للناقه، ولا سيَّما إذا طبخ بأُصول السِّلق. فهذا من أوفق الغذاءِ لمن فى معدته ضعفٌ، ولا يتولد عنه من الأخلاط، ما يخاف منه.

وقال زيد بن أسلم: «حمَى عمر رضى الله عنه مريضًا له، حتى إنه من شدة ما حماه، كان يمُصُّ النوى». وبالجملة: فالحِمْية من أكبر الأدوية قبل الداء، فتمنع حصوله. وإذا حصل: فتمنع تزايده وانتشاره.

● **إذا اشتاق العليل والناقه إلى ما يضره (فصل)**: ومما ينبغى أن يعلم أن كثيرًا مما يُحمى عنه العليل والناقه والصحيح، إذا اشتدت الشهوة إليه، ومالت إليه الطبيعة، فتناول منه الشيءَ اليسيرَ الذى لا تعجزُ الطبيعة عن هضمه: لم يضرَّه تناوُله، بل ربما انتفع به. فإن الطبيعة والمعدة تتلقَّيانه بالقبول والمحبة، فيُصلحان ما يُخشى من ضرره. وقد يكون أنفع من تناوُل ما تكرههُ الطبيعة وتدفعه: من الدواء.

ولهذا أقرَّ النبىُّ ﷺ، صُهَيْبًا -وهو أرمدُ- على تناوُلِ التَّمَراتِ اليسيرة وعلم أنها لا تَضرُّه.

ومن هذا ما يُروى عن علىٍّ: «**أنه دخل على رسول الله ﷺ، وهو أرمَدُ - وبيْن يدىْ النبىِّ ﷺ تمرٌ يأكلُه - فقال: يا علىُّ، تشتهيه؟ ورمَى إليه بتمرة، ثم بأُخرى، حتى رمَى إليه سبْعًا. ثم قال: حَسْبُك يا على**»(1).

ومن هذا ما رواه ابن ماجَهْ فى سننه - من حديث عكْرِمَةَ، عن ابن عباس: «**أنَّ النبىَّ ﷺ عادَ رجُلاً، فقال له: ما تشتَهِى؟ فقال: أشتَهِى خُبز بُرٍّ. وفى لفظ:**

---

(1) أى يكفيك ذلك.

أشتهي كَعْكًا . فقال النبيُّ ﷺ : مَن كان عندَه خبزَ بُرٍّ ، فليبعثْ إلى أخيه . ثم قال : إذا اشتَهى مريضُ أحدِكم شيئًا ، فلْيُطْعمْه»(١) .

ففى هذا الحديث سرٌّ طبيٌّ لطيف : فإن المريضَ إذا تناول ما يشتهيه عن جوع صادق طبيعيٍّ، وكان فيه ضررٌ ما : كان أنفعَ وأقلَّ ضررا مما لا يشتهيه وإن كان نافعا فى نفسه : فإن صدْق شهوته، ومحبةَ الطبيعة له تدفعُ ضرره . وبغضُ الطبيعة وكراهتُها للنافع، قد يجلبُ لها منه ضررا . وبالجملة : فاللذيذُ المشتَهَى تُقبلُ الطبيعةُ عليه بعناية . فتهضمه على أحْمد الوجوه، سيما عند انبعاث النفس إليه بصدْق الشهوة، وصحة القوة . والله أعلم .

فصل فى هديه ﷺ فى علاج الرمد بالسكون والدعة وتْرك الحركة، والحمْية مما يهيجُ الرمد

وقد تقدم: أن النبيَّ ﷺ حمَى صُهَيْبًا من التمر، وأنكر عليه أكْلَه : وهو أرمدُ . وحَمَى عليًّا من الرُّطب لَمّا أصابه الرمدُ .

وذكر أبو نُعَيْم فى كتاب الطبِّ النبويِّ : «**أنه ﷺ كان إذا رَمِدَتْ عينُ امرأة من نسائه : لم يأتِهَا حتَّى تَبرأَ عينُها**»(٢) .

● **الرمد وسببه:** الرَّمدُ : ورم حار يعرضُ فى الطبقة الملتحمة من العين؛ وهو بياضها الظاهر . وسببهُ : انصبابُ أحد الأخلاط الأربعة، أو ريحٌ حارة تكثُرُ كميتُها فى الرأس والبدن، فينبعث منها قسطٌ إلى جوهر العين؛ أو ضربةٌ تصيب العين، فتُرسل الطبيعةُ إليها من الدم والروح مقدارا كثيرا، تَرُومُ بذلك شفاءَها مما عرض لها . ولأجل ذلك يورم العضوُ المضروب . والقياس يوجب ضده .

● **ما يرتفع من قعر المعدة ليحدث بعض الأمراض:** واعلم أنه كما يرتفع من الأرض إلى الجو بُخاران : أحدهما حار يابس، والآخرُ حار رَطب، فينعقدان سحابا متراكما، ويمنعان أبصارنا من إدراك السماءِ : فكذلك يرتفعُ من قعر المعدة إلى منتهاها مثلُ ذلك، فيمنعان النظرَ، ويتولد عنهما عللٌ شتى . فإن قويت الطبيعةُ على ذلك، ودفعتْه

(١) ابن ماجه في ٣١- كتاب الطب (٢) باب المريض يشتهى الشيء - حديث (٣٤٤١).
(٢) أخرجه أبو نعيم فى الطب عن أم سلمة، كما ذكره السيوطي في الجامع الصغير.

إلى الخياشيم: أحدث الزكام؛ وإن دفعتْه إلى اللَّهاة والمنخرين: أحدث الخُنَاقَ، وإن دفعتْه إلى الجنب: أحدث الشَّوْصةَ؛ وإن دفعتْه إلى الصدر. أحدث النزلة؛ وإن انحدر إلى القلب: أحدث الخَبْطةَ؛ وإن دفعتـه إلى العين: أحدث رمدا، وإن انحدر إلى الجوف: أحدث السَّيلانَ؛ وإن دفعتْه إلى منازل الدماغ، أحدث النِّسيانَ؛ وإن ترطبتْ أوعيةُ الدماغ منه، وامتلأتْ به عروقُه: أحدثَ النوم الشديد. ولذلك كان النومُ رَطبًا، والسهرُ يابسًا. وإن طلبَ البخارُ النفوذَ من الرأس، فلم يقدر عليه: أعقبه الصداعُ والسَّهرُ. وإن مال البخار إلى أحد شقَّي الرأس: أعقبه الشَّقيقة. وإن ملك قمَّةَ الرأس ووسَطَ الهامة: أعقبه داء البَيْضة. وإن بَرُد منه حجابُ الدماغ أو سَخُنَ أو ترطَّبَ، وهاجتْ منه أرياحٌ: أحدثَ العُطاس. وإن أهاج الرطوبة البلغمية فيه، حتى غلب الحار الغريزي: أحدث الإغماءَ والسكتات وإن أهاج المِرَّةَ السوداءَ، حتى أظلم هواءْ الدماغ: أحدث الوَسْواسَ، وإن فاض ذلك إلى مجارى العَصَب: أحدث الصَّرْعَ الطبيعيَّ وإن ترطبتْ مجامع عصب الرأس، وفاض ذلك فى مجاريه. أعقبه الفالج. وإن كان البخار من مِرَّةٍ صفراءَ ملتهبة محمية للدماغ: أحدث السرْسام(١)، فإن شَرَكه الصدرُ فى ذلك: كان بِرْسامًا(٢). فافهم هذا الفصل.

والمقصود: أن أخلاط البدن والرأس تكون متحركة هائجة فى حال الرَّمد، والجماع مما يَزيد حركَتها وثَوَرانَها: فإنه حركةٌ كليةٌ للبدن والروحِ والطبيعة. فأمَّا البدن فيسخُنُ بالحركة لا محالة؛ والنفس تَشْتَدّ حركتها: طلبا للذة واستكمالها؛ والروح تتحرك تبعا لحركة النفس والبدن. فإن أول تعلق الروح من البدن بالقلب، ومنه ينشأ الروح وينبثُّ فى الأعضاء. وأما حركةُ الطبيعة: فلأَنْ تُرسلَ ما يجب إرساله من المنيِّ، على المقدار الذى يجب إرسالهُ. وبالجملة: فالجماعُ: حركة كلية عامة، يتحرك فيها البدن وقُواه وطبيعته وأخلاطه، والروح والنفس. فكل حركة فهى مثيرة للأخلاط مرققةٌ لها، توجب دفعَها وسيلانها إلى الأعضاء الضعيفة. والعينُ فى حال رمدها أضعف ما يكون، فأضرُّ ما عليها حركةُ الجماع. قال أبقراط فى كتاب الفصول: «وقد يدل ركوب السفُن أن الحركة تُثوِّر الأبدان». هذا مع أن فى الرمد منافعَ كثيرة، منها:

(١) السِّرْسام: ورم في حجاب الدماغ تحدث عنه حمى دائمة.
(٢) البرسام: التهاب في البلورا، وهي الغشاء المحيط بالرئة.

ما يستدعيه من الحِمْية والاستفراغ، وتنقية الرأس والبدن من فضلاتهما وعفوناتهما، والكفِّ عما يؤذى النفس والبدن: من الغضب والهم والحزن، والحركات العنيفة، والأعمال الشاقة. وفى أثر سلفيٍّ: «لا تَكرهوا الرَّمدَ فإنه يقطع عروق العَمَى».

• **علاج الرمد:** ومن أسباب علاجه: ملازمةُ السكون والراحة، وتركُ مس العين والاشتغال بها. فإن أضداد ذلك توجب انصباب المواد إليها. وقد قال بعض السلف: «مثلُ أَصحاب محمد: مثلُ العين، ودواءُ العين ترك مسِّها».

وقد رُوى فى حديث مرفوع -الله أعلم به-: «علاجُ الرَّمد: تَقطيرُ الماء البارد فى العين». وهو من أكبر الأدوية للرمد الحار: فإن الماءَ دواءٌ باردٌ يُستعان به على طفء حرارة الرمد، إذا كان حارا. ولهذا قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، لامرأته زينبَ -وقد اشتَكتْ عينُها-: «**لو فَعلت كما فعل رسول الله ﷺ، كان خيراً لكَ وأجدَرَ أن تُشفَىْ: تنْضَحينَ فى عينك الماءَ، ثم تقولينَ: أذهب البأسَ ربَّ الناس، واشفِ أنتَ الشافى؛ لا شفاءَ إلا شفاؤُك؛ شفاءً لا يغادر سُقْماً**»[1].

وهذا مما تقدم مرارا: أنه خاصٌّ ببعض البلاد، وبعضِ أوجاع العين. فلا تجعلْ كلام النبوَّة الجُزئىَّ الخاص كليًّا عامًّا، ولا الكُلِّىَّ العامَّ جزئيا خاصا، فيقعَ من الخطإ وخلاف الصواب، ما يقعُ. والله أعلم.

فصل فى هديه ﷺ فى علاج الخدران الكلى الذى يجمدُ معه البدنُ

ذكر أبو عبيد فى «غريب الحديث» من حديث أبى عثمانَ النَّهْدىِّ: «أن قوما مروا بشجرة فأكلوا منها، فكأنما مرتْ بهم ريحَ فأَجمدتْهم. فقال النبى ﷺ: «**قَرِّسوا الماءَ فى الشِّنَان، وصبُّوا عليهم فيما بين الأذانَيْن**»، ثم قال أبو عبيد: «قَرِّسُوا يعنى: بَرِّدوا. وقولُ الناس: قد قَرَس البردُ، إنما هو من هذا بالسين، ليس بالصاد. والشِّنانُ: الأَسقيةُ والقربُ الخلقانُ. يقال للسقاء: شَنٌّ، وللقربَة: شَنٌّ. وإنما ذكر الشنانَ دون الجرَّة: لأنها أَشدُّ تبريداً للماء. وقوله: بين الأَذَانَين؛ يعنى: أذانَ الفجر والإقامةَ. فسمى الإقامة أذانا» انتهى كلامه.

(1) أخرجه أحمد عن علي. الجامع الكبير: ١/٨٧٣، سنن ابن ماجه: ٢/١١٦٣.

قال بعض الأطباء: وهذا العلاجُ من النبيِّ ﷺ، من أفضل علاج هذا الداء، إذا كان وقوعُه بالحجاز. وهي بلاد حارة يابسةٌ، والحار الغريزيُّ ضعيف في بواطن سكانها، وصبُّ الماء البارد عليهم في الوقت المذكور وهو أبردُ أوقات اليوم يوجبُ جَمْعَ الحار الغريزيِّ المنتشر في البدن الحامل لجميع قُواه، فيقوى القوة الدافعة، ويجتمع من أقطار البدن إلى باطنه الذي هو محل ذلك الداءَ، ويستظهر بباقي القوى على دفع المرض المذكور، فيدفعه بإذن الله عز وجل. ولو أن أبقراط أو جالينوس أو غيرهما وَصف هذا الدواءَ لهذا الداء: لخضعتْ له الأطباءُ، وعَجبوا من كمال معرفته.

فصل في هديه ﷺ في إصلاح الطعام الذي يقع فيه الذباب وإرشاده إلى دفع مضرات السموم بأضدادها

● **حديث إذا وقع الذباب في إناء أحدكم:** في الصحيحين من حديث أبي هُريرة أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إذَا وقع الذباب في إناء أحدكم: فامْقُلوه، فإنَّ في أحد جناحيه داءً، وفي الآخر شفاءً**»(1).

وفي سنن ابن ماجه، عن أبي سعيد الخُدْري، أن رسول الله ﷺ قال: «**أحدُ جناحَي الذُّباب سمٌّ، والآخر شفاءٌ. فإذا وَقَعَ في الطعام: فامْقُلُوه، فإنه يقدِّمُ السمَّ، ويؤخرُ الشفاءَ**»(2).

● **إذا مات الذباب في مائع:** هذا الحديث فيه أمران: أمرٌ فقهيٌّ، وأمر طبي. فأمَا الفقهي: فهو دليل – ظاهر الدلالة جداً على أن الذباب إذا مات في ماءٍ أو مائع، فإنه لا ينجِّسه. وهذا قول جمهور العلماءَ. ولا يعرفُ في السلف مخالفٌ في ذلك.

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في: ٥٩- كتاب بدء الخلق، (١٧) باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم.. وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢:٢٢٩، ٢٤٦، ٢٦٣، ٣٤٠، ٣٥٥، ٣٨٨، ٣٩٨، ٤٤٣)، (٣:٢٤).

(2) أخرجه ابن ماجه والنسائي والحاكم وأحمد والبيهقي.

وأعتبره فضيلة الأستاذ الشيخ سعيد حوّى في كتابه الرسول نموذجا من حديثه صلى الله عليه وسلم الذى صدقته علوم عصرنا من غير النبوءات وذلك نقلا عن التحقيق الذى كتبه الدكتور عز الدين جوالة حول هذا الموضوع وخلاصة ذلك أنه قد يجتمع الضدان في الحيوان الواحد وهى من عجائب خلق الله، وأن الطب استخرج أدوية نافعة حيوية من العفن... إلخ.

ثم ينقل الشيخ سعيد تحقيقًا للطبيبين المصريين: محمود كمال، ومحمد عبد المنعم حسين فى إثبات ما فى الحديث (دون أن يذكر المصدر) وفحوى التحقيق أن بعض العلماء – وقد أورد أسماءهم -وتواريخهم- قد استطاعوا عزل مواد مضادة حيوية من مزرعة للفطريات الموجودة على نفس جسم الذبابة، فوجدوها ذات مفعول قوي على الجراثيم السالبة لصيغة غرام كالزحار والتيفوئيد وذات مفعول قوي على الجراثيم المسببة للحميات.

ووَجه الاستدلال به: أن النبى ﷺ أَمر بمقْله، وهو غمسه فى الطعام. ومعلوم أنه يموت من ذلك، ولا سيما: إذا كان الطعام حارا. فلو كان ينجِّسه: لكان أَمرًا بإفساد الطعام؛ وهو ﷺ إنما أَمر بإصلاحه. ثم عَدا هذا الحكم إلى كل مالا نفسَ له سائلة: كالنحلة والزُّنْبُور والعنكبوت، وأشباهِ ذلك. إذا الحكمُ يعمُّ بعموم علَّته، وينتفى لانتفاء سببه. فلما كان سبب التنجيس هو الدم المحتقن فى الحيوان بموته، وكان ذلك مفقودًا فيما لا دم له سائل: انتفى الحكم بالتنجيس، لانتفاء علته.

ثم قال من لم يحكم بنجاسة عظم الميتة: إذا كان هذا ثابتا فى الحيوان الكامل مع ما فيه من الرُّطوبات والفضلات، وعدم الصلابة: فثبوته فى العظم، الذى هو أبعد عن الرطوبات والفضلات واحتقان الدم، أولى. وهذا فى غاية القوة؛ فالمصير إليه أولى.

وأول من حُفظ عنه فى الإسلام أنه تكلم بهذه اللفظة فقال: مالا نفسَ له سائلةٌ إبراهيم النخَعيُّ رضى الله عنه، وعنه تلقاها الفقهاءُ. والنفس فى اللغة يعبر بها: عن الدم. ومنه «نَفست المرأة» بفتح النون: إذا حاضت، و«نُفست» بضمها: إذا ولدت.

• **والمعنى الطبى من الحديث:** وأما المعنى الطبىُّ، فقال أبو عبيد: معنى «امْقُلُوه»: اغمسوه ليخرج الشفاءُ منه، كما خرج الداءُ. يقال للرجلين: هما يتَماقلان؛ إذا تغاطَّا فى الماءِ».

واعلم أن فى الذباب عندهم قوة سُميَّةً يدل عليها الورم والحكةُ العارضة عن لسعه، وهى بمنزلة السلاح. فإذا سقط فيما يؤذيه: اتقاه بسلاحه فأَمر النبى ﷺ: أن يقابلَ تلك السُّمية بما أودعه الله سبحانه فى جناحه الآخر من الشفاء، فيغمس كله فى الماء والطعام، فيقابل المادةَ السمية المادةُ النافعة، فيزول ضررُها. وهذا طبٌّ لا يهتدى إليه كبار الأَطباءِ وأئمتهم، بل هو خارج من مِشكاة النبوة. ومع هذا فالطبيب العالم العارف الموفَّقُ، يخضع لهذا العلاج، ويقرُّ لمن جاءَ به: بأنه أكمل الخلق على الإطلاق، وأنه مؤيد بوحى إلهى خارج عن القوى البشرية.

وقد ذكر غير واحد من الأطباء، أن لسع الزُّنبور والعقرب إذا دُلِّكَ موضعه بالذباب: نفع منه نفعًا بيِّنا وسكَّنه. وما ذاك إلا للمادة التى فيه من الشفاء. وإذا دلك به الورم الذى يخرج فى شعر العين، المسمَّى شعرةً بعد قطع رءُوس الذباب: أَبرأَه.

فصل فى هديه ﷺ فى علاج البثرة

ذكر ابن السُّني فى كتابه، عن بعض أزْواج النبيِّ ﷺ، قالت: «**دخَلَ علىَّ رسولُ الله ﷺ وقد خرَجَ فى إصْبعى بثْرَةٌ فقالَ: عندك ذَريرة؟ قُلْتُ: نعم. قال: ضعيها عليها. وقال: قولى اللهم مُصَغِّر الكَبير، ومكبِّر الصغير؛ صغِّر ما بى**»(1).

● **الذريرة وفوائدها:** (الذَّريرةُ) دواءٌ هندىٌّ يتخذ من قصب الذريرة. وهى حارة يابسة، تنفع من أورام المعدة والكبد والاستسقاء، وتُقوِّى القلبَ لطيبها.

وفى الصحيحين عن عائشة، أنها قالت: «**طيَّبْتُ رسول الله ﷺ بيدى، بذَريرة، فى حجة الوداع، للحلِّ والإحرام**»(2).

● **البثرة وعلاجها:** و(البثرَة) خُراج صغير يكون عن مادَّة حارَّة تَدْفعها الطبيعة، فتَسترقُ مكانًا من الجسد تخرج منه؛ فهى محتاجة إلى ما يُنْضجها ويُخْرجها. والذَّريرة أحد ما يفعل بها ذلك: فإن فيها إنضاجا وإخراجا مع طيب رائحتها؛ مع أن فيها تبريداً للنارية التى فى تلك المادة. ولذلك قال صاحب القانون: «إنه لا أَفْضَلَ لحرْقِ النار من الذَّريرة بدُهن الورد والخل».

فصل فى هديه ﷺ فى علاج الأورام والخراجات التى تبرأ بالبط والبزْل

يذكر عن علىّ أنه قال: «**دخلتُ مع رسول الله ﷺ، على رجلٍ يعوده بظهره ورَمٌ؛ فقالوا: يا رسولَ الله، بهذه مِدَّةٌ. قال: بُطُّوا عنه. قالَ علىٌّ: فما بَرِحْتُ حتى بُطَّتْ**(3)**، والنبى ﷺ شاهدٌ**».

ويُذكَرُ عنْ أبى هُرَيْرَةَ: «**أَنَّ النبىَّ ﷺ أمر طَبيبًا: أن يبُطَّ بَطْن رجْلٍ أَجْوَى البَطْنِ؛ فقيل: يا رسولَ الله؛ هلْ ينْفَعُ الطِّبُّ؟ قال: الذى أَنزلَ الداءَ، أَنْزَلَ الشِّفَاءَ فيما شاءَ**»(4).

---

(1) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده (٥:٣٧٠).

(2) أخرجه البخاري في: ٧٧- كتاب اللباس (٨١) باب الذريرة، وأخرجه مسلم في: ١٥- كتاب الحج (٧) باب الطيب للمحرم عند الإحرام، حديث رقم (٣٥)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦:٢٠٠، ٢٤٤).

(3) البط: شق الدمل والخراج ونحوهما، وهذا الحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥:٩٩) وقال: أخرجه أبو يعلى، وفي سنده أبو الربيع السمان وهو ضعيف.

(4) الأجوى: من الجوى وهو داء الجوف إذا تطاول، وانظر ابن ماجه ١١٣٨/٢.

● **صفة الورم وأنواعه:** (الورمُ) : مادةٌ فى حَجْمِ العُضو، لفَضْلِ مادةٍ غَيْرِ طبيعية، تَنْصبُّ إليه. وتوجد فى أجناسِ الأَمْراضِ كلها. والموادُّ التى يكون عنها من الأخلاط الأَربعة والمائية والريح. وإذا اجتمع الورمُ سُمى: خُرَاجًا. وكلُّ ورمٍ حارٍ يؤولُ أَمْرُهُ إلى أَحد ثلاثة أَشْياءَ: إما تحلل، وإما جمع مِدَّة، وإما استحالة إلى الصَّلابة. فإن كانت القوة قوية: استولت على مادة الورم وحلَّلته، وهى أَصلح الحالات التى يؤول حال الورم إليها، وإن كانت دون ذلك: أنضجت المادة وأَحالتْها مدَّةً بيضاء، وفتحت لها مكانا أسالتها منه. وإن نقصت عن ذلك: أحالت المادة مدة غير مستحكمة النُّضج، وعجزت عن فتح مكان فى العضو تدفعها منه، فيخاف على العضو الفساد بطول لبثها فيه، فيحتاج حينئذ إلى إعانة الطبيب، بالبَط أو غيره، لإخراج تلك المادة الرديئة المفسدة للعضو.

● **علاج الورم بالبط:** وفى البطِّ فائدتان: **(إحداهما):** إخراج المادة الرديئة المفسدة. **(والثانية)** منع اجتماع مادة أُخرى إليها تقوِّيها.

وأما قوله فى الحديث الثانى: «**إنه أمر طبيبًا أن يبُطَّ بطن رجل أَجْوَى البطن**»، فالجوى يقال على معانٍ منها: الماءُ المُنْتِنُ الذى يكون فى البطن، يحدث عنه الاستسقاءُ.

وقد اختلف الأَطباءُ فى بزْله لخروج هذه المادة: فمنعه طائفةٌ منهم: لخطرِه، وبُعدِ السلامة معه. وجوَّزته طائفةٌ أُخرى، وقالت: لا علاج له سواه. وهذا عندهم إنما هو فى الاستسقاء الزِّقِّى. فإنه كما تقدم ثلاثة أنواع: طبلىٌّ، وهو: الذى ينتفخ معه البطن بمادة ريحية، إذا ضربت عليه سُمع له صوتٌ كصوت الطبل. ولحمىٌّ، وهو: الذى يربو معه لحم جميع البدن بمادة بلغمية، تفشُو مع الدم فى الأَعضاءِ. وهو أَصعب من الأول. وزقِّىٌّ، وهو: الذى يجتمع معه فى البطن الأَسفل مادةٌ رديئة يُسمع لها عند الحركة خَضخضةٌ كخضخضة الماءِ فى الزِّق. وهو أَردأ أنواعه عند الأَكثرين من الأَطباءِ. وقالت طائفة: أردأ أنواعه اللَّحْمىُّ؛ لعموم الآفة به.

ومن جملة علاج الزِّقى: إخراج ذلك الماء بالبزْل؛ ويكون ذلك بمنزلة فصد العروق لإخراج الدم الفاسد. لكنه خطرٌ كما تقدم. وإن ثبت هذا الحديث: فهو دليلٌ على جواز بزله. والله أَعلم.

فصل فى هديه ﷺ فى علاج المرضى بتطييب نفوسهم، وتقوية قلوبهم

روى ابن ماجه فى سننه(1) من حديث أبى سعيد الخدرىّ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخلتم على المريض: فنفِّسوا له فى الأَجل؛ فإنَّ ذلك لا يردُّ شيئًا، وهو يطيِّبُ نفس المريض**».

● **بعض العلاج النفسى من أشرف أنواع العلاج:** فى هذا الحديث نوع شريف جداً من أَشرف أنواع العلاج؛ وهو: الإرشاد إلى ما يطيِّب نفس العليل: من الكلام الذى تقوى به الطبيعة، وتنتعش به القوة، وينبعث به الحارُّ الغريزى، فيتساعد على دفع العلة أَو تخفيفها، الذى هو غاية تأْثير الطبيب.

وتفريح نفس المريض، وتطييب قلبه، وإدخال ما يسرُّه عليه- له تأْثيرٌ عجيب: فى شفاءِ علَّته، وخفَّتها. فإن الأَرواح والقُوى تقوى بذلك، فتساعد الطبيعة على دفع المؤذى. وقد شاهد الناس كثيراً من المرضى: تنتعش قواه بعيادة من يحبونه ويعظِّمونه، ورؤْيتهم لهم ولطفهم بهم، ومكالمتهم إياهم. وهذا أحد فوائد عيادة المرضى التى تتعلق بهم. فإن فيها أَربعةَ أَنواع من الفوائد: نوعٌ يرجع إلى المريض، ونوعٌ يعود على العائد، ونوعٌ يعود على أهل المريض، ونوعٌ يعود على العامة.

هديه ﷺ فى زيارة المريض

وقد تقدم فى هديه ﷺ: أنه كان يسأَل المريض عن شكواه، وكيف يجده؟ ويسأله عما يشتهيه؛ ويضع يده على جبْهته، وربما وضعها بين ثديَيْه؛ ويدعو له، ويصف له ما ينفعه فى علَّته. وربما توضَّأ وصب على المريض من وَضوئه. وربما كان يقول للمريض: «**لا بأْس عليك؛ طهورٌ إن شاءَ الله تعالى**»(2)، وهذا من كمال اللطف، وحُسنِ العلاجِ والتدبير.

فصل فى هديه ﷺ فى علاج الأبدان بما اعتادته من الأدوية والأغذية، دون ما لم تَعْتَدْه

هذا أَصلٌ عظيم من أُصول العلاج، وأَنفعُ شيء فيه. وإذا أَخطأَه الطبيبُ: ضَرَّ

---

(1) الحديث رواه الترمذي أيضا في الطب (٤١٢:٤)، وابن ماجه في الجنائز.

(2) أخرجه البخاري في: ٧٥- كتاب الطب، (١٤) باب ما يقال للمريض، وما يُجيب.

المريضَ من حيثُ يظن أنه ينفعه. ولا يعدلُ عنه إلى ما يجدُه من الأدوية فى كُتُب الطب، إلا طبيب جاهل. فإن ملاءَمةَ الأدوية والأغذية للأبدان: بحسب استعدادها وقبولها. وهؤلاء أهل البوادى والأكَّارُون (الحراثون – المزارعون) وغيرُهم: لا ينجعُ فيهم شراب اللينوفر والورد الطرى ولا المُغلَى، ولا يؤثر فى طباعهم شيئًا. بل عامةُ أدوية أهل الحضر وأهل الرَّفاهية، لا تُجدى عليهم. والتجربة شاهدة بذلك.

● **عودوا كل بدن ما اعتاد:** ومن تأمل ما ذكرناه – من العلاج النبوىِّ – رآه كلَّه موافقا لعادة العليل وأرضه، وما نشأ عليه. فهذا أصل عظيم من أُصول العلاج: يجب الاعتناء به وقد صرح به أفاضل أهل الطب، حتى قال طبيبُ العرب، بل أطَبُّهم، الحارثُ بن كَلدَةَ – وكان فيهم كأبقراطَ فى قومه: «الحمْيةُ رأس الدواء، والمعدةُ بيتُ الداء، وعوِّدُوا كلَّ بدن ما اعتاد»؛ وفى لفظ عنه: «الأَزْمُ دواءٌ». والأَزم: الإمساكُ عن الأكل، يعنى به: الجوع. وهو من أكبر الأدوية فى شفاء الأمراض الامتلائية كلها: بحيثُ إنه أفضلُ فى علاجها من المستفرغات، إذا لم يُخَفْ من كثرة الامتلاء، وهَيَجان الأخلاط وحدَّتها وغليانها.

وقوله: «**المعدة بيتُ الداء**»، (**المعدة**): عضوٌ عصبىٌّ مجوَّفٌ كالقرْعة فى شكله، مركب من ثلاث طبقات مؤلفة من شظايا دقيقة عصبية، تسمى اللِّيف، ويحيط بها لحم. وليفُ إحدى الطبقات بالطول، والأُخرى بالعرْض، والثالثة بالورْب. وفم المعدة أكثر عصبا، وقعرها أكثر لحما. وفى باطنها خمْل. وهى محصورة فى وسط البطن، وأَميلُ إلى الجانب الأيمن قليلا. خُلقتْ على هذه الصفة: لحكمة لطيفة من الخالق الحكيم سبحانه. وهى بيتُ الداء. وكانت مَحَلا للهضم الأول. وفيها يَنضَج الغذاءُ، وينحدرُ منها بعد ذلك إلى الكبد والأمعاء. ويتخلف منه فيها فضلات عجزت القوةُ الهاضمة عن تمام هضمها: إما لكثرة الغذاء، أو لرداءَته، أو لسوء ترتيب فى استعماله له، أو لمجموع ذلك. وهذه الأشياءُ بعضُها مما لا يتخلص الإنسان منه غالبا، فتكونُ المعدة بيت الداء لذلك. وكأنه يُشير بذلك: إلى الحثِّ على تقليل الغذاء، ومنْع النفس من اتِّباع الشهوات، والتحرُّز عن الفضلات.

وأما العادةُ: فلأنها كالطبيعة للإنسان؛ ولذلك يُقال: العادةُ طبعٌ ثان. وهى قوةٌ عظيمة فى البدن، حتى إن أمرًا واحدا إذا قيس إلى أبدان مختلفة العادات: كان

مختلفَ النسبة إليها؛ وإن كانت تلك الأبدانُ متفقةً في الوجوه الأُخرى. مثالُ ذلك: أبدانٌ ثلاثة حارة المزاج في سن الشباب، أَحدُها عُوِّد تناوُلَ الأَشياء الحارة. والثاني: عُوِّد تناوُلَ الأَشياء الباردة. والثالث: عوِّد تناول الأَشياء المتوسطة. فإن الأَول متى تناول عسلا: لم يُضرَّ به. والثاني متى تناوله: أَضرَّ به. والثالث: يُضر به قليلا. فالعادةُ ركنٌ عظيم في حفظ الصحة، ومعالجة الأَمراض. ولذلك جاءَ العلاجُ النبويُّ بإجراءِ كل بدن على عادته: في استعمال الأَغذية والأَدوية، وغير ذلك.

فصل في هديه ﷺ في تغذية المريض بألطف ما اعتاده من الأغذية

في الصحيحين من حديث عُرْوَةَ، عن عائشةَ: «**أنها كانتْ إذا ماتَ الميتُ من أهلِها، فاجتَمع لذلك النساءُ ثم تفرَّقْن إلا أَهلَها وخاصَّتَها، أَمرتْ ببُرْمةٍ من تَلبينة فطبختْ، ثم صُنع ثريدٌ، فصُبت التلبينةُ عليها؛ ثم قالت: كُلْن منها، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: التلبينةُ مجمةٌ لفؤاد المريض، تَذهبُ ببعض الحزن**»(1).

وفي السنن، من حديث عائشةَ أيضًا، قالتْ: قال رسول الله ﷺ: «**عليكُمْ بالبغيضِ النافع، التَّلْبين**»(2)، قالت: «**وكان رسولُ الله ﷺ إذا اشتكى أَحدٌ من أهله: لم تَزلْ البُرْمةُ على النار، حتى ينتهيَ أَحدُ طرفَيْه**» يعني: يبرأ أَو يموت. وعنها: «**كان رسولُ الله ﷺ إذا قيل له: إن فلانًا وجعٌ لا يطعَمُ الطعام؛ قال: عليكُم بالتَّلْبينة فحُسُّوه إيّاها. ويقول: والذى نفْسى بيده، إنها تغسلُ بطنَ أَحدكم كما تَغسلُ إحداكُنَّ وجهَها من الوَسخ**»(3).

● **التلبينة**: (التلبين) هو الحساءُ الرقيق الذى هو فى قوَام اللبن؛ ومنه اشتُق اسمُه. قال الهرَويُّ: «سميتْ تلبينةً: لشَبهها باللبن، لبياضها ورقتها». وهذا الغذاء هو النافع للعليل؛ وهو الرقيق النضيج، لا الغليظ النِّيءُ. وإذا شئت أَن تعرف فضل

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في: ٧٦- كتاب الطب، (٨) باب التَّلبينة للمريض، ومسلم في: ٣٩- كتاب السلام، (٣٠) باب التلبينة مجمة لفؤاد المريض، حديث رقم (٩٠).

(والتلبينة): طعام يتخذ من دقيق وربما جعل فيها عسل، وقال أبو نعيم في الطب: هي دقيق بحت وقال قوم: فيه شحم. وقال الموفق البغدادي: هي الحساء ويكون في قوام اللبن. ويطلق عليها في بلاد الشام (الحريرة).

(2) أخرجه ابن ماجه في: ٣١- كتاب الطب (٥) باب التلبينة، حديث (٣٤٤٦).

(3) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٦: ٧٩، ١٥٢).

التَّلبينة: فاعرفْ فضل ماءِ الشعير؛ بل هى أَفضلُ من ماءِ الشعير لهم: فإنها حساءٌ متخذ من دقيق الشعير بنخالته. والفرق بينها وبين ماء الشعير: أنه يُطبخ صحاحًا، والتَّلبينة تُطبخ منه مطحونا. وهى أَنفع منه لخروج خاصيَّة الشعير بالطحن.

● **ماء الشعير وفوائده:** وقد تقدم أن للعادات تأْثيرًا فى الانتفاع بالأَدوية والأَغذية. وكانت عادةُ القوم أَن يتخذوا ماءَ الشعير منه مطحونا، لا صَحاحا. وهو أَكثرُ تغذيةً، وأَقوى فعلاً، وأَعظمُ جلاءً، وإِنما اتخذه أَطباءُ المدن منه صحاحًا: ليكونَ أَرقَّ وأَلطفَ؛ فلا يَثقُل على طبيعة المريض. وهذا بحسب طبائع أَهل المُدن ورَخاوتِها وثِقلِ ماءِ الشعير المطحون عليها.

والمقصودُ: أَن ماءَ الشعير مطبوخا صَحاحًا، ينفذُ سريعًا، ويجلو جلاءً ظاهرا، ويُغذى غذاءً لطيفًا. وإِذا شُرب حارًّا: كان إِجلاؤُه أَقوى، ونفوذُه أَسرعَ، وإِنْماؤُه للحرارة الغريزية أَكثر، وتلميسُه لسطوح المعدة أَوفقَ.

وقولُه ﷺ فيها: «**مجمةٌ لفؤاد المريض**»، يُروى بوجهين: بفتح الميم والجيم، وبضم الميم وكسر الجيم. والأَول أَشهر. ومعناه: أَنها مريحةٌ له، أَى تُريحُه وتسكِّنُه. من «**الإِجْمام**» وهو: الراحة.

وقوله: «**ويَذهبُ ببعض الحُزْن**»، هذا والله أعلم: لأَن الغم والحزن يَبرُدان المزاج، ويُضعفان الحرارةَ الغريزية: لميلِ الروح الحامل لها إِلى جهة القلب، الذى هو منشؤها. وهذا الحساء يُقوِّى الحرارة الغريزية: بزيادته فى مادتها؛ فتزيل أَكثرَ ما عرض له: من الغم والحزن.

وقد يقال -وهو أَقربُ-: إِنها تَذهبُ ببعض الحزن، بخاصيَّةٍ فيها من جنس خواصِّ الأَغذية المفرحة. فإِن من الأَغذية ما يُفرِّح بالخاصية. والله أعلم.

وقد يقال: إِن قُوى الحزين تَضعفُ باستيلاءِ اليُبْس على أَعضائه، وعلى معدته خاصةً، لتقليل الغذاء. وهذا الحساء يُرطبها ويقويها ويغذيها، ويفعل مثل ذلك بفؤاد المريض. لكن المريض كثيرا ما يجتمع فى معدته خَلْطٌ مرَارىٌّ أَو بَلغَمىٌّ أَو صديدىٌّ؛ وهذا الحساءُ يَجلو ذلك عن المعدة ويسْرُوه، ويحْدُره ويُميعُه، ويعدِّل كيفيتَه، ويَكسر سوْرته - فيُريحها؛ ولا سيما لمَن عادتُه الاغتذاءُ بخبز الشعير. وهو عادة أَهل المدينة إِذ ذاك. وكان هو غالبَ قوتِهم، وكانت الحنطة عزيزة عندهم. والله أَعلم.

فصل فى هديه ﷺ فى علاج السم
الذى أصابه بخيبر من اليهود

ذكر عبد الرزَّاق – عن مَعْمَر، عن الزُّهرى، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك–: «**أن امرأةً يهوديةً أهدتْ إلى النبىِّ ﷺ شاةً مصْليَّة بخَيْبَرَ فقال: ما هذا؟ قالتْ: هديَّةٌ. وحَذِرَتْ أن تقولَ: من الصَّدَقة؛ فلا يأكُل منها(1). فأكل منها النبىُّ ﷺ، وأكل الصَّحابةُ. ثُم قال: أَمسكُوا. ثم قال للمرأة: هل سمَّمت هذه الشاةَ؟ قالتْ: منْ أخبَرك بهذا؟ قال: هذا العظمُ – لساقها وهو فى يده – قالتْ: نعمْ. قال: لمَ؟ قالتْ: أَردتُ إن كنتَ كاذبًا: أن يستريح منك الناسُ؛ وإن كنتَ نبيًّا: لم يَضرَّك. قال: فاحتَجم النبىُّ ﷺ ثلاثةً على الكاهلِ(2)، وأَمَر أَصحابه أن يحتجمُوا؛ فاحتَجَموا فمات بعضُهم**»(3).

وفى طريق أخرى: «**واحتَجَم رسولُ الله ﷺ على كاهله، من أجْلِ الذى أكَل: من الشَّاة. حجمه أبو هند بالقَرْن والشَّفْرة – وهو مولًى لبَنى بيَاضةَ من الأنصار – وبقَى بعد ذلك ثلاثَ سنين، حتى كان وجعُه الذى تُوفِّى فيه، فقال: ما زلتُ أجدُ من الأُكْلة التى أكلتُ من الشاة يوم خَيْبرَ، حتى كان هذا أوانَ انْقطَاعِ الأَبْهَر منِّى. فتُوفِّى رسول الله ﷺ شهيدًا**»(4).

● **علاج السم:** قال موسى بن عُقبةَ: معالجةُ السُّم تكون بالاستفراغات، وبالأدوية التى تُعارض فعل السمِّ وتُبطله: إما بكيفياتها، وإما بخواصها. فمن عَدم الدواءَ: فليبادرْ إلى الاستفراغ الكُلِّى. وأنفعُه الحجامةُ لا سيَّما. إذا كان البلدُ حارًّا، والزمانُ حارًّا. فإنَّ القوةَ السُّمِّيةَ تَسْرى إلى الدَّم، فتَنبعثُ فى العروق والمجارى حتى تصل إلى القلب، فيكون الهلاكُ. فالدمُ هو المنفذ الموصل للسم إلى القلب والأعضاء. فإذا بادر

---

(1) كان صلى الله عليه وسلم يأكل الهدية ويشرك فيها أصحابه أما الصدقة فقد كانت لفقراء المسلمين ومن تجوز له أخذ الصدقة. والشاة المصلية: هى المشوية.

(2) الكاهل من الإنسان ما بين كتفيه أو موصل العنق من الصلب.

(3) فتح الباري (٤٩٧:٧) مختصرًا «لما فُتحَتْ خَيْبر أُهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاةٌ فيها سُمٌّ» كما أخرجه البخاري مطوّلا في: ٥٨- كتاب الجزية (٧) باب إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يُعفى عنهم. فتح الباري (٢٧٢:٦).

(٤) أخرجه البخاري في: ٦٤- كتاب المغازي (٨٣) باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته.

المسمومُ وأَخرج الدم: خَرجتْ معه تلكَ الكيفية السُّمية التى خالطتْه. فإن كان استفراغًا تامًا: لم يَضرَّه السُّم، بل: إما أن يذهب، وإما أن يَضْعُفَ فتقوى عليه الطبيعة، فتبطلُ فعلَه أو تُضْعفه.

ولَمّا احتَجم النبىُّ ﷺ: احتَجم فى الكاهل - وهو أَقربُ المواضع التى تمكن فيها الحجامة، إلى القلب - فخرجتْ المادةُ السُّمية مع الدم: لا خُروجًا كُليًا؛ بل بقىَ أَثرُها مع ضعفه. لما يُريد الله سبحانه: من تكميلِ مراتبِ الفضل كلِّها له.

● **إكرامه ﷺ بالشهادة:** فلمَّا أَراد الله إكرامه بالشهادة: ظهر تأْثيرُ ذلك الأَثر الكامن من السم، ليَقضىَ الله أَمرًا كان مفعولا؛ وظهر سرُّ قوله تعالى لأَعدائه من اليهود: ﴿ **أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ** ﴾ **(البقرة: ٨٧)**، فجاءَ بلفظ «كَذَّبتم» بالماضى الذى قد وقع منه وتحقق، وجاءَ بلفظ «تَقتُلون» بالمستقبل الذى يتوقَّعونه وينتظرونه. والله أعلم.

فصل في هديه ﷺ فى علاج السحر الذى سحرته اليهود

قد أَنْكر هذا طائفَةٌ من الناسِ، وقالوا: لا يجوزُ هذا عليه؛ وظَنوه نقصًا وعيبًا. وليس الأَمرُ كما زعموا بل هو من جِنْسِ ما كان يعْتَريه ﷺ: من الأَسقام والأَوجاعِ وهو مرضٌ من الأَمْراضِ، وإصابتهُ به كإِصابته بالسُّم: لا فرقَ بينهما.

وقد ثبتَ فى الصَّحيحين، عن عائشةَ رضىَ الله عنها، أَنها قالت: «**سُحِر رسولُ الله ﷺ، حتَّى إنْ كانَ لَيُخَيَّلُ إليه أنه يأتى نساءَه، ولم يأْتِهنَّ**»[1]. وذلك أَشدُّ ما يكون من السحر.

● **هل يجوز عليه ﷺ أن يُسحر:** قال القاضى عِيَاض[2]: «والسِّحْرُ مرضٌ من الأَمْراضِ، وعارضٌ من العلل، يجوزُ عليه ﷺ كأَنواع الأَمراضِ، ممَّا لا يُنكَرُ ولا يقدَحُ فى نُبُوَّته، وأمَّا كَوْنُهُ يُخيَّل إليه أنَّه فعلَ الشىءَ ولم يَفْعله، فليس فى هذا ما يُدخلُ عليْه داخلةً فى شىءٍ من صِدْقِه، لقيامِ الدليلِ والإجماعِ على عِصْمته من هذا. وإنَّما

---

(١) الحديث بتمامه في صحيح البخاري، والنووي على مسلم (٥:٣٥). وقد أورد القاضي عياض الحديث مختصرًا كما أورده المصنف، وعلق عليه في شرح الشفاء (٢:٣٢٢) وأخرجه أيضا الإمام أحمد في «مسنده» (٦:٥٠، ٩٦).

(٢) القاضي عياض بن موسى السبتى (٠٠-٥٤٤) هـ.

هذا فيما يجوز طُرُوُّهُ عليه فى أَمْرِ دُنْياه التى لم يُبعثْ لسببها، ولا فُضِّل من أَجلها، وهو فيها عُرضةٌ للآفاتِ كسائرِ البشرِ. فغيرُ بعيد: أَنَّهُ يُخيَّلُ إليه من أُمورها ما لا حقيقةَ له، ثم ينجلى عنه كما كان».

● **علاج السحر باستخراجه:** والمقصودُ ذِكْرُ هدْيِه فى علاجِ هذا المرض. وقد رُوِىَ عنه نوعان: **(أحدهما)** -وهو أَبلغُهما-: استخراجُه وتبطيلُه؛ كما صحَّ عنه ﷺ: «**أنه سأَل ربَّه سبحانه فى ذلك، فدُلَّ عليه. فاستَخْرَجه من بئر. فكان فى مشْطٍ ومُشَاطَة، وجُفِّ طَلْعة ذَكَر. فلمَّا استَخرَجه: ذهب ما به حتى كأَنَّما نَشطَ من عقال**»[1] فهذا من أَبلغ ما يُعالَجُ به المطْبُوب. وهذا بمنزلة إزالة المادة الخبيثة وقلْعِها من الجسد بالاستفراغ.

● **علاج السحر بالاحتجام: (والنوع الثانى)** الاستفراغُ فى المحل الذى يَصلُ إليه أذى السِّحر. فإن للسحرِ تأْثيرًا فى الطبيعة وهيجان أَخْلاطها، وتشويشِ مزاجها؛ فإذا ظهر أَثرُه فى عضوٍ، وأَمكن استفراغُ المادة الرديئة من ذلك العضو: نفَع جدًّا.

وقد ذكر أبو عُبيد فى كتاب «غريب الحديث»[2] له - بإسناده عن عبد الرحمن ابن أبى لَيْلَى -: «**أَن النبىَّ ﷺ احْتَجم على رأْسه بقَرْن حين طُبَّ**»[3] قال أَبو عُبيد: «معنى (طُبَّ) أى: سُحر».

وقد أَشكل هذا على من قلَّ علمُه، وقال: ما للحجامة والسحرِ؟ وما الرابطةُ بين هذه الداءِ وهذا الدواءِ؟ ولو وَجد هذا القائلُ أَبقراطَ أَو ابن سينا أَو غيرَهما قد نَصَّ على هذا العلاج -: لتَلقَّاه بالقبول والتسليم؛ وقال: قد نَص عليه من لا نَشكُّ فى معرفته وفضله.

---

(١) المُشَاطةُ: الشعر الذى يسقط من الرأس واللحية عند التسريح بالمشط، والجُفُّ: وعاء طلع النخل وهو الغشاء الذى يكون عليه.

(٢) هو أبو عبيد القاسم بن سلام (١٥٠-٢٢٢)، الفقيه، المحدث، المقرئ، ولد بهراة وأخذ عن أبى زيد الأنصاري، والأصمعي، وغيره من البصريين، وأخذ عن ابن الأعرابي، والفراء، والكسائي... وغيرهم من الكوفيين. وقد صنف أبو عبيد: الغريب المصنف، غريب الحديث، معاني القرآن، غريب القرآن، الناسخ والمنسوخ، فضائل القرآن وغيرها.

(٣) قرن: اسم موضع، وقيل هو قرن ثور جعل كالمحجنة، وقرن البقرة، وشاة قرناء وقرنا الرأس: فوداه أى: ناحيتاه. الفائق ٣-١٨٢، المغرب ٢-١١٨. والحديث أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٥:١٩)، وأبو داود في الديات، والدارمي في المقدمة.

فاعلم أن مادة السحر الذى أُصيب به النبىُّ ﷺ، انتهت إلى رأسه: إحدى قُواه التى فيه؛ بحيث كان يخيَّل إليه أنه يفعل الشىءَ ولم يفعله. وهذا تصرُّف من الساحر فى الطبيعة والمادة الدموية: بحيث غَلبت تلك المادة على البطن المقدم منه، فغيرت مزاجه عن طبيعته الأَصلية.

والسحر مركَّبٌ من تأْثيرات الأَرواح الخبيثة، وانفعال القوى الطبيعية عنها. وهو سحر التمريجات. وهو أَشدُّ ما يكون من السحر، ولا سيَّما فى الموضع الذى انتهى إليه السحر. واستعمالُ الحجامةِ على ذلك المكان – الذى تضَررت أفعاله بالسحر – من أَنفع المعالجة: إذا استعملت على القانون الذى ينبغى. قال أَبقراطُ: «الأَشياءُ التى ينبغى أن تستفرغ يجب أن تُستفرغ من المواضع التى هىَ إليها أَميلُ، بالأَشياء التى تصلح لاستفراغها».

وقالت طائفة من الناس: إن رسولَ الله ﷺ لَمَّا أُصيبَ بهذا الداء، وكان يخيَّل إليه أنه فعل الشىءَ ولم يفعله –: ظَن أن ذلك عن مادة دموية أَو غيرها، مالت إلى جهة الدماغ، وغلبت على البطن المقدم منه، فأَزالت مزاجه عن الحالة الطبيعية. وكان استعمالُ الحجامة – إذا ذاك – من أَبلغ الأَدوية، وأَنفع المعالجة؛ فاحْتَجَمَ. وكان ذلك قبل أن يُوحىٰ إليه: أَن ذلك من السحر: فلما جاءَه الوحىُ من الله تعالى، وأَخبره أنه قد سُحر –: عدل إلى العلاج الحقيقىِّ، وهو استخراجُ السحر وإبطاله، فسأَل الله سبحانه: فدلَّه على مكانه، فاستخرجه. فقام كأَنما نُشطَ من عِقال. وكان غاية هذا السحر فيه إنما هو فى جسده وظاهر جوارحه، لا على عقله وقلبه، ولذلك لم يكن يعتقد صحة ما يخيل إليه: من إتيان النساءِ؛ بل يعلم أنه خيال لا حقيقة له. ومثل هذا قد يحدث من بعض الأَمراض. والله أعلم.

● **الأدوية الإلهية من أنجح أنواع علاج السحر (فصل)**: ومن أنفع علاجات السِّحر: الأَدوية الإِلهية؛ بل هى أدويته النافعة بالذات. فإنه من تأْثيرات الأَرواح الخبيثة السِّفْلية. ودفع تأْثيرها يكون بما يعارضها ويقاومها: من الأَذكار والآيات والدعوات، التى تُبطل فعلها وتأْثيرها. وكلما كانت أقوى وأَشد: كانت أبلغ فى النُّشرة. وذلك بمنزلة التقاء جيشين: مع كلٍّ واحد منهما عدته وسلاحه؛ فأَيُّهما غلب الآخر: قهره وكان الحكم له. فالقلب إذا كان ممتلئًا من الله، مغموراً بذكره – وله من التوجُّهات

والدعوات، والأذكار والتعوُّذات؛ وِرْدٌ لا يخل به يطابق فيه قلبه لسانه- : كان هذا من أعظم الأسباب التى تمنع إصابة السحر له، ومن أعظم العلاجات له بعد ما يصيبه.

وعند السَّحَرَة: أنَّ سحرَهم إنما يتم تأثيره فى القلوب الضعيفة المنفعلة، والنفوس الشهوانية التى هىَ معلقةٌ بالسُّفليات. ولهذا غالب ما يؤثِّر: فى النساء والصبيان، والجهال وأهل البوادى، ومن ضعُفَ حظُّه من الدينِ والتوكلِ والتوحيد، ومن لا نصيبَ له من الأَوْرادِ الإلهيةِ، والدعواتِ والتعوُّذاتِ النبوية. وبالجملة: فسلطانُ تأْثيره فى القلوب الضعيفة المنفعلة، التى يكون ميلُها إلى السُّفليات.

قالوا: والمسحورُ هو الذى يعين على نفسه، فإنا نجد قلبه متعلقًا بشىءٍ، كثير الالتفات إليه؛ فيتسلطُ على قلبه بما فيه: من الميل والالتفات. والأرواح الخبيثة إنما تتسلط على أرواح تلقاها مستعدةً لتسلُّطِها عليها، بميْلها إلى ما يناسب تلك الأَرواح الخبيثة؛ وبفراغها من القوة الإلهية، وعدم أخذها للعدة التى تحاربها بها، فتجدها فارغة لا عدة معها، وفيها ميلٌ إلى ما يناسبها، فتسلط عليها، ويتمكن تأْثيرها فيها بالسحر وغيره. والله أعلم.

فصل فى هديه ﷺ فى الاستفراغ بالقىء

روى الترمذىُّ فى جامعه - عن مَعْدان بن أبى طلحةَ، عن أَبى الدَّرْداء: «**أن النبىَّ ﷺ قاءَ فتوضأَ. فلقيتُ ثَوْبان فى مسجد دمشق، فذكرتُ له ذلك. فقال: صَدَقَ، أنا صببْتُ له وَضُوءَه**»[1]. قال الترمذىُّ: وهذا أصح شىءٍ فى الباب.

● **القىء أحد الاستفراغات الخمسة:** القىءُ أَحدُ الاستفراغات الخمسة التى هىَ أُصولُ الاستفراغ؛ وهى الإسهالُ، والقىءُ، وإخراجُ الدَّم، وخروجُ الأَبخرةِ، والعَرق. وقد جاءَت بها السنة.

أما الإسهال، فقد مرَّ فى حديث: «**خيرُ ما تداويتم به المشىُّ**» وفى حديث السنَّا.

وأما إخراجُ الدمِ، فقد تقدم فى أحاديث الحجامة.

وأما استفراغ الأَبخرة، فنذكره عُقَيْب هذا الفصل إن شاءَ الله تعالى.

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الطهارة، (باب) ما جاء فى الوضوء من القيء والرُّعاف، حديث (٨٧).

وأما الاستفراغ بالعَرق، فلا يكون غالبًا بالفصْدِ، بل بدفع الطبيعة له إلى ظاهر الجسد، فتصادف المسامَّ مفتَّحةً، فيخرج منها.

● **القيء ونوعاه:** والقيءُ: استفراغٌ من أعلى المعدة، والحقنة من أسفلها، والدواءُ من أعلاها وأسفلها. والقيءُ نوعان: نوعٌ بالغلبة والهيجان، ونوعٌ بالاستدعاء والطلب. فأما الأَولُ: فلا يسوغ حبْسه ودفعه إلا إذا أَفرطَ وخيفَ منه التلف. فيُقطع بالأَشياء التى تمسكه. وأما الثانى: فأنفعه عند الحاجة: إذا رُوعى زمانه وشروطه التى تذكر.

● **أنواع القيء العشرة:** وأَسباب القيء عشرةٌ. **(أحدها):** غَلَبةُ المِرَّة الصفراء، وطُفوُّها على رأس المعدة؛ فتطلب الصعود.

(الثانى): من غلبةِ بلغمٍ لَزجٍ قد تحركَ فى المعدة، واحتاج إلى الخروج.

(الثالث): أن يكونَ من ضعف المعدة فى ذاتها، فلا تهضم الطعام فتقذفه إلى جهة فوق.

(الرابع): أن يخالطها خلط ردىءٌ ينصبُّ إليها، فيسىء هضمها ويضعف فعلها.

(الخامس): أن يكون من زيادة المأْكول أَو المشروب على القدر الذى تحتمله المعدة. فتعجز عن إمساكه. فتطلب دفعه وقذفه.

(السادس): أن يكون من عدمِ موافقةِ المأكولِ والمشروبِ لها. وكراهتها، فتطلب دفعهُ وقذفهُ.

(السابع): أن يحصل فيها ما يثوِّرُ الطعام بكيفيته وطبيعته، فتقذف به.

(الثامن): القرف، وهو موجِب غَثيانِ النفس وتَهَوُّعِها.

(التاسع): من الأَعراض النفسانية، كالهمِّ الشديدِ والغمِّ والحزن، وغلبةِ اشتغالِ الطبيعة والقوى الطبيعية به، واهتمامها بوروده، عن تدبير البدن وإصلاح الغذاءِ وإنضاجه وهضمه، فتقذفه المعدة. وقد يكون لأَجل تحرُّك الأَخلاط عند تخبُّط النفس. فإن كل واحد من النفس والبدن ينفعل عن صاحبه، ويؤثر كيفيته فى كيفيته.

(العاشر): نقل الطبيعة: بأن يرى من يتقيأ فيغلبه هو القيء من غير استدعاءٍ. فإن الطبيعة نقَّالة.

وأخبرني بعض حُذَّاق الأطباء، قال: كان لي ابن أخت حَذَق في الكَحْل. فجلس كحَّالا. فكان إذا فتح عين الرجل، ورأى الرمد وكحله: رمد. وتكرر ذلك منه، فترك الجلوس. قلت له: فما سبب ذلك؟ قال: نقل الطبيعة، فإنها نقَّالة. قال: وأعرف آخر كان رأى خراجًا في موضع من جسم رجل يحكُّه، فحك هو ذلك الموضع، فخرجت فيه خُراجة.

قلت، وكلُّ هذا لا بد فيه من استعداد الطبيعة؛ وتكون المادة ساكنةً فيها غير متحركة؛ فتتحرك لسبب من هذه الأسباب. فهذه أسباب لتحرك المادة؛ لا أنها هي الموجبة لهذا العارض.

• **بين القيء والإسهال (فصل)،** ولما كانت الأخلاط في البلاد الحارة والأزمنة الحارة. تَرِق وتنجذب إلى فوق-: كان القيءُ فيها أنفع. ولما كانت في الأزمنة الباردة والبلاد الباردة، تغلظ ويصعب جذبها إلى فوق-: كان استفراغها بالإسهال أنفع.

وإزالة الأخلاط ودفعها يكون بالجذب والاستفراغ. والجذب يكون من أبعد الطرق، والاستفراغ من أقربها. والفرق بينهما: أن المادة إذا كانت عاملة في الانصباب أو الترقي، لم تستقر بعد، فهي محتاجة إلى الجذب، فإن كانت متصاعدة: جذبت من أسفل، وإن كانت منصبةً: جذبت من فوق. وأما إذا استقرت في موضعها: استفرغت من أقرب الطرق إليها.

فمتى أضرت المادة بالأعضاء العليا: اجتذبت من أسفل؛ ومتى أضرت بالأعضاء السفلى: اجتذبت من فوق؛ ومتى استقرت: استفرغت من أقرب مكان إليها.

ولهذا احتجم النبيُّ ﷺ على كاهله تارةً، وفي رأسه أُخرى، وعلى ظهر قدمه تارة. فكان يستفرغ مادة الدم المؤذى من أقرب مكان إليه. والله أعلم.

• **من فوائد القيء (فصل)،** والقيءُ يُنقِّي المعدةَ ويقويها، ويُحد البصر، ويزيل ثقل الرأس، وينفع قروح الكلَى والمثانة، والأمراض المزمنة: كالجذام والاستسقاء والفالج والرَّعشة. وينفع اليَرَقان.

وينبغي أن يستعمله الصحيح في الشهر مرتين متواليتين، من غير حفظ دور، ليتداركَ الثاني ما قصر عنه الأول، وينقي الفضلات التي انصبت بسببه. والإكثارُ منه يَضر المعدة ويجعلها قابلة للفضول، ويُضر بالأسنان والبصر والسمع وربما صدع عرقًا.

ويجب أن يجتنبه من به ورمٌ فى الحلق، أَو ضعفٌ فى الصدر؛ أَو دُقيقُ الرقبة، أَو مستعدٌ لنَفْث الدم، أَو عَسِرُ الإجابة له.

• **من مضار القىء:** وأمَّا ما يفعله كثير من سيئى التدبير – وهو أن يمتلىءَ من الطعام ثم يَقذِفَه –: ففيه آفاتٌ عديدة؛ منها: أنه يُعجل الهَرم، ويُوقع فى أمراض رديئة، ويجعل القىء له عادة.

والقىءُ مع اليبُوسة وضعفِ الأحشاء، وهُزالِ المَراقِّ، أَو ضعفِ المُسْتقىء – خطرٌ. وأَحمدُ أَوقاته الصيف والربيع، دون الشتاء والخريف. وينبغى عند القىء: أن يُعصِّبَ العينين، ويقمُطَ البطن، ويغسلَ الوجه بماء بارد عند الفراغ؛ وأن يشرب عقبه شراب التفاح مع يسير من مصطكى. وماءُ الورد ينفعه نفعًا بينا. والقىءُ يستفرغ من أعلى المعدة، ويجذب من أسفل. والإسهال بالعكس. قال أبقراط: «وينبغى أن يكون الاستفراغ فى الصيف من فوق، أكثر من الاستفراغ بالدواء؛ وفى الشتاء من أسفل».

فصل فى هديه ﷺ فى الإرشاد إلى معالجة أَحْذَق الطَّبِيبيْن

ذكر مالك فى موطئه – عن زيد بن أَسلَم–: «**أَن رجلاً فى زمن رسول الله ﷺ جُرح، فاحتَقَن الدمُ. وأن الرجلَ دعا رجُلَيْن من بنى أنْمار، فنَظَرا إليه، فزَعَم أنَّ رسول الله ﷺ، قال لهما: أَيُّكما أطبُّ؟ فقالا: أَوَفي الطب خيرٌ يا رسولَ الله؟! فقال: أنزَلَ الدواءَ الذى أنزل الداءَ**».

• **ينبغى الاستعانة بالأحذق:** ففى هذا الحديث: أنه ينبغى الاستعانة، فى كل علم وصناعة، بأَحذق مَن فيها فالأَحذق، فإنه إلى الإصابة أَقرب. وهكذا: يجب على المستفتى أَن يستعين على ما نَزل به، بالأَعلم فالأَعلم، لأَنه أَقربُ إصابةً ممَّن هو دونَه. وكذلك: من خفيتْ عليه القبلة، فإنه يقلدُ أَعلم من يَجدُه. وعلى هذا فَطَر الله عبادَه. كما أن المسافر فى البر والبحر: إنَّما سكون نفسه وطمأنينته إلى أَحْذق الدليلَيْن وأَخبَرهما؛ وله يَقصدُ، وعليه يعتمدُ. فقد اتفقتْ على هذا الشريعة والفطرة والعقل.

• **أمره ﷺ بالدواء:** وقوله ﷺ: «**أَنزل الدواءَ الذى أَنزَل الداءَ**»، قد جاءَ مثله

عنه فى أحاديثَ كثيرةٍ. فمنها: ما رواه عمرو بن دينارٍ عن هلال بن يَساف، قال: «**دخل رسول الله ﷺ، على مريض يعودُه، فقال: أَرسلوا إلى طبيبٍ فقال قائلٌ: وأنتَ تقول ذلك يا رسولَ الله؟! قال: نعمْ، إن الله عز وجل لم يُنزِلْ داءً، إلاَّ أَنزلَ له دواءً**» وفى الصحيحين – من حديث أبى هريرةَ، يرفعه –: «**ما أَنزَلَ اللهُ من داءٍ، إلا أَنزَل له شفاءً**» وقد تقدم هذا الحديث وغيره.

● **إنزال الداء والدواء:** واختُلف فى معنى إنزال الداءِ والدواءِ؛ فقالت طائفةٌ: إنزالُه إعلامُ العبادِ به. وليس بشيء. فإن النبيَّ ﷺ أَخبرَ بعموم الإنزال لكل داءٍ ودوائه؛ وأَكثرُ الخلق لا يعلمون ذلك. ولهذا قال: «**علمه مَن عَلمه، وجهلَه من جهله**».

وقالت طائفةٌ: إنزالُهما خلْقُهما ووضْعهما فى الأَرض؛ كما فى الحديث الآخر: «**إن الله لم يَضعْ داءً، إلاَّ وضَع له دواءً**». وهذا وإن كان أَقرب من الذى قبله – فلَفْظَةُ «الإنزال» أَخصُّ من لفظة «الخلق» و«الوضع» فلا ينبغى إسقاطُ خصوصية اللفظة، بلا موجِب.

وقالت طائفةٌ: إنزالُهما بواسطةِ الملائكة الموكَّلين بمباشرة الخلق: من داءٍ ودواءٍ، وغير ذلك. فإن الملائكة موكلةٌ بأَمر هذا العالم، وأَمر النوعِ الإنسانيِّ من حين سقوطه فى رَحِم أُمِّه إلى حين موته. فإنزالُ الداءِ والدواءِ مع الملائكة. وهذا أَقرب من الوجهين قبله.

وقالت طائفةٌ: إن عامة الأَدواء والأَدوية هى بواسطة إنزال الغيث من السماء، الذى تَتولد به الأَغذيةُ والأَقواتُ، والأَدويةُ والأَدواءُ، وآلات ذلك كله، وأَسبابُه ومكمِّلاتُه؛ وما كان منها من المعادن العُلوية: فهى تَنزل من الجبال؛ وما كان منها – من الأدوية والأَنهار والثمار – فداخلٌ فى اللفظ على طريق التغليب والاكتفاء عن الفعلين بفعل واحد يتضمنها. وهو معروف من لغة العرب بل وغيرها من الأُمم. كقول الشاعر:

علفْتُها تبْناً وماءً بارداً ... حَتَّى غَدتْ همَّالَةً، عيْنَاها(1)

وقال الآخر:

---

(1) الأصل علفتها تبنا وسقيتها ماء لأن الماء لا يُعلف بل يُشرب.

ورأيْــــتُ زَوْجَـــــك قَـــدْ غَـــدَا مُـتَـــقلداً ســـيْــفًـــا ورُمْـــحَـــا[1]

وقال الآخر: * **وزَجَّـجْن الْحَـوَاجِبَ والْعُـيُـونا**[2] * وهذا أحسنُ مما قبله من الوجوه والله أعلم.

● **نزول الداء من رحمته بعباده:** وهذا من تمام حكمة الرب عز وجل، وتمام ربوبيته، فإنه كما ابتلى عباده بالأدواء، أعانهم عليها بما يسَّره لهم: من الأدوية. وكما ابتلاهم بالذنوب. أعانهم عليها بالتوبة. والحسنات الماحية، والمصائب المكفِّرة. وكما ابتلاه بالأرواح الخبيثة -: من الشياطين - أعانهم عليها بجند من الأرواح الطيبة؛ وهم: الملائكة. وكما ابتلاهم بالشهوات، أعانهم على قضائها بما يسَّره لهم شرعًا وقدْرًا: من المشتهيات اللذيذة النافعة. فما ابتلاهم سبحانه بشيء، إلا أعطاهم ما يستعينون به على ذلك البلاء، ويدفعونه به. ويبقى التفاوت بينهم: في العلم بذلك، والعلم بطريق حصوله، والتوصل إليه. وبالله المستعان.

فصل في هديه ﷺ في تضمين من طَبَّ الناس وهو جاهلٌ بالطِّب

روى أبو داود، والنسائيُّ، وابنُ ماجه - من حديث عمرو بن شُعيب، عن أبيه، عن جده - قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تطبَّبَ - ولم يُعلَم منه الطِّبُّ قبل ذلك: فهو ضامن**»[3].

● **معنى الطب لغة**: هذا الحديث يتعلق به ثلاثة أُمور: أمرٌ لُغوى، وأَمرٌ فقهى، وأَمرٌ طبى.

فأما اللغوى، فالطِّبُّ (بكسر الطاء) فى لغة العرب، يقال على معانٍ (منها): الإصلاح. يقال: طببته، إذا أصلحته. ويقال: له طِبٌّ بالأُمور؛ أى: لُطفٌ وسياسة.

قال الشاعر:

وإذا تغــيَّـــرَ مِـــنْ تميم أمــرُها كنت الطــبــيب لهـــا بــرأيٍ ثاقبِ

---

(١) والسيف هو الذى يتقلد والرمح يحمل وتقلد السيف علقه عليه.

(٢) الحواجب هى التى تزجج تدققها وتطولها وهذا عجز بيت وصدره: «**إذا ما الغانيات برزن يوماً**».

(٣) الحديث أخرجه أبو داود في الديات، باب فيمن طَبَّب بغير علم فأعنت، حديث (٤٥٨٦).

(ومنها): الحذق. قال الجوهريُّ: كل حاذقٍ طبيب عند العرب قال أبو عبيد: أَصل الطب: الحذق بالأَشياء، والمهارة بها. يقال للرجل طبٌّ وطبيب، إذا كان كذلك، وإن كان فى غير علاج المريض. وقال غيره رجل طبيبٌ، أى: حاذقٌ. سمى طبيبًا: لحذقه وفطْنته. قال علقمة:

فإنْ تسْأَلُونى بالنِّساء: فإنَّنى ... خَبيرٌ بأَدْوَاءِ النِّساءِ طَبيبُ
إذَا شابَ رأسُ الْمَرْءِ، أَوْ قَلَّ مالُهُ ... فلَيْسَ لَهُ فى وُدِّهِنَّ نَصيب

وقال عنترةُ:

إنْ تغْدِ فى دُونى الْقِنَاعَ: فَإنَّنى ... طَبٌّ بأخْذِ الْفَارِسِ الْمُسْتَلْئِم

أى: إن تُرخى عنى قناعك، وتَستُرى وجهك رغبةً عنى: فإنى خبيرٌ حاذقٌ بأَخذ الفارس الذى قد لبس لأَمة حربه.

(ومنها): العادة. يقال: ليس ذلك بطبِّى؛ أى: عادتى. قال: فَرْوَةُ بن مُسَيْك:

فَما إنْ طِبُّنَا جُبْنٌ، ولكِنْ ... مَنَايَانَا وَدَوْلَةُ آخَرِينَا

وقال أحمد بن الحسين[1]:

وما التِّيهُ طِبِّى فِيهِمُ غَيْرَ أَنَّنى ... بغيضٌ إلَىَّ الْجَاهِلُ الْمُتعَاقِلِ

(ومنها): السِّحر: يقال: رجل مطبوب؛ أى: مسحور.

وفى الصحيح – من حديث عائشة –: «**لَمَّا سحرت يهود رسول الله ﷺ، وجلس الملكان عند رأْسه وعند رجليه؛ فقال أَحدهما: ما بال الرجل؟ قال الآخر مطبوبٌ. قال: من طبَّه؟ قال: فلان اليهودىُّ**».

قال أَبو عبيد: إنما قالوا للمسحور: مطبوب، لأَنهم كنوْا بالطِّب عن السِّحر، كما كَنوْا عن اللَّديغ فقالوا: سليمٌ، تفاؤُلا بالسلامة وكما كنَوْا بالمفازة عن الفلاة المهلكة التى لا ماءَ فيها، فقالوا: مَفازةٌ، تفاؤُلاً بالفوز من الهلاك.

ويقال الطِّبُّ، لنفس الداء. قال ابن أَبى الأَسلت:

أَلاَ مَنْ مُبْلِغٌ حَسَّانَ عَنِّى ... أَسِحْرٌ كَانَ طِبُّكَ؟ أَمْ جُنُونُ؟

---

(١) يقصد المتنبى الشاعر.

وأما قول الحماسيِّ:

فإنْ كُنْتُ مطبوبًا: فلا زلْتُ هكذا وإن كنت مسحورًا فلا بَرِئَ السحرُ

فإنه أراد بالمطبوب: الذى قد سُحر؛ وأراد بالمسحور: العليلَ بالمرض، قال الجوهرى: «ويقال للعليل: مسحور»؛ وأنشد البيت. ومعناه: إن كان هذا الذى قد عرانى، منك ومن حبك، أسأل الله دوامه، ولا أريد زواله، سواءً كان سحرًا أو مرضًا.

● **الطب مثلث الطاء:** و «الطب» مثلثُ الطاء، فالمفتوح الطاء هو: العالم بالأُمور، وكذلك الطبيبُ يقال لــه: طَــبٌّ، أيضًا. و «الطِّب» بكسر الطــاء: فعلُ الطبيب. و «الطُّب» بضم الطاء: اسم موضع. قاله ابن السِّكِّيت. وأنشد:

فَــقُلْتُ هلِ انهلْتُمْ بِطُبٍّ رِكَــابَكُـم بِحَــائِزَةِ المــاءِ التى طاب طِينُهَــا؟

● **طَبَّ وتَطبَّبَ:** وقوله ﷺ: «**من تطَبَّب**» ولم يقل: من طبَّ لأن لفظ التـفـعل يدل على تكلُّف الشيءَ والدخول فيه بعسر وكلفة، وأنه ليس من أهله. كتَحلم، وتشجَّع، وتصبر، ونظائرها. وكذلك بنوا «تكلَّف» على هذا الوزن قال الشاعر:

* وقيسَ عَيلانَ ومن تَقَيَّسا *

● **ما يتعلق بالطب من الأمور الشرعية:** وأما الأَمر الشرعيُّ: فإيجاب الضمان على الطبيب الجاهل. فإذا تعاطى علم الطب وعمله، ولم يتقدم له به معرفة –: فقد هَجم بجهله على إتلاف الأنفس، وأقدم بالتهور على ما لم يعلمه. فيكون قد غرَّر بالعليل. فيلزمه الضمان لذلك. وهذا إجماع من أهل العلم.

قال الخطَّابيُّ: لا أعلم خلافا فى أَن المعالج إذا تعدَّى فتلف المريض: كان ضامنا؛ والمتعاطى علمًا أَو عملاً لا يعرفه، متعدٍّ. فإذا تولَّد من فعله التلف: ضمن الدية، وسقط عنه القَودُ. لأنه لا يستبدُّ بذلك بدون إذن المريض. وجنايةُ المُتطبب – فى قول عامة الفقهاء – على عاقلَته[1].

● **الأقسام الخمسة بالنسبة لضمان الطبيب ما أفسده وعدم ضمانه:** قلت: الأقسام خمسة؛ **(أحدها):** طبيب حاذق أعطى الصنعة حقها، ولم تجنِ يده؛ فتولَّد من فعله – المأذون من جهة الشارع، ومن جهة من يطبُّه – تلفُ العضو أَو النفس، أَو ذهابُ

---

(١) لأنه كالقتل الخطأ.

صفة. فهذا لا ضمان عليه اتفاقا: فإنها سرايةٌ مأذون فيه. وهذا كما إذا خَتَن الصبيَّ فى وقت، وسنُّه قابل للختان، وأعطى الصنعة حقَّها، فتلف العضو أو الصبيُّ: لم يضمن. وكذلك: إذا بطَّ (فتح خراجا) من عاقل أو غيره ما ينبغى بطُّه فى وقته، على الوجه الذى ينبغى، فتلف به: لم يضمن. وهكذا سراية كل مأذون فيه لم يتعدَّ الفاعل فى سببها: كسراية الحدِّ بالاتفاق، وسراية القصاص عند الجمهور، خلافا لأبى حنيفة رحمه الله: فى إيجابه للضمان بها. وسراية التعزير، وضرب الرجل امرأته، والمعلم الصبىَّ، والمستأجرِ الدابة، خلافا لأبى حنيفة والشافعى رحمهما الله: فى إيجابهما الضمان فى ذلك، واستثنى الشافعى رحمه الله ضربَ الدابة.

وقاعدة الباب -إجماعًا، ونزاعا-: أن سراية الجناية مضمونةٌ بالاتفاق، وسراية الواجب مُهدرةٌ بالاتفاق. وما بينهما ففيه النزاع: فأبو حنيفةَ رحمه الله أوجب ضمانه مطلقا، وأحمد ومالكٌ رحمهما الله أهدرا ضمانه، وفرق الشافعيُّ رحمه الله بين المقدَّر: فأهدر ضمانه؛ وبين غيرِ المقدَّر: فأوجب ضمانه. فأبو حنيفة رحمه الله: نظر إلى أن الإذن فى الفعل إنما وقع مشروطًا بالسلامة. وأحمد ومالك رحمهما الله: نظرا إلى أن الإذن أسقط الضمانَ. والشافعيُّ رحمه الله نظر إلى أن المقدَّر لا يمكن النقصان منه، فهو بمنزلة النصِّ. وأما غيرُ المقدر - كالتَّعزيرات، والتأديبات -: فاجتهاديةٌ، فإذا تلف بهما: ضمن لأنه فى مَظنة العدوان.

(فصل) القسمُ الثانى: متطِّببٌ جاهلٌ باشرت يدُه من يطُبُّه، فتلف به فهذا إن علم المجنيُّ عليه أنه جاهل لا علم له، وأذن له فى طبه-: لم يضمن ولا يخالف هذه الصورة ظاهرُ الحديث: فإن السِّياق وقوة الكلام يدلُّ على أنه غرَّ العليل، وأوهمه أنه طبيب، وليس كذلك.

وإن ظن المريض أنه طبيب. وأذن له فى طبه لأجل معرفته: ضمن الطبيبُ ما جنت يده. وكذلك: إن وصف له دواءً يستعمله، والعليل يظن أنه وصفه لمعرفته وحِذْقه فتلف به: ضمنه. والحديث ظاهر فيه أو صريح.

(فصل) القسم الثالث: طبيب حاذق أُذن له، وأعطى الصنعة حقها، لكنه أخطأت يده، وتعدت إلى عضو صحيح فأتلفه، مثل: أن سبقت يد الخاتن إلى الكمرة (رأس الذكر). فهذا يضمن: لأنها جناية خطأ. ثم إن كانت الثُّلث فما زاد: فهو على

عاقلَته. فإن لم يكن عاقلة: فهل تكون الدِّية فى ماله؟ أو فى بيت المال؟ على قولين هما روايتان عن أحمد.

وقيل: إن كان الطبيب ذِميا: ففي ماله؛ وإن كان مسلما: ففيه الروايتان.

فإن لم يكن بيت المال، أو تعذَّر تحميله: فهل تسقط الدِّية؟ أو تجب فى مال الجانى؟ فيه وجهان، أشهرهما: سقوطُها.

(فصل) القسم الرابع: الطبيب الحاذق الماهر بصناعته، اجتهد فوصف للمريض دواءً فأخطأ فى اجتهاده فقتله. فهذا يخرج على روايتين: **(إحداهما)** أن دية المريض فى بيت المال. **(والثانية):** أنها على عاقلة الطبيب. وقد نص عليهما الإمام أحمد فى خطأ الإمام والحاكم.

(فصل) القسم الخامس: طبيب حاذق أعطى الصنعةَ حقها، فقطع سِلْعةً (زيادة تحدث في الجسد قدر الحمصة) من رجل أو صبى أو مجنون، بغير إذنه أو إذن وليِّه، أو ختَن صبيا بغير إذن وليِّه، فتلف. فقال بعض أصحابنا: يضمن؛ لأنه تولَّد من فعلٍ غير مأذون فيه. وإن أذن له البالغ أو وليُّ الصبى والمجنون: لم يضمن.

ويحتمل: أن لا يضمن مطلقا؛ لأنه محسنٌ، وما على المحسنين من سبيلٍ. وأيضًا: فإنه إن كان متعدِّيا: فلا أثر لإذن الولى فى إسقاط الضمان، وإن لم يكن متعدِّيا: فلا وجه لضمانه.

فإن قلت: هو متعدٍّ عند عدم الإذن، غير متعدٍّ عند الإذن.

قلت: العدوان وعدمه إنما يرجع إلى فعله هو؛ فلا أثر للإذن وعدمه فيه وهذا موضع نظر.

● **من أنواع التطبيب (فصل):** والطبيب - فى هذا الحديث - يتناول: من يُطبه بوصفه وقوله؛ وهو الذى يُخص: باسم الطبائعى. وبمرْوَده، وهو؛ الكحَّال. وبمبضعه ومراهمه، وهو: الجرائحىُّ. وبموساه، وهو: الخاتن. وبريشته، وهو: الفاصد. وبمحاجمه ومشرطه، وهو: الحجَّام. وبخلعه ووصله ورباطه، وهو: المجبِّر. وبمكواته وناره، وهو: الكواءُ. وبقربته، وهو: الحاقن. وسواءٌ كان طبه لحيوان بهيمٍ أو إنسان، فاسم الطبيب يطلق لغةً على هؤلاءِ كلهم، كما تقدم وتخصيص الناس له ببعض أنواع الأطباء، عُرْفٌ حادث كتخصيص لفظ الدابة بما يخصُّها به كل قوم.

● **أمور يراعيها الطبيب الحاذق (فصل) والطبيب الحاذق هو:** الذى يراعى فى علاجه عشرين أمراً:

(أحدها): النظر فى نوع المرض: من أى الأمراض هو؟

(الثانى): النظر فى سببه: من أى شىءٍ حدث؟ والعلةُ الفاعلة التى كانت سبب حدوثه، ما هى؟.

(الثالث): قوة المريض، وهل هى مقاومة للمرض، أو أضعف منه؟ فإن كانت مقاومةً للمرض مستظهرة عليه: تركها والمرضَ، ولم يحركْ بالدواءِ ساكنا.

(الرابع): مِزاجُ البدن الطبيعى ما هو؟.

(الخامس): المزاجُ الحادث على غير المجرى الطبيعى.

(السادس): سنُّ المريض.

(السابع): عادتُه.

(الثامن): الوقت الحاضر من فصول السنة، وما يليق به.

(التاسع): بلدُ المريض وتربتهُ.

(العاشر): حال الهواء فى وقت المرض.

(الحادى عشر): النظر فى الدواءِ المضادِّ لتلك العلة.

(الثانى عشر): النظرُ فى قوة الدواء ودرجته والموازنة بينها وبين قوة المريض.

(الثالث عشر): أن لا يكون كلُّ قَصْده إزالةَ تلكَ العلةِ فقط، بل إزالتها على وجهٍ يأمن معه حدوث أصعب منها. فمتى كان إزالتُها لا يؤمن معها حدوث علةٍ أخرى أصعب منها: أبقاها على حالها؛ وتلطيفُها هو الواجب. وهذا كمرض أفواه العروق: فإنه متى عُولج بقطعه وحبسه، خيف حدوث ما هو أصعبُ منه.

(الرابع عشر): أن يعالج بالأسهل فالأسهل، فلا ينتقل من العلاج بالغذاءِ إلى الدواءِ، إلا عند تعذُّرِه؛ ولا ينتقل إلى الدواءِ المركب، إلا عند تعذرِ الدواءِ البسيط. فمن سعادة الطبيب: علاجه بالأغذية بدل الأدوية، وبالأدوية البسيطة بدل المركبة.

(الخامس عشر): أن ينظر فى العلة: هل هى مما يمكن علاجُها، أو لا؟ فإن لم يمكن علاجُها: حفظ صناعته وحُرمتَه، ولا يحمله الطمع على علاجٍ لا يفيد شيئا.

وإن أمكن علاجها، نظر: هل يمكن زوالها، أم لا؟ فإن علم أنه لا يمكن زوالها، نظر: هل يمكن تخفيفُها وتقليلُها؟ أم لا؟ فإن لم يمكن تقليلها، ورأى أن غاية الإمكان إيقافُها وقطع زيادتها: قصد بالعلاج ذلك، وأعان القوة، وأضعف المادة.

(السادس عشر): أن لا يتعرض للخلط قبل نضجه باستفراغ، بل يقصد إنضاجه، فإذا تم نضجُه: بادر إلى استفراغه.

(السابع عشر): أن يكون له خبرة باعتلال القلوب والأرواح وأدويتها؛ وذلك أصل عظيم فى علاج الأبدان. فإن انفعال البدن وطبيعته عن النفس والقلب أمر مشهود. والطبيب إذا كان عارفا بأمراض القلب والروح وعلاجهما، كان هو الطبيب الكامل. والذى لا خبرة له بذلك - وإن كان حاذقًا فى علاج الطبيعة وأحوال البدن - نصفُ طبيب. وكلُّ طبيب لا يداوى العليل: بتفقُّد قلبه وصلاحه، وتقوية روحه وقُواه بالصدقة وفعل الخير والإحسان، والإقبال على الله والدار الآخرة - فليس بطبيب، بل متطبِّبٌ قاصر. ومن أعظم علاجات المرض: فعل الخير والإحسان، والذكر والدعاء، والتضرع والابتهال إلى الله، والتوبة. ولهذه الأمور تأْثيرٌ فى دفع العلل وحصول الشفاءِ أعظمُ من الأدوية الطبيعية. ولكن: بحسب استعداد النفس وقبولها، وعقيدتها فى ذلك ونفعه.

(الثامن عشر): التلطف بالمريض والرفق به، كالتلطف بالصبى.

(التاسع عشر): أن يستعمل أنواع العلاجات الطبيعية والإلهية، والعلاج بالتخييل. فإن لحذاق الأطباءِ فى التخييل أُمورًا عجيبة لا يصل إليها الدواء، فالطبيب الحاذق يستعين على المرض بكل مُعين.

(العشرون): -وهو ملاك أمر الطبيب-: أن يجعل علاجه وتدبيره دائرًا على ستة أركان: حفظ الصحة الموجودة، وردِّ الصحة المفقودة بحسب الإمكان وإزالة العلة أو تقليلها بحسب الإمكان، واحتمال أدنى المفسدتَيْن لإزالة أعظمهما، وتفويت أدنى المصلحتَيْن لتحصيل أعظمهما. فعلى هذه الأُصول الستة مدارُ العلاج، وكل طبيب لا تكون هذه أخِيَّته[1] التى يرجع إليه، فليس بطبيب. والله أعلم.

---

(١) الأخية بزنة أبية: الحرمة والذمة.

• **للمرض أربعة أحوال (فصل):** ولما كان للمرض أربعة أحوال: ابتداءٌ وصعودٌ وانتهاءٌ وانحطاطٌ، تعين على الطبيب مراعاة كل حال من أحوال المرض بما يناسبها ويليق بها، ويستعمل فى كل حال ما يجب استعماله فيها. فإذا رأى فى ابتداء المرض أن الطبيعة محتاجة إلى ما يحرك الفضلات ويستفرغها لنضجها، بادر إليه. فإن فاته تحريك الطبيعة فى ابتداءِ المرض – لعائق منع من ذلك، أو لضعف القوة وعدم احتمالها للاستفراغ، أو لبرودة الفصل، أو لتفريط وقع: فينبغى أن يحذر كل الحذر أن يفعل ذلك فى صعود المرض؛ لأنه إن فعله: تحيرت الطبيعة لاشتغالها بالدواءِ، وتخلت عن تدبير المرض ومقاومته بالكلية. ومثاله: أن يجيءَ إلى فارس مشغول بمواقعة عدوه، فيشغله عنه بأمر آخر. ولكن الواجب فى هذه الحال: أن يعين الطبيعة على حفظ القوة ما أمكنه.

فإذا انتهى المرض ووقف وسكن، أخذ فى استفراغه واستئصال أسبابه. فإذا أخذ في الانحطاط كان أَولى بذلك. ومثال هذا: مثال العدو إذا انتهت قوته، وفرغ سلاحه: كان أخذه سهلا، فإذا ولَّى وأخذ فى الهرب: كان أسهل أخذاً. وحدته وشوكته إنما هى فى ابتدائه وحال استفراغه، وسعة قوته. فهكذا الداء والدواء سواء.

• **(فصل) ومن حذق الطبيب:** أنه حيث أمكن التدبير بالأَسهل، فلا يعدل إلى الأصعب، ويتدرج من الأَضعف إلى الأَقوى. إلا أن يخاف فوت القوة حينئذ: فيجب أن يبتدىءَ بالأَقوى ولا يقيم فى المعالجة على حال واحدة. فتأْلفَها الطبيعة ويقلَّ انفعالها عنه؛ ولا تجسر على الأَدوية القوية فى الفصول القوية. وقد تقدم أنه إذا أمكنه العلاج بالغذاءِ، فلا يعالج بالدواءِ. وإذا أَشكل عليه المرض: أَحار هو؟ أم بارد؟ فلا يقدم حتى يتبين له، ولا يجربه بما يخاف عاقبته. ولا بأْس بتجربته بما لا يضر أثره.

• **ما يفعل الطبيب إذا كان بالشخص أكثر من مرض:** وإذا اجتمعت أمراض: بدأ بما تخصه واحدة من ثلاث خصال:

(إحداها): أن يكون بـرءَ الآخر موقوفًا على برئه، كالورم والقرحة. فإنه يبدأُ بالورم.

(الثانى): أن يكون أحدهما سببا للآخر، كالسدة والحمى العفنة. فإنه يبدأ بإزالة السبب.

(الثالث)، أن يكون أحدهما أهم من الآخر، كالحاد والمزمن. فيبدأ بالحاد. ومع هذا فلا يغفل عن الآخر.

● **إذا اجتمع العَرَضُ والمرض**، إذا اجتمع المرض والعرض؛ بدأ بالمرض، إلا أن يكون العرض أقوى كالقولنج (مرض معوى مؤلم)، فيسكن الوجع أولا، ثم يعالج السدة. وإذا أمكنه أن يعتاض عن المعالجة بالاستفراغ، بالجوع أو الصوم أو النوم، لم يستفرغه. وكل صحة أراد حفْظها بالمثل أو الشبه. وإن أراد نقلها إلى ما هو أفضل منها، نقلها بالضد.

فصل فى هديه ﷺ فى التحرز من الأدواء المعدية بطبعها، وإرشاده الأصحاءَ إلى مجانبة أهلها

ثبت فى صحيح مسلم - من حديث جابر بن عبد الله -: «**أنه كان فى وفد ثَقيف رجل مجذومٌ، فأرسل إليه النبىُّ ﷺ: ارجعْ فقد بايعناك**»(١).

وروى البخارى فى صحيحه تعليقا من حديث أبى هريرة، عن النبى ﷺ أنه قال: «**فرَّ من المَجْذوم، كما تَفرُّ من الأَسد**»(٢).

وفى سنن ابن ماجه، من حديث ابن عباس، أن النبى ﷺ قال: «**لا تُديموا النظرَ إلى المجْذومين**»(٣).

وفى الصحيحين، من حديث أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يُوردنَّ مُمْرِضٌ على مُصحٍّ**»(٤).

ويُذكر عنه ﷺ: «**كلِّم المجذوم وبينك وبينه قِيدُ رُمح أو رمحيْن**»(٥).

● **الجذام وسببه وتسميته داء الأسد**، (الجذام) علة رديئة تحدث من انتشار المِرَّة السوداءَ فى البدن كله، فيفسد مزاج الأَعضاءِ وهيئتها وشكلها؛ وربما فسد فى آخره أوصالها حتى تتأَكَّل الأَعضاء وتسقط. ويسمى: داء الأَسد. وفى هذه التسمية ثلاثة

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في: ٣٩- كتاب السلام (٣٦) باب اجتناب المجذوم ونحوه، ح (١٢٦).

(٢) أخرجه البخاري في: ٧٦- كتاب الطب، (١٩) باب الجذام، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢:٤٤٣).

(٣) الحديث أخرجه ابن ماجه في: ٣١- كتاب الطب، (٤٤) باب الجُذام، حديث (٣٥٤٣)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١:٧٨، ٢٣٣)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: «رجال إسناده ثقات».

(٤) أخرجه البخاري في: ٧٦- كتاب الطب، (٥٣) باب لا هامةَ.

(٥) أخرجه ابن السني وأبو نعيم في الطب عن عبد الله بن أبى أوفى. ورمز له السيوطي بالضعف في الجامع الصغير (٥:٤١).

أقوال للأطباء: **(أحدها)**: أنها لكثرة ما يعترى الأسد. **(والثانى)**: لأن هذه العلة تجهم وجه صاحبها، وتجعله فى سحنة الأسد. **(والثالث)**: أنه يفترس من يقربه أو يدنو منه بدائه، افتراسَ الأسد.

● **من شفقته ﷺ بأمته إبعادهم عن عدوى المرض**: وهذه العلة - عند الأطباء - من العلل المعدية المتوارثة. ومقاربُ المجذوم وصاحبِ السل، يسقَمُ برائحته (بالمخالطة والرذاذ). فالنبى ﷺ: لكمال شفقته على الأمة ونصحه لهم. نهاهم عن الأسباب التى تعرضهم لوصول العيب والفساد إلى أجسامهم وقلوبهم. ولا ريب أنه قد يكون فى البدن تهيُّؤ واستعداد كامن لقبول هذا الداء؛ وقد تكون الطبيعة سريعة الانفعال، قابلةً للاكتساب من أبدان من تجاوره وتخالطه. فإنها نقالة. وقد يكون خوفها من ذلك ووهمها، من أكثر أسباب إصابة تلك العلة لها. فإن الوهم فعال مستَوْلٍ على القوى والطبائع. وقد تصل رائحة العليل إلى الصحيح، فتُسقمه. وهذا معاين فى بعض الأمراض. والرائحة أحد أسباب العدوى. ومع هذا كله، فلا بد من وجود استعداد البدن وقبوله لذلك الداءَ، وقد تزوج النبى ﷺ امرأةً، فلما أراد الدخول بها: وَجد بكَشْحها بياضا؛ فقال: «**الْحَقِى بأهلك**»[1].

● **لا تعارض بين الأحاديث الصحيحة**: وقد ظن طائفة من الناس: أن هذه الأحاديث معارضةٌ بأحاديثَ أُخر تبطلها وتناقضها. فمنها ما رواه الترمذى من حديث عبد الله بن عمر: «**أن رسول الله ﷺ، أخذ بيد رجلٍ مجذومٍ، فأدخلها معه فى القصعة، وقال: كلْ باسم الله، ثقةً بالله، وتوكلاً عليه**»[2]. ورواه ابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله. وبما ثبت فى الصحيح عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ أنه قال: «**لا عدوى، ولا طِيَرة**»[3].

● **الجمع بين الأحاديث التى تثبت العدوى والتى تنفيها**: ونحن نقول: لا تعارضَ

(١) رواه أحمد (٣:٤٩٣).

(٢) الحديث قال عنه الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من حديث المفضل بن فضالة، والمفضل هذا قال فيه ابن معين: ليس بذاك. وقال الحاكم: فيه نظر. وقال ابن الجوزي: لا يتابع عليه، وسيأتى للمصنف تضعيفه أيضًا، «جامع الترمذي» (٤:٢٦٦) ضعيف.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في: ٧٦- كتاب الطب، (٥٤) باب لا عدوى، ومسلم في: ٣٩- كتاب السلام، (٣٣) باب لا عدوى ولا طيرة، حديث (١٠٢).

-بحمد الله- بين أحاديثه الصحيحة؛ فإذا وقع التعارض: فإما أن يكون أحد الحديثين ليس من كلامه ﷺ، وقد غلط. فى بعض الرواة مع كونه ثقةً ثَبتًا. فالثقة يغلط أو يكون أَحد الحديثين ناسخًا للآخر. فإذا كان مما يقبل النسخ أو التعارض فى فهم السامع، لا فى نفس كلامه ﷺ: فلا بد من وجه من هذه الوجوه الثلاثة. وأما حديثان صحيحان صريحان، متناقضان من كل وجه، ليس أحدهما ناسخا للآخر - فهذا لا يوجد أصلا. ومعاذ الله: أن يوجد فى كلام الصادق المصدوق، الذى لا يخرج من بين شفتيه إلا الحقُّ. والآفةُ من التقصير فى معرفة المنقول والتمييز بين صحيحه ومعلوله، أو من القصور فى فهم مراده ﷺ وحمل كلامه على غير ما عناه به، أو منهما معا. ومن ههنا وقع من الاختلاف والفساد ما وقع. وبالله التوفيق.

قال ابن قتيبةَ فى كتاب «اختلاف الحديث»[1] له حكايةٌ عن أعداءِ الحديث وأَهله: «قالوا: حديثان متناقضان؛ رويتم عن النبى ﷺ، أنه قال: لا عدوى ولا طيرةَ. وقيل له: إن النُّقْبة تقع بمِشْفَر البعير، فيجرب لذلك الإبلُ. قال: فما أَعدَى الأَول[2]؟ ثم رويتم: لا يُوردُ ذو عاهة على مُصحٍّ؛ وفرَّ من المجذوم فِرارك من الأَسد. وأتاه رجل مجذوم ليُبايعه على الإسلام، فأرسل إليه البَيْعَةَ.

وأَمَره بالانصراف ولم يأذن له. وقال: الشُّؤمُ فى المرأَة والدارِ والدابةِ[3]. قالوا: وهذا كله مختلفٌ لا يُشبه بعضُه بعضا قال أبو محمد: ونحن نقول: إنه ليس فى هذا اختلافٌ؛ ولكل معنى منها وقتٌ وموضع. فإذا وُضع موضعه زال الاختلاف. والعدوى جنسان: **(أحدهما)؛** عدوى الجذام؛ فإن المجذوم يشتد رائحته حتى يُسقم من أطال مجالسته ومحادثته. وكذلك المرأَةُ تكون تحت المجذوم، فتضاجعه فى شِعار واحد، فيوصل إليها الأَذى، وربما جُذمتْ. وكذلك ولدُه يَنزِعون فى الكبر إليه. وكذلك من كان به سُل ودِق ونُقْب. والأَطباء تأمر: أَن لا يجالَس المسلولُ ولا المجذومُ؛ ولا يريدون بذلك معنى العدوى، وإنما يريدون به معنى تغيُّرِ الرائحة وأنها قد تُسقم من أطال

(١) اسمه الذي نعرفه: «تأويل مختلف الحديث».

(٢) سنن أبى داود (١٧:٤)، ومسند أحمد (٣٢٧:٢).

(٣) أخرجه البخاري في: ٦٧- كتاب النكاح، ١٧- باب ما يتقى من شؤم المرأة، وأخرجه مسلم في: ٢٩- كتاب السلام، (٣٤) باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم، حديث (١١٥) وشؤم المرأة إذا كانت غير ولود وسوء خلقها.

اشتمامَها. والأَطباءُ أبعد الناس عن الإيمان بيُمْنٍ وشؤم. وكذلك النُّقْبةُ تكون بالبعير - وهو جَرب رطب - فإذا خالط الإبلَ أو حاكَّها وأوَى فى مباركها: وصل إليها بالماء الذى يَسيل منه وبالنَّطف، نحوُ ما به. فهذا هو المعنى الذى قال فيه النبى ﷺ: لا يوردُ ذو عاهة على مُصِح. كره أن يخالط المعْيُوه الصحيح لئلا ينالَه من نَطَفه وحكَّته نحوُ ما به. قال: وأما الجنسُ الآخر من العدوى، فهو: الطاعون ينزل ببلد، فيخرج منه خوف العدوى. وقد قال ﷺ: إذا وقَع ببلدٍ وأنتُم به، فلا تخرُجوا منه؛ وإذا كان ببلد: فلا تدخلوه. يريد بقوله: لا تخرجوا من البلد إذا كان فيه، كأنكم تظنون أن الفرار من قدر الله يُنجيكم من الله. ويريد بقوله: وإذا كان ببلد فلا تدخلوه؛ أن مُقامكم فى الموضع الذى لا طاعون فيه، أسْكنُ لقلوبكم، وأطيبُ لعيشكم. ومن ذلك المرأةُ تعرف بالشؤم أو الدارُ، فينال الرجلَ مكروهٌ. أو جائحةٌ، فيقول: أعدتْنى بشؤمها. فهذا هو العدوى الذى قال فيه رسول الله ﷺ: لا عدوى».

وقالت فرقة أخرى: بل الأمرُ باجتناب المجذوم والفرار منه على الاستحباب والاختيار والإرشاد. وأما الأكل معه، ففعله لبيان الجواز وأن هذا ليس بحرام.

وقالت فرقة أخرى: بل الخطابُ بهذين الخطابين جزئىٌّ. لا كلىٌّ. فكلُّ واحد خاطبه النبى ﷺ بما يليق بحاله: فبعضُ الناس يكون قوىَّ الإيمان قوىَّ التوكل، يدفع قوةُ توكله قوة العدوى، كما تدفع قوةُ الطبيعة قوةَ العلة. فتبطلها. وبعضُ الناس لا يقوى على ذلك، فخاطبه بالاحتياط والأخذ بالتحفظ. وكذلك هو ﷺ: فَعل الحالتين معا: لتقتدىَ به الأُمةُ فيهما، فيأْخذَ من قَوى من أُمته بطريقة التوكل والثقة بالله، ويأخذ من ضَعف منهم بطريقة التحفظ والاحتياط. وهما طريقان صحيحان: أحدهما للمؤمن القوى، والآخر للمؤمن الضعيف، فتكون لكل واحد من الطائفتين حجةٌ وقدوةٌ بحسب حالهم وما يناسبهم. وهذا: كما أنه ﷺ كَوى، وأثنَى على تارك الكىِّ وقرن تركه بالتوكل وترْك الطِّيرة. ولهذا نظائرُ كثيرة. وهذه طريقة لطيفة حسنة جدا، من أعطاها حقها، ورُزق فقْه نَفْس فيها: أزالت عنه تعارضا كثيرا يظنه بالسنة الصحيحة.

وذهبت فرقة أخرى: إلى أن الأمر بالفرار منه ومجانبته، لأمر طبيعى، وهو: انتقال الداءِ منه بواسطة الملامسة والمخالطة والرائحة، إلى الصحيح وهذا يكون مع تكرير

المخالطة والملامسة له. وأما أكله معه مقدارًا يسيرًا من الزمان، لمصلحة راجحة، فلا بأس به، ولا تحصل العدوى من مرة واحدة ولحظة واحدة. فنَهى سدًّا للذَّريعة، وحمايةً للصحة؛ وخالطه مخالطةً ما: للحاجة والمصلحة. فلا تعارضَ بين الأمرين.

وقالت طائفة أخرى: يجوز أن يكون هذا المجذوم الذى أكل معه، به من الجذام أمرٌ يسير لا يعدى مثله. وليس الْجذْمَى كلهم سواءً، ولا العدوى حاصلة من جميعهم. بل منهم: من لا تضر مخالطته ولا تُعدى؛ وهو: من أصابه من ذلك شىءٌ يسير، ثم وقف واستمر على حاله، ولم يعد بقية جسمه. فهو أن لا يُعدى غيره أولى وأحرى.

وقالت فرقة أخرى: إن الجاهلية كانت تعتقد: أن الأمراض المعدية تعدى بطبعها، من غير إضافة إلى الله سبحانه. فأبطل النبى ﷺ اعتقادَهم ذلك، وأكل مع المجذوم ليبين لهم أن الله سبحانه هو الذى يُمرض ويشفى. ونهى عن القرب منه: ليتبين لهم أن هذه من الأسباب التى جعلها الله مُفضية إلى مسبَّباتها. ففى نهيه: إثبات الأسباب، وفى فعله: بيان أنها لا تستقل بشىء، بل الربُّ سبحانه إن شاءَ سلبها قواها فلا تؤثر شيئا، وإن شاءَ أبقى عليها قواها فأثَّرت.

وقالت فرقة أخرى: بل هذه الأحاديث فيها الناسخ والمنسوخ، فينظر فى تاريخها: إن علم المتأخر منها حكم بأنه الناسخ، وإلا توقفنا فيها.

وقالت فرقة أخرى: بل بعضُها محفوظ، وبعضها غير محفوظ. وتكلمت فى حديث «لا عدوَى» وقالت: قد كان أبو هريرة يرويه أوَّلا، ثم شك فيه فتركه؛ وراجعوه فيه وقالوا له: سمعناك تحدِّث؛ فأبى أن يحدِّث به. قال أبو سلمة: فلا أدرى أنسى أبو هريرة؟ أم نسخ أحد الحديثين الآخر[1]؟ وأما حديث جابر: «**أن النبى ﷺ أخذ بيد مجذوم، فأدخلها معه فى القصعة**» فحديث لا يثبت ولا يصح؛ وغاية ما قال فيه الترمذى: أنه غريب لم يصحِّحْه، ولم يحسِّنه[2]. وقد قال شعبة وغيره: اتقوا هذه الغرائب. قال الترمذى: ويروى هذا من فعل عمر؛ وهو أثبت. فهذا شأن هذين

(١) لفظ مسلم فى هذا: «ثم صمت أبو هريرة بعد ذلك عن قوله: لا عدوى» وأقام على «ألا يورد ممرض على مصح».
(٢) مختصر السنن للمنذرى.

الحديثين اللذين عورض بهما أحاديث النهى: أحدهما رجع أبو هريرة عن التحديث به وأنكره، والثانى لا يصح عن رسول الله ﷺ. والله أعلم.

وقد أشبعنا الكلام فى هذه المسألة، فى كتاب المفتاح[1]، بأطولَ من هذا. وبالله التوفيق.

فصل فى هديه ﷺ فى المنع من التداوى بالمحرمات

● **المعالجة بالمحرمات قبيحة شرعا:** روى أبو داود فى سننه – من حديث أبى الدرداء– قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله أنزل الداءَ والدواءَ، وجعل لكلِّ داءٍ دواءً. فتداوَوْا ولا تداوَوْا بالمحرَّم**»[2].

وذكر البخارى فى صحيحه – عن ابن مسعود –: «**إن الله لم يجعلْ شفاءَكم فيما حُرِّم عليكم**»[3].

وفى السنن عن أبى هريرة، قال: «**نهى رسول الله ﷺ عن الدواءِ الخبيث**»[4].

وفى صحيح مسلم – عن طارق بن سُويد الجعفىِّ: «**أنه سأل النبى ﷺ عن الخمر، فنهاه أو كَرِه أن يصنعها. فقال: إنما أصنعها للدواءِ فقال: إنه ليس بدواءٍ، ولكنه داءٌ**»[5].

وفى السنن: «**أنه ﷺ، سُئل عن الخمر: يجعلُ فى الدواءِ، فقال: إنها داءٌ، وليست بالدواءِ**». رواه أبو داود والترمذى.

وفى صحيح مسلم، عن طارق بن سويدٍ الحضرمى، قال: «**قلت: يا رسول الله؛ إنَّ بأرضنا أعنابًا نَعتصرُها، فنشرب منها؟ قال: لا. فراجعتهُ، قلتُ: إنَّا نستشفى للمريض. قال: إن ذلك ليس بشفاءٍ، ولكنه داءٌ**»[6].

وفى سنن النسائى: «**أن طبيبًا ذَكر ضِفدِعًا فى دواءٍ عند رسول الله ﷺ، فنهاه عن قتلها**»[7].

---

(١) مفتاح دار السعادة.
(٢) أخرجه أبو داود في الطب، (باب) في الأدوية المكروهة، ح (٣٨٧٤).
(٣) أخرجه البخاري في: ٧٤- كتاب الأشربة، (١٥) باب شراب الحلواء والعسل، تعليقًا.
(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الطب (باب) في الأدوية المكروهة، ح (٣٨٧٠).
(٥) الحديث أخرجه مسلم في: ٣٦- كتاب الأشربة، (٣) باب تحريم التداوي بالخمر، حديث (١٢).
(٦) صحيح مسلم، ص (١٥٧٣)، ومسند أحمد (٤:٣١١).
(٧) أخرجه النسائي في كتاب الصيد (٧:٢١٠)، والإمام أحمد في «مسنده» (٣:٤٥٣، ٤٩٩) وكذا أبو داود في باب الأدوية المكروهة ح (٣٨٧١).

ويذكر عنه ﷺ، أنه قال: «**من تداوى بالخمر فلا شفاه الله**»[1].

● **المعالجة بالمحرَّمات قبيحةٌ عقلاً وشرعًا**: أَمَّا الشرعُ، فما ذكرْنا: من هذه الأحاديث وغيرها.

● **المعالجة بالمحرمات قبيحة عقلا**: وأَمَّا العقلُ، فهو أن الله سبحانه إنما حرمه لخُبثه. فإنه لم يُحرم على هذه الأُمة طَيبا عقوبةً لها، كما حرمه على بنى إسرائيلَ بقوله: ﴿ **فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ** ﴾ (النساء: ١٦٠). وإنما حرم على هذه الأُمة ما حرَّم، لخبثه. وتحريمُه له حمية لهم، وصيانة عن تناوله. فلا يناسب أن يُطلبَ به الشفاءَ من الأَسقام والعلل؛ فإنه وإن أثر فى إزالتها، لكنه يُعقب سَقَمًا أعظم منه فى القلب، بقوة الخبث الذى فيه. فيكون المداوى به قد سعى فى إزالة سُقْم البدن، بسَقَم القلب.

وأيضًا، فإن تحريمه يقتضى تجنبُه والبعد عنه بكل طريق؛ وفى اتخاذه دواءً حضٌ على الترغيب فيه وملابسته. وهذا ضد مقصود الشارع.

وأيضًا، فإنه داءٌ كما نص عليه صاحب الشريعة؛ فلا يجوز أن يُتخذ دواءً.

وأيضًا، فإنه يُكسب الطبيعةَ والروح صفةَ الخبث؛ لأن الطبيعة تنفعل عن كيفية الدواء انفعالاً بيِّنًا. فإذا كانت كيفيته خبيثة: أكسب الطبيعةَ منه خبثا؛ فكيف إذا كان خبيثًا فى ذاته. ولهذا حرم الله سبحانه على عباده الأَغذيةَ والأَشربة والملابس الخبيثة، لما تكتسب النفس: من هيأَة الخبث وصفته.

وأيضا، فإن فى إباحة التداوى به، ولا سيَّما إذا كانت النفوس تميل إليه، ذريعة إلى تناوله للشهوة واللذة، لا سيَّما إذا عرفت النفوس أنه نافع لها، مزيلٌ لأَسقامها، جالبٌ لشفائها. فهذا أحب شيء إليها. والشارع سدَّ الذريعة إلى تناوله بكل ممكن، ولا ريب أَن بين سدِّ الذريعة إلى تناوله، وفتح الذريعة إلى تناوله – تناقضا وتعارضاً.

وأيضًا، فإن فى هذا الدواء المحرَّم من الأَدواء، ما يزيد على ما يُظن فيه من الشفاء. وليُفرضْ الكلامُ فى أم الخبائث التى ما جعل الله لنا فيها شفاءً قط: فإنها شديدة المضرة

---

(١) الخبر فى الجامع الصغير بلفظ: «من تداوى بحرام لم يجعل الله فيه شفاء». أخرجه أبو نعيم في الطب من حديث أبى هريرة ورمز السيوطي لضعفه. الجامع الصغير (٦:١٠٠).

بالدماغ الذى هو مركز العقل عند الأطباءِ وكثير من الفقهاءِ والمتكلمين. قال أبقراط فى أثناءِ كلامه فى الأمراض الحادة: «ضرر الخمرة بالرأس شديد: لأنه يسرع الارتفاع إليه، ويرتفع بارتفاعه الأخلاط التى تعلو فى البدن. وهو لذلك يضر بالذهن». وقال صاحب الكامل: «إن خاصِّية الشراب الإضرارُ بالدماغ والعصب».

وأمَّا غيرُه من الأدوية المحرَّمة، فنوعان (أحدهما)، تعافُه النفس، ولا تنبعث لمساعدته الطبيعة على دفع المرض. كالسموم ولحوم الأفاعى، وغيرها: من المستقذرات. فيبقى كَلاًّ على الطبيعة مثقلا لها، فيصير حينئذ داءً لا دواءً. **(والثانى)**، مالا تَعافُه النفس، كالشراب الذى تستعمله الحوامل مثلا. فهذا ضررهُ أكثر من نفعه. والعقل يقضى بتحريم ذلك. بالعقل، والفطرةُ مطابقَةٌ للشرع فى ذلك.

وههنا سر لطيف فى كون المحرمات لا يستشفى بها: فإن شرط الشفاء بالدواء، تلقِّيه بالقبول واعتقاد منفعته وما جعل الله فيه من بركة الشفاء. فإن النفع هو المبارك، وأنفع الأشياءِ أبركُها؛ والمباركُ من الناس أينما كان، هو: الذى يُنتفَع به حيث حل. ومعلوم أن اعتقاد المسلم تحريم هذه العين، مما يحول بينه وبين اعتقاد بركتها ومنفعتها وبين حُسن ظنه بها، وتلقِّى طبعه لها بالقبول. بل كلَّما كان العبد أعظم إيمانا: كان أكره لها، وأسوأ اعتقاداً فيها؛ وطبعهُ أكره شيءٍ لها. فإذا تناولها فى هذه الحال: كانت داءً له لا دواءً؛ إلا أن يزول اعتقاد الخبث فيها، وسوءُ الظن والكراهةُ لها بالمحبة. وهذا ينافى الإيمان. فلا يتناولها المؤمن قط إلا على وجه داءٍ. والله أعلم.

فصل فى هديه ﷺ فى علاج القمل الذى فى الرأس وإزالته

فى الصحيحين عن كعب بن عُجْرَةَ، قال: «**كان بى أذًى من رأسى، فحُملت إلى رسول الله ﷺ -والقَملُ يتناثر على وجهي- فقال: ما كنتُ أرى الجَهْدَ قد بلغ بكَ ما أرى**»؛ وفى رواية: «**فأمَره: أن يحلِقَ رأسَه، وأن يُطعِم فرقًا بيْن ستةٍ، أو يُهدِىَ شاةً، أو يصومَ ثلاثةَ أيامٍ**»[1].

● **سبب تولد القمل**: القمل يتولد فى الرأس والبدن من شيئين. خارجٍ عن البدن،

(١) أخرجه البخاري في: ٢٧- كتاب المحصر، (٧) باب الإطعام في الفدية نصف صاع.

وداخل فيه. فالخارجُ: الوسخ والدنس المركب فى سطح الجسد. والثانى: من خلط رديءٍ عفن، تدفعه الطبيعة بين الجلد واللحم، فيتعفن بالرطوبة الدموية فى البشرة بعد خروجها من المسام، فيكون منه القمل. وأكثر ما يكون ذلك: بعد العلل والأسقام، بسبب الأوساخ.

● **ومن علاجه حلق الرأس؛** وإنما كان فى رءُوس الصبيان أكثر: لكثرة رطوباتهم، وتعاطيهم الأسباب التى تولد القمل. ولذلك حلق النبى ﷺ رءُوسَ بنى جعفر(1). ومن أكبر علاجه: حلق الرأس لينفتح مسامُّ الأبخرة. فتتصاعد الأبخرة الرديئة، فتضعف مادة الخلط. وينبغى أن يُطلى الرأسُ بعد ذلك، بالأدوية التى تقتل القمل وتمنع تولده.

وحلق الرأس ثلاثة أنواع أحدها نُسك وقُربة، والثانى بدعة وشرك، الثالث حاجة ودواءٌ. **(فالأول):** الحلق فى أحد النُسُكين: الحجِّ أو العُمرة. **(والثانى):** حلق الرأس لغير الله سبحانه. كما يحلقها المريدون لشيوخهم، فيقول أحدهم: أنا حلقتُ رأْسى لفلان، وأنت حلقته لفلان. وهذا بمنزلة أن يقول: سجدت لفلان. فإن حلْقَ الرأس خضوعٌ وعبودية وذل، ولهذا كان من تمام الحج. حتى إنه عند الشافعى -رحمه الله- ركنٌ من أركانه: لا يتم إلا به. فإنه وضعُ النواصى بين يدى ربها: خضوعًا لعظمته، وتذللا لعزته. وهو من أبلغ أنواع العبودية. ولهذا كانت العرب: إذا أرادت إذلالَ الأسير منهم وعتْقَه، حلقوا رأسه وأطلقوه. فجاءَ شيوخ الضلال والمزاحمون للربوبية - الذين أَساسُ مشيختهم على الشرك والبدعة - فأرادوا من مريديهم أن يتعبدوا لهم؛ فزينوا لهم حلْق رءُوسهم لهم كما زينوا لهم السجود لهم، وسمَّوه بغير اسمه، وقالوا: هو وضعُ الرأْس بين يدى الشيخ ولعمر الله: إن السجود لله هو: وضعُ الرأس بين يديه سبحانه. وزينوا لهم: أن ينذرُوا لهم، ويتوبوا لهم، ويحلفوا بأسمائهم. وهذا هو اتخاذُهم أربابا وآلهةً من دون الله قال تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ**

---

(1) الخبر أخرجه أبو داود والنسائى ولفظ أبي داود بسنده عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما: «أن النبى صلى الله عليه وسلم أمهل آل جعفر ثلاثا أن يأتيهم، ثم أتاهم فقال: لا تبكوا على أخي بعد اليوم. ثم قال: إدعوا لي بَنِيَّ أخي فجيء بنا كأننا أفرخ. فقال: ادعوا لي الحلاق فأمره فحلق رؤوسنا» مختصر السنن للمنذري (٦:٩٩) والسيرة النبوية لابن هشام من تحقيقنا ط دار الجيل/ بيروت.

وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ **(آل عمران: ٧٩-٨٠)**.

● **وأشرفُ العبودية:** عبوديةُ الصلاة. وقد تقاسمها الشيوخ والمتشبهون بالعلماء والجبابرة فأخذ الشيوخ منها أشرف ما فيها، وهو: السجود. وأخذ المتشبهون بالعلماء منها الركوعَ؛ فإذا لقىَ بعضُهم بعضًا: ركع له كما يركع المصلى لربه سواءً. وأخذ الجبابرة منهم القيامَ؛ فيقوم الأحرار والعبيد على رءُوسهم عبوديةً لهم، وهم جلوس.

وقد نهى رسول الله ﷺ، عن هذه الأُمور الثلاثة، على التفصيل. فتعاطيها مخالفةٌ صريحة له. فنَهى عن السجود لغير الله، وقال: «**لا ينبغى لأحد أن يسجد لأحد**»؛ وأنكر على مُعاذٍ لَمّا سَجد له، وقال: «**مَهْ**»[1]؛ وتحريمُ هذا معلوم من دينه بالضرورة. وتجويزُ من جوَّزه لغير الله، مُراغمَةٌ لله ورسوله. وهو من أبلغ أنواع العبودية. فإذا جوز هذا المشركُ هذا النوعَ للبشر: فقد جوز عبوديةَ غير الله. وقد صح «**أنه قيل له: الرجلُ يَلقى أخاه، أيَنحنى له؟ قال: لا. قيل: أيَلْتزمُه ويُقبِّله؟ قال: لا قيل: أيُصافحه؟ قال: نعم**»[2].

وأيضًا: فالانحناءُ عند التحية سجود. ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا** ﴾ **(البقرة: ٥٨)**؛ أى منحنين. وإلا: فلا يمكن السجود والدخولُ على الجباه.

وصح عنه النهيُ عن القيام وهو جالس؛ كما تعظِّم الأعاجمُ بعضها بعضا؛ حتى منع ذلك فى الصلاة، وأمرَهم إذا صلىَّ جالسًا: أن يصلوا جلوسًا: وهم أصحاءَ لا عذرَ لهم، لئلا يقوموا على رأسه وهو جالس. مع أن قيامهم لله. فكيف إذا كان القيامُ تعظيمًا وعبودية لغيره سبحانه!.

والمقصود: أن النفوس الجاهلة الضالة أسقطتْ عبودية الله سبحانه، وأشركت فيها من يعظمه من الخلق؛ فسجدت لغير الله، وركعت له وقامت بين يديه قيام الصلاة، وحلفت بغيره، ونذرتْ لغيره، وحلقت لغيره، وذبحت لغيره، وطافت لغير بيته،

(١) اسم فعل أمر بمعنى اكفف.

(٢) أخرجه ابن ماجه من حديث أنس بن مالك (٢: ١٢٢٠).

وعظمته بالحب والخوف والرجاء والطاعة كما يعظم الخالق بل أشد، وسوتْ من تعبُده من المخلوقين، برب العالمين. وهؤلاء: هم المضادون لدعوة الرسل، وهم الذين بربهم يعدلون، وهم الذين يقولون -وهم في النار مع آلهتهم يختصمون-: ﴿ **تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ **(الشعراء: ٩٧، ٩٨)**؛ وهم الذين قال فيهم: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ** ﴾ **(البقرة: ١٦٥)**. وهذا كله من الشرك؛ والله لا يغفر أنْ يُشْرَكَ به.

فهذا فصل معترض في هديه في حلق الرأس؛ ولعله أهم مما قُصد من الكلام فيه. والله أعلم.

فصـــول

في هديه ﷺ في العلاج بالأدوية الروحانية الإلهية المفردة والمركبة منها ومن الأدوية الطبيعية

فصل في هديه ﷺ في علاج المصاب بالعين

روى مسلم في صحيحه، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**العَينُ حقٌّ، ولو كان شيءٌ سابقَ القَدَرِ: لسبقتْه العين**»(١) وفي صحيحه أيضًا عن أنس: «**أن النبي ﷺ رخص في الرُّقية من الحُمة والعين والنملة**»(٢) وفي الصحيحين، من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**العينُ حقٌّ**»(٣).

وفي سنن أبي داود، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «**كان يؤمَرُ العائنُ فيتوضأُ، ثم يغتسل منه المعينُ**»(٤) وفي الصحيحين عن عائشة، قالت: «**أمرني النبي ﷺ، أو أمرَ أن نسترْقِيَ من العين**»(٥).

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في: ٣٩- كتاب السلام (١٦) باب الطب والمرضى والرقى، حديث (٤٢).
(٢) أخرجه مسلم في: ٢٩- كتاب السلام (١٦) باب الطب والمرضى والرقى، (والنملة): قروح تخرج في الجنب، (والحمة): السم: يريد لدغ الحشرات والهوام.
(٣) أخرجه البخاري في: ٧٦- كتاب الطب، (٣٦) باب العين حق، ومسلم في: ٣٩- كتاب السلام، (١٦) باب الطب والمرضى والرقى، حديث (٤١).
(٤) أخرجه أبو داود في الطب، (باب) ما جاء في العين، حديث (٣٨٨٠).
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الطب، (باب) رقية العين، ومسلم في كتاب السلام، (باب) استحباب الرقية من العين والنملة... والترمذي وابن ماجه في الطب، والإمام أحمد في «مسنده» (٦٣:٦، ١٣٨، ٤٣٨).

وذكر الترمذى - من حديث سفيان بن عُيينةَ، عن عمرو بن دينار، عن عروة بن عامر، عن عُبيد بن رفاعة الزُّرقىِّ: «**أن أسماءَ بنت عُمَيْس قالت: يا رسول الله؛ إن بَنى جعفر تُصيبُهم العينُ؛ أفأسترْقِى لهم؟ فقال: نعم، فلو كان شىءٌ يسبقُ القضاءَ، لسبقته العينُ**»(١). قال الترمذى حديث حسن صحيح.

وروى مالك رحمه الله، عن ابن شهاب، عن أَبى أُمامةَ(٢) بن سهل بن حنيف، قال: «**رأى عامرُ بن ربيعةَ، سهْلَ بن حُنَيْف يغتسل، فقال: والله ما رأيت كاليوم ولا جلْدَ مُخْبأةٍ عذراءَ. قال: فلُبطَ سهلٌ، فأتى رسول الله ﷺ عامرًا، فتَغَيَّظَ عليه، وقال: علام يقتلُ أحدكم أخاه؟ ألاَ برَّكْتَ، اغتسل له. فغسل له عامرٌ وجهه ويديه، ومرفقيه وركبتيه، وأطراف رجليه، وداخلةَ إزاره فى قدح؛ ثم صبَّ عليه. فراح مع الناس**»(٣).

وروى مالك رحمه الله أَيضًا: عن محمد بن أَبى أُمامة بن سهل، عن أَبيه هذا الحديث، وقال فيه، «**إن العيْن حقٌ، توضَّأ لهُ. فتوضأ له**»(٤).

وذكر عبد الرزَّاق - عن معْمَرٍ عن ابن طاوس عن أَبيه - مرفوعًا: «**العين حقٌّ، ولو كان شيءٌ سابق القَدر: لسبقتْه العين؛ فإذا اسْتُغْسِل أحدُكم فليغتسل**»(٥). ووصْله صحيحٌ.

قال الترمذى: يؤمر الرجل العائن بقدح، فيُدخل كفه فى فيه فيتمضمض، ثم يمجه فى القدح، ويغسل وجهه فى القدح؛ ثم يدخل يده اليسرى، فيصب على ركبته اليمنى فى القدح، ثم يدخل يده اليمنى، فيصب على ركبته اليسرى، ثم يغسل داخلة إزاره، ولا يوضع القدح فى الأَرض، ثم يُصب على رأس الرجل الذى يصيبه العين، من خلفه، صبةً واحدةً(٦).

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الطب، باب ما جاء في الرقية من العين، وابن ماجه في: ٣١- كتاب الطب، (٣٣) باب من استرقى من العين، ومالك في: ٥٠- كتاب العين، (٢) باب الرقية من العين، حديث (٣).
(٢) كذا بالأصل، وهو الصحيح، وفي المخطوط، وفي الموطأ بشرح الزرقاني (٣٢١:٤): أسامة بن سهل.
(٣) أخرجه مالك في: ٥٠- كتاب العين (١) باب الوضوء من العين، مطولا حديث (٢).
(٤) أخرجه مالك في الموطأ في: ٥٠- كتاب العين (١) باب الوضوء من العين مطولا، حديث رقم (١)، وأخرجه البخاري في: ٧٦- كتاب الطب، (٣٦) باب العين حق، ومسلم في: ٣٩- كتاب السلام، (١٦) باب الطب والرقى، حديث (٤١) وانظر كتابنا الجن والسحر والحسد.
(٥) أخرجه مسلم في: ٣٩- كتاب السلام (١٦) باب الطب والمرض والرقى، حديث (٤٢).
(٦) السنن للبيهقى (٣٥٢:٩).

● **العين الإنسية والعين الجنية:** والعين عينان: عين إنسية، وعين جنِّية. فقد صح عن أُم سلمة: «**أن النبى ﷺ، رأى فى بيتها جاريةً فى وجهها سَعْفَةٌ، فقال: استرْقُوا لها، فإن بها النَّظرة**»(١).

قال الحسين بن مسعود الفرَّاء: وقوله «**سعفة**» أى: نظرة؛ يعنى من الجن. يقول: بها عينٌ أصابتْها من نظرِ الجن، أنفذُ من أَسنة الرماح.

ويُذكر عن جابر -يرفعه-: «**إن العين لتُدخلُ الرجُلَ القبر، والجمل القدْر**»(٢).

وعن أبى سعيد: «**أن النبى ﷺ، كان يتعوَّذ من الجان، ومن عين الإنسان**»(٣).

● **من أبطل العين والرد عليهم:** فأبطلت طائفة - ممن قلَّ نصيبُهم من السمع والعقل - أمْر العين، وقالوا: إنما ذلك أوهام لا حقيقةَ لها. وهؤلاءِ من أجهل الناس بالسمع والعقل، ومن أغلظهم حجابًا، وأكثفِهم طباعًا؛ وأبعدِهم من معرفة الأرواح والنفوس وصفاتها، وأفعالها وتأثيراتها.

● **كيف يصيب العائن:** وعقلاءُ الأُمم - على اختلاف مللهم ونحلهم - لا تدفع أمر العين ولا تنكره وإن اختلفوا فى سببه، ووجهة تأثير العين. فقالت طائفة: إن العائن إذا تكيفت نفسه بالكيفية الرديئة، انبعث من عينه قوة سُمِّيةٌ تتصل بالمعِين. فيتضرر قالوا: ولا يستنكر هذا، كما لا يستنكر انبعاث قوة سُمِّية من الأَفعى. تتصل بالإنسان فيهلك. وهذا أمر قد اشتهر عن نوع من الأَفاعى: أنها إذا وقع بصرها على الإنسان هلك، فكذلك العائنُ.

وقالت فرقة أخرى: لا يُستبعد أن ينبعث من عين بعض الناس جواهرُ لطيفة غيرُ مرئية، فتتصل بالمعِين وتتخلل مسامَّ جسمه، فيحصل له الضرر.

وقالت فرقةٌ أخرى: قد أَجرى الله العادة بخلق ما يشاءُ من الضرر، عند مقابلة عين العائن لمن يعِينُه، من غير أن يكون منه قوةٌ، ولا سببٌ. ولا تأثيرٌ أصلاً.

وهذا مذهب منكرى الأَسباب والقُوى والتأثيرات فى العالَم. وهؤلاءِ قد سدوا

---

(١) أخرجه البخاري في: ٧٦- كتاب الطب، (٣٥) باب رُقية العين. ومسلم في: ٣٩- كتاب السلام، (٢١) باب استحباب الرقية، ح (٥٩).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧:٩٠).

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الطب، باب ما جاء فى الرقية بالمُعَوِّذَتَيْن، ح (٢٠٥٨).

على أنفسهم باب العلل والتأثيرات والأسباب. وخالفوا العقلاءَ أجمعين. ولا ريب أن الله سبحانه خلق فى الأجسام والأرواح قُوى وطبائعَ مختلفة. وجعل فى كثير منها خواصَّ وكيفيات مؤثرةً. ولا يمكن العاقل إنكار تأثير الأرواح فى الأجسام: فإنه أمر مشاهدٌ محسوس. وأنت ترى الوجهَ: كيف يحمرُّ حمرة شديدة: إذا نظر إليه من يحتشمه ويستحى منه، ويصفرُّ صفرة شديدة: عند نظر من يخافه إليه. وقد شاهد الناسُ من يَسقَم من النظر وتضعف قواه. وهذا كله بواسطة تأثير الأرواح. ولشدة ارتباطها بالعين، يُنسبُ الفعل إليها؛ وليست هى الفاعلَة، وإنما التأثيرُ للروح. والأرواح. مختلفة فى طبائعها وقواها، وكيفياتها وخواصها. فروحُ الحاسد مؤذية للمحسود أذًى بيِّنا. ولهذا أمر الله سبحانه رسوله: أن يستعيذ به من شره.

وتأثيرُ الحاسد فى أذى المحسود، أمرٌ لا ينكره إلا من هو خارج عن حقيقة الإنسانية. وهو أصل الإصابة بالعين. فإن النفس الخبيثة الحاسدة، تتكيف بكيفية خبيثة، وتقابل المحسود، فتؤثر بتلك الخاصِّية. وأشبهُ الأشياءَ بهذا الأفعى: فإن السم كامن فيها بالقوة؛ فإذا قابلتْ عدوَّها: انبعث منها قوَّة غضبية وتكيفتْ نفسها بكيفية خبيثة مؤذية. فمنها: ما تشتد كيفيتها وتقوى حتى تؤثرَ فى إسقاط الجنين. ومنها: ما يؤثر فى طمس البصر. كما قال النبى ﷺ، فى الأبْتَر وذى الطُّفْيَتيْن من الحيَّات: «**إنهما يَلتمسان البصر، ويُسقطان الحَبلَ**»[1]. ومنها: ما تؤثر فى الإنسان كيفيتُها كيفيتَها بمجرد الرؤْية، من غير اتصال به، لشدة خبث تلك النفس وكيفيتها الخبيثة المؤثرة.

● **أنواع من تأثير العين:** والتأثيرُ غير موقوف على الاتصالات الجسمية، كما يظنه من قلَّ علمه ومعرفته بالطبيعة والشريعة. بل التأثيرُ يكون تارة بالاتصال، وتارة بالمقابلة، وتارة بالرؤية، وتارة بتوجه الروح نحوَ من يؤثر فيه، وتارةً بالأدعية والرُّقَى والتعوُّذات، وتارة بالوهْم والتخيُّل.

● **لا يتوقف تأثير الحسد على العين:** ونفسُ العائن لا يتوقف تأثيرها على الرؤْية،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب (١٤) ومسلم فى كتاب السلام حديث (١٢٨)، (١٢٩)، (١٣٧).
والأبتر: هو الذي لا ذنب له أو قصير الذنب.. والطفيتان: وهما الخيطان الأبيضان على ظهر الحية.

بل قد يكون أعمى، فيوصفُ له الشيءَ فتؤثر نفسه فيه وإن لم يره. وكثير من العائنين يؤثر في المَعين بالوصف من غير رؤْية. وقد قال تعالى لنبيه: ﴿ **وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ** ﴾ (القلم: ٥١)؛ وقال: ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ** ﴾ (الفلق: ١-٥) .

● **الحاسد والعائن:** فكلُّ عائن حاسدٌ، وليس كلُّ حاسد عائنا. فلمَّا كان الحاسد أعمُّ من العائن: كانت الاستعاذة منه استعاذةً من العائن. وهي: سهام تخرج من نفس الحاسد والعائن، نحوَ المحسود والمعين، تصيبه تارة وتخطئُه تارة. فإن صادفته مكشوفًا لا وقاية عليه: أثرتْ فيه ولا بُد؛ وإن صادفتْه حذراً شاكيَ السلاح، لا منفذَ فيه للسهام: لم تؤثر فيه؛ وربما رُدتْ السهامُ على صاحبها. وهذا بمثابة الرمى الحسى سواء. فهذا من النفوس والأرواح، وذاك من الأجسام والأشباح. وأصله من إعجاب العائن بالشيء، ثم يتبعه كيفية نفسه الخبيثة، ثم نستعين على تنفيذ سُمها بنظرة إلى المعين.

● **حسد الرجل نفسه:** وقد يعينُ الرجلُ نفسه؛ وقد يعين بغير إرادته، بل بطبعه. وهذا أردأ ما يكون من النوع الإنساني. وقد قال أصحابنا وغيرهم من الفقهاءِ: «إن مَن عُرف بذلك: حبسه الإمامُ، وأجرَى له ما ينفق عليه إلى الموت». وهذا هو الصواب قطعا.

● **العلاج النبوى للسحر (فصل):** والمقصود العلاج النبويُّ لهذه العلة. وهو أنواع.

وقد روى أبو داودَ فى سننه، عن سهل بن حُنَيفٍ، قال: «**مررْنا بسيْلٍ، فدخلتُ فاغتسلتُ فيه، فخرجتُ محمومًا. فنمى ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال: مُرُوا أبا ثابت يتعوَّذُ. (قال) فقلت: يا سيدى؛ والرُّقَى صالحة؟ فقال: لا رُقيةَ إلا فى نفس أَو حُمة أَو لَدغة**»[1] والنفْس: العين، يقال: أصابت فلانًا نفسٌ، أى عين. والنافِس: العائن. واللَّدْغة: بدال مهملة وغين معجمة؛ وهى ضربة العقرب ونحوها.

---

(١) انظر السنن للمنذري (٥:٣٦٤).

• **التعوذات والرقى (فمن التعوُّذات والرُّقى)**؛ الإكثارُ من قراءَة المعوِّذتين وفاتحة الكتاب وآية الكرسي.

(ومنها)؛ التعوذاتُ النبوية؛ نحو: أَعوذ بكلمات الله التامَّات من شر ما خَلق. ونحو: أَعوذ بكلمات الله التامَّة، من كل شيطانٍ وهامَّة، ومن كل عَينٍ لامَّةٍ. ونحو: أَعوذ بكلماتِ الله التامَّاتِ التي لا يُجاوزُهُنَّ بَرٌّ ولا فاجرٌ، من شر ما خلق وذرأَ وبرأَ، ومن شر ما ينزل من السماءِ، ومن شرِّ ما يَعرُج فيها، ومن شر ما ذرأَ في الأَرض، ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فِتَن الليلِ والنهار، ومن شر طَوَارق الليل والنهار، إلا طارقًا يطرُق بخير يا رحمان.

(ومنها)؛ أَعوذ بكلمات الله التامَّةِ من غضبه وعقابه، ومن شر عباده، ومن همَزات الشياطين وأَنْ يَحضُرون.

(ومنها)؛ اللهم إني أَعوذ بوجهك الكريم وكلماتك التامَّات، من شر ما أَنت آخذٌ بناصيته؛ اللهم أَنت تكشف المأْثَمَ والمَغْرمَ، اللهم إنه لا يُهزم جندُك، ولا يُخلف وعدك؛ سبحانك وبحمدك.

(ومنها)؛ أَعوذ بوجه الله العظيم الذي لا شيءَ أَعظمُ منه، وبكلماته التامات التي لا يجاوزهنَّ بر ولا فاجرٌ، وبأَسماءِ الله الحسنى - ما علمت منها وما لم أَعلمْ - من شر ما خلق وذرأَ وبرأَ، ومن شر كل ذي شرٍّ لا أُطيق شره، ومن شر كل ذي شرٍّ أَنت آخذٌ بناصيته، إن ربي على صراط مستقيم.

(ومنها)؛ اللهم أَنت ربي لا إله إلا أَنت، عليك توكلت، وأَنت ربُّ العرش العظيم؛ ما شاءَ الله كان، وما لم يشأْ لم يكن؛ لا حول ولا قوة إلا بالله، أَعلم أَنَّ الله على كل شيءٍ قديرٌ، وأَن الله قد أَحاط بكل شيءٍ علمًا، وأَحصى كل شيءٍ عددًا. اللهم إني أَعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشرْكه، ومن شر كل دابةٍ أَنت آخذٌ بناصيتها؛ إن ربي على صراط مستقيم وإن شاء قال: تَحصنتُ بالله الذي لا إله إلا هو إلهي وإله كل شيءٍ، واعتصمت بربي ورب كل شيءٍ، وتوكلت على الحي الذي لا يموت، واستَدْفَعتُ الشر بلا حولَ ولا قوةَ إلا بالله، حسبيَ الله ونعم الوكيلُ، حسبي الرب من العباد، حسبيَ الخالقُ من المخلوق، حسبي الرازق من المرزوق، حسبي الله هو حسبيَ، حسبي الذي بيده ملكوت كل شيءٍ وهو يُجيرُ ولا يجارُ عليه؛ حسبي الله

وكفَى سمع الله لمنْ دعا، وليس وراءَ الله مرمَى، حسبى الله لا إلَه إلا هو، عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم[1].

ومن جرب هذه الدعوات والعُوذ: عرف مقدار منفعتها، وشدة الحاجة إليها. وهى تمنع وصول أثر العائن وتدفعه بعد وصوله، بحسب قوة إيمان قائلها، وقوة نفسه واستعداده، وقوة توكله وثبات قلبه، فإنها سلاح، والسلاحُ بضاربه.

● **مما يدفع به إصابة العين (فصل):** وإذا كان العائن يخشى ضرر عينه وإصابتَها للمعين، فليدفع شرها بقوله: اللهم بارك عليه؛ كما قال النبى ﷺ، لعامر بن ربيعة – لما عان سهل بن حنيف –: «**ألا برَّكْتَ**» أى قلت: اللهم بارك عليه.

ومما يدفع به إصابة العين قول: ما شاءَ الله، لا قوة إلا بالله. روى هشام بن عروة عن أبيه: أنه كان إذا رأى شيئا يُعجبه، أو دخل حائطا من حيطانه – قال: «**ما شاءَ الله لا قوة إلا بالله**».

● **رقية جبريل:** ومنها: رُقْيةُ جبريل عليه السلام، للنبى ﷺ – التى رواها مسلم فى صحيحه «**باسم الله أرْقِيكَ، من كل داءٍ يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك؛ باسم الله أرقِيكَ**»[2].

ورأى جماعة من السلف: أن يُكتب له الآيات من القرآن، ثم يشربها. قال مجاهد: «لا بأس أن يكتب القرآن ويغسله ويسقيه المريض». ومثله عن أبى قِلابةَ. ويذكر عن ابن عباس: أنه أمر أن يُكتبَ لامرأة يَعسُرُ عليها ولادها، آيتان من القرآن، يُغسل ويسقى. وقال أيوب: «**رأيت أبا قِلابةَ كتب كتابًا من القرآن، ثم غسله بماءٍ وسقاه رجلا كان به وجعٌ**».

(فصل) ومنها: أن يؤمر العائنُ بغسل مغابنه وأطرافه، وداخلة إزاره – وفيه قولان:

(أحدهما): أنه فرجه. **(والثانى):** أنه طرفُ إزاره الداخل الذى يلى جسده من الجانب الأيمن. ثم يُصبُّ على رأس المعين من خلفه بغتة. وهذا مما لا يناله علاج

(١) راجع سنن ابن ماجه ١١٥٩/٢.
(٢) أخرجه مسلم في ٣٩- كتاب السلام (١٦) باب الطب والمرض والرقى، حديث (٣٩) والإمام أحمد فى «مسنده» (٦:١٦٠).

الأطباء؛ ولا ينتفع به من أنكره، أو سخر منه، أو شك فيه، أو فعله مجرِّبا: لا يعتقد أن ذلك ينفعه.

وإذا كان في الطبيعة خواصٌّ لا تعرف الأطباء عللها البتةَ - بل هي عندهم خارجةٌ عن قياس الطبيعة تفعل بالخاصية: فما الذى يُنكره زنادقتهم وجهلتهم من الخواص الشرعية؟! هذا مع أن في المعالجة بهذا الاستغسال، ما تشهد له العقول الصحيحة، وتقر لمناسبته. فاعلم أن ترياق سُم الحية: في لحمها وأن علاج تأثير النفس الغضَبية في تسكين غضبها وإطفاءِ ناره: بوضع يدك عليه، والمسح عليه، وتسكين غضبه. وذلك بمنزلة رجل: معه شعلة من نار، وقد أراد أن يقذفك بها، فصببت عليها الماءَ وهي في يده، حتى طفئتْ. ولذلك أمر العائن أن يقول: اللهم بارك عليه؛ ليدفع تلك الكيفيةَ الخبيثة بالدعاءِ الذى هو إحسان إلى المعين. فإن دواءَ الشيءِ بضده. ولما كانت هذه الكيفية الخبيثة تظهر في المواضع الرقيقة من الجسد، لأنها تطلب النفوذ فلا تجد أرق من المغابن وداخلةِ الإزار - ولا سيَّما إن كان كنايةً عن الفرج -: فإذا غسلت بالماءِ بطل تأثيرها وعملها. وأيضا: فهذه المواضع للأرواح الشيطانية بها اختصاص. والمقصود: أن غسلها بالماءِ يطفىءُ تلك النارية، ويذهبُ بتلك السُّمِّية. وفيه أمر آخر، وهو: وصول أثر الغسل إلى القلب، من أرق المواضع وأسرعها تنفيذًا، فيطفىء تلك النارية والسُّمية بالماءِ، فيشفى المعين. وهذا كما أن ذوات السموم إذا قتلت بعد لسعها: خف أثر اللسعة عن الملسوع ووجد راحة. فإن أنفُسها تمد أذاها بعد لسعها وتوصله إلى الملسوع؛ فإذا قتلت: خف الألم. وهذا مشاهد: وإن كان من أسبابه فرحُ الملسوع واشتفاءُ نفسه بقتل عدوه؛ فتقوى الطبيعة على الألم فتدفعه. وبالجملة: غسل العائن يذهب تلك الكيفية التي ظهرت منه؛ وإنما ينفع غسله عند تكيف نفسه بتلك الكيفية.

فإن قيل: فقد ظهرت مناسبة الغسل؛ فما مناسبة صب ذلك الماء على المعين؟

قيل: هو في غاية المناسبة. فإن ذلك الماء أطفأ تلك النارية، وأبطل تلك الكيفية الرديئة من الفاعل؛ فكما طفئت به النار القائمة بالفاعل، طفئت به وأبطلت عن المحل المتأثر، بعد ملابسته للمؤثر العائن. والماءُ الذى يطفأُ به الحديد، يدخل في أدوية عدة

طبيعية ذكرها الأَطباءُ. فهذا الذى طفئ به نارية العائن، لا يستنكر أن يدخل فى دواءٍ يناسب هذا الدواء.

وبالجملة فطب الطبائعية وعلاجهم بالنسبة إلى العلاج النبوىِّ، كطب الطرقية بالنسبة إلى طبهم، بل أقل. فإن التفاوت الذى بينهم وبين الأنبياء أعظم وأعظم من التفاوت الذى بينهم وبين الطرقية، بما لا يدرك الإنسان مقداره. فقد ظهر لك عقد الإخاء الذى بين الحكمة والشرع، وعدم مناقضة أحدهما للآخر. والله يهدى من يشاءُ إلى الصواب، ويفتح لمن أدام قرع باب التوفيق منه كل باب. وله النعمة السابقة، والحجة البالغة.

● **ستر محاسن من يخاف عليه العين (فصل):** ومن علاج ذلك أيضًا والاحتراز منه: ستر محاسن من يخاف عليه العين، بما يردها عنه. كما ذكر البغوىُّ فى كتاب شرح السنة: «أن عثمان رضى الله عنه، رأى صبيا مليحًا، فقال: دَسِّمُوا نُونَتَه لئلا تصيبه العين ثم قال فى تفسيره، ومعنى «دسموا نونته» أى: سوِّدوا نونته، والنونة النُّقرة التى تكون فى ذقن الصبى الصغير.

وقال الخطابى فى غريب الحديث له: «عن عثمان أنه رأى صبيًّا تأْخذه العين، فقال: دسموا نونته. فقال أَبو عمرو: سألت أَحمد بن يحيى عنه، فقال: أَراد بالنونة النقرة التى فى ذقنه؛ والتدسيمُ: التسويد. أَراد: سودوا ذلك الموضع من ذقنه، ليرد العين. قال: ومن هذا حديث عائشة: «أن رسول الله ﷺ، خطب ذات يوم وعلى رأْسه عمامة دسماء؛ أى: سوداء»؛ أَراد الاستشهاد على اللفظة. ومن هذا أَخذ الشاعر قوله:

مَا كَانَ أَحْوج ذَا الْكَمَالَ إِلَى ... عيبٍ يُوَقِّيهِ مِنَ الْعَيْنِ!!

● **من الرقى التى ترد العين (فصل):** ومن الرُّقَى التى ترد العين، ما ذُكر عن أبى عبد الله التَّيَّاحيِّ: «أنه كان فى بعض أسفاره للحج أَو الغزو، على ناقة فارهةٍ، وكان فى الرُّفقة رجل عائن قلَّما نظر إلى شيء إلا أتلفه. فقيل لأَبى عبد الله: احفظْ ناقتَك من العائن. فقال: ليس له إلى ناقتى سبيلٌ. فأُخبر العائنُ بقوله، فتحيَّنَ غَيبةَ أَبى عبد الله: فجاءَ إلى رَحْله، فنَظر إلى الناقة، فاضطربتْ وسقطت. فجاءَ أَبو عبد الله، فأُخبر: أن العائن قد عانها، وهى كما ترى فقال: دُلونى عليه. فدُل، فوقف عليه: وقال باسم الله؛

حبْسٌ حابسٌ، وحجرٌ يابسُ وشهابٌ قابسٌ، رددتُ عين العائن عليه، وعلى أحبِّ الناس إليه؛ ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ **(الملك: ٣، ٤)** فخرجتْ حَدَقتا العائن، وقامت الناقة لا بأْس بها».

فصل فى هديه ﷺ فى العلاج العام لكل شكوى، بالرقية الإلهية

روى أبو داود فى سننه، من حديث أبى الدرداءَ، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**من اشتكى منكم شيئًا أو اشتكاه أخ له، فلْيقلْ: ربنا الله الذى فى السماء، تقدَّسَ اسمك وأَمرُكَ فى السماءِ والأَرض؛ كما رحْمتُكَ فى السماءِ فاجعل رحمتك فى الأَرض، واغفر لنا حُوبنا وخطايانا؛ أنت رب الطَّيِّبين، أنزل رحمةً من عندك، وشفاءً من شفائك على هذا الوجع. فيبْرأ بإذن الله**»(١).

● **رقية جبريل** عليه السلام**:** في صحيح مسلم – عن أبى سعيد الخُدْرى –: «**أن جبريل عليه السلام أتى النبيَّ ﷺ، فقال: يا محمد، اشتكيْتَ؟ قال: نعم. فقال: جبريل عليه السلام: باسم الله أَرقيكَ، من كل داءٍ يؤذيكَ. ومن شر كل نفْسٍ أو عين حاسدٍ الله يشفيك؛ باسم الله أَرقيكَ**»(٢).

● **حديث لا رقية إلا من عين أو حمة وتأويله:** فإن قيل: فما تقولون فى الحديث الذى رواه أبو داود: «**لا رُقيةَ إلا من عينٍ أو حُمَةٍ**»؛ والحُمَةُ: ذوات السُّموم كلها؟.

فالجواب: أنه ﷺ لم يرد به نفى جواز الرقية فى غيرها؛ بل المراد به: لا رقية أولَى وأَنفعُ منها فى العين والحُمة. ويدل عليه سياق الحديث؛ فإن سهل بن حُنيف قال له لما أصابته العين. أَوَ فى الرُّقى خير؟ فقال: «**لا رقية إلا فى نفس أو حُمة**»؛ ويدل عليه سائر أحاديث الرُّقى العامة والخاصة. وقد روى أبو داود من حديث أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا رقية إلا من عينٍ، أو حمةٍ، أو دم يرقأ**»(٣). وفى صحيح مسلم عنه أيضا: «**رخص رسول الله ﷺ فى الرُّقية من العين والحُمَةِ والنملة**».

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الطب، باب كيف الرقى، ح (٣٨٩٢).

(٢) أخرجه مسلم في: ٣٩- كتاب السلام، (باب) الطب والمرض والرقى، والإمام أحمد في «مسنده» (٦:٣٣٢).

(٣) أخرجه أبو داود فى كتاب الطب (باب) ما جاء فى الرقى، ح (٣٨٨٩)، ص (٤: ١١)، وأخرجه مسلم فى كتاب الإيمان ح (٣٧٤)، والإمام أحمد في «مسنده» (١:٢٧١).

فصل فى هديه ﷺ فى رقية اللديغ بالفاتحة

أخرجا فى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى، قال: «**انطلقَ نفر من أصحاب النبى ﷺ فى سفرة سافرُوها، حتى نزلوا على حيٍّ من أحياء العرب؛ فاسْتضافوهم فأبوْا أن يُضَيِّفُوهم. فلُدغ سيدُ ذلك الحىِّ، فسَعوْا له بكل شيءٍ لا ينفعه شيءٌ. فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرَّهْطَ الذين نزلوا، لعلهم أن يكون عند بعضهم شيءٌ فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهط، إن سيدَنا لُدغ وسعينا له بكل شيءٍ لا ينفعه شيءٌ؛ فهل عند أحدٍ منكم من شيءٍ؟ فقال بعضهم: نعم؛ والله إنى لأرقى؛ ولكن اسْتَضَفْناكم فلم تضيفُونا؛ فما أنا براق حتى تجعلوا لنا جُعْلاً. فصالحوهم على قطيع من الغنم. فانطلق يَتْفلُ عليه، ويقرأُ الحمد لله رب العالمين. فكأنما نَشط من عقالٍ. فانطلق يمشى وما به قَلَبَةٌ. قال: فأوفَوهم جُعْلَهم الذى صالحوهم عليه، فقال بعضهم: اقتسموا. فقال الذى رقَى: لا تفعلوا حتى نأتى رسول الله ﷺ، فنذكر له الذى كان. فننظر ما يأمرنا. فقدمُوا على رسول الله ﷺ، فذكروا له ذلك. فقال: وما يدريك أنها رقيةٌ. ثم قال: قد أصبتم؛ اقتسمُوا واضربوا لى معكم سهما**»(1) وقد روى ابن ماجه فى سننه، من حديث على، قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير الدواء القرآنُ**»(2).

● **فضل القرآن ومعانى الفاتحة:** ومن المعلوم أن بعض الكلام له خواص ومنافع مجرَّبة؛ فما الظنُّ بكلام رب العالمين: الذى فضْله على كل كلام كفضل الله على خلقه؛ الذى هو الشفاءُ التام، والعصمة النافعة، والنور الهادى، والرحمة العامة؛ الذى لو أُنزل على جبلٍ لتصدَّع من عظمته وجلالته. قال تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**﴾ **(الإسراء: ٨٢)**. و «من» ههنا لبيان الجنس، لا للتبعيض. هذا أصح القولين. كقوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾ **(الفتح: ٢٩)**. وكلهم من الذين آمنوا وعملوا الصالحات؟ فما الظن بفاتحة الكتاب: التى لم ينزل فى القرآن ولا فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الزبور مثلُها؛ المتضمنة لجميع معاني كتب الله، المشتملةُ على ذكر أُصول أسماءِ الرب ومجامعها؛

---

(١) أخرجه البخارى فى: ٧٦- كتاب الطب، باب النفث في الرقية، ومسلم في: ٣٩- كتاب السلام، باب جواز أخذ الإجرة على الرقية.

(٢) أخرجه ابن ماجه، في الطب، باب الاستشفاء بالقرآن، حديث (٣٥٠١).

وهى: الله والرب والرحمن والرحيم، وإثبات المعاد، وذكرُ التوحيدين: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية؛ وذكرُ الافتقار إلى الرب سبحانه فى طلب الإعانة، وطلب الهداية، وتخصيصه سبحانه بذلك، وذكرُ أفضل الدعاء على الإطلاق وأنفعه وأفرضه، وما العباد أحوج شيء إليه؛ وهو: الهداية إلى صراطه المستقيم المتضمن كمالَ معرفته وتوحيده وعبادته، بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، والاستقامة عليه إلى الممات. ويتضمن ذكر أصناف الخلائق وانقسامهم إلى منعم عليه: بمعرفته الحقَّ والعمل به ومحبته وإيثاره، ومغضوب عليه: بعدوله عن الحق بعد معرفته له؛ وضالٍّ: بعدم معرفته له. وهؤلاء أقسام الخليقة. مع تضمنها لإثبات القدَر والشرع، والأسماء والصفات، والمعاد والنبوات، وتزكية النفوس، وإصلاح القلوب، وذكر عدل الله وإحسانه؛ والردِّ على جميع أهل البدع والباطل. كما ذكرنا ذلك فى كتابنا الكبير فى شرحها؟!. وحقيقٌ بسورة هذا بعض شأنها: أن يُستشفَى بها من الأدواء، ويُرقى بها اللَّديغ.

وبالجملة: فما تضمنته الفاتحة-: من إخلاص العبودية، والثناء على الله، وتفويض الأمر كله إليه، والاستعانة به والتوكل عليه، وسؤاله مجامع النعم كلِّها، وهى: الهداية التى تجلب النعم، وتدفع النقم – من أعظم الأدوية الشافية الكافية.

• **موضع الرقية من الفاتحة:** وقد قيل: إن موضع الرُّقية منها: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾. ولا ريب أن هاتين الكلمتين من أقوى أجزاءَ هذا الدواء، فإن فيهما: من عموم التفويض والتوكل، والالتجاء والاستعانة، والافتقار والطلب، والجمع بين أعلى الغايات، وهى: عبادة الرب وحده، وأشرف الوسائل، وهى: الاستعانةُ به على عبادته. ما ليس فى غيرها.

ولقد مر بى وقت بمكة: سقمت فيه، وفقدت الطبيب والدواءَ؛ فكنت أتعالج بها: آخذُ شربة من ماء زمزم، وأقرؤُها عليها مراراً، ثم أشربه. فوجدت بذلك البرءَ التام. ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع، فأنتفع بها غاية الانتفاع.

• **تأثير الرقى فى علاج ذوات السموم (فصل)**: وفى تأثير الرُّقى بالفاتحة وغيرها، فى علاج ذوات السموم، سرٌّ بديع. فإن ذوات السموم أثَّرت بكيفيات نفوسها الخبيثة كما تقدم، وسلاحها: حُمتُها التى تلدغ بها، وهى لا تلدغ حتى تغضب، فإذا

غضبت: ثار فيها السموم، فتقذفه بآلتها. وقد جعل الله سبحانه لكل داءٍ دواء، ولكل شيءٍ ضداً. ونفس الراقى تفعل فى نفس المُرْقى، فيقع بين نفسيهما فعلٌ وانفعالٌ -- كما يقع بين الداءِ والدواءِ -: فتقوى نفس المرْقَى وقوته بالرقية على ذلك الداء، فيدفعه بإذن الله. ومدار تأثير الأدوية والأدواء، على الفعل والانفعال. وهو كما يقع بين الداءِ والدواءِ الطبيعيين، يقع بين الداءِ والدواءِ الزوجانيين، والروحانى والطبيعىِّ. وفى النَّفْث والتفل استعانة بتلك الرطوبة والهواء، والنفَس المباشر للرقية والذكر والدعاء. فإن الرقية تخرج من قلب الراقى وفمه؛ فإذا صاحبها شيءٌ من أجزاءِ باطنه — من الريق والهواءِ والنفس -: كانت أتم تأْثيراً، وأقوى فعلا ونفوذا؛ ويحصل بالازدواج بينهما كيفيةٌ مؤثرة، شبيهةٌ بالكيفية الحادثة عند تركيب الأدوية.

وبالجملة: فنفْسُ الراقى تقابل تلك النفوس الخبيثة، وتزيد بكيفية نَفَسه، وتستعين بالرقية وبالنفْث على إزالة ذلك الأثر. وكلَّما كانت كيفيةُ نَفس الراقى أقوى، كانت الرقيةُ أتمَّ، واستعانتهُ بنفْثه كاستعانة تلك النفوسِ الرديئة بلسعها. وفى النفث سر آخر: فإنه مما تستعين به الأرواح الطيبة والخبيثة. ولهذا تفعله السحرة، كما يفعله أهل الإيمان. قال تعالى: ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَات فِى الْعُقَد ﴾. وذلك: لأن النفْس تتكيف بكيفية الغضب والمحاربة، وترسل أنفاسها سهامًا لها، وتُمدها بالنفْث والتفْل الذى معه شيءٌ من ريق مصاحب لكيفية مؤثرة. والسواحر تستعين بالنفث استعانة بينةً: وإن لم يتصل بجسم المسحور، بل ينفثُ على العُقدة ويعقدها ويتكلم بالسحر، فيعمل ذلك فى المسحور: بتوسط الأرواح السُّفلية الخبيثة؛ فتقابلها الروح الزكية الطيبة؛ بكيفية الدفع والتكلم بالرقية، وتستعين بالنفث؛ فأيُّهما قَوىَ كان الحكمُ له. ومقابلة الأرواح بعضها لبعض ومحاربتها وآلتها، من جنس مقابلة الأجسام ومحاربتها وآلتها سواء. بل الأصلُ فى المحاربة والتقابل للأرواح. والأجسام آلتها وجندها. ولكن: من غلب عليه الحسُّ لا يشعر بتأْثيرات الأرواح وأفعالها وانفعالاتها؛ لاستيلاءِ سلطان الحس عليه، وبُعده من عالم الأرواح وأحكامها وأفعالها.

والمقصود: أن الروح إذا كانت قوية، وتكيفتْ بمعانى الفاتحة، واستعانت بالنفث والتفْل: قابلتْ ذلك الأثر الذى حصل من النفوس الخبيثة، فأزالتْه. والله أعلم.

فصل فى هديه ﷺ فى علاج لدغة العقرب بالرقية

روى ابن أَبى شَيْبةَ فى مسنده، من حديث عبد الله بن مسعود، قال: «**بيْنا رسولُ الله ﷺ يصلى، إذ سجد: فلَدغتْه عقربٌ فى إصبعه، فانصرفَ رسول الله ﷺ، وقال: لعن الله العقرب: ما تَدعُ نبيًّا ولا غيره.** (قال): **ثم دعا بإناء فيه ماءٌ وملحٌ، فجعلَ يضعُ موضعَ اللَّدغةِ فى الماءِ والملحِ، ويقرأُ قُل هُو اللَّهُ أَحدٌ، والمُعوِّذتَيْن. حتى سكنتْ**»(1).

● **العلاج بالدواء المركب من الإلهى والطبيعى:** ففى هذا الحديث، العلاجُ بالدواءِ المركب من الأمرين: الطبيعيِّ والإلهى.

● **فضيلة سورة الإخلاص:** فإن فى سورة الإخلاص: من كمال التوحيد العلميِّ الاعتقاديِّ، وإثباتِ الأَحديَّة لله المستلزمةِ نفَى كلِّ شركة عنه؛ وإثبات الصَّمديَّة المستلزمةِ لإثبات كل كمال له، مع كون الخلائق تَصمُدُ إليه فى حوائجها، أى: تقصده الخليقة وتتوجه إليه عُلويُّها وسُفليُّها، ونفى الوالد والولد والكُفء عنه، المتضمنِ لنفى الأَصل والفرع والنظير والمماثل. ما اختصت به، وصارت تعدل ثُلث القرآن. ففى اسمه «الصمد»: إثباتُ كل الكمال؛ وفى نفى الكفء: التنزيهُ عن الشبيه والمثال؛ وفى «الأحد»: نفيُ كل شريك لذى الجلال. وهذه الأُصول الثلاثة هى مجامع التوحيد.

● **فضيلة المعوذتين:** وفى المعوِّذتين الاستعاذةُ من كل مكروه جملة وتفصيلا: فإن الاستعاذةَ من شر ما خلق نعم كل شر يُستعاذ منه، سواءً كان فى الأجسام أو الأرواح. والاستعاذةَ من شر الغاسق، وهو الليل، وآيته – وهو القمر إذا غاب – تتضمن الاستعاذة من شر ما ينتشر فيه: من الأَرواح الخبيثة التى كان نور النهار يحول بينها وبين الانتشار؛ فلما أَظلم الليل عليها وغاب القمر: انتشرت وعاثت. والاستعاذة من شر النفاثات فى العقد تتضمن الاستعاذة من شر السواحر وسحرهن. والاستعاذة من شر الحاسد تتضمن الاستعاذة من النفوس الخبيثة المؤدية لحسدها ونظرها والسورة الثانية تتضمن الاستعاذة من شر شياطين الإنس والجن. فقد جمعتْ السورتان الاستعاذة من كل شر، ولهما شأْن عظيم فى الاحتراس والتحصن من الشرور قبل

(1) أخرجه البيهقى في شعب الإيمان، وضعفه السيوطى، وقال المناوي: سنده ضعيف.، وأبو نعيم فى الطب.

وقوعها. ولهذا أوصى النبيُّ ﷺ عقبةَ بن عامر؛ بقراءتهما عقب كل صلاة. ذكره الترمذيُّ في جامعه(1). وفى هذا سر عظيم فى استدفاع الشرور من الصلاة إلى الصلاة. وقال: «**ما تَعوَّذ المتعوِّذون بمثلهما**» وقد ذُكر: أنه ﷺ سُحر فى إحدى عشرةَ عُقدةً، وأنّ جبريلَ نزل عليه بهما؛ فجعَل كلَّما يقرأُ آيةً منهما: انحلتْ عقدةٌ، حتى انحلتْ العُقَدُ كلُّها وكأنما نَشط من عِقالٍ».

● **العلاج بالملح:** وأما العلاج الطبيعى فيه: فإن فى الملح نفعًا لكثير من السموم، ولا سيما لدغة العقرب. قال (ابن سينا) صاحب (كتاب) القانون: «يضمَّد به مع بزر الكتان للسع العقرب» وذكره غيره أيضًا. وفى الملح: من القوة الجاذبة المحللة؛ ما يجذب السموم ويحللها. ولَمَّا كان فى لسعها قوة نارية تحتاج إلى تبريدٍ وجذْب وإخراج: جمع بين الماءِ المبرد لنار اللسعة، والملح الذى فيه جذبٌ وإخراج. وهذا أتم ما يكون من العلاج وأيسره وأسهله، وفيه تنبيه على أن علاج هذا الداء: بالتبريد والجذب والإخراج. والله أعلم.

● **أعوذ بكلمات الله التامات تقى من لدغ العقرب:** وقد روى مسلم فى صحيحه، عن أبى هريرة، قال: «**جاءَ رجل إلى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله، ما لقيت من عقربٍ لدغتنى البارحة! فقال: أَما لو قلت حين أمسيْتَ: أعوذ بكلمات الله التامَّات من شرِّ ما خلق؛ لم تضرَّك**»(2).

● **الأدوية الإلهية تنفع من الداء بعد حصوله وتمنع من وقوعه:** واعلم أن الأَدوية الإلهية تنفع من الداءِ بعد حصوله، وتمنع من وقوعه، وإن وقع: لم يقع وقوعًا مضرًا وإن كان مؤذيًا. والأَدوية الطبيعية إنما تنفع بعد حصول الداءِ. فالتعوُّذات والأَذكارُ: إما أن تمنع وقوع هذه الأَسباب، وإما أن تحول بينها وبين كمال تأْثيرها، بحسب كمال المتعوِّذ وقوته وضعفه. فالرُّقَى والعوذُ تستعمل: لحفظ الصحة، ولإزالة المرض.

أما الأول: فكما في: الصحيحين، من حديث عائشة، قالت: «**كان**

(١) أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في المعوِّذتين، حديث (٢٩٠٢).
(٢) أخرجه مسلم في: ٥٥- كتاب الذكر (١٦) باب في التعوذ من سوء القضاء، ح (٥٥).

رسول الله ﷺ ، إذا أوى إلى فراشه : نَفَث في كفيه بقُلْ هو الله أحدٌ والمعوِّذتين ، ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يدهُ من جسده»(١).

وكما في حديث عُوذة أبي الدَّرْداءِ المرفوع : «اللّهم أنت ربي ، لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت ربُّ العرشِ العظيم» ؛ وقد تقدم . وفيه : «من قالها أولَ نهارِه : لم تصبْه مصيبةٌ حتى يمسيَ ؛ ومن قالها آخر نهارِه : لم تصبْه مصيبةٌ حتى يصبح»(٢).

وكما في الصحيحين : «من قرأ الآيتيْن من آخر سورة البقرة ، في ليلة كفتَاه»(٣).

وكما في صحيح مسلم عن النبي ﷺ : «من نزل منزلاً ، فقال أعوذ بكلمات الله التامات مِن شرِّ ما خلق ؛ لم يضره شيءٌ حتى يرتحل من منزله ذلك»(٤).

وكما في سنن أبي داود : «أن رسول الله ﷺ كان في السفر ، يقول بالليل : يا أرضُ ؛ ربي وربكِ الله ؛ أعوذ بالله من شرِّكِ وشرِّ ما فيك ، وشرِّ ما يدبُّ عليك ، أعوذ بالله من أسد وأسْود ، ومن الحية والعقرب ، ومن ساكن البلد ، ومن والدٍ وما ولد»(٥).

وأما الثاني: فكما تقدم : من الرقية بالفاتحة ، والرُّقية للعقرب وغيرها مما يأتي .

فصل في هديه ﷺ في رقية النملة

قد تقدم من حديث أنس – الذى في صحيح مسلم –: «أنه ﷺ ، رخَّص في الرُّقية من الحُمَة والعين والنملة» .

وفي سنن أبي داود ، عن الشَّفَّاء بنت عبد الله ، قالت : «دخل عليَّ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، (باب) التعوذ والقراءة عند النوم، ومسلم في كتاب السلام، (باب) رقية المريض بالمعوذات.
(٢) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة.
(٣) أخرجه البخاري في فضائل القرآن، (باب) فضل سورة البقرة.
(٤) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، (باب) التعوذ من سوء القضاء.
(٥) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢:١٣٢).

رسول الله ﷺ -وأنا عند حفصةَ- **فقال: أَلا تُعَلِّمين هذه رقية النملة كما علَّمتيها الكتابة»**[1].

(النملة): قروح تخرج في الجنبين، وهو داءٌ معروف. وسمى نملة: لأن صاحبه يُحس في مكانه كأن نملة تَدِبُّ عليه وتَعضُّه. وأَصنافها ثلاثة.

قال ابن قتيبة وغيره: كان المجوس يزعمون: أن ولد الرجل من أُخته، إذا خُطَّ على النملة: شُفي صاحبها. ومنه قول الشاعر:

وَلاَ عيْبَ فِينَا غَيْرَ خطٍّ لِمَعْشَرٍ كِرامٍ، وأَنَّا لاَ نَخُطُّ على النَّمْلِ

● **رقية النملة**: وروى الْخَلاَّل: «**أن الشَّفَّاءَ بنت عبد الله كانت ترقى في الجاهلية من النملة؛ فلمَّا هاجرت إلى النبي ﷺ** -وكانت قد بايعته بمكة- **قالت: يا رسول الله؛ إِنِّي كنت أرقى في الجاهلية من النملة؛ وإني أريد أن أعرضها عليك. فعرضتْها فقالت: باسم الله صَلُتٌ حتى يعود من أفواهها ولا تضرُّ أَحداً؛ اللهم: اكشف الباسَ، ربَّ الناس. قال: ترقى بها على عود سبع مرات، وتقصد مكاناً نظيفًا، وتَدْلُكُه على حجر بخَلٍّ خَمرٍ حاذق، وتَطْليه على النملة**» وفي الحديث: دليلٌ على جواز تعليم النساء الكتابة.

فصل في هديه ﷺ في رقية الحية

قد تقدم قوله: «**لا رُقْيَةَ إلا في عيْنٍ أَو حُمَةَ**». (الحمة): بضم الحاء وفتح الميم وتخفيفها.

وفي سنن ابن ماجه - من حديث عائشة -: «**رخص رسول الله ﷺ في الرقية من الحية والعقرب**»[2]. ويذكر عن ابن شهاب الزهري، قال: «**لدغ بعض أصحاب رسول الله ﷺ حيةٌ، فقال النبي ﷺ: هل من راقٍ؟ فقال: يا رسول الله؛ إن آل حزم كانوا يرقون رقيةَ الحية، فلما نهيتَ عن الرُّقى: تركوها. فقال: ادعوا عُمارة بن حزم. فدعوه فعرض عليه رُقاه، فقال: لا بأْس بها. فأذن له فيها، فرقاه**»[3].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٦:٣٧٢) وأبو داود في كتاب الطب (باب) ما جاء في الرقى، ح (٣٨٨٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الطب، (باب) رقية الحية والعقرب، وأخرجه مسلم في كتاب السلام، (باب) استحباب الرقية.

(٣) أخرجه مسلم في: ٣٩- كتاب السلام، (٢١) باب استحباب الرقية، ح (٦٣).

فصل فى هديه ﷺ فى رقية القرحة والجرح

أَخرجا فى الصحيحين عن عائشة، قالت: «**كان رسول الله ﷺ، إذا اشتكى الإنسان أو كانت به قَرحةٌ أَو جُرحٌ، قال**[1] **بإصبعه هكذا ووضع سفيانٌ سبَّابته بالأرض ثم رفعها**»، وقال: **باسم الله تربةُ أَرضِنا بريقةِ بعضِنا، ليشفَى سقيمُنا، بإذن ربنا**»[2].

هذا من العلاج السهل الميسر النافع المركب، وهى معالجة لطيفة يعالج بها القُروحُ والجراحات الطرية، لا سيما عند عدم غيرها من الأَدوية. إذ كانت موجودة بكل أرض. وقد علم. أن طبيعة التراب الخالص باردة يابسة، مجففةٌ لرطوبات القروح والجراحات، التى تمنح الطبيعةُ من جودة فعلها، وسرعةِ اندمالها؛ لا سيما فى البلاد الحارة، وأَصحاب الأَمزجة الحارة. فإن القروح والجراحات يتبعها - فى أكثر الأَمر - سوءُ مزاج حار، فيجتمع حرارة البلد والمزاج والجراح. وطبيعة التراب الخالص باردة يابسة أَشد من برودة جميع الأَدوية المفردة الباردة؛ فتقابل برودة التراب حرارة المرض لا سيما إن كان التراب قد غسل وجُفف. ويتبعها أيضًا كثرة الرطوبات الرديئة والسيلان؛ والتراب مجفف لها، مزيل: لشدة يبسه وتجفيفه - للرطوبة الرديئة المانعة من بُرئها. ويحصل به - مع ذلك - تعديل مزاج العضو العليل. ومتى اعتدل مزاج العضو: قويت قواه المدبرة، ودفعت عنه الأَلم بإذن الله.

ومعنى الحديث: أنه يأَخذ من ريق نفسه على إصبعه السبابة، ثم يضعها على التراب، فيعلَق بها منه شيءٌ، فيمسح به على الجرح ويقول هذا الكلام؛ لما فيه: من بركة ذكر اسم الله، وتفويض الأمر إليه، والتوكل عليه. فينضم أَحدُ العلاجين إلى الآخر، فَيقْوَى التأْثير.

وهل المراد بقوله: «**تربة أَرضنا**» جميع الأَرض؟ أو أَرض المدينة خاصةً؟ فيه قولان. ولا ريب أَن من التربة ما تكون فيه خاصية ينفع بخاصيته من أدواءٍ كثيرة، ويشفى بها أَسقامًا رديئة. قال جالينوس: «رأَيت بالإسكندرية مطحُولين ومُستسقين[3] كثيرا،

(١) إن العرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال، النهاية فى غريب الحديث (٣:٢٨٥).
(٢) أخرجه البخاري في: ٧٦- كتاب الطب، (باب) رقية النبي صلى الله عليه وسلم، ومسلم فى كتاب السلام، باب استحباب الرقية من العين والنملة، ح (٥٤).
(٣) مصابون بالطحال والاستسقاء.

يستعملون طين مصر، ويطلون به على سُوقهم وأفخاذهم وسواعدهم وظهورهم وأضلاعهم؛ فينتفعون به منفعة بينة. قال: وعلى هذا النحو، فقد يقع هذا الطلاء للأورام العفنة والمترهِّلة الرخوة. قال: وإنى لأعرف قومًا - ترهلت أبدانهم كلها من كثرة استفراغ الدم من أسفل - انتفعوا بهذا الطين نفعًا بينًا، وقومًا آخرين شفوا به أوجاعًا مزمنة، كانت متمكنة فى بعض الأعضاءِ تمكنا شديداً، فبرأت وذهبت أصلا». وقال صاحب الكتاب المسيحى: «قوة الطين المجلوب من كنوس - وهى جزيرة المصطكى - قوة تجلو أو تغسل، وتنبت اللحم فى القروح، وتختم القروح» انتهى.

وإذا كان هذا فى بعض التربات، فما الظن بأطيب تربة على وجه الأرض وأبركها: وقد خالطت ريق رسول الله ﷺ. وقارنت رقيته باسم ربه وتفويضِ الأمر إليه؟! وقد تقدم أن قوى الرقية وتأثيرها: بحسب الراقى وانفعال المرقى عن رقيته. وهذا أمر لا ينكره طبيب فاضل عاقل مسلم؛ فإن انتفى أحد الأوصاف فليقل ما شاءَ.

فصل فى هديه ﷺ فى علاج الوجع بالرقية

روى مسلم فى صحيحه، عن عثمان بن أبى العاص: «**أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعًا يجدُه فى جسده منذ أسلم، فقال النبى ﷺ: ضع يدكَ على الذى تألمُ من جسدك، وقل: باسم الله ثلاثًا؛ وقل سبع مراتٍ: أعوذُ بعزةِ الله وقدرته، من شر ما أجدُ وأحاذرُ**»(1).

فى هذا العلاج: من ذكر اسم الله والتفويض إليه، والاستعاذة بعزته وقدرته من شر الألم. ما يَذهب به. وتكرارُه ليكون أنجع وأبلغ، كتكرار الدواء لإخراج المادة. وفى السبع خاصيةٌ لا توجد فى غيرها.

وفى الصحيحين: «**أن النبى ﷺ كان يعوذُ بعض أهله، يمسحُ عليه بيده اليمنَى، ويقول: اللهم رب الناسِ، أذهب الباس: واشفِ أنتَ الشافى، لا شفاءَ إلا شفاؤُك، شفاءً لا يغادر سقمًا**»(2).

---

(1) أخرجه مسلم فى كتاب السلام، باب استحباب وضع يده على موضع الألم. النووي على مسلم (٥:٥٠).
(2) أخرجه البخاري في: ٧٦- كتاب الطب، (باب) النفث فى الرقية.

ففى هذه الرُّقية توسلٌ إلى الله: بكمال ربوبيته وكمال رحمته بالشفاء. وأنه وحده الشافى، وأنه لا شفاءَ إلا شفاؤُه. فتضمنت التوسل إليه: بتوحيده وإحسانه وربوبيته.

فصل فى هديه ﷺ فى علاج حر المصيبة وحزنها

قال الله تعالى: ﴿ **وَبشِّر الصَّابرين * الَّذين إذَا أَصابتْهُم مُصيبةٌ قَالُوا: إنَّا لله وَإنَّا إلَيْه راجعُونَ * أُولئكَ عَلَيْهمْ صلَوَاتٌ منْ ربِّهمْ ورحْمَةٌ، وأُولئكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** ﴾ (البقرة:١٥٥-١٥٧).

وفى المسند عنه ﷺ، أنه قال: «**ما من أحدٍ تصيبه مصيبةٌ فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم: أجُرنى فى مُصيبتى، وأخلف لى خيراً منها – إلا آجَرَه الله فى مصيبته، وأخلف له خيراً منها**»[1].

وهذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب، وأنفعه له فى عاجلته وآجلته. فإنها تتضمن أصلين عظيمين – إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته – (**أحدهما**): أن العبد وأهله وماله ملكٌ لله عز وجل حقيقةً، وقد جعله عند العبد عاريةً. فإذا أخذه منه، فهو كالمعير: يأخذ متاعه من المستعير. وأيضاً: فإنه محفوف بعدميْن: عدمٍ قبله، وعدمٍ بعده. وملكُ العبد له مُتعةٌ مُعارة فى زمن يسير. وأيضاً: فإنه ليس هو الذى أوجده عن عدمه، حتى يكون ملكه حقيقة؛ ولا هو الذى يحفظه من الآفات بعد وجوده، ولا يُبقى عليه وجودَه. فليس له فيه تأثيرٌ ولا ملكٌ حقيقى. وأيضاً: فإنه متصرِّف فيه بالأمر، تصرُّفَ العبد المأمور المنهيِّ، لا تصرُّف المُلاَّك. ولهذا لا يباح له من التصرفات فيه، إلا ما وافق أمرَ مالكه الحقيقى.

(**والثانى**): أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحقِّ، ولا بد أن يُخلِّف الدنيا وراءَ ظهره، ويجىءَ ربه فردا – كما خلقه أول مرة – بلا أهلٍ ولا مال ولا عشيرة، ولكن بالحسنات والسيئات. فإذا كانت هذه بداية العبد وما خُوِّله ونهايته، فكيف يفرح بموجود، أو يأسى على مفقود! ففكرة العبد فى مبدئه ومعاده، من أعظم علاج هذا الداء.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز، (باب) ما يقال عند المصيبة، حديث (٤).

ومن علاجه، أن يعلم علم اليقين أن ما أصابه لم يكن ليُخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه. قال تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ من مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ (الحديد: ٢٢، ٢٣).

ومن علاجه، أن ينظر إلى ما أُصيب به، فيجد ربه قد أبقى عليه مثله أو أفضل منه، وادَّخر له – إن صبر ورضيَ – ما هو أعظمُ من فوات تلك المصيبة بأضعاف مضاعفة؛ وأنه لو شاء لجعلها أعظم مما هي.

ومن علاجه، أن يُطفيءَ نار مصيبته ببرد التأسِّي بأهل المصائب، وليعلم أنه في كل وادٍ بنو سعد؛ ولينظر يمْنةً، فهل يرى إلا محنةً؟ ثم ليعطف يسْرةً، فهل يرى إلا حسرةً؟ وأنه لو فتش العالم: لم ير فيهم إلا مبتلًى إما بفوات محبوب، أو حصول مكروه؛ وأن سرور الدنيا أحلام نوم، أو كظلٍّ زائل: إن أضحكتْ قليلا، أبكتْ كثيراً؛ وإن سرَّتْ يومًا، ساءَتْ دهرًا؛ وإن متَّعتْ قليلاً، منعت طويلا، وما ملأَت دارًا خيرةً، إلا ملأَتها عبرةً، ولا سرته بيوم سرور، إلا خبأَتْ له يوم شرور.

قال ابن مسعود -رضى الله عنه-: «لكل فرحةٍ تَرْحةٌ، وما مليءَ بيت فرحًا، إلا مليءَ تَرحًا».

وقال ابن سيرين: «ما كان ضحكٌ قط، إلا كان من بعده بكاءٌ».

وقالت هند بنت النعمان: «لقد رأيتُنا: ونحن من أعزِّ الناس وأشدِّهم مُلكا؛ ثم لم تغب الشمسُ حتى رأيتُنا: ونحن أَقلُّ الناس. وإنه حقٌّ على الله: أن لا يملأَ دارًا خيْرةً، إلا ملأَها عَبرةً».

وسألها رجل أن تحدثه عن أمرها، فقالت: «أصبحنا ذات صباح: وما في العرب أحدٌ إلا يرجونا، ثم أمسينا: وما في العرب أحد إلا يرحمُنا».

وبكت أختُها حُرقَةُ بنت النعمان يوما – وهي في عزها – فقيل لها: ما يبكيك؟ لعل أحداً آذاك؟ قالت: لا؛ ولكن رأيت غضارة في أهلي، وقلَّما امتلأَت دار سروراً، إلا امتلأَت حزنا».

قال إسحق بن طلحة: «دخلت عليها يومًا، فقلت لها: كيف رأيت عبرات

الملوك؟ فقالت: ما نحن فيه اليوم خيرٌ مما كنا فيه بالأمس؛ إنا نجد فى الكتب: أنه ليس من أهل بيت يعيشون فى خيْرة، إلا سيعقَبون بعدها عبرةً؛ وإن الدهر لم يظهر لقوم بيوم يحبونه، إلا بطن لهم بيوم يكرهونه. ثم قالت:

فبينَا نَسوسُ النَّاس: والأَمْرُ أَمْرُنا ... إذَا نحْنُ فيهِمْ سُوقَةٌ نَتَنصَّفُ
فَأُفٍّ لِدُنْيَا لاَ يدُومُ نعيمُها ... تقَلَّبُ تَاراتٍ بِنَا، وتَصرَّفُ

ومن علاجها: أن يعلم أن الجزع لا يردها، بل يضاعفها. وهو فى الحقيقة من تزايدُ المرض.

ومن علاجها: أن يعلم أن فوت ثواب الصبر والتسليم – وهو من الصلاة والرحمة والهداية التى ضمنَها الله على الصبر والاسترجاع أعظمُ من المصيبة فى الحقيقة.

ومن علاجها: أن يعلم أن الجزع يُشمت عدوه، ويُسيءُ صديقه، ويُغضب ربه، ويسر شيطانه، ويُحبط أجره، ويضعف نفسه. وإذا صبر واحتسب: أقصى شيطانه، ورده خاسئًا، وأرضى ربه، وسر صديقه، وساءَ عدوه، وحمل عن إخوانه، وعزَّاهم هو قبل أن يُعزوه. فهذا هو الثبات والكمال الأعظم؛ لا لطمُ الخدود، وشقُّ الجيوب والدعاءُ بالويل والثُّبور، والسخَطُ على المقدور.

ومن علاجها: أن يعلم أن ما يعقبه الصبر والاحتساب – من اللذة والمسرة – أضعافُ ما كان يحصل له ببقاءِ ما أُصيب به، لو بقى عليه. ويكفيه من ذلك بيتُ الحمد الذى يُبنى له فى الجنة، على حمده لربه واسترجاعه. فلينظر: أى المصيبتين أعظمُ: مصيبة العاجلة؟ أو مصيبة فوات بيت الحمد فى جنة الخلد؟.

وفى الترمذى مرفوعًا: «**يُودُّ ناس يوم القيامة أنَّ جلودهم كانت تُقرض بالمقاريض فى الدنيا، لما يرون: من ثواب أهل البلاء**»[1].

وقال بعض السلف: «لولا مصائبُ الدنيا، لورَدْنا القيامة مفاليس».

ومن علاجها: أن يُروِّح قلبه بروْح رجاءِ الخلَف من الله. فإنه من كل شيءٍ عوض، إلا الله فما منه عوضٌ. كما قيل:

(١) أخرجه الترمذي في الزهد، حديث (٢٠٤٢).

مِنْ كل - شَيْءٍ إذا ضَيَّعْتَهُ - عِوضٌ، وما مِن اللهِ - إنْ ضَيَّعْتَهُ -عِوض

ومن علاجها: أن يعلم أن حظه من المصيبة ما تحدثه له؛ فمن رضى فله الرضا، ومنْ سخط فله السَّخَط. فحظُّك منها ما أحدثته لك. فاختر إما خير الحظوظ، أو شرَّها. فإن أحدثت له سخطًا وكفرًا: كتب في ديوان الهالكين. وإن أحدثت له جزعًا وتفريطًا فى ترك واجب، أو فى فعل محرم -: كُتب فى ديوان المفرِّطين. وإن أحدثتْ له شكايةً وعدم صبرٍ: كُتب فى ديوان المغبونين. وإن أحدثتْ له اعتراضًا على الله، وقدحًا فى حكمته: فقد قرع باب الزندقة أو ولَجه. وإن أحدثت له صبرا وثباتًا لله: كُتب فى ديوان الصابرين. وإن أحدثت له الرضا: كُتب فى ديوان الراضين. وإن أحدثت له الحمد والشكر، كتب فى ديوان الشاكرين، وكان تحت لواء الحمد مع الحمَّادين. وإن أحدثت له محبةً واشتياقًا إلى لقاء ربه: كتب فى ديوان المحبين المخلصين.

وفى مسند الإمام أحمد والترمذى - من حديث محمود بن لبيد يرفعه-: «**إن الله إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم؛ فمن رضيَ فله الرضا، ومن سخِط فله السَّخَطُ**»؛ زاد أحمد: «**ومن جزع فله الجزعُ**»(1).

ومن علاجها: أن يعلم أنه وإن بلغ فى الجزع غايته، فآخر أمره إلى صبر الاضطرار. وهو غير محمود ولا مُثاب.

قال بعض الحكماء: «العاقل يفعل فى أول يوم من المصيبة، ما يفعله الجاهل بعد أيام. ومن لم يصبرْ صبْر الكرام، سلا سُلُوَّ البهائم». وفى الصحيح مرفوعًا: «**الصبرُ عند الصَّدْمة الأُولى**»(2) وقال الأشعث بن قيس، «إنك إن صبرت إيمانًا واحتسابًا؛ وإلا سلوت سلُوَّ البهائم».

ومن علاجها: أن يعلم أن أنفع الأدوية له موافقة ربه وإلهه وما رضيه له، وأن خاصيَّة المحبة وسرَّها موافقة المحبوب. فمن ادعى محبة محبوب، ثم سخِط ما يُحبه وأحبَّ ما يسخطه: فقد شهد على نفسه بكذبه، وتمقَّت إلى محبوبه.

---

(1) أخرجه الإمام أحمد فى «مسنده» (٥:٤٢٧، ٤٢٩).

(2) الحديث أخرجه البخاري في: ٢٣- كتاب الجنائز (٤٢) باب الصبر عند الصدمة الأولى.

وقال أبو الدرداء: «إن الله إذا قضى قضاءً، أحب أن يُرضَى به». وكان عمران بن الحصين، يقول فى علَّته: «أحبُّه إلىَّ: أحبُّه إليه». وكذلك قال أبو العالية.

وهذا دواءٌ وعلاج لا يعمل إلا مع المحبين، ولا يمكن كل أحد أن يتعالج به.

ومن علاجها: أن يوازن بين أعظم اللذتين والمتعتين وأدْومهما: لذة تمتعه بما أُصيب به، ولذة تمتعه بثواب الله له، فإن ظهر له الرجحان، فآثر الراجح: فليحمد الله على توفيقه. وإن آثر المرجوح من كل وجه: فليعلم أن مصيبته فى عقله وقلبه ودينه، أعظمُ من مصيبته التى أُصيب بها فى دنياه.

ومن علاجها: أن يعلم أن الذى ابتلاه بها: أحكمُ الحاكمين، وأرحمُ الراحمين؛ وأنه سبحانه لم يرسل إليه البلاءَ ليهلكه، ولا ليعذبه به، ولا ليجْتاحَه، وإنما اختبره به: ليمتحن صبره ورضاه عنه وإيمانه، وليسمع تضرعه وابتهالَه، وليراه طريحًا ببابه، لائذًا بجنابه؛ مكسور القلب بين يديه، رافعًا قصص الشكوى إليه.

قال الشيخ عبد القادر: «يا بنى: إن المصيبةَ ما جاءَت لتهلكَك، وإنَّما جاءَت لتمتحنَ صبرك وإيمانك؛ يا بنى: القدرُ سبعٌ، والسبعُ لا يأكل الميتةَ».

والمقصود: أن المصيبة كيرُ العبد الذى يُسبكُ به حاصله، فإما أن يخرج ذهبًا أحمرَ، وإما أن يخرجَ خَبثًا كله. كما قيل:

سَبَكْنَاه: ونَحْسبُهُ لُجَيْنًا؛ فأَبْدَى الْكيرُ عنْ خَبَثْ الْحَديد

فإن لم ينفعه هذا الكيرُ فى الدنيا: فبيْنَ يديه الكيرُ الأعظم. فإذا علم العبد أن إدخاله كيرَ الدنيا ومَسبكَها خيرٌ له من ذلك الكير والمسبك، وأنه لا بد من أحد الكيرين – فليعلم قدرَ نعمة الله عليه فى الكير العاجل.

ومن علاجها: أن يعلم أنه لولا محنُ الدنيا ومصائبها، لأصاب العبدَ –من أدْواء الكبْر والعُجب، والفرعنة وقسوة القلب – ما هو سببُ هلاكه عاجلاً وآجلاً. فمن رحمة أرحم الراحمين: أن يتفقده فى الأحيان بأنواع من أدوية المصائب، تكون حميةً له من هذه الأدواء، وحفظًا لصحة عبوديته، واستفراغًا للمواد الفاسدة الرديئة المهلكة منه. فسبحان من يرحم ببلائه، ويبتلى بنعمائه! كما قيل:

قَدْ يُنْعِمُ اللهُ بِالْبلْوى وإنْ عظُمَتْ وَيَبْتَلِى اللهُ بعْضَ الْقَوْمِ، بِالنِّعم

فلولا أنه سبحانه يداوى عباده بأدوية المحن والابتلاء، لطغوا وبغوا وعَتَوا. والله سبحانه إذا أراد بعبد خيرًا: سقاه دواءً – من الابتلاء والامتحان – على قدر حاله، يستفرغ به من الأدواء المهلكة؛ حتى إذا هذَّبه ونقاه وصفَّاه: أَهَّله لأشرف مراتب الدنيا – وهى عبوديته – وأرفع ثواب الآخرة، وهو رُؤْيته وقربه.

ومن علاجها: أن يعلم مرارة الدنيا هى بعينها حلاوة الآخرة، يقلبُها الله سبحانه كذلك؛ وحلاوةَ الدنيا بعينها مرارةُ الآخرة. ولأَنْ ينتقلَ من مرارة منقطعة، إلى حلاوة دائمة – خيرٌ له من عكس ذلك.

فإن خفَى عليك هذا فانظر إلى قول الصادق المصدوق: «**حُفَّت الجنة بالمَكاره، وحُفت النارُ بالشَّهوات**»(1).

وفى هذا المقام تفاوتت عقولُ الخلائق، وظهرت حقائق الرجال. فأكثرُهم آثر الحلاوةَ المنقطعة، على الحلاوة الدائمة التى لا تزول؛ ولم يحتمل مرارةَ ساعةٍ بحلاوة الأبد، ولا ذُل ساعة لعزِّ الأَبد، ولا محنة ساعةٍ لعافية الأَبد. فإن الحاضر عنده شهادةٌ، والمنتظر غيبٌ، والإيمانَ ضعيفٌ، وسلطان الشهوة حاكم. فتولَّد من ذلك إيثارُ العاجلة، ورفضُ الآخرة.

وهذا حال النظر الواقع على ظواهر الأمور وأوائلها ومبادئها. وأما النظر الثاقب الذى يخرق حُجُب العاجلة، ويُجاوزه إلى العواقب والغايات: فله شأنٌ آخرُ.

فادع نفسك إلى ما أعد الله لأَوليائه وأهل طاعته: من النعيم المقيم، والسعادة الأبدية، والفوز الأكبر؛ وما أعدَّ لأَهل البطالة والإضاعة: من الخزى والعقاب، والحسرات الدائمة. ثم اخترْ أيَّ القسميْن أَليقُ بك. و ﴿**كلٌ يعْملُ علَى شَاكلته**﴾، وكل أحد يصبُو إلى ما يناسبه وما هو الأَولى به. ولا تستطلْ هذا العلاج: فشدةُ الحاجة إليه – من الطبيب والعليل – دعت إلى بسطه. وبالله التوفيق.

فصل فى هديه ﷺ فى علاج الكرب والهم والغم والحزن

● **ما قاله ﷺ عند الكرب:** أخرجا فى الصحيحين – من حديث ابن عباس – أن رسول الله ﷺ، كان يقول عند الكَرْب: «**لا إله إلا اللهُ العظيم الحليم، لا إله إلا الله**

(1) الحديث أخرجه مسلم في: 51- كتاب الجنة، حديث (1)، (2174).

ربُّ العرشِ العظيم، لا إله إلا الله ربُّ السموات السبع، وربُّ الأرض، ربُّ العرش الكريم»[1].

● **ما قاله ﷺ إذا حزبه أمر:** وفى جامع الترمذيِّ عن أنس: أن رسول الله ﷺ، كان إذا حزَبه أمرٌ، قال: «**يا حيُّ يا قيومُ، برحمتك أستغيث**»[2]. وفيه عن أبى هريرة: «**أن النبى ﷺ، كان إذا أهمَّه الأمرُ: رفع طرْفه إلى السماءَ، فقال: سبحان الله العظيم. وإذا اجتهد فى الدعاءِ، قال: يا حيُّ يا قيومُ**»[3].

● **دعوات المكروب:** وفى سنن أبى داود، عن أبى بكرة، أن رسول الله ﷺ، قال: «**دعوات المكروب: اللهم رحمتَكَ أرجو؛ فلا تَكِلْنى إلى نفسى طرْفة عين، وأصلح لى شأْنى كلَّه؛ لا إله إلا أنت**»[4]. وفيها أيضًا عن أسماءَ بنت عُميس قالت: قال لى رسول الله ﷺ: «**ألا أُعلِّمُك كلمات تقوليهنَّ عند الكرب -أو فى الكرب-: الله ربى لا أُشرك به شيئًا**»[5]، وفى رواية: أنها تقال سبع مرات.

● **ما يقول العبد إذا أصيب بهم أو غم:** وفى مسند الإمام أحمد عن ابن مسعود، عن النبى ﷺ، قال: «**ما أصاب عبدا همٌّ ولا حَزَنٌ - فقال: اللهم إنى عبدكَ ابن عبدك ابن أَمتكَ، ناصيتي بيدكَ، ماضٍ فيَّ حُكمك، عدل فيَّ قضاؤُك؛ أسأَلك بكل اسم هو لكَ، سمَّيت به نفسك، أَو أَنزلته فى كتابكَ، أَو علمته أحداً من خلقك، أَو استأْثرْتَ به فى علم الغيب عندك؛ أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى، ونور صدرى، وجلاءَ حُزنى، وذهاب همِّى. إلا أذهب الله حزنه وهمه، وأبدله مكانه فرحًا**»[6].

● **دعوة يونس ﷺ:** وفى الترمذيِّ عن سعد بن أَبى وقَّاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «**دعوة ذى النون إذ دعا ربه وهو فى بطن الحوت-: ﴿ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ**

---

(١) أخرجه البخاري في: ٨٠- كتاب الدعوات (٢٧) باب الدعاء عند الكرب.
(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات (٥:٥٣٩).
(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات باب ما جاء ما يقول عند الكرب، حديث رقم (٣٤٣٦).
(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، حديث رقم (٥٠٩٠) مطولاً.
(٥) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب في الاستغفار، حديث رقم (١٥٢٥).
(٦) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١:٣٩٤، ٤٥٢).

إنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٨٧)، لم يدع بها رجل مسلم في شيءٍ قط، إلا استجيب له»(١). وفي رواية: «إني لأعلم كلمةً لا يقولها مكروب إلا فرَّج الله عنه؛ كلمةُ أخي يونس».

● **دعاء لسداد الدين:** وفي سنن أبي داود، عن أبي سعيد الخدري، قال: «**دخل رسول الله ﷺ ذات يوم في المسجد، فإذا هو برجل من الأنصار، يُقالُ له: أبو أُمامة. فقال: يا أَبا أُمامة مالي أراك في المسجد في غير وقت الصلاة؟ فقال: هموم لزمتْني وديون يا رسول الله. فقال: ألا أُعلِّمُك كلامًا إذا أنت قلته، أذهبَ الله عَزَّ وجل هَمَّكَ، وقَضى دينك؟ قال قلت: بلى يا رسول الله قال: قُلْ -إذا أصبحت، وإذا أمسيت-: اللهم إني أعوذُ بك من الهمِّ والحَزَن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل؛ وأعوذ بك من غلبة الدَّيْن، وقهر الرجال. (قال): ففعلت ذلك؛ فأذهب الله عز وجل همِّي، وقضى عني ديني**»(٢).

● **من فوائد الاستغفار:** وفي سنن أبي داود، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لزِم الاستغفار: جعلَ اللهُ له من كلِّ همٍّ فرجًا، ومن كلِّ ضيق مخرجًا، ورزَقه من حيثُ لا يحتسبُ**»(٣).

وفي المسند: «**أن النبي ﷺ، كان إذا حزَبه أمر: فزع إلى الصلاة**»(٤) وقد قال تعالى: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ (البقرة: ٤٥).

وفي السنن: «**عليكمْ بالجهاد: فإنه من أبواب الجنة، يدفعُ الله به عن النفوسِ الهمَّ والغمَّ**»(٥).

ويذكر عن ابن عباس، عن النبي ﷺ: «**من كثرت همومه وغمومه فلْيُكْثِرْ من قول لا حول ولا قوةَ إلاَّ بالله**». وثبت في الصحيحين: أنها كَنزٌ من كنوز الجنة. وفي الترمذي: أنها باب من أبواب الجنة(٦).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١٧٠:١).
(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة. مختصر السنن للمنذري (١٦٢:٢).
(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب الاستغفار حديث رقم (١٥١٨).
(٤) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٣٨٨:٥).
(٥) الحديث أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٥: ٣١٤، ٣١٦، ٣١٩، ٣٢٦، ٣٣٠).
(٦) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات (باب قول لا حول ولا قوة إلا بالله)، وأخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء (١٣) (باب استحباب خفض الصوت بالذكر)، مطولاً، حديث رقم (٤٤).

هذه الأَدوية تتضمَّن خمسةَ عشر نوعًا من الدواءِ – فإن لم تقو على إذهاب داء الهم والغم والحزن: فهو داءٌ قد استحكم وتمكنت أسبابه، ويحتاج إلى استفراغ كلِّيٌّ:

(الأول): توحيد الرُّبوبية. **(الثانى)**: توحيد الإلهية. **(الثالث)**، التوحيد العلمى الاعتقادىُّ. **(الرابع)**: تنزيه الرب تعالى عن أن يظلم عبده، أو يأْخذه بلا سبب من العبد يوجب ذلك. **(الخامس)**: اعتراف العبد بأنه هو الظالم. **(السادس)**: التوسُّل إلى الرب تعالى بأَحبِّ الأَشياء إليه؛ وهو: أَسماؤُه وصفاته. ومن أجمعها لمعانى الأَسماءِ والصفات: الحىُّ القيوم. **(السابع)**: الاستعانة به وحده. **(الثامن)**: إقرار العبد له بالرَّجاء. **(التاسع)**: تحقيقُ التوكلِ عليه، والتفويض إليه؛ والاعترافُ له: بأن ناصيته فى يده يُصرِّفُه كيف يشاء؛ وأنه ماض فيه حُكمُه، عدلٌ فيه قضاؤُه. **(العاشر)**: أن يرتَع قلبهُ فى رياض القرآن، ويجعلَه لقلبه كالربيع (الأخضر من النبات) للحيوان؛ وأن يستضىءَ به فى ظُلُمات الشُّبهات والشَّهوات؛ وأن يتسلَّى به عن كل فائت، ويَتعزَّى به عن كل مصيبة، ويستشفَى به من أدواءِ صدره: فيكون جلاءَ حزنه، وشفاءَ همِّه وغمه. **(الحادىَ عشر)**: الاستغفارُ. **(الثانى عشر)**: التوبةُ. **(الثالثَ عشر)**: الجهادُ. **(الرابع عشر)**: الصلاةُ. **(الخامس عشر)**: البراءَةُ من الحوْل والقوة، وتفويضُهما إلى مَن هُما بيده.

فصل فى بيان جهة تأثير هذه الأدوية فى هذه الأمراض

خلق الله سبحانه ابن آدم وأعضاءَه، وجعل لكل عضو منها كمالاً، إذا فقده أَحسَّ بالأَلم، وجعل لملكِها – وهو القلب – كمالاً: إذا فقده حضرتْه أسقامُه وآلامُه: من الهموم والغموم والأَحزان.

فإذا فقدت العينُ ما خُلقتْ له من قوة الإبصار؛ وفقدت الأُذنُ ما خُلقت له: من قوة السمع؛ وفقد اللسانُ ما خُلق له: من قوة الكلام–: فقدتْ كمالها.

● **لماذا خلق القلب**: والقلبُ خُلق: لمعرفة فاطره ومحبته وتوحيده، والسرور به، والابتهاج بحبه، والرضا عنه، والتوكل عليه، والحب فيه، والبغض فيه، والموالاة فيه، والمعاداة فيه، ودوام ذكره؛ وأن يكون أَحبَّ إليه من كل ما سواه، وأَرْجى عنده من كل ما سواه، وأَجلَّ فى قلبه من كل ما سواه، ولا نعيمَ له ولا سرورَ ولا لذةَ – بل ولا حياة

– إلا بذلك . وهذا له بمنزلة الغذاء والصحة والحياة . فإذا فَقد غذاءَه وصحته وحياته : فالهمومُ والغموم والأحزان مسارعةٌ من كل صوْب إليه، ورهْنٌ مقيم عليه .

● **من أعظم ادواء القلب:** ومن أعظم أدوائه : الشركُ والذنوب والغفلة، والاستهانةُ بمحابِّه ومَراضيه، وتركُ التفويض إليه، وقلةُ الاعتماد عليه؛ والركونُ إلى ما سواه؛ والسخَطُ بمقدوره، والشكُّ في وعده ووعيده .

وإذا تأملتَ أمراض القلب: وجدتَ هذه الأُمور وأمثالها، هي أسبابها، لا سببَ لها سواها . فدواؤُه – الذى لا دواءَ له سواه – ما تضمنتْه هذه العلاجات النبوية : من الأُمور المضادة لهذه الأَدواء . فإن المرض يُزال بالضد، والصحة تُحفظ بالمثْل . فصحتُه تُحفظ بهذه الأُمور النبوية، وأمراضُه بأَضدادها .

● **علاجات القلب:** فالتوحيدُ يفتح للعبد بابَ الخير والسرور واللذة والفرح والابتهاج . والتوبةُ استفراغٌ للأَخلاط والموادِّ الفاسدة التى هى سبب أَسقامه، وحميةٌ له من التخليط فهى تُغلق عنه باب الشرور . فيُفتح له بابُ السعادة والخير بالتوحيد، ويُغلق باب الشرور بالتوبة والاستغفار .

● **عافية الجسد وعافية القلب:** قال بعض المتقدمين من أئمة الطب : « من أراد عافية الجسم : فليقللْ من الطعام والشراب؛ ومن أَراد عافية القلب : فليتركْ الآثام » . وقال ثابت بن قُرَّةَ : « راحةُ الجسم فى قلة الطعام، وراحةُ الرُّوح فى قلة الآثام، وراحة اللسان فى قلة الكلام » .

● **الذنوبُ للقلب بمنزلة السُموم:** إن لم تُهلكْه أَضعفتْه ولا بد . وإذا أَضعفتْ قوتَه : لم يقدرْ على مقاومة الأَمراض . قال طبيبُ القلوب عبدُ الله بن المُبارَك :

رَأَيْتُ الذنُوبَ تُميتُ الْقُلُوب ... وقدْ يُورثُ الذُلَّ إدْمانُهَا
وتَرْكُ الذُّنُوبِ حياةُ الْقُلُوبِ ... وخيْرٌ لِنفْسكَ عِصْيَانُهَا

فالهوى أكبرُ أدوائها، ومخالفتُه أعظمُ أدويتها . والنفس فى الأَصل خُلقتْ جاهلةً ظالمةً؛ فهى لجهلها تظن شفاءَها فى اتباع هواها؛ وإنما فيه تلفُها وعطَبُها . ولظلمها لا تقبل من الطبيب الناصح . بل يضعُ الداء موضع الدواء فتعتمدُه، ويضعُ الدواءَ موضع الداءَ فتجتنُبه؛ فيتولَّدُ – من بين إيثارِها للداءِ، واجتنابها للدواءِ – أنواعٌ

من الأَسقام والعلل التى تُعيى الأَطباءَ، ويتعذر معها الشفاءُ. والمصيبةُ العظمى: أنها تركب ذلك على القَدر؛ فتبرِّئُ نفسها، وتلومُ ربَّها بلسان الحال دائما؛ ويقوى اللومُ حتى يصرح به اللسان.

وإذا وصل العليل إلى هذه الحال؛فلا يطمع فى بُرئه؛ إلا أن تتداركه رحمة من ربه: فيحييه حياة جديدة، ويرزقه طريقة حميدة. فلهذا كان حديث ابن عباس فى دعاء الكرب، مشتملاً على توحيد الإلهية والربوبية، ووصف الرب سبحانه بالعظمة والحلم. وهاتان الصفتان مستلزمتان لكمال القدرة والرحمة والإحسان والتجاوز، ووصفه بكمال ربوبيته للعالم العُلويِّ والسُّفليِّ، والعرشِ الذى هو سقفُ المخلوقات وأعظمها. والرُّبوبية التامة تستلزم توحيده، وأنه الذى لا تنبغى العبادة والحب والخوف والرجاء والإجلال والطاعة، إلاَّ له. وعظمته المطلقة تستلزم إثبات كل كمال له، وسلب كل نقص وتمثيل عنه. وحلمُه يستلزم كمال رحمته وإحسانه إلى خلقه.

فعلم القلب ومعرفتُه بذلك توجب محبته وإجلاله وتوحيده؛ فيحصل له -من الابتهاج واللذة والسرور- ما يدفع عنه ألم الكرب والهم والغم. وأنت تجد المريض: إذا ورد عليه ما يسره ويفرحه ويقوِّى نفسه، كيف تقوى الطبيعة على دفع المرض الحسِّى. فحصولُ هذا الشفاء للقلب أولى وأحرى.

ثم إذا قابلت بين ضيق الكرب وسعة هذه الأوصاف -- التى تضمَّنها دعاءُ الكرب --: وجدته فى غاية المناسبة لتفريج هذا الضيق، وخروج القلب منه إلى سعة البهجة والسرور. وهذه الأُمور إنما يصدِّق بها من أشرقت فيه أنوارُها، وباشر قلبه حقائقها.

● **فضل قوله يا حى يا قيوم**؛وفى تأثير قوله: «**يا حىُّ يا قيومُ برحمتك أستغيثُ**» -فى دفع هذا الداء- مناسبةٌ بديعة. فإن صفة الحياة متضمنةٌ لجميع صفات الكمال مستلزمة لها، وصفة القيُّومية متضمنة لجميع صفات الأفعال. ولهذا كان اسم الله الأعظمُ - الذى إذا دُعىَ به أجاب، وإذا سئل به أعطى - هو: اسم الحى القيوم. والحياة التامة تُضادُّ جميع الأَسقام والآلام. ولهذا لَمَّا كَمُلتْ حياة أهل الجنة: لم يلحقهم هم ولا غم ولا حزن، ولا شىءٌ من الآفات. ونقصان الحياة - يُضر بالأفعال، ويُنافى القيومية. فكمالُ القيومية لكمال الحياة. فالحىُّ المطلق التام لا يفوته صفة

الكمال البتة؛ والقيوم لا يتعذر عليه فعلٌ ممكنٌ البتة. فالتوسل بصفة الحياة والقيومية، له تأثيرٌ فى إزالة ما يُضادُّ الحياة، ويضر بالأَفعال.

● **توسل النبى ﷺ إلى ربه:** ونظير هذا توسل النبى ﷺ إلى ربه بربوبيته لجبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ: أن يهديَه لما اختُلف فيه من الحق بإذنه. فإن حياة القلب بالهداية؛ وقد وكَّل الله سبحانه هؤلاء الأملاك الثلاثة بالحياة: فجبريل موكَّلٌ بالوحى الذى هو حياة القلوب، وميكائيل بالقَطْر الذى هو حياة الأَبدان والحيوان، وإسرافيل بالنَّفْخ فى الصور الذى هو سببُ حياة العالم وعودِ الأَرواح إلى أَجسادها. فالتوسل إليه سبحانه، بربوبيَّته. هذه الأَرواح العظيمة الموكَّلة بالحياة، له تَأْثير في حصولِ المطلوب.

والمقصود: أن لاسم الحيِّ القيوم تأثيرًا خاصًا فى إجابة الدعوات، وكشف الكربات.

● **اسم الله الأعظم:** وفى السنن وصحيح أَبى حاتم مرفوعًا: «**اسم الله الأَعظم فى هاتيْن الآيتين: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة: ١٦٣)؛ وفاتحة آل عمران: ﴿ الٓمٓ * اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾**». قال الترمذيُّ: حديث صحيح[1].

وفى السنن وصحيح ابن حبَّان أيضًا - من حديث أنس -: «**أن رجلاً دعا، فقال اللهم، إنِّى أسألك بأن لك الحمد، لا إلهَ إلا أنت المنَّان بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حيُّ يا قيوم. فقال النبى ﷺ: لقد دعا الله باسمه الأَعظم: الذى إذا دُعى به أَجاب، وإذا سئل به أعطى**»[2].

ولهذا كان النبى ﷺ، إذا اجتهد فى الدعاءِ، قال: يا حيُّ يا قيوم.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب الدعاء، حديث رقم (١٤٩٦) وأخرجه ابن ماجه في: ٣٤- كتاب الأدب (٩) باب اسم الله الأعظم، حديث رقم ٣٨٥٥ ص (١٢٦٧)، وأخرجه الترمذي في كتاب الدعوات باب جامع الدعوات عن النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (٣٤٧٥).
وأخرجه الإمام أحمد فى «مسنده» (٦: ٤٦١)، وذكره السيوطي في الجامع الصغير ورمز له بالصحة. فيض القدير (١: ٥١٠).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة: باب الدعاء، حديث رقم (١٤٩٥) وأخرجه النسائى في كتاب السهو (٣: ٥٢) باب الدعاء بعد الذكر، وأخرجه ابن ماجه في ٣٤- كتاب الدعاء (٩) باب اسم الله الأعظم، حديث رقم (٣٨٥٨)، ص (١٢٦٨)، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (١: ٥٠٣-٥٠٤) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه.

• **اللهم رحمتك أرجو:** وفى قوله: «**اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلنى إلى نفسى طرْفة عينٍ، وأصلح لى شأنى كلَّه؛ لا إلهَ إلاَّ أنت**»: من تحقيق الرجاء لمن الخيرُ كله بيديه، والاعتماد عليه وحده، وتفويض الأمر إليه، والتضرع إليه: أن يتولَّى إصلاح شأنه، ولا يكلَه إلى نفسه؛ والتوسُّل إليه بتوحيده. ما له تأْثيرٌ قويٌّ فى دفع هذا الداء. وكذلك قوله: «**اللهُ ربِّى لا أُشركُ به شيئًا**».

• **دعاء ابن مسعود:** وأما حديث ابن مسعود: «**اللهم إنى عبدُك ابن عبدك**»؛ ففيه: من المعارف الإلهية، وأسرار العبودية، ما لا يتَّسع له كتاب. فإنه يتضمن الاعتراف بعبوديَّته وعبودية آبائه وأُمهاته؛ وأن ناصيته بيده يُصرفُها كيف يشاء، فلا يملك العبد دونه لنفسه، نفعًا ولا ضرًّا، ولا موتًا ولا حياةً، ولا نشوراً. لأن من ناصيته بيد غيره: فليس إليه شىءٌ من أمره، بل هو عانٍ (كالعبد) فى قبضته، ذليل تحت سلطان قهره.

• **ماض فىَّ حكمك عدل فىَّ قضاؤك:** وقوله: «**ماضٍ فىَّ حُكمُك، عدلٌ فىَّ قضاؤُكَ**» متضمِّنٌ لأَصلين عظيمين عليهما مدارُ التوحيد:

(أحدهما) إثباتُ القَدَر وأَن أَحكام الرب تعالى نافذة فى عبده، ماضيةٌ فيه، لا انفكاكَ له عنها، ولا حيلةَ له فى دفعها.

(والثانى): أنه سبحانه عدلٌ فى هذه الأَحكام غير ظالم لعبده؛ بل لا يخرج فيها عن موجب العدل والإحسان. فإن الظلم سببه: حاجةُ الظالم أو جهلُه أو سفهه؛ فيستحيل صدورُه ممَّن هو بكل شىءٍ عليمٌ، ومَن هو غنىٌّ عن كل شىءٍ، وكلُّ شىءٍ فقيرٌ إليه، ومن هو أَحكم الحاكمين. فلا تخرجُ ذرةٌ من مقْدوراته عن حكمته وحمده، كما لم يخرج عن قدرته ومشيئته. فحكمته نافذة حيثُ نفذتْ مشيئته وقدرته. ولهذا قال نبى الله هودٌ صلى الله على نبينا وعليه وسلم -وقد خوفه قومه بآلهتهم-: ﴿**إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ **(هود: ٥٤-٥٧)** أى: مع كونه سبحانه آخذاً بنَواصى خلقه وتصريفهم كما يشاء، فهو على صراطٍ مستقيم: لا يتصرفُ فيهم إلا بالعدل والحكمة، والإحسان والرحمة. فقوله: «**ماضٍ فىَّ حكمك**» مطابقٌ لقوله: ﴿**مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ**

بناصيتها ﴾، وقوله: «عدلٌ فىَّ قضاؤك»، مطابقٌ لقوله: ﴿ إنَّ ربِّي علَىٰ صراطٍ مُّسْتَقيمٍ ﴾.

● **التوسل بأسمائه تعالى التى تسمى بها:** ثم توسل إلى ربه بأسمائه التى سمَّى بها نفسه: ما علم العبادُ منها، وما لم يعلموا؛ ومنها: ما استأْثره فى علم الغيب عنده: فلم يُطلع عليه ملَكًا مقربًا، ولا نبيا مرسلاً. وهذه الوسيلة أَعظم الوسائل، وأَحبُّها إلى الله، وأَقربها تحصيلاً للمطلوب.

● **اجعل القرآن ربيع قلبى:** ثم سأله أن يجعل القرآن لقلبه كالربيع الذى يرتعُ فيه الحيوان - وكذلك القرآنُ: ربيعُ القلوب -. وأن يجعله شفاءَ همه وغمِّه؛ فيكونُ له بمنزلة الدواء الذى يستأْصل الداءَ، ويعيدُ البدن إلى صحته واعتداله. وأن يجعله لحزنه كالجلاء الذى يجلو الطُّبوعَ والأَصديةَ وغيرَها. فأَحْرَى بهذا العلاج - إذا صدق العليل فى استعماله - أن يُزيل عنه داءَه، ويُعقبه شفاءً تامًّا وصحةً وعافيةً. والله الموفق.

● **ما فى دعوة يونس ﷺ:** وأما دعوة ذى النون، فإن فيها: من كمال التوحيد والتنزيه للرب تعالى، واعتراف العبد بظلمه وذنبه. ما هو من أَبلغ أدوية الكَرب والهم والغم، وأَبلغ الوسائل إلى الله سبحانه فى قضاء الحوائج. فإن التوحيدَ والتنزيه يتضمنان إثباتَ كل كمال لله، وسلبَ كلِّ نقصٍ وعيبٍ وتمثيل عنه. والاعتراف بالظلم يتضمن إيمان العبد بالشرع والثواب والعقاب، ويوجب انكساره ورجوعه إلى الله، واستقالةَ عثرته، والاعتراف بعبوديته وافتقاره إلى ربه. فههنا أَربعةُ أُمور قد وقع التوسلُ بها: التوحيد، والتنزيه، والعبودية، والاعترافُ.

● **حديث أبي أمامة في الاستعاذة من الهم والحزن:** وأَما حديث أَبى أُمامة: «**اللهم، إنى أَعوذُ بكَ من الهم والحزَن**»؛ فقد تضمن الاستعاذةَ من ثمانية أَشياءَ كلٌّ اثنين منها قَرينان مُزدوجان: فالهمُّ والحزنُ أَخوان، والعجزُ والكسلُ أَخوان، والجُبنُ والبُخلُ أَخوان، وضَلَعُ الدَّيْن وغلبةُ الرجال أَخوان. فإن المكروه المؤلم إذا ورد على القلب: فإما أَن يكون سببه أَمرًا ماضيًا، فيوجب له الحزن. وإن كان أَمرًا متوقعًا فى المستقبل: أَوجب الهمَّ. وتخلفُ العبد عن مصالحه وتفويتها عليه: إما أَن يكون من عدم القدرة وهو العجزُ، أَو من عدم الإرادة وهو الكسل. وحبسُ خيره ونفعه عن نفسه وعن بنى جنسه: إما أَن يكون منْع نفعه ببدنه: فهو الجُبن؛ أَو بماله: فهو البخل.

وقهرُ الناس له إما بحق: فهو ضَلَع الدَّيْن؛ أو بباطل، فهو غَلبةُ الرجال. فقد تضمن الحديثُ الاستعاذةَ من كل شر.

● **تأثير الاستغفار فى دفع الهم:** وأما تأثير الاستغفار فى دفع الهم والغم والضيق، فلمَا اشتركَ في العلم به أهل الملل وعقلاءُ كل أُمة: أن المعاصيَ والفسادَ توجب الهم والغم، والخوفَ والحزن، وضيقَ الصدر، وأمراض القلب. حتى إن أهلها إذا قضَوْا منها أوطارَهم وسئمتها نفوسُهم: ارتكبوها دفعًا لما يجدونه فى صدورهم: من الضيق والهم والغم. كما قال شيخ الفسوق[1]:

وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ   وأُخْرَى تَداويْتُ مِنْهَا بِهَا

وإذا كان هذا تأثير الذنوب والآثام فى القلوب: فلا دواءَ لها إلا التوبةُ والاستغفار.

● **شأن الصلاة فى راحة الإنسان:** وأما الصلاةُ فشأنها فى تفريح القلب وتقويته، وشرحه وابتهاجه ولذته؛ أكبر شأن. وفيها: من اتصال القلب والرُّوح بالله وقربه، والتنعُّم بذكره، والابتهاج بمناجاته، والوقوف بين يديه، واستعمال جميع البدن وقُواه وآلاته فى عبوديته، وإعطاء كل عضو حظَّه منها، واشتغاله عن التعلُّق بالمخلوق وملابستهم ومحاورتهم؛ وانجذاب قُوى قلبه وجوارحه إلى ربه وفاطره، وراحته من عدوِّه حالةَ الصلاة. ما صارتْ به من أكبر الأدوية والمفرِّحات، والأغذية التى لا تُلائم إلا القلوب الصحيحة. وأمَّا القلوبُ العليلة، فهى كالأبدان العليلة لا تُناسبها الأغذيةُ الفاضلة.

فالصلاة: من أكبر العون على تحصيل مصالح الدنيا والآخرة، ودفع مفاسد الدنيا والآخرة، وهى منْهاة عن الإثم، ودافعةٌ لأدواء القلوب، ومطْردةٌ للداء عن الجسد، ومنوِّرة للقلب، ومبيِّضةٌ للوجه، ومُنشطة للجوارح والنفس، وجالبة للرزق، ودافعةٌ للظلم، وناصرةٌ للمظلوم، وقامعة لأخلاط الشهوات، وحافظةٌ للنعمة، ودافعةٌ للنقمة، ومُنزلةٌ للرحمة، وكاشفةٌ للغُمة، ونافعةٌ من كثير من أوجاع البطن.

وقد روى ابن ماجه فى سننه – من حديث مجاهد، عن أبى هريرة قال: «رآنى

---

(1) يقصد الأعشى الشاعر المعروف، وانظر ديوان الأعشى ص (١٢١).

رسول الله ﷺ : وأنا نائم أَشكو من وجع بطني ؛ فقال لي : يا أبا هريرة إشْكَم دَرْد ؟ قال قلتُ : نعم يا رسول الله . قال : قم فصلِّ ؛ فإن في الصلاة شفاءً»[1].

وقد رُوي هذا الحديثُ موقوفًا علَى أَبي هريرةَ، وأنه هو الذي قال ذلك لمجاهد . وهو أَشبهُ . ومعنى هذه اللفظةِ بالفارسية : أيوجعُكَ بطنُكَ ؟ .

فإن لم ينشرح صدر زنديق الأَطباءِ بهذا العلاج : فيخاطبُ بصناعة الطب، ويقالُ له : الصلاة رياضة النفس والبدن جميعًا؛ إذ كانت تشتمل على حركات وأوضاع مختلفة : من الانتصاب، والركوع، والسجود، والتَّورُّك والانتقالات؛ وغيرها من الأَوضاعِ التي يتحرك معها أكثر المفاصل، وينغمز معها أكثر الأَعضاءِ الباطنة : كالمعدة والأَمعاءِ، وسائر آلات النفس والغذاءَ. فما يُنكر أن في هذه الحركاتِ تقويةً وتحليلا للمواد – ولا سيَّما واسطة قوةِ النفس وانشراحها في الصلاة – فتقوى الطبيعة، فيندفع الأَلم .

ولكن داءَ الزندقة والإعراض عما جاءَت به الرسل، والتَّعوُّض عنه بالإلحاد داءٌ : ليس له دواءٌ إلا نارٌ ﴿ **تَلَظَّى ، لاَ يَصْلاَهَا إلاَّ الأَشْقى ، الَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّى** ﴾ .

● **تأثير الجهاد في دفع الهم،** وأَمَّا تأْثيرُ الجهاد في دفع الهم والغم، فأَمرٌ معلوم بالوجدان : فإن النفس متى تركتْ صائلَ الباطل وصولته واستيلاءَه، اشتد همُّها وغمها، وكربُها وخوفها . فإذا جاهدته لله تعالى : أبدل الله ذلك الهمَّ والحزن، فرحًا ونشاطا وقوةً . كما قال تعالى : ﴿ **قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ** ﴾ **(التوبة: ١٤)**، فلا شيءَ أَذهبُ لجوى القلب وغمِّه وهمه وحزنه، من الجهاد والله المستعان .

● **تأثير لا حول ولا قوة إلا بالله،** وأَمَّا تأْثيرُ : «**لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله**» في دفع هذا الداء، فلما فيها : من كمال التفويض، والتبرُّئ من الحول والقوة إلا به، وتسليم الأَمر كله له، وعدم منازعته في شيءٍ منه، وعموم ذلك لكل تحوُّلٍ من حال إلى حال

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الطب، باب الصلاة شفاء، حديث رقم (٣٤٥٨)، ص (١١٤٤)، وسنده ضعيف، ولم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تكلم الفارسية، وقال الفيروزأبادي في سفر السعادة: «وباب تكلم النبي صلى الله عليه وسلم بالفارسية لم يصح فيه شيء ولم يثبت».

في العالم العُلوى والسُّفلى، والقوةِ على ذلك التحول، وأن ذلك كله بالله وحده. فلا يقوم لهذه الكلمة شيء.

وفى بعض الآثار: «أنه ما ينزلُ ملكٌ من السماءِ ولا يَصعدُ إليها، إلا بلاَ حول ولا قُوةَ إلاَّ بالله». ولها تأثيرٌ عجيب فى طرد الشيطان. والله المستعان.

فصل فى هديه ﷺ فى علاج الفزع والأرق[1] المانع من النوم

روى الترمذىُّ فى جامعه، عن بُريدةَ، قال: شكا خالدٌ إلى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله، ما أنام الليل من الأرق. فقال النبى ﷺ: «**إذا أويْت إلى فراشك، فقل: اللهم ربَّ السموات السبْع وما أَظَلَّتْ، وربَّ الأَرضينَ وما أقلَّتْ، ورب الشياطين وما أَضلَّتْ، كن لى جارًا من شرِّ خلقكَ كلِّهم جميعًا: أَنْ يفْرُطَ علىَّ أَحدٌ منهم، أَو يَبغى علىَّ، عزَّ جارك، وجلَّ ثناؤُكَ، ولا إله غيرُك**»[2].

● **ما يقال عند الفزع:** وفيه أيضًا - عن عمرو بن شُعيب، عن أبيه، عن جده: «**أن رسول الله ﷺ، كان يعلِّمُهم من الفزع: أعوذُ بكلماتِ الله التامَّة من غضبه. وعقابه وشرِّ عباده، ومن همزاتِ الشياطين، وأعوذُ بك ربِّ أن يَحضُرُون. قال:**

---

(١) (الأرق): هو البقاء يقظًا لمدة طويلة بعد الذهاب للفراش، وقد يتأتى من أسباب كثيرة أغلبها يمكن تلافيها مثل: الإجهاد العصبي طوال اليوم، والتفكير الطويل، وتعاطي منبهات كالقهوة، أو عدم تجديد هواء الغرفة، أو تسرب الضوء إلى الحجرة، أو من انتفاخ البطن بالغازات.

وهناك القلق بعد نوم أول الليل، فيستيقظ الشخص بعد منتصف الليل، وقد تكون الحالات السابقة هي السبب أو قد تتأتى من قرحة الاثنى عشر، الربو الصدري - تصلب الشرايين.

أما النوم المتقطع فغالبًا يكون سببه الديدان، أو الزوائد الأنفية.

العلاج: إن تهدئة المريض هو أمر جوهري، وإسبال الطمأنينة على نفسه من أنجح الأسباب المزيلة للأرق، وقد جرب كثير من الناس قراءة آيات من القرآن الكريم ودعاء بعض الأدعية فهدأت نفوسهم واستغرقوا في النوم بعد ذلك.

كما ينصح بأخذ حمام دافيء، وشرب كأس من الحليب الدافيء، فإن لم تنجح هذه الأسباب يؤخذ أحد الأدوية التالية. (١) - قرص اسبرين.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات حديث رقم (٣٥٢٣) ص (٥:٥٣٨-٥٣٩) وقال أبو عيسى الترمذي: «هذا حديث ليس إسناده بالقوى، والحكم بن ظهير قد ترك حديثه بعض أهل الحديث، ويُروى هذا الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلاً من غير هذا الوجه».

وكان عبد الله بن عُمر يعلمُهنَّ من عقِل من بنيه، ومن لم يعقلْ كتبه وعلقه عليه»[1].

ولا يخفى مناسبةُ هذه العُوذَة، لعلاج هذا الداء.

فصل فى هديه ﷺ فى علاج داء الحريق وإطفائه

يذكر عن عمرو بن شُعيب، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا رأيتم الحريق: فكبروا، فإن التكبير يُطفئه**»[2].

لما كان الحريق سببهُ النارُ، وهى مادة الشيطان التى خُلق منها، وكان فيه من الفساد العام، ما يناسبُ الشيطان بمادته وفعله: كان للشيطان إعانةٌ عليه، تنفيذ له، وكانت النارُ تطلب بطبعها العلوَّ والفسادَ. وهذان الأمران وهما: العلوُّ فى الأرض، والفسادُ -هما هدْىُ الشيطان، وإليهما يدعو، وبهما يُهلكُ بنى آدم. فالنار والشيطان كل منهما يُريد العلوَّ فى الأرض والفساد. وكبرياءُ الرب عز وجل تَقمعُ الشيطان وفعلَه.

ولهذا كان تكبيرُ الله عز وجل، له أثرٌ فى إطفاءِ الحريق. فإن كبرياءَ الله عز وجل لا يقوم لها شىءٌ، فإذا كبر المسلمُ ربه: أثر تكبيرُه فى خمود النار وخمود الشيطان التى هى مادته، فيطفىءُ الحريق. وقد جربنا نحن وغيرنا هذا، فوجدناه كذلك. والله أعلم.

فصل فى هديه ﷺ فى حفظ الصحة

لما كان اعتدالُ البدن وصحتُه وبقاؤُه، إنما هو بواسطة الرطوبة المقاومة للحرارة: فالرطوبة مادته، والحرارةُ تنضجُها وتدفع فضلاتها، وتصلحها وتلطفها. وإلا: أفسدتْ البدن ولم يمكن قيامُه. وكذلك الرطوبةُ: هى غذاء الحرارة؛ فلولا الرطوبةُ: لأحرقتْ البدن وأيبَسَتْه وأفسدته. فقوام كل واحدة منهما بصاحبتها، وقوام البدن بهما جميعا. وكل منهما مادة للأخرى؛ فالحرارة مادة للرطوبة: تحفظُها وتمنعها من الفساد

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الطب (باب كيف الرقى)، حديث رقم (٣٨٩٣)، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٥٤٨:١) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد.

(٢) الحديث أخرجه ابن السني، وابن عدي عن ابن عباس، وابن عساكر، ورمز له السيوطي بالضعف، وعلل المناوي ضعفه بأن فى إسناده: ابن لهيعة ثم قال: وحال ابن لهيعة معروف والكلام فيه مشهور.

والاستحالة، والرطوبة مادة للحرارة: تغذوها وتحملها. ومتى مالت إحداهما إلى الزيادة على الأُخرى: حصل لمزاج البدن الانحرافُ، بحسب ذلك. فالحرارة دائمًا تحلِّلُ الرطوبة، فيحتاج البدن إلى ما به يُخلِّف عليه ما حلَّلتْه الحرارة - ضرورةَ بقائه - وهو: الطعام والشراب. ومتى زاد على مقدار التحلُّلِ: ضعُفت الحرارةُ عن تحليل فضلاته، فاستحالتْ موادَّ رديئةً: فعاثتْ فى البدن وأفسدتْ، فحصَّلت الأمراضَ المتنوعة بحسب تنوُّع موادِّها، وقبولِ الأعضاءِ واستعدادها.

● **حفظ الصحة فى هذه الآية:** وهذا كله مستفاد من قوله تعالى: ﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا** ﴾ **(الأعراف: ٣١)**، فأرشد عباده إلى إدخال ما يقيم البدن: من الطعام والشراب، عِوض ما تحلل منه، وأن يكون بقدر ما ينتفع به البدنُ: فى الكمية والكيفية. فمتى جاوز ذلك، كان إسرافًا. وكلاهما مانعٌ من الصحة، جالبٌ للمرض، أَعنى: عدم الأَكل والشرب، أو الإسرافَ فيه.

فحفظُ الصحة كلُّه فى هاتين الكلمتين الإلهيَّتَين. ولا ريب أن البدن دائمًا: فى التحلل والاستخلاف، وكلَّما كثر التحللُ: ضعفت الحرارة لفناء مادتها؛ فإن كثرة التحلل تفنى الرطوبة، وهى مادة الحرارة؛ وإذا ضعفت الحرارة: ضعف الهضم، ولا يزال كذلك حتى تفنى الرطوبةُ، وتنطفىءَ الحرارة جملةً؛ فيستكملُ العبد الأَجلَ الذى كتب الله له أن يصل إليه.

فغاية علاج الإنسان لنفسه ولغيره: حراسة البدن إلى أن يصل إلى هذه الحالة، لا أنه يستلزم بقاءَ الحرارة والرطوبة اللتين بقاءُ الشباب والصحة والقوة بهما، فإن هذا مما لم يحصل لبشر فى هذه الدار. وإنما غاية الطبيب أن يحمى الرطوبة عن مفسداتها من العفونة وغيرها، ويحمى الحرارة عن مضعفاتها، ويعدل بينهما بالعدل فى التدبير الذى به قام بدن الإنسان، كما أن به قامت السموات والأرض. وسائر المخلوقات إنما قوامُها بالعدل.

● **الأمور التى يكون بها حفظ الصحة:** ومَن تأمل هدىَ النبى ﷺ، وجده أفضل هديٍ يمكن حفظ الصحة به. فإن حفْظَها موقوف على حسن تدبير المطعم والمشرب، والملبس والمسكن والهواءِ، والنوم واليقظة، والحركة والسكون، والمنكَح، والاستفراغ

والاحتباس، فإذا حصلت هذه على الوجه المعتدل الموافق الملائم للبدن والبلد والسن والعادة: كان أقرب إلى دوام الصحة والعافية أو غلبتها إلى انقضاء الأجل.

ولما كانت الصحة من أجَلِّ نعم الله على عبده، وأجزل عطاياه، وأوفر منحه - بل العافية المطلقة أجلُّ النعم على الإطلاق: فحقيق لمن رُزق حظا من التوفيق، مراعاتها وحفظها، وحمايتها عما يضادُّها.

وقد روى البخارى فى صحيحه: من حديث ابن عباس - قال: قال رسول الله ﷺ: «**نعمتان مغبونٌ فيهما كثير من الناس: الصحةُ والفراغُ**»(١).

وفى الترمذى وغيره: من حديث عبد الله بن محصن الأنصارى - قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أصبح معافًى فى جسده، آمنًا فى سِرْبه، عنده قوتُ يومه: فكأنما حيزت له الدنيا**»(٢). وفى الترمذى أيضًا - من حديث أبى هريرة، عن النبى ﷺ - أنه قال: «**أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة من النعيم؛ أن يقال له: ألم نُصحَّ لكَ جسمك، ونُرَوِّكَ من الماء البارد؟!**»(٣). ومن ههنا، قال من قال من السلف - فى قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**﴾ (التكاثر: ٨). قال: عن الصحة.

وفى مسند الإمام أحمد: أن النبى ﷺ، قال للعباس: «**يا عباس يا عمَّ رسول الله؛ سل الله العافية فى الدنيا والآخرة**»(٤). وفيه عن أبى بكر الصديق، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**سلوا الله اليقين والمُعافاةَ فما أُوتىَ أحد -بعد اليقين- خيراً من العافية**»(٥). فجمع بين عافيتى الدين والدنيا. ولا يتمُّ صلاح العبد فى الدارين، إلا باليقين والعافية. فاليقين يدفع عنه عقوبات الآخرة، والعافية تدفع عنه أمراضَ الدنيا: فى قلبه وبدنه.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في: ٨١- كتاب الرقاق. فتح الباري (١١:٢٢٩)، وأخرجه الترمذي في أول كتاب الزهد (٤:٥٥٠)، وأخرجه ابن ماجه (٣٧- كتاب الزهد)، (١٥) باب الحكمة، حديث رقم (٤١٧٠)، ص (١٣٩٦)، كما أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١:٣٤٤). وانظر المقاصد الحسنة للسخاوي ص (٤٤٦).

(٢) أخرجه الترمذي وابن ماجه كلاهما في الزهد، والبخاري في «الأدب المفرد»، وفي سنده مجهول، وصححه ابن حبان.

(٣) أخرجه الترمذي في التفسير - تفسير سورة التكاثر، ورواه ابن حبان في «صحيحه»، من طريق أخرى.

(٤) أخرجه الترمذي، والإمام أحمد، انظر فيض القدير (٤:١٠٦).

(٥) أخرجه ابن ماجه في: ٣٤- كتاب الدعاء، (٥) باب الدعاء بالعفو والعافية، والإمام أحمد فى «مسنده» (١:٣).

وفى سنن النَّسائى: -من حديث أبى هريرة يرفعه -: «**سلوا الله العفو والعافية والمعافاة، فما أُوتيَ أحد -بعد اليقين- خيراً من مُعافاة**» وهذه الثلاثة تتضمَّن إزالة الشرور الماضية: بالعفو، والحاضرة: بالعافية، والمستقبلة بالمعافاة. فإنها تتضمن المداومة والاستمرار على العافية.

وفى الترمذى مرفوعاً: «**ما سُئل اللهُ شيئًا أحبَّ إليه من العافية**»(1).

وقال عبد الرحمن بن أبى ليلى: عن أبى الدَّرْداءَ: «**قلت: يا رسول الله، لأن أُعافى فأشكُر، أحبُّ إليَّ من أن أُبتَلَى فأصبر. فقال رسول الله ﷺ، ورسولُ الله يحُب معكَ العافية**».

ويذكر عن ابن عباس: «**أن أعرابيًّا جاءَ إلى رسول الله ﷺ، فقال له: ما أسألُ الله بعد الصلوات الخمس؟ فقال: سل الله العافيةَ. فأعاد عليه، فقال له فى الثالثة: سل الله العافية فى الدنيا والآخرة**».

وإذا كان هذا شأن العافية والصحة: فنذكرُ من هديه ﷺ، فى مراعاة هذه الأمور، ما يتبيَّنُ لمن نظر فيه أنه أكمل الهَدْى على الإطلاق: ينال به حفظ صحة البدن والقلب، وحياة الدنيا والآخرة. والله المستعان، وعليه التكلان؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فصـــل

● **هديه ﷺ فى المطعم والمشرب:** فأما المطعمُ والمشرب، فلم يكن من عادته ﷺ، حبسُ النفس على نوع واحد من الأغذية، لا يتعدَّاه إلى ما سواه. فإن ذلك يضر بالطبيعة جداًّ، وقد يتعذر عليها أحياناً: فإن لم يتناول غيرَه ضعفَ أو هلكَ، وإن تناول غيره لم تقبله الطبيعة: فاستْضرَّ به. فقصرها على نوع واحد دائمًا - ولو أنه أفضل الأغذية - خطرٌ مُضر.

● **أكله ما جرت عليه عادة أهل بلده:** بل كان يأكل ما جرت عادة أهل بلده بأكله: من اللحم والفاكهة والخبز والتمر، وغيره مما ذكرناه فى هديه فى المأكول. فعليك بمراجعته ههنا.

---

(1) أخرجه الترمذي في الدعوات.

وإذا كان فى أحد الطعامين كيفيةٌ تحتاج إلى كسرٍ وتعديلٍ: كسَرها وعدَّلها بضدها إن أمكن؛ كتعديله حرارةَ الرُّطب بالبطيخ. وإن لم يجد ذلك تناوله على حاجة وداعية من النفس من غير إسراف؛ فلا تتضرر به الطبيعة.

وكان إذا عافت نفسه الطعام: لم يأكله، ولم يحملها إيَّاه على كُره وهذا أصل عظيم فى حفظ الصحة. فمتى أكل الإنسان ما تعافه نفسه ولا تشتهيه: كان تضررُه به أكثر من انتفاعه.

● **ما عاب ﷺ طعاما قط:** قال أنس: «**ما عاب رسولُ الله ﷺ طعامًا قط، إن اشتهاه: أكلَه، وإلا: تركه ولم يأكلْ منه**»(١). ولمَّا قُدم إليه الضبُّ المشوىُّ: لم يأكل منه؛ فقيل له. أهو حرامٌ؟ قال: «**لا، ولكنْ: لم يكن بأرضِ قومى؛ فأجِدنى أعافُه**»(٢). فراعى عادته وشهوتَه، فلمَّا لم يكن يعتاد أكله بأرضه، وكانت نفسه لا تشتهيه: أمسك عنه، ولم يمنع مِن أكله من يشتهيه، ومنْ عادتُه أكلُه.

● **حبه ﷺ للحم:** وكان يحب اللحم وأحبُّه إليه: الذراعُ ومقدَّم الشاة. ولذلك سُمَّ فيه.

وفى الصحيحين: «**أُتىَ رسولُ الله ﷺ بلحم، فرُفع إليه الذراعُ، وكانت تُعجبُه**»(٣). وذكر أبو عُبيد وغيره، عن ضباعةَ بنت الزُّبير: «**أنها ذَبحتْ فى بيتها شاةً، فأرسل إليها رسولُ الله ﷺ: أنْ أطعمينا من شاتكم. فقالت للرسول: ما بقىَ عندنا إلاَّ الرَّقبةُ، وإنى لأستحى أنْ أُرسلَ بها إلى رسول الله ﷺ. فرجع الرسولُ فأخبره، فقال: ارجعْ إليها، فقلْ لها: أَرسِلى بها، فإنها هاديةُ الشاةِ وأقربُ إلى الخير، وأبعدُها من الأذى**»(٤).

ولا ريب أن أخفَّ لحمِ الشاة: لحمُ الرقبة، ولحمُ الذراع والعضد. وهو أخفُّ على المعدة، وأسرعُ انهضامًا. وفى هذا مراعاةُ الأغذية التى تجمع ثلاثة أوصاف: الأول: كثرةُ نفعها وتأثيرها فى القُوى. **(الثانى):** خفتُها على المعدة، وعدمُ ثقلها عليها.

(١) أخرجه البخاري في: ٦١- كتاب المناقب (٢٣) باب صفة النبي ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة (باب) الضب، ومسلم في كتاب الصيد (باب) إباحة الضب.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، (باب) قول الله عز وجل ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه﴾، كما أخرجه مسلم في كتاب الإيمان (باب) أدنى أهل الجنة منزلة، حديث رقم (٣٢٧).

(٤) أخرجه الإمام أحمد فى «مسنده» (٦:٣٦٠)، و (الهادية): الجارحة التى هدت جسمها أي تقدمته.

(الثالث): سرعةُ هضمها. وهذا أفضل ما يكون من الغِذاء. والتغذِّي باليسير من هذا، أنفعُ من الكثير من غيره.

● **حبه ﷺ للحلواء**: وكان يُحب الحَلْواءَ والعسل. وهذه الثلاثة - أعنى: اللحم، والعسل، والحلواءَ - من أفضل الأغذية، وأنفعها للبدن والكبد والأعضاءَ. وللاغتذاءِ بها نفعٌ عظيم فى حفظ الصحة والقوة؛ ولا ينضرُّ منها إلا من به علةٌ وآفة.

● **أكله للخبز مأدوما**: وكان يأكل الخبز مأْدُومًا؛ فتارةً يأْدمُه باللحم، ويقول: «**هو سيدُ طعام أهل الدنيا والآخرة**». رواه ابن ماجه وغيره[1]. وتارة بالبطيخ، وتارةً بالتمر. فإنه وضع تمرة على كِسْرة، وقال: «**هذا إدامُ هذه**»[2]. وفى هذا - من تدبير الغذاء - أن خبز الشعير بارد يابس، والتمر حار رطب على أصح القولين؛ فأدمُ خبزُ الشعير به من أحسن التدبير، لا سيَّما لمن تلك عادتُهم: كأهل المدينة. وتارة بالخل، ويقول: «**نعم الإدامُ الخلُّ**» وهذا ثناءٌ عليه بحسب مقتضىَ الحال الحاضر، لا تفضيلٌ له على غيره: كما يظن الجهالُ. وسببُ الحديث: «**أنه دخَل على أهله يوماً، فقدَّموا له خبزا، فقال: هل عندكم من إدام؟ قالوا: ما عندنا إلا خَلٌّ. فقال: نعمَ الإدام الخلُّ**»[3].

والمقصود: أن أكل الخبز مأْدومًا من أسباب حفظ الصحة؛ بخلاف الاقتصار على أحدهما وحده. وسُمى الأُدمُ أُدمًا: لإصلاحه الخبزَ وجعله ملائمًا لحفظ الصحة. ومنه قوله فى إباحته للخاطب النظر: «**إنه أحْرى أنْ يُؤْدمَ بيْنَهما**»؛ أى: أقربُ إلى الالتئام والموافقة؛ فإن الزوج يدخل على بصيرة، فلا يندم.

● **أكله ﷺ من فاكهة بلده**: وكان يأكل من فاكهة بلده عند مجيئها، ولا يَحتمى عنها. وهذا أيضًا من أكبر أسباب حفظ الصحة: فإن الله سبحانه - بحكمته - جعل فى كل بلد من الفاكهة، ما ينتفع به أهلُها فى وقته؛ فيكون تناوُلُه من أسباب صحتهم وعافيتهم، ويُغنى عن كثير من الأدوية. وقلَّ مَن احتَمى عن فاكهة بلده: خشيةَ السَّقَم، إلا وهو من أسقم الناس جسمًا، وأبعدهم من الصحة والقوة.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الأطعمة، (باب) اللحم، حديث رقم (٣٣٠٥).

(٢) أخرجه أبو داود فى «كتاب الأيمان والنذور» (باب) الرجل يحلف ألا يتادم، حديث (٣٤٥٩).

(٣) أخرجه مسلم فى: ٣٦- كتاب الأشربة (٣٠) باب فضيلة الخل، حديث (٦٦).

وما فى تلك الفاكهة: من الرطوبات فحرارةُ الفصل والأرض. وحرارة المعدة تُنضجها، وتدفع شرها: إذا لم يُسرفْ فى تناولها، ولم يُحمِّلْ منها الطبيعةَ فوق ما تحتمله، ولم يُفسد بها الغذاءَ قبل هضمه؛ ولا أفسدها بشرب الماء عليها، وتناول الغذاءِ بعد التحلِّى منها. فإن القُولَنْج كثيرا ما يحدث عند ذلك. فَمن أكل منها ما ينبغى، فى الوقت الذى ينبغى، على الوجه الذى ينبغى: كانت له دواءً نافعًا.

فصل فى هديه ﷺ فى هيئة الجلوس للأكل

● **كان ﷺ لا يأكل متكئا ونهى عن الأكل منبطحا:** صح عنه أن قال: «**لا آكل مُتَّكِئًا**»(1) وقال: «**إنما أجلس كما يجلس العبدُ، وآكلُ كما يأكل العبدُ**». وروى ابن ماجه فى سننه: «**أنه نهى أن يأكل الرجلُ وهو منبطحٌ على وجهه**».

● **معنى الاتكاء:** وقد فُسر الاتكاءُ: بالتربُّع. وفسر: بالاتكاءِ على الشىء، وهو الاعتماد عليه. وفسر بالاتكاءِ على الجنب. والأنواعُ الثلاثة من الاتكاء، فنوعٌ منها يُضر بالأكل، وهو: الاتكاءُ على الجنب. فإنه يمنعُ مجرى الطعام الطبيعى عن هيئته، ويعوقُه عن سرعه نفوذه إلى المعدة، ويضغط المعدةَ: فلا يستحكم فتحها للغذاء. وأيضًا: فإنها تميل ولا تبقى منتصبةً، فلا يصل الغذاءُ إليها بسهوله.

● **نعت جلوسه ﷺ للأكل:** وأما النوعان الآخران، فمن جلوس الجبابرة المنافى للعبودية. ولهذا قال: «**آكل كما يأكل العبد**»، وكان يأكل وهو مقْعٍ(2). ويذكر عنه: «**أنه كان يجلسُ للأكل مُتورِّكا على ركبتيه، ويضع بطن قدمه اليسرى، على ظهر قدمه اليمنى**»، تواضعًا لربه عز وجل، وأدبًا بين يديه، واحترامًا للطعام وللمؤاكل. فهذه الهيئة أنفع هيئات الأكل وأفضلُها: لأن الأعضاءَ كلها تكون على وضعها الطبيعى، الذى خلقها الله سبحانه عليه، مع ما فيها من الهيئة الأدبية. وأجودُ ما اغتذى الإنسان: إذا كانت أعضاؤه على وضعها الطبيعى، ولا يكون كذلك إلا إذا كان الإنسان منتصبًا الانتصابَ الطبيعى وأردأ الجلسات للأكل الأتكاءُ على الجنب؛ لما

---

(1) الحديث أخرجه البخاري ي: ٧٠- كتاب الأطعمة (١٣) باب الأكل مُتَّكِئًا، وأبو داود في (باب) ما جاء فى الأكل متكئًا، من كتاب الأطعمة، حديث رقم (٣٧٦٩).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، في: ٣٦- كتاب الأشربة (٢٤) باب استحباب تواضع الآكل، وصفة قعوده حديث (١٤٨) و (مقعيًا) أي: جالسًا على إليتيه، ناصبًا ساقيه.

تقدم: من أن المرئ وأعضاء الازدراد تضيق عند هذه الهيئة، والمعدة لا تبقى على وضعها الطبيعي. لأنها تنعصر مما يلي البطن بالأرض، ومما يلي الظهر بالحجاب الفاصل بين آلات الغذاء وآلات النفس.

وإن كان المراد بالاتكاء الاعتماد على الوسائد والوطاء الذى تحت الجالس، فيكون المعنى: أنى إذا أكلت لم أقعد متكئًا على الأَوْطية والوسائد، كفعل الجبابرة ومن يُريد الإكثار من الطعام، لكنى آكل بُلْغةً كما يأكل العبد.

● **أكله ﷺ بأصابعه الثلاثة (فصل)،** وكان يأكل بأصابعه الثلاثة. وهذا أنفع ما يكون من الأَكَلات: فإن الأَكل بإصبع أو إصبعين لا يَستلذُّ به الآكل ولا يُمريه، ولا يُشبعه إلا بعد طول؛ ولا تفرح آلاتُ الطعام والمعدة بما ينالها فى كل أكلة، فتأخذَها على إغماض، كما يأخذ الرجل حقَّه حبةً أو حبتين أو نحو ذلك، فلا يلتذُّ بأخذه، ولا يسرّ به. والأكل بالخمسة والراحة[1] يوجب ازدحام الطعام على آلاته وعلى المعدة -وربما استدَّت الآلاتُ فمات- وتُغضبُ الآلاتُ على دفعه، والمعدةُ على احتماله، ولا يجد له لذةً ولا استمراءً. فأنفع الأكل: أكله صلى الله عليه وسلم وأكلُ من اقتدى به بالأصابع الثلاث.

● **الأشياء التى لا يجمع بينها ﷺ (فصل)،** ومَن تدبَّر أغذيته ﷺ، وما كان يأكله-: وجَده لم يجمع قط بين لبن وسمك، ولا بين لبن وحامض، ولا بين غذائين حارين، ولا باردين، ولا لزجين، ولا قابضين ولا مسهلين، ولا غليظين، ولا مَرخَيين، ولا مستحيلين إلى خلط واحد، ولا بين مختلفَين: كقابض ومسهل، وسريع الهضم وبطيئه، ولا بين شَوِيٍّ وطبيخ، ولا بين طَرِيٍّ وقديد، ولا بين لبن وبيض، ولا بين لحم ولبن. ولم يكن يأكل طعامًا فى وقت شدة حرارته، ولا طبيخًا بائتًا يسخن له بالغد، ولا شيئا من الأطعمة العَفِنة والمالحة: كالكَوامخ والمخلَّلات والملوحات. وكل هذه الأنواع ضار مولِّدٌ لأنواع من الخروج عن الصحة والاعتدال.

● **إصلاحه بعض الأغذية ببعض،** وكان يُصلح ضرر بعض الأغذية ببعض: إذا وجد إليه سبيلاً، فيكسر حرارة هذا ببرودة هذا، ويبوسة هذا برطوبة هذا. كما فعل

---

(١) راحة اليد.

في القثَّاء والرطب وكما كان يأكل التمر بالسمن وهو: الَحيْس، ويشرب نقيع التمر يلطف به كَيْمُوسات[1] الأغذية الشديدة.

● **أهمية وجبة العشاء**: وكان يأمر بالعشاء ولو بكف من تمر، ويقول: «**تركُ العشاء مهْرَمةٌ**» ذكره الترمذي في جامعه، وابن ماجه في سننه[2].

● **النهي عن النوم بعد الأكل**: وذكر أبو نعيم عنه: «**أنه كان ينهى عن النوم على الأكل، ويذكر، أنه يقسي القلب**» ولهذا، في وصايا الأطباء لمن أراد حفظ الصحة: أن يمشي بعد العشاء خطوات ولو مائة خطوة، ولا ينام عقبه، فإنه مضر جدا. وقال مسلموهم أو يصليَ عقيبه، ليستقرَّ الغذاءُ بقعر المعدة، فيسهل هضمه ويجود بذلك.

● **لا شرب على طعام**: ولم يكن من هديه ﷺ: أن يشرب على طعامه فيفسده، ولا سيما إن كان الماءُ حارا أو باردا، فإنه رديءٌ جداً. قال الشاعر:

لاَ تَكنْ عنْد أَكْلِ سخْنٍ وبرْدٍ، ودخُول الْحمَّام - تَشربُ ماءَ
فَإذَا مَا اجْتَنَبْتَ ذلكَ حقًّا: لَم تَخَفْ ما حييتَ، فِي الجْوف داءَ

● **الأوقات التي ينهى عن الشرب فيها**: ويكره شرب الماء عقيب الرياضة والتعب، وعقيب الجماع، وعقيب الطعام وقبله، وعقيب أكل الفاكهة - وإن كان الشرب عقيب بعضها، أسهل من بعض - وعقب الحمام، وعند الانتباه من النوم. فهذا كله مناف لحفظ الصحة ولا اعتبار بالعوائد: فإنها طبائع ثوانٍ.

فصل في هديه ﷺ في الشراب

● **شرب العسل على الريق**: وأما هديه في الشراب، فمن أكمل هديٍ يُحفظ به الصحة: فإنه كان يشرب العسل الممزوج بالماء البارد. وفي هذا من حفظ الصحة، مالا يهتدي إلى معرفته إلا أفاضل الأطباء فإن شُربه ولعْقَه على الريق: يذيب البلغم، ويغسل خَمْل المعدة، ويجلو لزوجتها، ويدفع عنها الفضلات، ويسخنها باعتدال، ويدفع سددها، ويفعل مثل ذلك بالكبد والكلى والمثانة. وهو أنفع للمعدة من كل جلو دخلها.

---

(١) (الكيْموس): هو الطعام إذا انهضم في المعدة، قبل أن ينصرف عنها ويصير دمًا.
(٢) أخرجه الترمذي في: ٢٦- كتاب الأطعمة (باب) ما جاء في فضل العشاء، ح (١٨٥٦).

● **بمن يضر العسل:** وإنما يضر بالعرض لصاحب الصفراء، لحدَّته وحدة الصفراء، فربما هيجها. ودفع مضرته لهم بالخل، فيعود حينئذ لهم نافعًا جدًّا. وشربه أنفع من كثير من الأشربة، المتخذة من السكر أو أكثرها، ولا سيما لمن لم يعتد هذه الأشربة، ولا ألِفها طبعُه. فإنه إذا شربها: لا يلائمه ملائمةَ العسل، ولا قريبًا منه. والمحكم فى ذلك العادة: فإنها تهدم أصولا، وتبنى أصولاً.

● **نفع ما جمع بين الحلاوة والبرودة من الشراب:** وأما الشراب إذا جمع وصْفَىْ الحلاوة والبرودة: فمن أنفع شيء للبدن، ومن أكبر أسباب حفظ الصحة، وللأرواح والقُوى والكبد والقلب، عشقٌ شديد له، واستمدادٌ منه. وإذا كان فيه الوصفان: حصَلتْ به التغذية، وتنفيذ الطعام إلى الأعضاء وإيصاله إليها، أتمَّ تنفيذ.

● **الماء البارد:** والماءُ البارد رطب: يقمع الحرارة، ويحفظ على البدن رطوباته الأصليه، ويرد عليه بدل ما تحلَّل منها، ويرقِّق الغذاءَ، ويُنفذه فى العروق.

● **هل يغذى الماء البدن:** واختلف الأطباءُ، هل يُغذى البدن؟ على قولين:

فأثبت طائفةٌ التغذية به، بناءً على ما يشاهدونه: من النمو والزيادة والقوة فى البدن به، ولا سيما عند شدة الحاجة إليه.

قالوا: وبين الحيوان والنبات قدرٌ مشترك من وجوه عديدة، منها، النموُّ والاغتذاءُ والاعتدال. وفى النبات قوة حسٍّ وحركة تناسبه. ولهذا كان غذاءُ النبات بالماء. فما ينكر أن للحيوان به نوع غذاءٍ، وأن يكون جزءًا من غذائه التام.

قالوا: ونحن لا ننكر أن قوة الغذاء ومعظمه فى الطعام، وإنما أنكرنا أن لا يكون للماء تغذية البتة. قالوا: وأيضًا الطعام إنما يُغذَّى بما فيه: من المائية، ولولاها لما حصلت به التغذية.

قالوا: ولأن الماءَ مادة حياة الحيوان والنبات؛ ولا ريب أن ما كان أقرب إلى مادة الشيء حصلت به التغذية؛ فكيف إذا كانت مادتَه الأصلية؟! قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ **(الأنبياء: ٣٠)**. فكيف ينكر حصول التغذية بما هو مادة الحياة على الإطلاق؟!.

قالوا: وقد رأينا العطشان إذا حصل له الرِّيُّ بالماءِ البارد: تراجعت إليه قواه

ونشاطُه وحركته، وصبرَ عن الطعام، وانتفع بالقدر اليسير منه. ورأينا العطشان لا ينتفع بالقدر الكثير من الطعام، ولا يجد به القوة والاغتذاءَ. ونحن لا ننكر أن الماءَ يُنفذ الغذاءَ إلى أجزاءِ البدن، وإلى جميع الأعضاء؛ وأنه لا يتم أمر الغذاء إلا به. وإنما ننكر على من سلبه قوة التغذية عنه البتة؛ ويكاد قوله عندنا يدخل فى إنكار الأُمور الوجدانية.

وأنكرت طائفةٌ أخرى حصول التغذية به. واحتجت بأُمور: يرجع حاصلُها إلى عدم الاكتفاءِ به، وأنه لا يقوم مقام الطعام، وأنه لا يزيد فى نموِّ الأعضاء، ولا يخلف عليها بدل ما حللته الحرارة، ونحو ذلك مما لا ينكره، أصحاب التغذية، فإنهم يجعلون تغذيته بحسب جوهره ولطافته ورقته؛ وتغذية كل شيءٍ بحسب. وقد شوهد الهواءُ الرطب البارد اللين اللذيذ: يُغذِّى بحسبه. والرائحة الطيبة: تُغذى نوعًا من الغذاءِ. فتغذية الماءِ أظهر وأظهر.

والمقصود: أنه إذا كان باردا، وخالطه ما يحليه: كالعسل أو الزبيب أو التمر أو السكر. كان من أنفع ما يدخل البدن، وحفظَ عليه صحته. فلهذا كان أحبُّ الشراب إلى رسول الله ﷺ، البارد الحلو، والماءُ الفاتر ينفخ ويفعل ضدَّ هذه الأشياء.

● **الماء البائت:** ولما كان الماءُ البائت أنفع من الذى يشرب وقتَ استقائه، قال النبى ﷺ وقد دخل إلى حائط أبى الهيثم بن التيهان: «**هل من ماءٍ بات فى شَنّه؟**» فأتاه به، فشرب منه رواه البخاري. ولفظُه: «**إن كان عندكم ماءٌ باتَ فى شَنّه، وإلاَّ كرَعنا**»(1).

والماءُ البائت بمنزلة العجين الخمير، والذى شُرب لوقته بمنزلة الفَطير: وأيضًا: فإن الأجزاءَ الترابية والأرضية تفارقُه إذا بات، وقد ذُكر: أن النبى ﷺ كان يُسْتَعْذَبُ له الماء ويُختار البائتُ منه. وقالت عائشةُ: «**كان رسول الله ﷺ يُستَقَى له الماء العذْبُ من بئر السُّقْيا**»(2).

● **ماء القرب أفضل من ماء الآنية:** والماءُ الذى فى القِرب والشنان، ألذُّ من الذى

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في: ٧٤- كتاب الأشربة (١٤) باب شرب اللبن بالماء، وأخرجه أبو داود في الأشربة (١٨) باب في الكرع، ح (٣٧٢٤).

(2) الحديث أخرجه أبو داود في آخر كتاب الأشربة، ح (٣٧٣٥).

يكون فى آنية الفَخَّار والأحجار وغيرهما، ولا سيَّما أسقية الأَدَم (الجلد). ولهذا التَمسَ النبى ﷺ ماءً بات فى شَنِّه، دون غيرها من الأوانى. وفى الماء – إذا وُضع فى الشِّنان وقِرب الأدم – خاصةٌ لطيفةٌ، لما فيها: من المسام المنفتحة يَرشح منها الماءُ. ولهذا الماء الذى فى الفخار الذى يرشح، ألذُّ منه وأبرد فى الذى لا يرشح فصلواتُ الله وسلامه على أكمل الخلق، وأشرفهم نفسًا، وأفضلهم هدْيًا فى كل شىءٍ لقد دَلَّ أُمته على أفضل الأُمور وأنفعها لهم: فى القلوب والأبدان، فى الدنيا والآخرة.

● **أحب الشراب إليه ﷺ،** قالت عائشةُ رضى الله عنها: «**كان أحبُّ الشراب إلى رسول الله ﷺ، الحُلو البارد**»(1)، وهذا يحتمل: أن يريد به الماءَ العذب: كمياه العيون والآبار الحلوة. فإنه كان يُستعذب له الماءُ. ويحتمل: أن يريد به الماءَ الممزوج بالعسل، أو الذى نُقع فيه التمرُ أو الزبيبُ. وقد يقال –وهو الأظهر–: يعمُّها جميعا.

وقوله فى الحديث الصحيح، «**إن كان عندكَ ماءٌ باتَ فى شَنٍّ، وإلاَّ كَرعْنا**»، فيه دليلٌ على جواز الكرْع، وهو: الشرب بالفم من الحوض والمقْراة ونحوها. وهذه –والله أعلم– واقعةُ عين دعت الحاجةُ فيها إلى الكَرْع بالفم؛ أو قاله مبيِّنا لجوازه. فإن من الناس من يكرهُه، والأطباءُ تكاد تحرِّمه ويقولون: إنه يُضرُّ بالمعدة. وقد رُوى فى حديث – لا أدرى ما حاله؟ – عن ابن عمرَ رضى الله عنهما: «**أن النبى ﷺ نهانا أنْ نشرب على بطوننا وهو: الكَرع. ونهانا أنْ نغترف باليد الواحدة؛ وقال: لا يَلَغْ أحدُكم كما يَلَغُ الكلبُ، ولا يشربْ بالليل من إناءٍ حتى يختبره، إلاَّ أنْ يكونَ مخمَّرًا**»(2).

وحديث البخاريِّ أصحُّ من هذا. وإن صح فلا تعارُض بينهما: إذ لعلَّ الشرب باليد لم يكن يمكن حينئذٍ، فقال: وإلا كَرعْنا. والشربُ بالفم إنما يضرُّ: إذا انكبَّ الشارب على وجهه وبطنه، كالذى يشرب من النهر والغدير. فأما إذا شرب مُنتصبًا بفمه، من حوض مرتفع ونحوه: فلا فرْقَ بين أن يشرب بيده أو بفمه.

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٦: ٣٨، ٤٠)، والترمذي في «جامعه» في: ٢٧- كتاب الأشربة، (٢١) باب ما جاء أيُّ الشَّراب كان أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ح (١٨٩٥).

(2) سنن ابن ماجه حديث رقم (٣٤٣١).

● **الشرب قاعدا وهل يصح قائما (فصل)**: وكان من هديه الشربُ قاعداً؛ هذا كان هديه المعتاد.

وصحَّ عنه: أنه نهى عن الشرب قائمًا. وصح عنه: أنه أمر الذى شرب قائمًا أن يَسْتقِىءَ. وصح عنه: أنه شرب قائمًا(1).

فقالت طائفةٌ: هذا ناسخ للنهى.

وقالت طائفةٌ: بل مبيِّنٌ أن النهى ليس للتحريم، بل للإرشاد وترك الأَوْلى.

وقالت طائفةٌ: لا تعارُض بينهما أصلاً؛ فإنه إنما شرب قائمًا للحاجة: فإنه جاءَ إلى زمزم – وهم يستَقُون – منها فاستَقَى، فناولوه الدَّلو، فشرب وهو قائم. وهذا كان موضع حاجة.

● **مضار الشرب قائما**: وللشرب قائمًا آفاتٌ عديدة، منها: أنه لا يحصل به الرِّىُّ التام، ولا يستقر فى المعدة حتى يَقسمه الكبدُ على الأعضاء، وينزلُ بسرعة وحدَّة إلى المعدة، فيُخشى منه أن يُبردَ حرارتَها ويشوشها، ويُسرعَ النفوذ إلى أسافل البدن بغير تدريج. وكلُّ هذا يُضر بالشارب. وأمَّا إذا فعله نادراً أو لحاجة. لم يضره.

ولا يُعترضُ بالعوائد على هذا: فإن العوائد طبائع ثوانٍ، ولها أحكامٌ أُخرى وهى بمنزلة الخارج عن القياس عند الفقهاء.

● **التنفس ثلاثا في الشراب (فصل)**: وفى صحيح مسلم –من حديث أنس بن مالك– قال: «**كان رسول الله ﷺ يتنفَّسُ فى الشراب ثلاثًا، ويقولُ: إنه أَرْوى وأَمْرأ وأَبْرأُ**»(٢).

(الشراب) فى لسان الشارع وحملَة الشرع– هو؛: الماءُ. ومعنى تنفُّسه فى الشراب: إبانةُ القدح عن فيه وتنفُّسُه خارجه، ثم يعود إلى الشراب. كما جاءَ مصرَّحًا به فى الحديث الآخر: «**إذا شربَ أَحدُكم فلا يَتنفَّسْ فى القدح، ولكن. ليُبِن الإناءَ عن فيه**»(٣).

(١) مسلم بشرح النووي (٧٠٩:٤)، سنن ابن ماجه (١١٣٢:٢).
(٢) الحديث في صحيح مسلم في: ٧٦- كتاب الأشربة، (١٦) باب كراهة التنفس في نفس الإناء، واستحباب التنفس ثلاثاً، خارج الإناء، ح (١٢٣).
(٣) أخرجه مالك في الموطأ في: ٤٩- كتاب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، (٧) باب النهي عن الشراب في آنية الفضة، والنفخ في الشراب، حديث (١٢).

● **فوائد الشرب بثلاث جرعات:** وفي هذا الشُّرب حكمٌ جمة، وفوائدُ مهمة، وقد نبَّه ﷺ على مجامعها، بقوله: «**إنه أروَى وأمرأ وأبرأ**». فأروَى: أشدُّ ريًّا وأبلغُه وأنفعُه. وأبرأُ: أفعلُ من البُرءِ -وهو الشفاءُ- أي، يُبرىءُ من شدة العطش ودائه. لتردُّده على المعدة الملتهبة دفعات. فتسكن الدفعةُ الثانية ما عجزت الأولى عن تسكينه، والثالثةُ ما عجزت الثانية عنه. وأيضًا: فإنه أسلمُ لحرارة المعدة، وأبقى عليها من أن يهجُم عليها الباردُ وهلةً واحدة، ونَهْلةً واحدة.

وأيضًا، فإنه لا يُروى لمصادفته لحرارة العطش لحظةً، ثم يُقلع عنها ولما تُكسرْ سوْرتُها وحدَّتُها. وإن انكسرت لم تبطل بالكلية، بخلاف كسرِها على التمهُّل والتدريج.

وأيضًا، فإنه أسلمُ عاقبةً، وآمنُ غائلةً من تناول جميع ما يُروى دفعةً واحدة. فإنه يُخاف منه أن يُطفىءَ الحرارة الغريزية – بشدة برده، وكثرة كميته – أو يُضعفَها: فيؤدِّى ذلك إلى فساد مزاج المعدة والكبد، وإلى أمراض رديئة، خصوصًا فى سكان البلاد الحارة: كالحجاز واليمن ونحوهما؛ أو فى الأزمنة الحارة: كشدة الصيف. فإن الشرب وهْلةً واحدةً مخُوفٌ عليهم جدا: فإن الحار الغريزى ضعيف فى بواطن أهلها، وفى تلك الأزمنة الحارة.

وقوله: «**وأمْرأُ**» هو أفعلُ من «**مَرِئَ الطعام والشرابُ فى بدنه**»: إذا دخله وخالطه بسهولة ولذة ونفع. ومنه: ﴿ **فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا** ﴾(النساء: ٤)، هنيئًا فى عاقبته، مريئًا فى مذاقه، وقيل: معناه أنه أسرع انحدارًا عن المرىء، لسهولته وخفته عليه؛ بخلاف الكثير: فإنه لا يسهل على المرىء انحداره.

● **من آفات الشرب دفعة واحدة:** ومن آفات الشرب نَهْلَةً واحدة: أنه يُخاف منه الشَّرَق، بأن ينسدَّ مجرى الشراب لكثرة الوارد عليه – فيغَص به. فإذا تنفس رُويدا ثم شرب: أَمِنَ من ذلك؛ ومن فوائده: أن الشارب إذا شرب أول مرة، تصاعد البخارُ الدخانيُّ الحار – الذى كان على القلب والكبد – لورود الماء البارد عليه، فأخرجته الطبيعة عنها؛ فإذا شرب مرة واحدة: اتفق نزولُ الماء البارد وصعودُ البخار، فيتدافعان ويتعالجان. ومن ذلك يحدث الشرَقُ والغُصة، ولا يَتهنَّأُ الشارب بالماء، ولا يُمرئُه، ولا يتم ريُّه.

وقد روى عبد الله بن المبارك، والبيْهَقيُّ، وغيرُهما - عن النبي ﷺ -: «**إذا شربَ أحدُكم: فليمُصَّ الماءَ مصًّا، ولا يَعُبَّ عبًّا، فإن الكُبادَ من العبِّ**»(١).

و(الكُبَاد) -بضم الكاف وتخفيف الباء- هو: وجع الكبد. وقد عُلم بالتجربة: أَن ورود الماءِ جملةً واحدة على الكبد يؤْلمها، ويُضعفُ حرارتها. وسببُ ذلك: المضادةُ التي بين حرارتها، وبين ما ورد عليها: من كيفية المبرود وكميته. ولو ورد بالتدريج شيئًا فشيئًا: لم يضاد حرارتَها، ولم يُضعفْها.. وهذا مثاله: صبُّ الماءِ البارد على القدْر وهي تفور؛ لا يضرها صبُّه قليلاً قليلاً.

● **من آداب الشرب:** وقد روى الترمذيُّ في جامعه - عنه ﷺ -: «**لا تشرَبوا نفَسًا واحداً: كشُرب البَعير؛ ولكن: اشربُوا مَثْنَى وثُلاثَ؛ وسمُّوا إذا أنتم شربتم، واحَمدُوا إذا أنتم فرَغْتُم**»(٢).

● **التسمية أول الطعام والشراب:** وللتسمية في أَول الطعام والشراب، وحمد الله في آخره - تأْثيرٌ عجيب: في نفعه واستمرائه، ودفع مضرته. قال الإمام أَحمد: «**إذا جمع الطعام أربعا فقد كَمُل: إذا ذُكر اسمُ الله في أوله، وحُمد الله في آخره، وكثرتْ عليه الأَيدي، وكان من حِلٍّ**».

(فصل) وقد روى مسلم في صحيحه - من حديث جابر بن عبد الله - قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**غطُّوا الإناءَ، وأَوْكُوا السِّقاءَ؛ فإن في السَّنة ليلةً ينزل فيها وباءٌ: لا يمرُّ بإناءٍ ليس عليه غطاءٌ، وسقاءٍ ليس عليه وِكاءٌ - إلا وقع فيه من ذلك الداء**»(٣).

وهذا مما لا تناله علوم الأَطباءِ ومعارفهم. وقد عرفه من عرفه: من عقلاءِ الناس. بالتجربة. قال الليث بن سعد -أحد رواة الحديث-: الأَعاجم عندنا يتَّقون تلك الليلة في السنة، في كانُونَ الأَول منها».

● **الأمر بتغطية الآنية:** وصح عنه: أنه أَمرَ بتخمير الإناء ولو أن يَعرض عليه

---

(١) ذكره السيوطي في «الجامع الصغير»، وقال: أخرجه ابن السني، وأبو نعيم في الطب عن ابن أبي حسين مرسلاً، وسعيد بن منصور في «سننه»، وأشار إليه بالضعف. «فيض القدير» (١: ٣٨٦).

(٢) أخرجه الترمذي في: ٢٧- كتاب الأشربة (١٣) باب ما جاء في التنفس في الإناء، ح (١٨٨٥).

(٣) أخرجه مسلم في: ٣٦- كتاب الأشربة، (١٢) باب الأمر بتغطية الإناء... ح (٩٦ و ٩٩).

عوداً، وفي عرض العود عليه من الحكمة- : أنه لا ينسى تخميرَه، بل يعتادُه حتى بالعود وفيه : أنه ربما أراد الدُّبَيِّب أن يسقط فيه فيمرُّ على العود جسراً له يمنعه من السقوط فيه .

وصح عنه: أنه أمـرَ عند إيكاءِ الإناء، بذكـر اسم الله[1] فـإن ذكْـر اسم الله -عند تخمير الإناء- يطرد عنه الشيطان، وإيكاؤه يطرد عنه الهوَامَّ ولذلك أمر بذكر اسم الله في هذين الموضعين، لهذين المعنيين .

وروى البخاري في صحيحه - من حديث ابن عباس- : «**أن رسول الله ﷺ نهى عن الشرب من في السقا**»[2].

وفي هذا آداب عديدة، (منها): أن تردُّدَ أنفاس الشارب فيه يُكسبه زُهومة ورائحة كريهة، يُعاف لأجلها . **(ومنها):** أنه ربما غلب الداخل إلى جوفه - من الماء- فتضرَّر به . **(ومنها):** أنه ربما كان فيه حيوان لا يشعر به، فيؤْذيه . **(ومنها):** أن الماءَ ربما كان فيه قَذاةٌ أو غيرُها، لا يراها عند الشرب فتَلج جوفه . **(ومنها):** أن الشرب كذلك يملأُ البطن من الهواءِ، فيضيق عن أخذ حظه من الماءِ، أو يزاحمُه، أو يؤْذيه . ولغير ذلك من الحِكم .

فإن قيل: فما تصنعون بما في جامع الترمذيِّ: «**أن رسول الله ﷺ دعا بإداوة يوم أُحُد، فقال : اخْتَنِثْ فمَّ الإداوةِ . ثم شرب منها من فمها**[3]»؟ .

قلنا: نكتفي فيه بقول الترمذي : « هذا حديث ليس إسناده بصحيح، وعبد الله بن عمر العُمريُّ يُضعَّفُ من قِبلِ حفظه . ولا أدري : سمع من عيسى أو لا؟ » . انتهى . يريد : عيسى بن عبد الله، الذي رواه عنه عن رجل من الأنصار .

● **النهي عن الشرب من ثلمة القدح والنفخ في الشراب (فصل):** وفي سنن أبي داود - من حديث أبي سعيد الخدريِّ - قال : «**نهى رسول الله ﷺ ، عن الشرب في ثُلْمة القدح، وأن ينفخَ في الشراب**»[4].

---

(١) عند مسلم: «وأوكوا قربكم، واذكروا اسم الله، وخمروا آنيتكم واذكروا اسم الله ولو أن تعرضوا عليها شيئًا، واطفئوا مصابيحكم مسلم بشرح النووي ٤-٦٩٨ (من مراجعتنا).

(٢) أخرجه البخاري في: ٧٤- كتاب الأشربة، باب الشرب من فم السقاء، فتح الباري (١٠-٩٠).

(٣) «سنن أبى داود» في كتاب الأشربة باب في اختناث الأسقية، ح (٣٧٢١).

(٤) أخرجه أبو داود في الأشربة، باب الشرب من ثلمة القدح، حديث (٣٧٢٢).

وهذا من الآداب التى يتم بها مصلحة الشارب. فإن الشرب من ثُلمة القدح فيه عدةُ مفاسد:

(أحدها): أن ما يكون على وجه الماء - من قَذًى أو غيره - يجتمع إلى الثُّلمة، بخلاف الجانب الصحيح.

(الثانى): أنه ربما شوَّش على الشارب، ولم يتمكن من حسن الشرب من الثُّلمة.

(الثالث): أن الوسخ والزُّهومة تجتمع فى الثُّلمة، ولا يصل إليها الغَسلُ، كما يصل إلى الجانب الصحيح.

(الرابع): أن الثُّلمة محلُّ العيب فى القدح، وهى أردأُ مكان فيه. فينبغى تجنُّبه وقصدُ الجانب الصحيح: فإن الردىءَ من كل شىءٍ لا خير فيه، ورأى بعض السلف رجلاً يشترى حاجة رديئة، فقال: «**لا تفعل؛ أما علمت أن الله نزع البركة من كل ردىءٍ؟!**».

(الخامس): أنه ربما كان فى الثُّلمة شقٌّ أو تحديدٌ يجرح فم الشارب. ولغير هذه من المفاسد.

● **مضار النفخ فى الشراب**: وأما النفخ فى الشراب: فإنه يكسبه من فم النافخ رائحةً كريهة، يُعاف لأجلها؛ ولا سيما إن كان متغيِّر الفم. وبالجملة: فأنفاس النافخ تخالطه.

ولهذا، جمع رسول ﷺ - بين النهى عن التنفُّس، فى الإناء، والنفخ فيه - فى الحديث الذى رواه الترمذىُّ وصححه، عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: «**نهى رسول الله ﷺ: أن يُتنفَّسَ فى الإناء، أو يُنفخَ فيه**»[1].

فإن قيل: فما تصنعون بما فى الصحيحين - من حديث أنس رضي الله عنه -: «**أن رسول الله ﷺ كان يتنفَّسُ فى الإناء ثلاثًا**»؟[2].

قيل: نُقابلُه بالقبول والتسليم، ولا معارضة بينه وبين الأول. فإن معناه: أنه كان

---

(١) أخرجه الترمذي في: ٢٧- كتاب الأشربة، (١٥) باب ما جاء في كراهية النفخ في الشراب، ح (١٨٨٨).

(٢) أخرجه البخاري في: ٧٤- كتاب الأشربة، (٢٦) باب الشرب بنفسين أو ثلاثة، (٩٢:١٠)، وأخرجه مسلم في: ٣٦- كتاب الأشربة، (١٦) باب كراهة التنفس في نفس الإناء، ح (١٢٢).

يتنفس فى شربه ثلاثًا؛ وذكر الإناءَ: لأنه آلة الشرب. وهذا كما جاءَ فى الحديث الصحيح: «**أن إبراهيم ابن رسول الله ﷺ مات فى الثَّدْى**»: أى فى مُدة الرَّضاع.

● **شرب اللبن (فصل)؛** وكان ﷺ يشرب اللبن: خالصًا تارة، ومَشُوبا بالماء أخرى.

وفى شرب اللبن الحلو فى تلك البلاد الحارة – خالصًا ومَشوبًا – نفع عظيم: فى حفظ الصحة، وترطيب البدن، ورَىِّ الكبد، ولا سيما اللبنَ الذى ترعى دوابُّه الشيحَ والقَيْصوم والخُزامى، وما أشبهها. فإن لبنها: غذاءٌ مع الأغذية، وشراب مع الأشربة، ودواءٌ مع الأدوية.

● **لا شيءَ خير من اللبن؛** وفى جامع الترمذي –عنه ﷺ–: «**إذا أكل أحدكم طعامًا، فليقل: اللهم، بارك لنا فيه، وأطعمنا خيراً منه. وإذا سُقى لبنًا، فليقل: اللهم بارك لنا فيه، وزدنا منه. فإنه ليس شىءٌ يُجزىءُ منَ الطعام والشراب، إلاَّ اللبنُ**». قال الترمذى: هذا حديث حسن.

● **الانتباذ له ﷺ (فصل)؛** وثبت فى صحيح مسلم: «**أنه ﷺ كان يُنتبذ له أول الليل، ويشربه إذا أصبح – يومَه ذلك، والليلة التى تجىء، والغد والليلة الأُخرى، والغد إلى العصر. فإن بقى منه شىءٌ: سقاه الخادم، أو أمر به فصبَّ**».

وهذا النبيذ هو؛ ماءٌ يُطرح فيه تمرٌ يحلِّيه، وهو يدخل فى الغذاءِ والشراب، وله نفع عظيم: فى زيادة القوة، وحفظِ الصحة. ولم يكن يشربه بعدَ ثلاث: خوفًا من تغيره إلى الإسكار.

فصل فى تدبيره لأمر الملبس

وكان من أتم الهدى، وأنفعه للبدن، وأخفِّه عليه، وأيسره لُبسًا وخلعا.

● **ما كان يلبسه ﷺ؛** وكان أكثر لُبسه الأَرديه والأُزُر. وهى أخف على البدن من غيرها. وكان يلبس القميص، بل كان أحب الثياب إليه.

● **صفة قميصه ﷺ؛** وكان هديه فى لبسه لما يلبسه، أنفع شىءٍ للبدن. فإنه لم يكن يطيل أكمامه ويوسعها، بل كانت كُمُّ قميصه إلى الرُّسغ: لا تجاوز اليد، فتشقَّ على لابسها، وتمنعه خفة الحركة والبطش. ولا تقصُرُ عن هذه، فتبرُزَ للحر والبرد.

وكان ذيل قميصه وإزاره إلى أنصاف الساقين: لم يتجاوز الكعبين، فيؤْذىَ

الماشي ويَؤُوده، ويجعل كالمقيَّد. ولم يقصر عن عَضلة ساقه، فتنكف فيتأذَّى بالحر والبرد.

● **عمامته ﷺ:** ولم تكن عمامته بالكبيرة التى يؤْذى الرأس حملُها ويضعفُه، ويجعله عرضةً للضعف والآفات، كما يشاهد من حال أَصحابها، ولا بالصغيرة التى تقصرُ عن وقاية الرأس من الحر والبرد؛ بل وسطا بين ذلك. وكان يُدخلها تحت حَنكه. وفى ذلك فوائد عديدة: فإنها تقى العنق الحر والبرد، وهو أثبت لها ولا سيما عند ركوب الخيل والإبل، والكرِّ والفرِّ. وكثير من الناس اتخذ الكلاليب عوضًا عن التحنك. ويا بُعدَ ما بينهما فى النفع والزينة! وأنت إذا تأملت هذه اللِّبسة: وجدتها من أنفع اللِّبْسات وأَبلغها فى حفظ صحة البدن وقوته، وأبعدها من التكلف والمشقة على البدن.

● **لبسه ﷺ الخفاف:** وكان يلبس الخفاف فى السفر دائمًا أَو أَغلب أَحواله-: لحاجة الرِّجلين إلى ما يقيهما من الحر والبرد. وفى الحضر أحيانًا.

● **أحب ألوان الثياب إليه:** وكان أحب أَلوان الثياب إليه البياضَ والحِبَرة؛ وهى: البرود المحبرة.

ولم يكن من هديه لُبس الأحمر، ولا الأَسود، ولا المصبغ، ولا المصقول.

وأما الحلة الحمراءُ التى لبسها، فهى: الرداءُ اليمانىُّ الذى فيه سواد وحمرة وبياض؛ كالحلة الخضراء. فقد لبس هذه وهذه. وقد تقدم تقرير ذلك، وتغليط من زعم أنه لبس الأَحمر القانى - بما فيه كفاية.

فصل فى تدبيره لأمر المسكن

● **عدم الاعتناء بزخرفة المسكن:** لما علم ﷺ أنه على ظهرِ سيرٍ، وأن الدنيا مرحلة مسافرٍ - ينزلُ فيها مدة عمره، ثم ينتقل عنها إلى الآخرة -: لم يكن من هديه وهدى أَصحابه ومن تبعه، الاعتناءُ بالمساكن وتشييدها، وتعليتها وزَخرفتها وتوسيعها بل كانت من أحسن منازل المسافر: تقى الحر والبرد، وتستر عن العيون، وتمنعُ من وُلوج الدوابِّ، ولا يخاف سقوطها لفرط ثقلها، ولا تعشعش فيها الهوام لسعتها، ولا تعتَورُ عليها الأَهوية والرياح المؤْذية لارتفاعها. وليست تحت الأَرض: فتؤذىَ ساكنها، ولا فى غاية الارتفاع عليها، بل وسط. وتلك أعدل المساكن وأنفعها، وأقلها حرًا وبردًا، ولا

تضيقُ عن ساكنها فينحصر، ولا تفضل عنه بغير منفعة ولا فائدة فتأوى الهوامُّ فى خلوها. ولم يكن فيها كنف تؤذى ساكنها برائحتها، بل رائحتها من أطيب الروائح: لأنه كان يحب الطِّيب ولا يزال عنده، وريحه هو من أطيب الرائحة، وعَرْفه من أطيب الطيب. ولم يكن فى الدار كنيف تظهر رائحته. ولا ريب أن هذه من أعدل المساكن وأنفعها، وأوفقها للبدن وحفظ صحته.

فصل فى تدبيره لأمر النوم واليقظة

ومَن تدبَّر نومه ويقظته ﷺ: وجَده أعدلَ نوم وأنفعَهُ للبدن والأعضاء والقُوى؛ فإنه كان ينام أولَ الليل، ويستيقظ أول النصف الثانى، فيقومُ ويَستاك ويتوضأُ ويصلى ما كتب الله له. فيأْخذُ البدن والأعضاءُ والقُوى حظَّها من النوم والراحة، وحظَّها من الرياضة، مع وُفورِ الأَجر. وهذا غاية صلاح القلب والبدن والدنيا والآخرة.

ولم يكن يأخذ من النوم فوقَ القدر المحتاج إليه، ولا يمنعُ نفسه من القدر المحتاج إليه منه. وكان يفعله على أكمل الوجوه، فينامُ - إذا دعته الحاجةُ إلى النوم - على شقه الأَيمن: ذاكرًا الله حتى تغلبَه عيناه؛ غيرَ ممتلىء البدنِ من الطعام والشراب، ولا مباشرٍ بجنبه الأرضَ، ولا متخذ للفُرش المرتفعة؛ بل له ضِجَاع من أَدَم حشوُه ليف. وكان يَضطجع على الوِسادة، ويضع يده تحت خدِّه أَحيانًا.

ونحن نذكر فصلاً فى النوم، النافع منه والضار. فنقول:

● **وصف للنوم الطبيعى وغير الطبيعى**: (النوم) حالة للبدن يتبعُها غوْر الحرارة الغريزية والقوى إلى باطن البدن لطلب الراحة. وهو نوعان: طبيعىٌّ، وغيرُ طبيعى. فالطبيعىُّ: إمساك القُوى النفسانية على أفعالها: وهى قُوى الحِسِّ والحركة الإرادية. ومتى أَمسكتْ هذه القوى عن تحريك البدن: اسْتَرخى، واجتمعت الرطوباتُ والأبخرةُ - التى كانت تتحلَّل وتتفرق بالحركات واليقظة - فى الدماغ الذى هو مبدأ هذه القُوى، فيتخدَّرُ ويسترخى. وذلك النومُ الطبيعى. وأَمَّا النومُ غيرُ الطبيعى. فيكونُ لعرض أو مرض. وذلك: بأن تستولَى الرطوباتُ على الدماغ استيلاءً لا تقدر اليقظة على تفريقها، أو تصعدَ أبخرةٌ رطبة كثيرة - كما يكون عقيب الامتلاءِ من الطعام والشراب - فتُثقل الدماغ وترخيه، فيتخدر ويقع إمساكُ القُوى النفسانية عن أفعالها، فيكون النومُ.

● **فائدتان للنوم:** وللنوم فائدتان جليلتان: **(إحداهما):** سكونُ الجوارح وراحتُها مما يعرض لها من التعب، فيُريح الحواسَّ من نَصَب اليقظة، ويُزيل الإعياء والكَلال. **(والثانية):** هضم الغذاء، ونُضج الأخلاط، لأن الحرارة الغريزية – في وقت النوم – تَفور إلى باطن البدن، فتُعين على ذلك. ولهذا يبرُد ظاهره، ويحتاج النائم إلى فضل دثَار (غطاء).

● **أنفع النوم:** وأنفع النوم: أن ينام على الشِّق الأيمن: ليستقرَّ الطعام بهذه الهيئة في المعدة، استقراراً حسنًا. فإن المعدة أَميلُ إلى الجانب الأيسر قليلا. ثم يتحول إلى الشق الأيسر قليلاً: ليسرع الهضم بذلك لاستمالة المعدة على الكبد، ثم يستقرَّ نومه على الجانب الأيمن: ليكون الغذاءُ أَسرعَ انحداراً عن المعدة. فيكون النوم على الجانب الأيمن بُداءَة نومه ونهايتَه. وكثرةُ النوم على الجانب الأيسر مضرٌّ بالقلب، بسبب ميل الأعضاءِ إليه: فتنصب إليه المواد.

● **أردأ النوم:** وأَردأُ النوم: النومُ على الظهر. ولا يضر الاستلقاءُ عليه للراحة من غير نوم وأَردأُ منه: أَن ينام منبطحًا على وجهه. وفي المسند وسنن ابن ماجه، عن أبي أُمامةَ، قال: «**مرَّ النبي ﷺ على رجل نائم في المسجد، منبطحٍ على وجهه، فضربه برجله، وقال: قُمْ – أو اقعدْ – فإنها نومةٌ جهنَّمية**»(1).

قال أبقراط في كتاب التَّقدمة: «وأما نومُ المريض على بطنه، من غير أَن يكون عادتُه في صحته جرتْ بذلك، فذلك يدل على اختلاط عقل، وعلى أَلمٍ في نواحي البطن». قال الشراح لكتابه: لأَنه خالف العادة الجيدة، إلى هيئة رديئة، من غير سبب ظاهر ولا باطن.

والنوم المعتدل ممكِّنٌ للقُوَى الطبيعية من أَفعالها، مريحٌ للقوة النفسانية، مكْثِرٌ من جوهر حاملها؛ حتى إنه ربَّما عاد بإرخائه مانعًا من تحلل الأَرواح.

● **القول في نوم النهار:** ونوم النهار ردىءٌ يورث الأَمراضَ الرطوبية والنوازلَ، ويفسد اللونَ، ويُورث الطِّحال، ويُرخي العصب، ويُكسل ويُضعف الشهوة؛ إلاَّ في الصيف وقتَ الهاجِرة. وأَردؤه: نومُ أَول النهار. وأَردأُ منه: النومُ آخره بعد العصر ورأى

---

(1) أخرجه ابن ماجه في كتاب الأدب، (باب) النهي عن الاضطجاع على الوجه، ح (٣٧٢٥) ص (١٢٢٨)، وفي بعض رجاله مقال.

عبد الله بن عباس ابنًا له نائمًا نومة الصبْحة، فقال له: «قم؛ أتنامُ فى الساعة التى تُقسم فيها الأرزاق؟!».

وقيل: نوم النهار ثلاثة: خُلقٌ، وخُرق وحُمق. فالخلق: نومة الهاجرة، وهى خُلق رسول الله ﷺ. والخُرق: نومة الضحى يشغل عن أمر الدنيا والآخرة. والحمُق: نومة العصر. قال بعض السلف: «من نام بعد العصر، فاختُلس عقله - فلا يلومنَّ إلا نفسه». وقال الشاعر:

أَلا إنَّ نَوْماتِ الضحى تُورث الْفتَى خَبالاً، ونَــوْمَات الْعَصيْرِ جنونُ

● **مضار نوم الصبحة:** ونوم الصُّبْحة يمنع الرزق: لأن ذلك وقتٌ تطلبُ فيه الخليقةُ أرزاقها، وهو وقتُ قسمة الأرزاق. فنومه حرمانٌ إلا لعارض أو ضرورةٍ. وهو مضر جدا بالبدن: لإرخائه البدن، وإفساده للفضلات التى ينبغى تحليلها بالرياضة؛ فيُحدث تكسُّرًا وعيًّا وضعفًا. وإن كان قبل التبرُّز والحركة والرياضة وإشغال المعدة بشىء، فذلك الداءُ العُضال المولِّد لأنواع من الأدواء.

● **مضار النوم فى الشمس:** والنومُ فى الشمس: يُثير الداءَ الدَّفين. ونومُ الإنسان - بعضُه فى الشمس وبعضُه فى الظل ردىءٌ. وقد روى أبو داود فى سننه - من حديث أبى هريرة - قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان أحدكم فى الشمس، فقلصَ عنه الظِّلُّ - فصار بعضُه فى الشمس، وبعضه فى الظِّل - فليقم**»[1]. وفى سنن ابن ماجه وغيره - من حديث بُريدةَ بن الحُصَيْب: «**أن رسول الله ﷺ نهى أن يقعد الرجل بين الظِّلِّ والشمس**»[2] وهذا تنبيه على منع النوم بينهما.

● **ما يقوله من يأتى مضجعه من الدعاء:** وفى الصحيحن عن البرَاءِ بن عازب، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أتيت مضْجَعكَ: فتوضأْ وُضوءَكَ للصلاة، ثم اضطجعْ على شقِّكَ الايمن؛ ثم قل: اللهم؛ إنى أَسْلمت نفسى إليكَ، ووجَّهتُ وجْهى إليكَ، وفوَّضتُ أَمرى إليكَ. وأَلجأْتُ ظهرى إليكَ: رَغبةً ورَهبةً إليكَ؛ لا ملجأَ ولا منجا**

---

(١) أخرجه أبو داود في الأدب، باب في الجلوس بين الظل والشمس، حديث رقم (٤٨٢١).
(٢) مسند أحمد (٣:٤١٤).

منك إلاَّ إليك، آمنتُ بكتابك الذى أنزلت، ونبيِّك الذى أرسْلت. واجعلْهن آخر كلامك فإن متَّ من ليلتك: متَّ على الفطْرة»(١).

وفى صحيح البخارى عن عائشةَ: «**أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى ركعتى الفجر - يعنى: سنتها: - اضطجع على شقِّه الأَيمن**»(٢).

وقد قيل: إن الحكمة فى النوم على الجانب الأَيمن: أن لا يستغرق النائم فى نومه، لأَن القلب فيه ميلٌ إلى جهة اليسار؛ فإذا نام على جنبه الأَيمن، طلب القلبُ مستقَرَّه من الجانب الأَيسر، وذلك يمنع من استقرار النائم واستثقاله فى نومه. بخلاف قراره فى النوم على الجانب اليسار: فإنه مُستقرُّه، فيحصل بذلك الدَّعة التامة؛ فيستغرق الإنسان فى نومه ويستثقل؛ فيفوتُه مصالح دينه ودنياه.

● **من فوائد هذا الدعاء قبل النوم:** ولما كان النائم بمنزلة الميت، والنومُ أَخو الموت - ولهذا يستحيل على الحى الذى لا يموت سبحانه وأهلُ الجنة لا ينامون فيها وكان النائم محتاجًا إلى من يحرسُ نفسه ويحفظها مما يعرض لها من الآفات، ويحرُس بدنه أيضًا من طوارق الآفات؛ وكان ربه وفاطره تعالى هو المتولى لذلك وحده- ، علَّم النبى ﷺ النائم، أن يقول كلمات التفويض والالتجاءِ والرغبة والرهبة ليستدعى بها كمالَ حفظ الله له وحراسته لنفسه وبدنه؛ وأَرشده مع ذلك إلى أن يَستذكرَ الإيمان وينام عليه، ويجعلَ التكلُّمَ به آخرَ كلامه. فإنه ربما توفاه الله فى منامه؛ فإذا كان الإيمان آخر كلامه: دخل الجنة.

فتضمَّن هذا الهدىُ فى المنام، مصالح القلب والبدن والروح: فى النوم واليقظة، والدنيا والآخرة. فصلوات الله وسلامه على من نالتْ به أُمتُه كلَّ خير.

وقوله: «**أسلَمتُ نفسى إليك**» أى: جعلَتُها مُسلَمةً لك تسليم العبد المملوك نفسه إلى سيده ومالكه.

وتوجيه وجهه إليه: يتضمَّن إقبالَه بالكلية على ربه، وخلاص القصد والإرادة له، وإقراره بالخضوع والذل والانقياد. قال تعالى: ﴿**فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ**

(١) الحديث أخرجه البخاري في: ٤- كتاب الوضوء (٧٥) باب فَضْل من باتَ على الوضوء.
(٢) الحديث أخرجه البخاري في: ١٠- كتاب الأذان (١٥) باب من انتظر الإقامة.

لله وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾ (آل عمران: ٢٠). وذكر الوجه: إذ هو أشرف ما فى الإنسان. ومجْمعُ الحواس. وأيضاً: ففيه معنى التوجه والقصد؛ من قوله:

*** ربّ العباد إليه الوجْهُ والعَمَلُ ***

وتفويض الأمر إليه: ردُّه إلى الله سبحانه، وذلك يوجب سكون القلب وطمأنينتهُ، والرضا بما يقضيه ويختاره له: مما يحبه ويرضاه. والتفويض من أشرف مقامات العبودية، ولا علة فيه؛ وهو من مقامات الخاصة. خلافا لزاعمى خلاف ذلك.

وإلجاءُ الظَّهر إليه سبحانه: يتضمَّن قوةَ الاعتماد عليه، والثقة به والسكون إليه، والتوكل عليه. فإن من أسند ظهره إلى ركن وثيقٍ: لم يخف السقوط.

ولما كان للقلب قوَّتان: قوة الطلب وهى الرغبة، وقوة الهرب وهى الرهبة؛ وكان العبد طالبًا لمصالحه، هاربًا من مضارِّه: جمع الأمرين فى هذا التفويض والتوجه، فقال: «**رغبةً ورهبةً إليك**».

ثم أثنى على ربه: بأنه لا مَلجأ للعبد سواه، ولا منْجا له منه غيره؛ فهو الذى يلجأ إليه العبد: ليُنجيه من نفسه. كما فى الحديث الآخر: «**أعوذ برضاك من سخطكَ، وبعفوك من عقوبتكَ؛ وأعوذ بك منك**». فهو سبحانه الذى يعيذُ عبده، وينجيه من بأسه الذى بمشيئته وقدرته؛ فمنه البلاءُ ومنه الإعانةُ، ومنه ما يُطلب النجاةُ منه، وإليه الالتجاءُ فى النجاة. فهو الذى يُلجأُ إليه فى أن يُنجى مما منه، ويستعاذ به مما منه. فهو رب كل شيءٍ، ولا يكون شيءٌ إلا بمشيئته. ﴿ **وإن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بضُرٍّ فَلا كَاشفَ لَهُ إلاَّ هُوَ** ﴾ (الأنعام: ١٧). ﴿ **قُلْ مَن ذَا الَّذي يَعْصمُكُم مّنَ اللَّه إنْ أَرَادَ بكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بكُمْ رَحْمَةً** ﴾ (الأحزاب: ١٧).

ثم ختم الدعاءَ بالإقرار بالإيمان بكتابه ورسوله، الذى هو مِلاكُ النجاة والفوزِ في الدنيا والآخرة. فهذا هديُه فى نومه:

لَوْ لَمْ يَقُلْ إنِّى رسُولٌ؛ لَكَا   نَ شَاهدٌ - فى هَدْيه - ينْطقُ

(فصل): وأمَّا هديُه فى يقظته: فكان يستيقظ إذا صاح الصارخ - وهو الدِّيك - فيحمدُ الله تعالى ويكبِّره، ويهلِّله ويدعوه، ثم يَستاك، ثم يقوم إلى وُضوئه، ثم يقف للصلاة بين يدى ربه: مُناجيًا له بكلامه، مُثنيًا عليه، راجيًا له، راغبًا راهبًا. فأىُّ حفظٍ لصحةِ القلب والبدن والرُّوح والقوى، ولنعم الدنيا والآخرة - فوق هذا؟!.

● **الرياضة وفضلها (فصل)**، وأمَّا تدبيرُ الحركة والسكون – وهو الرياضة – فنذكرُ منها فصلا يُعلم منه مطابقةُ هديهِ فى ذلك، لأَكمل أنواعه وأحمدها وأصوبها. فنقول:

● **الغذاء والشراب إلى أين يصيران**؛ من المعلوم افتقارُ البدن – فى بقائه – إلى الغذاء والشراب. ولا يصير الغذاءُ بجملته جزءًا من البدن، بل لا بد أن يبقى منه عند كل هضم بقيةٌ ما: إذا كثرتْ على ممر الزمان اجتمع منها شيءٌ له كميةٌ وكيفية؛ فيضر بكميته بأن يسدَّ ويُثقل البدن، ويُوجب أمراضَ الاحتباس. وإن استفرغ تأذَّى البدن بالأدوية: لأن أكثرها سُمِّية، ولا تخلو من إخراج الصالح المنتفع به. ويضر بكيفيته: بأن يسخن بنفسه، أو بالعفن، أو يبرُد بنفسه، أو يضعف الحرارة الغريزية عن إنضاجه.

● **الرياضة وأثرها على إزالة الفضلات وإصلاح الجسد**؛ وسدد الفضلات – لا محالةَ – ضارةٌ: تُركتْ أو استُفرغت. والحركةُ أقوى الأسباب فى منع تولُّدها: فإنها تُسخن الأعضاءَ، وتُسيل فضلاتها؛ فلا تجتمعُ على طول الزمان؛ ويُعوِّد البدنَ الخفةَ والنشاط، ويجعله قابلا للغذاء، ويُصلِّب المفاصلَ، ويقوِّى الأوتار والرباطات. ويؤَمن جميع الأمراض المادية، وأكثر الأمراض المزاجية – إذا استعُمل القدرُ المعتدل منه فى وقته وكان باقى التدبير صوابًا.

● **وقت الرياضة والرياضة المعتدلة**؛ ووقتُ الرياضة: بعد انحدار الغذاء وكمال الهضم. والرياضة المعتدلة هى: التى تحمرُّ فيها البشرة وتربُو، ويتَندَّى فيها البدنُ. وأما التى يلزمها سيلانُ العرق، فمفرطةٌ. وأىُّ عضو كثرتْ رياضته قَوىَ، وخصوصًا على نوع تلك الرياضة. بل كلُّ قوة فهذا شأْنُها: فإن من استكثر من الحفظ قويتْ حافظتُه، ومن استكثَر من الفكر قويتْ قوتُه المفكرة. ولكل عضو رياضةٌ تخصُّه: فللصدرِ القراءَةُ، فلْيبتدىءْ فيها من الخِفية إلى الجهر بتدريج. ورياضةُ السمع يسمع الأصوات والكلام بالتدريج، فينتقل من الأخف إلى الأثقل وكذلك رياضةُ اللسان فى الكلام. وكذلك رياضةُ البصر. وكذلك رياضةُ المشى بالتدريج شيئًا فشيئًا.

● **أنواع من الرياضة**، وأمَّا ركوبُ الخيل، ورميُ النُّشَّاب، والصراعُ (رياضة المصارعة) والمسابقةُ على الأقدام فرياضةٌ للبدن كلِّه، وهي قالعة لأمراض مُزمنةٍ: كالجُذام والاستسقاءِ والقُولَنج.

● **رياضة النفوس:** ورياضةُ النفوس: بالتعلُّم والتأدُّب، والفرح والسرور، والصبر والثبات والإقدام، والسماح وفعْل الخير، ونحو ذلك: مما تَرْتاض به النفوس. ومن أعظم رياضتها: الصبرُ والحب والشجاعه والإحسان؛ فلا تزالُ تَرتاض بذلك شيئًا فشيئًا، حتى تصير لها هذه الصفاتُ هيآتٍ راسخةً، وملكاتٍ ثابتةً.

وأنت إذا تأمَّلت هديه ﷺ في ذلك، وجدتَه أكملَ هدىٍ حافظٍ للصحة والقُوى، ونافع في المعاش والمعاد.

● **الصلاة حافظة لصحة البدن وصحة الإيمان:** ولا ريب أن الصلاة نفسها فيها - : من حفظ صحة البدن، وإذابة أخلاطه وفضلاته - ما هو من أنفع شيءٍ له؛ سوى ما فيها: من حفظ صحة الإيمان، وسعادة الدنيا والآخرة.

● **فضل قيام الليل:** وكذلك قيامُ الليل: من أنفع أسباب حفظ الصحة، ومن أمنع الأمور لكثير من الأمراض المزمنة؛ ومن أنشط شيءٍ للبدن والروح والقلب. كما في الصحيحين، عن النبي ﷺ، أنه قال: «**يَعقدُ الشيطانُ على قافية رأسِ أحدكم - إذا هو نام - ثلاثَ عُقد، يضرب على كل عقْدة: عليك ليلٌ طويلٌ فارقُدْ. فإن هو استيقظ، فذكر الله: انحلَّتْ عقدةٌ. فإن توضأَ: انحلتْ عقدةٌ ثانيةٌ. فإنْ صلَّى: انحلَّت عقدُه كلُّها، فأصبح نشيطًا طيِّب النفْسِ. وإلا: أصبح خبيثَ النفسِ كسلانَ**»[1].

● **وفي الصوم الشرعي-:** من أسبابِ حفظ الصحة، ورياضة البدن والنفس ما لا يدفعُه صحيحُ الفطرة.

● **كل ما أمر به الإسلام فيه من أسباب القوة:** وأما الجهادُ وما فيه من الحركات الكلية - التي هي من أعظم أسباب القوة، وحفظ الصحة، وصلابة القلب والبدن ودفع فضلاتهما، وزوالِ الهم والغم والحزن -: فأمرٌ إنَّما يعرفه من له منه نصيبٌ. وكذلك الحجُّ وفعلُ المناسك وكذلك المسابقة على الخيل بالنِّصال، والمشيُ في الحوائج وإلى الإخوان، وقضاءُ حقوقهم، وعيادة مرضاهم، وتشييعُ جنائزهم، والمشيُ إلى المساجد للجُمُعات والجماعات، وحركةُ الوضوء والاغتسال وغير ذلك.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في: ١٩- كتاب التهجد (١٢) باب عَقْدِ الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل.

وهذا أقلُّ ما فيه: الرياضةُ المعينة على حفظ الصحة، ودفع الفضلات. وأما ما شرع له: من التوصل به إلى خيرات الدنيا والآخرة، ودفع شرورهما. فأمرٌ وراءَ ذلك.

فعلمتَ أن هديه فوق كل هديٍ: فى طب الأبدان والقلوب، وحفظِ صحتهما، ودفع أسقامهما. ولا مزيد على ذلك لمن قد أحضر رشده. وبالله التوفيق.

فصل فى هديه ﷺ فى الجماع

وأما الجماعُ والباهُ، فكان هديهُ فيه أكملَ هدى: تُحفظ به الصحةُ، ويتم به اللذةُ وسرور النفس، ويحصل به مقاصده التى وُضع لأجلها. فإن الجماع وضع فى الأصل لثلاثة أمور هى مقاصده الأصلية.

(أحدها): حفظُ النسل، ودوامُ النوع الإنسانى إلى أن تتكاملَ العِدةُ التى قدَّر الله بروزَها إلى هذا العالم.

(الثانى): إخراجُ الماء الذى يضر احتباسهُ واحتقانُه بجملة البدن.

(الثالث): قضاءُ الوطَر، ونيلُ اللذة، والتمتع بالنعمة. وهذه وحدها -هى الفائدةُ التى فى الجنة: إذا لا تناسُلَ هناك، ولا احتقانَ يستفرغه الإنزال.

وفضلاءُ الأطباءُ يرون: أن الجماع من أحْمد أسباب حفظ الصحة. قال جالينوسُ: «الغالب على جوهر المنىِّ: النارُ والهواءُ. ومزاجُه حار رطب، لأن كونه: من الدم الصافى الذى تغتذى به الأعضاءُ الأصلية».

وإذا ثبت فضل المنى، فاعلم: أنه لا ينبغى إخراجُه إلا فى طلب النسل أو إخراج المحتقن منه. فإنه إذا دام احتقانه: أحدث أمراضًا رديئة، منها: الوسواسُ والجنون والصَّرع، وغيرُ ذلك وقد يُبرىءُ استعماله من هذه الأمراض كثيرًا. فإنه إذا طال احتباسُه: فسد واستحال إلى كيفية سُمِّية، تُوجب أمراضًا رديئة كما ذكرنا. ولذلك تدفعُه الطبيعة - إذا كثُر عندها - من غير جماع.

وقال بعض السلف: «ينبغى للرجل أن يتعاهد من نفسه ثلاثًا: ينبغى أن لا يدعَ المشىَ، فإن احتاج إليه يومًا: قدر عليه. وينبغى أن لا يدعَ الأكل فإن أمعاءَه تضيق. وينبغى أن لا يدع الجماع: فإن البئر إذا لم تُنزحْ ذهب ماؤها».

وقال محمد بن زكريا: «من ترك الجماعَ مدةً طويلة: ضعفتْ قُوى أعصابه

واستدَّ مجاريها، وتقلَّص ذكرُه. **(قال)**: ورأيتُ جماعة تركوه لنوع من التقشف فبرُدتْ أبدانُهم، وعسُرتْ حركاتُهم، ووقعتْ عليهم كآبةٌ بلا سبب، وقلتْ شهواتُهم وهضمُهم» انتهى.

● **من منافع التزوج**: ومن منافعه: غضُّ البصر، وكفُّ النفس، والقدرةُ على العفة عن الحرام؛ وتحصيلُ ذلك للمرأة. فهو ينفع نفسه في دنياه وأُخراه، وينفع المرأة. ولذلك كان النبي ﷺ يتعاهدُه ويُحبه، ويقول: «**حُبِّب إليَّ من دنياكم النساءُ والطيبُ**»(١). وفي كتاب الزهد للإمام أحمد – في هذا الحديث – زيادةٌ لطيفة، وهي: «**أصبرُ عن الطعام والشراب، ولا أصبرُ عنهنَّ**»(٢).

● **حثه ﷺ على التزويج**: وحثَّ على التزويج أُمته، فقال: «**تزوَّجُوا، فإني مُكاثرٌ بكم الأُمَمَ**»(٣) وقال ابن عباس: «خيرُ هذه الأُمة أكثرُها نساءً»(٤). وقال ﷺ: «**إني أتزوج النساءَ، وآكل اللحمَ، وأنامُ وأصومُ وأفطرُ. فمن رغبَ عن سنَّتي: فليس منيِّ**»(٥). وقال: «**يا معشرَ الشباب، من استطاعَ منكم الباءَة: فلْيتزوَّجْ، فإنه أغضُّ للبصرِ، وأحفظُ للفرجِ. ومن لم يستطعْ: فعليه بالصومِ فإنه له وِجاءٌ**»(٦)، ولما تزوج جابر ثيِّبًا، قال له: «**هلاَّ بكرًا تلاعبها وتُلاعبُكَ**»(٧).

وروى ابن ماجه في سننه – من حديث أنس بن مالك – قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أراد أنْ يَلْقى الله طاهرًا مطهَّرًا: فلْيتزوَّج الحرائر**»(٨). وفي سننه أيضًا –من حديث ابن عباس، يرفعه – قال: «**لم نر للمُتَحابَّيْن مثلَ النِّكاحِ**»(٩).

(١) أخرجه النسائي في كتاب عشرة النساء، باب حب النساء (٦١:٧) وجُعلت قرة عيني في الصلاة.
(٢) أشار المناوي إلى هذه الزيادة في شرح الحديث واعترض على الزركشي فيما زعمه من أن هذه العبارة تتمة للحديث أوردها الإمام أحمد في كتاب الزهد.
(٣) أخرجه النسائي في كتاب النكاح (باب) كراهية تزويج العقيم (٦:٦٥-٦٦).
(٤) لفظ الخبر عن سعيد بن جبير، قال: قال ابن عباس: «هل تزوجت؟ قلت: لا، قال: تزوج، فإن خير هذه الأمة أكثرها نساءً». منتقى الأخبار بشرح نيل الأوطار (١١٢:٣) من تحقيقنا.
(٥) أخرجه البخاري في: ٦٧- كتاب النكاح (١) باب الترغيب في النكاح.
(٦) أخرجه البخاري في: ٣٠- كتاب الصوم (١٠) باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة.
(٧) أخرجه البخاري في: ٥٦- كتاب الجهاد (١١٣) باب استئذان الرجل الإمام.
(٨) أخرجه ابن ماجه في: ٩- كتاب النكاح (٨) باب تزويج الحرائر والولود، حديث رقم (١٨٦٢).
(٩) أخرجه ابن ماجه في: ٩- كتاب النكاح (١) باب ما جاء في فضل النكاح، حديث رقم (١٨٤٧).

وفى صحيح مسلم – من حديث عبد الله بن عمرَ – قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدنيا متاعٌ؛ وخيْرُ متاع الدنيا: المرأةُ الصالحةُ**»(1).

● **أى النساء خير فى التزويج:** وكان ﷺ يُحرِّض أُمته على نكاح الأبكار الحسان، وذوات الدين. وفى سنن النسائى، عن أبى هريرةَ، قال: «**سُئل رسولُ الله ﷺ: أىَّ النساء خير؟ قال: التى تَسرُّه إذا نَظر، وتُطيعه إذا أَمَر، ولا تُخالفُه فيما يَكرهُ فى نفسها وماله**»(2). وفى الصحيحين، عنه عن النبى ﷺ، قال: «**تُنكَحُ المرأةُ: لمالها، ولحسَبِها، ولجمالها، ولدينها. فاظفرْ بذاتِ الدِّين؛ تَرِبَتْ يداكَ**»(3).

● **زواج المرأة الولود:** وكان يَحثُّ على نكاح الوَلُود، ويَكرهُ المرأة التى لا تلد. كما فى سنن أبى داودَ – عن مَعْقل بن يسار –: «**أن رجلاً جاءَ إلى النبى ﷺ، فقال: إنى أَصَبْت امرأةً ذات حسبٍ وجمالٍ، وإنَّها لا تَلدُ، أفأتزوَّجُها؟ قال: لا. ثم أتاه الثانيةَ، فنهاه. ثم أتاه الثالثة، فقال: تزوَّجُوا الوَدُودَ الوَلُودَ، فإنى مُكاثرٌ بكم الأُمَمَ**»(4).

وفى الترمذى عنه مرفوعًا: «**أربعٌ من سَنن المرسلين: النكاحُ، والسِّواكُ، والتَّعطُّرُ، والحناءُ**»(5). رُوى فى الجامع: بالنون، والياء. وسمعتُ أبا الحجَّاج الحافظَ يقول: «الصواب: أنه الختَان؛ وسقطت النون من الحاشية. وكذلك رواه المحامِلىُّ عن شيخ أبى عيسى الترمذى».

● **ما ينبغى تقديمه على الجماع:** ومِمَّا ينبغى تقديمُه على الجماع ملاعبتُه المرأةَ وتقبيلُها، ومصُّ لسانها.

وكان رسول الله ﷺ، يُلاعبُ أهله ويقبلُها. وروى أبو داودَ فى سننه: «**أنه ﷺ**

---

(1) أخرجه مسلم في: ١٧- كتاب الرضاع (١٧) باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، حديث رقم (٥٩).

(2) أخرجه النسائي في كتاب النكاح (باب) أي النساء خير (٦:٦٨).

(3) أخرجه البخاري في: ٦٧- كتاب النكاح (١٥) باب الأكفاء في الدين، حديث رقم (٥٠٩٠).

(4) تقدم تخريجه.

(5) أخرجه الترمذي في: ٩- كتاب النكاح (١) باب ما جاء في فضل التزويج والحث عليه، حديث رقم (١٠٨٠)، صفحة (٣:٣٨٢)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٥:٤٢١)، والبيهقي في شعب الإيمان كلهم من حديث مكحول عن ابن السماك عن أبى أيوب الأنصاري. وقال الترمذي: حسن غريب، ورمز له السيوطي لحسنه وقال المناوي وغيره: فيه أبو الشمال مجهول الحال. وقال شارح أبى داود: في سنده ضعيف ومجهول. الجامع الصغير بشرح فيض القدير (١:٤٦٥).

كان يقبِّلُ عائشةَ ويمصُّ لسانَها»(١). ويُذكر عن جابر بن عبد الله، قال: «**نَهى رسولُ الله ﷺ عن المُواقعة قبلَ المُلاعبة**»(٢).

● **تعدد الجماع بغسل واحد:** وكان رسول الله ﷺ: ربما جامع نساءَه كلَّهن بغُسل واحد؛ وربما اغتَسل عند كل واحدة منهن. فروى مسلم فى صحيحه، عن أنس: «**أن النبى ﷺ كان يَطوفُ على نسائه بغُسلٍ واحد**»(٣). وروى أبو داودَ فى سننه – عن أبى رافع مولى رسول الله ﷺ: «**أن رسول الله ﷺ طاف على نسائه فى ليلة، فاغتَسل عند كلِّ امرأةٍ منهنَّ غُسلاً. فقلتُ: يا رسول الله؛ لو اغتسلتَ غُسلاً واحدًا! فقال: هذا أطهرُ وأطيبُ**»(٤).

● **ما يشرع للمجامع إذا أراد العود:** وشُرع للمُجامع – إذا أراد العَودَ قبل الغُسل – الوضوءُ بين الجماعَيْن؛ كما روى مسلم فى صحيحه – من حديث أبى سعيد الخدريِّ – قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أتى أحدُكم أهله، ثم أراد أن يعود: فلْيتوضأْ**»(٥).

● **فوائد الغسل والوضوء بعد الوطء:** وفى الغُسل والوضوءِ بعد الوطءِ: من النشاطِ وطيبِ النفس، وإخلافِ بعض ما تحلَّل بالجماع، وكمالِ الطهرِ والنظافة؛ واجتماع الحار الغريزى إلى داخل البدن بعد انتشاره بالجماع؛ وحصولِ النظافة التى يُحبها الله ويُبغض خلافها. ما هو من أحسن التدبير فى الجماع، وحفظِ الصحة والقُوى فيه.

● **أنفع الجماع وأضره (فصل):** وأنفعُ الجماع: ما حصلَ بعد الهضم، وعند اعتدال البدن: فى حرِّه وبرده، ويُبوسته ورطوبته، وخَلائه وامتلائه. وضَررُه عند امتلاء البدن: أَسهلُ، وأَقل من ضرره عند خُلوِّه. وكذلك ضررُه عند كثرة الرطوبة: أقلُّ منه عند اليبوسة؛ وعند حرارته: أَقلُّ منه عند برودته. وإنما ينبغى أن يُجامعَ: إذا اشتدتْ الشهوةُ، وحصَل الانتشارُ التام الذىَ ليس عن تكلُّفٍ، ولا فكرٍ فى صورة، ولا نظرٍ متتابع.

(١) الحديث في سنن أبى داود في كتاب الصوم (باب) الصائم يبلغ الريق. حديث رقم (٢٣٨٦).
(٢) انظر «فيض القدير» (٦:٣٢٣).
(٣) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الحيض (باب) جواز نوم الجُنُب، حديث رقم (٢٨).
(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة (باب) الوضوء لمن أراد أن يعود، حديث رقم (٢١٩).
(٥) أخرجه مسلم في: ٣- كتاب الحيض (٦) باب جواز نوم الجنب... حديث رقم (٢٧).

• **لا تستدعى شهــوة الجماع ومتى يبادر إليه:** ولا ينبغى أن يستدعىَ شهوةَ الجماع ويتكلفها، ويحمل نفسه عليها. وليُبادرْ إليه: إذا هاجتْ به كثرةُ المنىِّ، واشتد شبقُه.

• **من يحذر نكاحهن:** وليحذْر جماع العجوز، والصغيرة – التى لا يُوطأُ مثلُها، والتى لا شهوةَ لها – والمريضةِ، والقبيحةِ المنظرِ، والبَغيضة. فوطْءُ هؤلاءِ يُوهن القُوى ويُضعف الجماع بالخاصِّية.

وغلط من قال من الأطباء: إن جماع الثيِّب أنفعُ من جماع البكر، وأحفظُ للصحة. وهذا من القياس الفاسد، حتى ربما حذر منه بعضُهم. وهو مخالف لما عليه عقلاءُ الناس، ولما اتفقتْ عليه الطبيعةُ والشريعة. وفى جماع البكر – من الخاصِّية، وكمالِ التعلُّق بينها وبين مُجامعها، وامتلاءِ قلبها من محبته، وعدم تقسيم هواها بينه وبين غيره. ما ليس للثيب.

• **فضل جماع البكر:** وقد قال النبى ﷺ لجابر: «**هَلاَّ تزوجتَ بكرًا!**».

وقد جعل الله سبحانه – من كمالِ نساءِ أهل الجنة من الحُور العين: أنَّهن لم يَطْمثْهُنَّ أحدٌ قبلَ من جُعلْنَ له: من أهل الجنة. وقالت عائشةُ للنبى ﷺ: «**أرأيْتَ لو مررْتَ بشجرةٍ قد أُرْتِعَ فيها؛ وشجرةٍ لم يُرتَعْ فيها؛ ففى أيِّهما كنتَ تُرتعُ بعيرَك؟**»؛ قال: «**فى التى لم يُرتعْ فيها**»(1). تريد: أنه لم يأْخذ بكرًا غيرَها.

وجماعُ المرأة المحبوبة فى النفس يَقلُّ إضعافُه للبدن مع كثرةِ استفراغه للمنىِّ.

وجماعُ البغيضة يُحلُّ البدن، ويُوهن القُوى مع قلة استفراغه.

• **جماع الحائض حرام:** وجماعُ الحائض حرامٌ طبعًا وشرعًا: فإنه مضرٌّ جدًّا، والأَطباءُ قاطبةً تحذِّر منه.

• **أحسن أشكال الجماع:** وأحسنُ أشكالِ الجماع: أن يعلوَ الرجلُ المرأةَ مُستفرشًا لها، بعد المُلاعبة والقُبلة. وبهذا سُمِّيت المرأةُ فراشًا، كما قال ﷺ: «**الولدُ للفراش**»(2)

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب النكاح (٩) باب نكاح الأبكار.
(2) أخرجه البخاري في ٣٤- كتاب البيوع (٢) باب الحلال بَيِّن والحرام بَيِّن

وهذا من تمام قوّامية الرجل على المرأة، كما قال تعالى: ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ** ﴾ (النساء: ٣٤)، وكما قيل:

إِذَا رُمْتُهَا: كَانَتْ فِرَاشًا يُقِلُّنِي وَعِنْدَ فَرَاغِي: خَادِمٌ يَتَمَلَّقُ

وقد قال تعالى: ﴿ **هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ، وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ** ﴾ (النساء: ٢). وأكملُ اللباس وأسبَغُه: على هذه الحال؛ فإن فراش الرجل لباسٌ له، وكذلك لحافُ المرأة لباسٌ لها. فهذا الشكلُ الفاضل مأخوذٌ من هذه الآية، وبه يَحسن موقعُ استعارةِ اللباس: من كل من الزوجين للآخر.

وفيه وجه آخرُ، وهو: أنها تَنعطفُ عليه أحيانًا، فتكون عليه كاللباس، قال الشاعر:

إِذَا مَا الضَّجِيعُ ثَنَى عِطْفَهُ تَثَنَّتْ فَكَانَتْ عَلَيْهِ لِبَاسَا

● **أردأ أشكال الجماع:** وأردأُ أشكاله: أن تعلوَه المرأةُ، ويجامعَها على ظهره. وهو خلاف الشكل الطبيعي الذى طبع الله عليه الرجلَ والمرأة، بل نوع الذكر والأُنثى. وفيه من المفاسد: أن المنيَّ يتعسر خروجُه كلُّه، فربما بقى فى العضو منه بقيةٌ: فيتعفنُ ويفسد، فيضر.

وأيضًا: فربما سال إلى الذَّكر رطوباتٌ من الفرج. وأيضًا: فإن الرحم لا يتمكن من الاشتمال على الماءِ، واجتماعه فيه، وانضمامه عليه – لتَخْليق الولد.

وأيضًا: فإن المرأة مفعولٌ بها طبعًا وشرعًا: وإذا كانت فاعلة: خالفت مقتضى الطبع والشرع. وكان أهل الكتاب إنما يأْتون النساءَ على جُنوبهن – على حَرْفٍ – ويقولون: هو أيسرُ للمرأة.

وكانتْ قريش والأنصار تَشْرَح النساءَ على أَقْفائهن، فعابتْ اليهود عليهم ذلك. فأنزل الله عز وجل: ﴿ **نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ** ﴾ (البقرة: ٢٢٣).

وفى الصحيحين عن جابر، قال: «كانت اليهود تقول: إذا أتى الرجل امرأته، من دُبرها، فى قُبُلها: كان الولد أحول. فأنزل الله عز وجل: ﴿ **نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ** ﴾[1]؛ وفى لفظ لمسلم: «**إن شاءَ مُجَبِّيَةً وإن شاءَ غير مجبّية؛ غير أن ذلك فى صمامٍ واحدٍ**».

(١) الحديث أخرجه البخاري في: ٦٥- كتاب التفسير، تفسير سورة البقرة (٣٩) باب نساؤكم حرث لكم.

و (المجبية): المُنْكَبَّة على وجهها. و (الصمام الواحد): الفرْج، وهو موضع الحرْث والولد.

● **الوطء فى الدبر لم يبح قط:** وأمـا الدُّبرُ: فلم يُبَحْ قطُّ على لسـان نبى من الأنبياء. ومَن نسب إلى بعض السلف إباحة وطء الزوجة فى دبرها، فقد غلط عليه.

● **التشديد فى النهى عن الوطء فى الدبر:** وفى سنن أبى داود، عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ملعونٌ مَن أتى المرأة فى دُبُرِها**»(1)، وفى لفظ لأحمد وابن ماجه: «**لا ينظر الله إلى رجل جامع امرأته فى دبرها**»(2). وفى لفظ الترمذى وأحمد: «**مَن أتى حائضًا أو امرأته فى دبرها، أو كاهنًا فصدقه: فقد كفر بما أُنزل على محمد** ﷺ»(3) وفى لفظ للبيهقى: «**مَن أتى شيئًا - من الرجال والنساء - فى الأدبار: فقد كفر**».

وفى مصنَّف وكيع: حدثنى زمْعة بن صالح، عن ابن طاوسٍ، عن أبيه، عن عمرو بن دينار، عن عبد الله بن يزيد؛ قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا يستحى من الحقِّ؛ لا تأتُوا النساءَ فى أعجازهنَّ**»(4)؛ وقال مرة: «**فى أدبارهن**». وفى الترمذي، عن على بن طَلْق، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تأتوا النساءَ فى أعجازهنَّ؛ فإن الله لا يستحى من الحقِّ**»(5). وفى الكامل لابن عَدىٍّ - من حديثه عن المحاملى، عن سعيد بن يحيى الأُموىِّ - قال: حدثنا محمد بن حمزَة، عن زيد بن رَفيع، عن أبى عبيدة، عن عبد الله بن مسعود يرفعه: «**لا تأتوا النساءَ فى أعجازهن**».

وروينا - من حديث الحسن بن على الجوهرىِّ، عن أبى ذرٍّ، مرفوعًا -: «**مَن أتى الرجال والنساءَ فى أدبارهنَّ، فقد كفر**».

وروى إسماعيل بن عيَّاش، عن شُريك بن أبى صالح، عن محمد بن المُنْكَدِر،

---

(1) أخرجه أبو داود في كتاب النكاح، حديث (٢١٦٢).
(2) «مسند أحمد» (٢: ٢٨٢، ٣٤٤)، سنن ابن ماجه (١: ٦١٩).
(3) أخرجه الترمذي في كتاب الطهارة، (١٠٢) باب ما جاء فى كراهية إتيان الحائض، حديث رقم (١٣٥).
(4) ذكره الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (٤: ٢٩٨: ٢٩٩) وقال: رواه الطبراني في الكبير وأبو يعلى والبزار.
(5) أخرجه الترمذي في: ١٠- كتاب الرضاع، باب ما جاء في كراهية إتيان النساء فى أدبارهن حديث رقم (١١٦٤).

عن جابر يرفعه: «**اسْتَحْيُوا من الله - فإن الله لا يستحى من الحقِّ - لا تأتوا النساءَ فى حُشُوشِهِنَّ**»(١). ورواه الدارقُطنيُّ من هذه الطريق؛ ولفظه: «**إن الله لا يستحى من الحق؛ ولا يَحِلُّ إتيانُ النساء فى حُشُوشِهِنَّ**».

وقال البغوىُّ: حدثنا هُدْبَةُ، حدثنا همَّام؛ قال: سئل قتادة عن الذى يأتى امرأته فى دبرها؛ فقال: حدثنى عمرو بن شعيب - عن أبيه، عن جده - أن رسول الله ﷺ قال: «**تلك اللوطيَّة الصغرى**». وقال الإمام أحمد رحمه الله -فى مسنده-: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا همَّام، أخبرنا عن قتادة عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده. فذكره.

وفى المسند أيضًا، عن ابن عباس قال: «أنزلت هذه الآية: ﴿**نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ**﴾ **(البقرة: ٢٢٣)**، فى أُناسٍ من الأنصار: أَتَوْا رسول الله ﷺ، فسألوه. فقال: «**ائتها على كلِّ حال إذا كان فى الفرْج**».

وفى المسند أيضًا، عن ابن عباس، قال: «**جاءَ عمر بن الخطاب إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله؛ هلكتُ. فقال: وما الذى أهلككَ؟ قال: حوَّلْتُ رَحْلى البارِحَةَ. (قال): فلم يَرُدَّ عليه شيئًا؛ فأوحى الله إلى رسوله: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾؛ أَقْبِل وأَدبِرْ، واتَّقِ الحيْضة والدُّبرَ**».

وفى الترمذى - عن ابن عباس مرفوعًا -: «**لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلاً أو امرأة فى الدُّبر**».

وروينا - من حديث أبى على الحسن بن الحسين بن دُوما، عن البراءِ بن عازب يرفعه: «**كفر بالله العظيم عشرةٌ. من هذه الأُمة: القاتل، والساحر، والدَّيُّوثُ، وناكحُ المرأَة فى دُبرها، ومانع الزكاة، ومَن وجَد سعةً: فمات ولم يحجَّ؛ وشارب الخمر، والساعى فى الفتن، وبائع السلاح من أهل الحرب، ومَن نكَح ذات مَحْرَمٍ منه**».

وقال عبد الله بن وهب: حدثنا عبد الله بن لَهيعةَ، عن مِشرح بن هاعانَ، عن

---

(١) الجامع الكبير للسيوطي (١:٩٥٤).

عقبةَ بن عامر، أن رسول الله ﷺ، قال: «**ملعونٌ من يأتى النساءَ فى محاشِّهنَّ**»؛ يعنى: أدبارهن.

وفى مسند الحارث بن أبى أُسامة – من حديث أبى هريرة، وابن عباس – قالا: «خطبنا رسول الله ﷺ قبل وفاته؛ وهى آخرُ خطبةٍ خطبها بالمدينة حتى لحق بالله عز وجل؛ وعظنا فيها وقال: «**مَن نَكَحَ امرأته فى دُبرِها، أو رجلاً أو صبيًّا: حُشِرَ يوم القيامة: وريحُه أنتنُ من الجيفة؛ يتأذَّى به الناس حتى يدخل النار؛ وأحبط الله أجره، ولا يقبل منه صَرفًا ولا عدلاً، ويدخلُ فى تابوت من نارٍ، ويُسدُّ عليه بمساميرَ من نارٍ**». قال أبو هريرة: هذا لمن لم يتبْ.

وذكر أبو نعيم الأَصْبهانى – من حديث خزيمةَ بن ثابت يرفعه: «**إن الله لا يستحى من الحقِّ، لا تأْتوا النساءَ فى أعجازهنَّ**».

وقال الشافعى: «أخبرنى عمى محمد بن على بن شافع، قال: أخبرنى عبد الله ابن على بن السائب، عن عمرو بن أُحَيْحة بن الجلاَّح، عن خزيمة بن ثابت: «**أن رجلا سأل النبى ﷺ عن إتيان النساء فى أدبارهنَّ، فقال: حلالٌ. فلمَّا ولَّى دعاه، فقال: كيف قلتَ؟ فى أيِّ الْخُرْبَتَيْنِ؟ أو فى أى الْخَرْزَتين؟ أو فى أى الْخُصْفَتين؟ أَمِن دبرِها فى قُبُلِها: فنعمْ، أما دبرها فى دبرها: فلا. فإن الله لا يستحى من الحق، لا تأْتوا النساءَ فى أدبارهنَّ**»(1).

قال الرَّبيع: «فقيل للشافعى: فما تقول؟ فقال: عمى ثقةٌ، وعبد الله بن على ثقة، وقد أثنى على الأنصارى خيرًا (يعنى: عمرو بن الجلاَّح)، وخزيمة ممن لا يُشك فى ثقته؛ فلست أُرخِّص فيه، بل أنهى عنه».

قلت: من ههنا، نشأ الغلط على من نُقل عنه الإباحة: من السلف والأئمة: فإنهم أباحوا: أن يكون الدبرُ طريقًا إلى الوطءِ فى الفرج، فيَطأ من الدبر، لا فى الدبر، فاشتبه على السامع: مَن نفى، أو لم يظن بينهما فرقًا. فهذا الذى أباحه السلف والأئمة، فغلط عليهم الغالط أقبح الغلط وأفحشه.

وقد قال تعالى: ﴿ **فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ** ﴾، قال مجاهد: «سألت ابن

(1) البيهقي في «السنن الكبرى» (٧:١٩٦).

عباس عن قوله تعالى: ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمْ اللَّهُ ﴾، فقال: تأتيها من حيث أُمرت أن تعتزلها. يعني: في الحيض». وقال على بن طلحة عنه: «**يقول: في الفرج، ولا تَعْدُه إلى غيره**».

● **الأدلة على تحريم وطء الزوجة في دبرها:** وقد دلَّت الآية على تحريم الوطءِ في دبرها، من وجهين:

(أحدهما): أنه إنما أَباح إتيانها في الحرْث - وهو موضع الولد - لا في الحَشِّ الذي هو موضع الأَذى. وموضع الحرث هو المراد من قوله: ﴿ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ الآية. قال تعالى: ﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾. وإتيانها في قبلها من دبرها، مستفاد من الآية أيضًا. لأَنه قال: ﴿ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾؛ أي من حيث شئتم: من أَمام، أَو من خَلْفٍ. قال ابن عباس: ﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ ﴾ يعنى: الفرجَ.

● **من مضار وطء الزوجة في الدبر:** وإذا كان الله حرّم الوطءَ في الفرج، لأَجل الأَذى العارض[1]: فما الظن بالحشِّ الذي هو محلُّ الأَذى اللازم مع زيادة المفسدة بالتعرض لانقطاع النسل، والذريعة القريبة جدًا من أَدبار النساءِ، إلى أَدبار الصبيان.

(وأيضًا) للمرأَة حقٌّ على الزوج في الوطءِ؛ وطؤها في دبرها يفوِّتُ حقَّها، ولا يقضى وطرها، ولا يُحصِّل مقصودها.

(وأيضًا) فإن الدبر لم يتهيَّأْ لهذا العمل ولم يخلق له؛ وإنما الذي هُيِّئَ له الفرجُ. فالعادلون عنه إلى الدبر خارجون عن حكمة الله وشرعه جميعًا.

(وأيضًا) فإن ذلك مضرٌّ بالرجل، ولهذا ينهى عنه عقلاءُ الأَطباءِ: من الفلاسفة وغيرهم. لأَن للفرج خاصِّية في اجتذاب الماءِ المحتقن، وراحة الرجل منه، والوطءُ في الدبر لا يعين على اجتذاب جميع الماءِ، ولا يخرج كلَّ المحتقن لمخالفته للأَمر الطبيعي.

(وأيضًا) يضر من وجه آخر، وهو: إحواجُه إلى حركات متعبةٍ جدًا، لمخالفته للطبيعة.

(وأيضًا) فإنه محل القذر والنَّجْو؛ فيستقبله الرجل بوجهه، ويلابسُه.

(وأيضًا) فإنه يُضرُّ بالمرأَة جدًا، لأَنه واردٌ غريب، بعيدٌ عن الطباع، مُنافر لها غايةَ المنافرة[2].

(١) أي الحيض والنفاس.

(٢) ومرض نقص المناعة الذي يصيب من يفعل ذلك.

(وأيضًا) فإنه يحدث الهمَّ والغم، والنفرةَ عن الفاعل والمفعول.

(وأيضًا) فإنه يسوِّد الوجه، ويظلم الصدر، ويَطمِس نور القلب، ويكسو الوجه وحشةً تصير عليه كالسِّيماءِ: يعرفها من له أدنى فِراسة.

(وأيضًا) فإنــه يوجب النفرة والتباغض الشديد، والتقاطع بين الفاعل والمفعول ولا بُدَّ.

(وأيضًا) فإنه يفسد حال الفاعل والمفعول فسادًا لا يكاد يُرجَى بعده صلاح، إلا أن يشاءَ الله بالتوبة النصوح.

(وأيضًا) فإنه يذهبُ بالمحاسن منهما، ويكسوهما ضدَّها. كما يذهب بالمودة بينهما، ويبدلهما بها تباغضًا وتلاعُنًا.

(وأيضًا) فإنه من أكبر أَسباب زوال النعم، وحلول النقم. فإنه يوجب اللعنة والمقت من الله، وإعراضه عن فاعله، وعدم نظره إليه. فأيُّ خير يرجوه بعد هذا؟ وأيُّ شر يأمنه؟ وكيف حياة عبد قد حلتْ عليه لعنة الله ومقته، وأعرض عنه بوجهه، ولم ينظر إليه!.

(وأيضًا) فإنه يذهب بالحياءِ جملةً؛ والحياءُ هو حياة القلوب. فإذا فقدها القلبُ: استحسَن القبيح، واستقبح الحسن. وحينئذٍ: فقد استَحكَم فسادُه.

(وأيضًا) فإنه يُحيل الطباعَ عما ركبها الله عليه، ويُخرج الإنسانَ عن طبعه إلى طبع لم يركب الله عليه شيئًا من الحيوان، بل هو طبع منكوس. وإذا نُكس الطبعُ: انتكس القلب والعمل والهدى؛ فيستطيب -حينئذٍ- الخبيثَ من الأَعمال والهيئات، ويفسد حاله وعمله وكلامه بغير اختياره.

(وأيضًا) فإنه يُورث - من الوقاحة والجُرأة - ما لا يورثه سواه.

(وأيضًا) فإنه يورث - من المهانة والسَّفال والحقارة - ما لا يورثه غيره.

(وأيضًا) فإنه يكسو العبدَ - من حُلة المقت والبغضاء وازدراء الناس له واحتقارهم إيَّاه، واستصغارهم له - ما هو مشاهدٌ بالحس. فصلاة الله وسلامه على مَن سعادةُ الدنيا والآخرة: في هديه واتباعِ ما جاءَ به؛ وهلاكُ الدنيا والآخرة في مخالفة هديهِ وما جاءَ به.

● **الجماع الضار (فصل):** والجماع الضار نوعانٌ: ضارٌ شرعًا، وضارٌ طبعًا.

● **الضار شرعا:** فالضار شرعًا: المحرَّم. وهو مراتبُ بعضُها أشد من بعض. والتحريمُ العارض منه أخفُّ من اللازم: كتحريم الإحرام والصيام والاعتكاف، وتحريم المُظاهَر منها قبل التكفير، وتحريم وطءِ الحائض، ونحو ذلك. ولهذا لا حدَّ في هذا الجماع.

● **تحريم الجماع اللازم:** وأما اللازمُ، فنوعان: **(نوعٌ)** لا سبيل إلى حِله البتة؛ كذوات المَحارم. فهذا من أضر الجماع، وهو يُوجب القتل حدًّا عند طائفة من العلماء: كأحمد بن حنبلٍ -رحمه الله- وغيره. وفيه حديث مرفوع ثابت. **(والثانى):** ما يمكن أن يكون حلالاً، كالأجنبية. فإن كانت ذاتَ زوج، ففى وطئها حَقَّان: حقٌ لله، وحقٌ للزوج. فإن كانت مكرَهة: ففيه ثلاثةُ حقوق. وإن كان لها أهل وأقاربُ - يلحقهم العار بذلك -: صار فيه أربعةُ حقوق. فإن كانت ذات مَحْرَم منه: صار فيه خمسةُ حقوق. فمضرةُ هذا النوع بحسب درجاته في التحريم.

● **الجماع الضار طبعا:** أما الضار طبعًا، فنوعان أيضًا: نوعٌ ضار بكيفيته كما تقدم؛ ونوعٌ ضار بكميته، كالإكثار منه: فإنه يُسقط القوة، ويُضر بالعصب، ويُحدث الرعشةَ والفالج والتشنج، ويُضعف البصر وسائر القُوى، ويُطفئُ الحرارةَ الغريزية، ويُوسع المجاريَ ويجعلها مستعدة للفضلات المؤذية.

● **أنفع أوقات الجماع:** وأنفعُ أوقاته: ما كان بعد انهضام الغذاء في المعدة، وفى زمانٍ معتدل؛ لا على جوع: فإنه يُضعف الحار الغريزى، ولا على شبع: فإنه يُوجب أمراضًا سَدَدِيَّة؛ ولا على تعب، ولا إثْرَ حمام، ولا استفراغٍ، ولا انفعالٍ نفسانى: كالغم والهم والحزن، وشدةِ الفرح.

● **أجود أوقات الجماع:** وأجودُ أوقاته: بعد هَزِيع من الليل، إذا صادف انهضامَ الطعام. ثم يغتسل أو يتوضأ وينام عقبه: فيَرجع إليه قواه. وليحذر الحركة والرياضة عقبه فإنها مضرة جدًّا.

فصل فى هديه ﷺ فى علاج العشق

هذا مرض من أمراض القلب، مخالفٌ لسائر الأمراض: في ذاته وأسبابه وعلاجه. وإذا تمكن واستَحكَم: عزَّ على الأطباءِ دواؤُه، وأعيا العليلَ داؤُه.

● **نوعان من العشق:** وإنَّما حكاه الله سبحانه – في كتابه – عن طائفتين من الناس: من النساء، وعشاق الصبيان المُرْدان. فحكاه عن امرأة العزيز في شأن يوسفَ. وحكاه عن قوم لوط فقال تعالى –إخباراً عنهم لَمَّا جاءَت الملائكةُ لوطًا–: ﴿ **وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ * قَالَ إِنَّ هَؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ * وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ * قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ * قَالَ هَؤُلاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ **(الحجر: ٦٧-٧٢)**.

وأمَّا ما زعمه بعضُ من لم يَقدُرْ رسولَ الله ﷺ حقَّ قدره: «أنه ابتُليَ به في شأن زينبَ بنت جَحْش، وأنه رآها فقال: سبحانَ مقلِّب القلوب! وأخذتْ بقلبه، وجعل يقول لزيد بن حارثةَ: أَمسكْها. حتى أنزل الله عليه ﴿ **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ** ﴾ **(الأحزاب: ٣٧)**، فظنَّ هذا الزاعمُ: أن ذلك في شأن العشق؛ وصنف بعضهم كتابًا في العشق: وذكر فيه عشق الأنبياء، وذكر هذه الواقعة. وهذا من جهلِ هذا القائل بالقرآن وبالرسل وتحميله كلامَ الله ما لا يحتمله، ونسبته رسولَ الله ﷺ ما برَّأه الله منه. فإن زينب بنت جحش كانت تحت زيد بن حارثةَ؛ وكان رسول الله ﷺ قد تبنَّاه، وكان يُدعى: ابن محمد – وكانت زينب فيها شَممٌ وترفعٌ عليه – فشاور رسول الله ﷺ في طلاقها، فقال له رسول الله ﷺ: «**أمسكْ عليك زوجَك واتقِ الله**»؛ وأخفى في نفسه أن يتزوجَها إن طلَّقها زيد، وكان يخشى من قالة الناس: إنه تزوج امرأة ابنه. لأن زيداً كان يُدعى ابنَه. فهذا هو الذي أخفاه في نفسه، وهذه هي الخشية من الناس التي وقعت له. ولهذا ذكر سبحانه هذه الآية: يعدِّدُ فيها نعمه عليه لا يعاتبه فيها؛ وأعلمه أنه لا ينبغي له أن يخشى الناس فيما أحلَّ الله له، وأن الله أحق أن يخشاه. فلا يتحرَّج مما أحله له، لأجل قول الناس. ثم أخبره: أنه سبحانه زوَّجه إيَّاها بعد قضاء زيد وطرَه منها، لتقتديَ أُمَّتُه به في ذلك، ويتزوجَ الرجل بامرأة ابنه من التبنِّي، لا امرأة ابنه لصُلبه. ولهذا قال في آية التحريم: ﴿ **وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ** ﴾ **(النساء: ٢٣)**؛ وقال في سورة الأحزاب: ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ** ﴾ **(الأحزاب: ٤٠)**؛ وقال في أوّلها: ﴿ **وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ**؛

ذلكُمْ قَولُكُمْ بأفْوَاهكُمْ ﴾(الأحزاب: ٤)، فتأملْ هذا الذبَّ عن رسول الله ﷺ، ودَفْعَ طعنِ الطاعنين عنه. وبالله التوفيق.

• **حبه ﷺ نساءه:** نعمْ: كان رسول الله ﷺ يُحب نساءَه، وكان أَحبُّهن إليه عائشةَ رضى الله عنها. ولم تكن تبلغ محبتُه لها ولا لأحد – سوى ربه – نهايةَ الحب؛ بل صح عنه أنه قال: «**لو كنتُ متخذًا من أهل الأرض خليلاً، لاتَّخذتُ أبا بكرٍ خليلاً**»(1)؛ وفى لفظ: «**وإن صاحبَكم خليلُ الرحمن**»(2).

• **عشق الصور (فصل):** وعشقُ الصُّوَر إنما تُبتلى به القلوبُ الفارغة من محبة الله تعالى، المعرضةُ عنه، المتعوِّضةُ بغيره عنه. فإذا امتلأ القلب من محبة الله والشوق إلى لقائه، دفع ذلك عنه مرض عشق الصور، فلهذا قال تعالى فى حق يوسف: ﴿ **كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** ﴾(يوسف: ٢٤). فدل على أن الإخلاص سببٌ لدفع العشق، وما يترتب عليه: من السوءِ والفحشاءِ التى هى ثمرتُه ونتيجته. فصرفُ المسبَّب صرفٌ لسببه.

ولهذا قال بعض السلف: «العشق: حركة قلب فارغ». يعنى: فارغًا مما سوى معشوقه. قال تعالى: ﴿ **وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ** ﴾(القصص: ١١)؛ أى: فارغًا من كل شيءٍ إلا من موسى؛ لفرط محبتها له، وتعلقِ قلبها به. والعشق مركب من أمرين: استحسانٍ للمعشوق، وطمع فى الوصول إليه. فمتى انتفى أحدهما: انتفى العشق.

وقد أعيتْ عِلَّةُ العشق على كثير من العقلاء، وتكلم فيها بعضهم بكلام يُرغب عن ذكره إلى الصواب. فنقول: قد استقرت حكمة الله عز وجل – فى خلقه وأمره – على وقوع التناسب والتآلف بين الأشباه، وانجذاب الشيءِ إلى موافقه ومجانسه بالطبع، وهروبه من مخالفه ونفرته عنه بالطبع. فسرُّ التمازج والاتصال فى العالم العُلوى والسُّفلى، إنما هو: التناسب والتشاكل والتوافق. وسرُّ التباين والانفصال إنما هو: بعدم التشاكل والتناسب. وعلى ذلك تمامُ الخلق والأمر. فالمِثْلُ إلى مثله مائلٌ وإليه صائرٌ،

---

(١) أخرجه البخاري في: ٦٢- كتاب فضائل الصحابة (٥) باب قول النبيّ صلى الله عليه وسلم: لو كنت متخذًا خليلاً. فتح الباري (١٧:٧)، ورواه مسلم في: ٤٤- كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبى بكر الصديق، حديث رقم (٣، ٤، ٥) صفحة (١٨٥٥).

(٢) أخرجه مسلم وسبق ذكره في الحديث السابق.

والضدُّ عن ضده هاربٌ وعنه نافرٌ. وقد قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا**﴾ **(الأعراف: ١٨٩)**. فجعل سبحانه علة سكون الرجلِ إلى امرأته، كونَها من جنسه وجوهره. فعلةُ السكون المذكور - وهو الحب -: كونُها منه. فدل على أن العلّة ليست بحسن الصورة، ولا الموافقة فى القصد والإرادة، ولا فى الخُلق والهدَى. وإن كانت هذه أيضا من أسباب السكون والمحبة.

● **الأرواح جنود مجندة:** وقد ثبت فى الصحيح، عن النبى ﷺ، أنه قال: «**الأَرواحُ جنودٌ مجنَّدةٌ؛ فما تَعارفَ منها ائْتَلف، وما تَناكرَ منها اختلف**»[1]. وفى مسند الإمام أحمد، وغيره - فى سبب هذا الحديث: «**أن امرأة بمكةَ كانت تُضحك الناس، فجاءَت إلى المدينة، فنزلتْ على امرأة تضحك الناس. فقال النبى ﷺ: الأَرواح جنود مجندة**» الحديثَ.

● **حكم الشىء حكم مثله:** وقد استقرتْ شريعتُه سبحانه: أن حُكم الشىء حكمُ مثله؛ فلا تفرِّقُ شريعته بين متماثلين أبداً، ولا تجمعُ بين مضادَّين. ومَن ظن خلاف ذلك: فإمَّا لقلة علمه بالشريعة، وإما لتقصيره فى معرفة التماثُل والاختلاف، وإمَّا لنسبته إلى شريعته ما لم يُنزلْ به سلطانًا، بل يكونُ من آراءِ الرجال. فبحكمته وعدله ظهر خَلقُه وشرعُه، وبالعدل والميزان قام الخلق والشرع، وهو: التسوية بين المتماثلَيْن، والتفريق بين المختلفَيْن. وهذا كما أنه ثابت فى الدنيا، فهو كذلك يومَ القيامة. قال تعالى: ﴿**احْشُرُوا الَّذين ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ؛ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ**﴾ **(الصافات: ٢٢، ٢٣)**. قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه -وبعدَه الإمامُ أَحمد رحمه الله -: «**أَزواجهم: أَشباهُهم ونظراؤُهم**». وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ**﴾ **(التكوير: ٧)**؛ أى: قُرِن كلُّ صاحب عملٍ بشكله ونظيره؛ فقُرن بين المتحابِّين فى الله: فى الجنة؛ وقُرن بين المتحابِّين فى طاعة الشيطان: فى الجحيم. فالمرءُ مع من أَحبَّ شاءَ أو أَبى. وفى صحيح الحاكم وغيره - عن النبى ﷺ -: «**لا يُحب المرءُ قومًا إلاَّ حُشر معهم**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في: ٦٠- كتاب الأنبياء (٢) باب الأرواح جنود مجندة. وأخرجه مسلم في: ٤٥- كتاب البر والصلة (٤٩) باب الأرواح جنود مجندة، حديث رقم (١٥٩).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٦:١٤٥، ١٦٠).

● **أنواع من المحبة:** والمحبة أنواع متعددة. فأفضلها وأجلُّها: المحبَّة فى الله ولله؛ وهى تستلزم محبةَ ما أحب اللهُ، وتستلزم محبةَ الله ورسوله. **(ومنها):** محبة الاتفاق فى طريقةٍ أو دين، أو مذهب أو نِحْلة، أو قرابة أو صناعة، أو مرادٍ ما. **(ومنها)** محبةٌ لنَيْل غرض من المحبوب إمَّا من جاهه، أو من ماله، أو من تعليمه وإرشاده، أو قضاءِ وطر منه. وهذه هى المحبة العرضية: التى تزول بزوال مُوجِبها؛ فإنه من وَدَّك لأَمرٍ ولَّى عند انقضائه.

● **محبة المشاكلة والمناسبة:** وأما محبةُ المشاكلة والمناسبة التى بين المحب والمحبوب، فمحبةٌ لازمة: لا تزول إلاَّ لعارض يُزيلها. ومحبةُ العشق من هذا النوع، فإنها استحسان روحانيٌّ، وامتزاج نفسانيٌّ ولا يَعرِض فى شيءٍ من أنواع المحبة -: من الوسْواس والنُّحول، وشَغْل البال والتلف - ما يعرض من العشق.

● **العشق من طرف واحد:** فإن قيل: فإذا كان سببُ العشق ما ذكرتم -: من الاتصال والتناسب الروحانيِّ - فما بالُه لا يكون دائمًا من الطرَفين، بل تجدُه كثيراً من طرف العاشق وحده؟ فلو كان سببُه الاتصالَ النفسى، والامتزاجَ الروحانى -: لكانت المحبة مشتركة بينهما.

فالجواب: أن السبب قد يتخلف عنه مسببه لفوات شرط أو لوجود مانع وتخلُّفُ المحبة من الجانب الآخر، لا بد أن يكون لأحد ثلاثة أسباب: **(الأول):** علةٌ فى المحبة، وأنها محبة عرضية، لا ذاتية. ولا يجب الاشتراك فى المحبة العرَضية، بل قد يلزمها نُفرةٌ من المحبوب. **(الثاني):** مانع يقوم بالمحِب -يمنع محبة محبوبه له- إما فى خَلقه، أو خُلُقه، أو هديه، أو فعله، أو هيئته أو غير ذلك. **(الثالث):** مانعٌ يقوم بالمحبوب، يمنع مشاركته للمحِب فى محبته. ولولا ذلك المانعُ: لقام به من المحبة لمحبه مثل ما قام بالآخر.

فإذا انتفتْ هذه الموانعُ، وكانت المحبة ذاتية-: فلا يكون قطُّ إلا من الجانبين. ولولا مانعُ الكبرِ والحسد والرياسة والمعاداة فى الكفار، لكانت الرسل أحبَّ إليهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم. ولَمَّا زال هذا المانع من قلوب أتباعهم: كانت محبتهم لهم فوقَ محبة الأنفس والأهل والمال.

● **علاج العشق (فصل):** والمقصود: أن العشق لما كان مرضًا من الأمراض، كان

قابلاً للعلاج. وله أنواع من العلاج. فإن كان مما للعاشق سبيلٌ إلى وصل محبوبه شرعًا وقدْرًا، فهو علاجه. كما ثبت فى الصحيحين، من حديث ابن مسعود رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءَةَ فلْيتزوج؛ ومن لم يستطعْ: فعليه بالصوم، فإنه له وِجَاءٌ**»[1] فدَل المحبَّ على علاجين: أصلىٍّ وبدلىٍّ؛ وأمره بالأصلى – وهو العلاج الذى وُضع لهذا الداء – فلا ينبغى العدول عنه إلى غيره ما وَجد إليه سبيلا.

وروى ابن ماجه فى سننه – عن ابن عباس رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ أنه قال: «**لم نر للمُتحابَّيْن مثلَ النكاح**»[2] وهذا هو المعنى الذى أشار إليه سبحانه – عقيب إحلال النساء حرائرهن وإمائهن عند الحاجة – بقوله: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا**﴾ **(النساء: ٢٨)**. فذكرُ تخفيفه سبحانه فى هذا الموضع، وإخبارُه عن ضعف الإنسان – يدل على ضعفه عن احتمال هذه الشهوة، وأنه سبحانه خفف عنه أمرها بما أباحه له: من أطايب النساء مَثْنى وثُلاثَ ورباعَ؛ وأباح له ما شاءَ: مما ملكتْ يمينه؛ ثم أباح له أن يتزوج بالإماء – إن احتاج إلى ذلك –: علاجًا لهذه الشهوة، وتخفيفًا عن هذا الخَلق الضعيف، ورحمةً به.

● **اليأس علاج للعشق المحرم (فصل)**: وإن كان لا سبيلَ للعاشق إلى وصال معشوقه قدْرًا أو شرعًا، أو هو ممتنع عليه من الجهتين – وهو الداءُ العُضال – فمن علاجه: إشعارُ نفسه اليأسَ منه. فإن النفس متى يئستْ من الشيء: استراحت منه، ولم تلتفت إليه.

● **إن لم يزُل مرض العشق**: فإن لم يزُل مرض العشق مع اليأس، فقد انحرف الطبع انحرافًا شديداً: فينتقلُ إلى علاج آخرَ، وهو علاج عقله: بأن يعلم بأن تعلُّق القلب بما لا مطمع فى حصوله نوعٌ من الجنون، وصاحبه بمنزلة من يعشَق الشمس: وروحه متعلقة بالصعود إليها، والدَّوَران معها فى فلكها. وهذا معدود – عند جميع العقلاء – فى زُمرة المجانين.

● **إذا كان الوصال متعذرا شرعا لا قدرا**: وإن كان الوصال متعذرًا شرعًا لا قدرًا،

---

(١) تقدم الحديث.

(٢) تقدم الحديث والمقصود: الزواج.

فعلاجُه: بأن يُنزلَه منزلة المتعذر قدرا. إذا ما لم يأذن الله فيه، فعلاجُ العبد ونجاتُه موقوف على اجتنابه. فليُشعرْ نفسه: أنه معدوم ممتنع لا سبيل له إليه، وأنه بمنزلة سائر المُحالات.

فإن لم تُجبْه النفس الأمارة، فليتركْه لأحد أمرين: إما خشية، وإما فوات محبوب هو أحبُّ إليه، وأنفع له، وخير له منه، وأدْوَم لذةً وسروراً. فإن العاقل متى وازَنَ بين نيلِ محبوب سريع الزوال، بفوات محبوب أعظمَ منه وأدومَ وأنفعَ وألذَّ؛ أو بالعكس: ظهر له التفاوتُ. فلا تبعْ لذة الأبد – التى هى لا خطرَ لها (لا مثيل لها)– بلذة ساعة تنقلب آلاما، وحقيقتُها: أنها أحلامُ نائم، أو خيالٌ لا ثبات له. فتذهبَ اللذةُ، وتبقى التبعةُ؛ وتزولَ الشهوة، وتبقَى الشِّقوة.

الثانى: حصول مكروه أشقَّ عليه من فوات هذا المحبوب، بل يجتمع له الأمران. أَعنى: فواتَ ما هو أحبُّ إليه من هذا المحبوب، وحصولَ ما هو أكرهُ إليه من فوات هذا المحبوب. فإذا تيقَّن أن فى إعطاءِ النفسِ حظَّها من هذا المحبوب، هذين الأمرين: هان عليه تركُه، ورأى أن صبره على فوته أسهلُ من صبره عليهما بكثير. فعقلُه ودينه ومروءَته وإنسانيته: تأمره باحتمال الضرر اليسير، الذى ينقلب سريعًا لذةً وسروراً وفرحًا، لدفع هذين الضررين العظيمين وجَهلُه وهواه وظلمه وطيشه وخفته: تأمره بإيثار هذا المحبوب العاجل بما فيه، جالبًا عليه ما جلب. والمعصومُ من عصمه الله.

فإن لم تقبل نفسه هذا الدواء، ولم تطاوعه لهذه المعالجة: فلينظر ما تجلب عليه هذه الشهوة من مفاسد عاجلته، وما تمنعه من مصالحها. فإنها أجلبُ شيءٍ لمفاسد الدنيا، وأعظمُ شيءٍ تعطيلاً لمصالحها، فإنها تحول بين العبد وبين رشده الذى هو مِلاكُ أمره، وقِوامُ مصالحه.

فإن لم تقبل نفسه هذا الدواء، فليتذكرْ قبائح المحبوب، وما يدعوه إلى النفرة عنه. فإنه إن طلبها وتأملها: وجدها أضعاف محاسنه التى تدعو إلى حبه وليسألْ جيرانه عمّا خفيَ عليه منها: فإن المحاسن كما هى داعيةُ الحبِّ والإرادة فالمساوى داعيةُ البغضِ والنفرة. فليوازنْ بين الداعيَيْن، ولْيحبَّ أَسبَقهما وأَقربهما منه بابًا. ولا يكن ممَّن غرَّه لون جمال على جسم أبرص مجذوم، وليُجاوزْ بصرُه حُسنَ الصورة إلى قبح الفعل، ولْيَعبُرْ من حُسن النظر والجسم إلى قبح المخبَر والقلب.

● **اللجوء إلى الله تعالى مداواة العشق،** فإن عجزتْ عنه هذه الأدويةُ كلُّها: لم يبق له إلا صدقُ اللَّجإ إلى من يجيب المضطرَّ إذا دعاه؛ وليطرحْ نفسه بين يديه على بابه: مستغيثًا به، متضرعًا متذلِّلاً مستكينًا.

فمتى وُفِّق لذلك، فقد قرع باب التوفيق: فليَعفَّ وليكتمْ، ولا يشبِّبْ بذكر المحبوب، ولا يفضحْه بين الناس ويعرِّضْه للأذى؛ فإنه يكون ظالمًا متعديًا.

ولا يغترَّ بالحديث الموضوع على رسول الله ﷺ الذى رواه سُويد بن سعيد عن عليّ بن مُسْهِر، عن أبى يحيى القَتَّات، عن مجاهد، عن ابن عباس رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ . ورواه عن ابن مُسهِر أيضًا، عن هشام بن عروةَ، عن أبيه، عن عائشة، عن النبى ﷺ . ورواه الزبير بن بَكَّار، عن عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشُون، عن عبد العزيز بن حازم، عن ابن أَبى نَجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ أنه قال: «**من عشِقَ فعفَّ فمات، فهو شهيدٌ**»؛ وفى رواية: «**من عشق وكتم وعفَّ وصبَرَ، غفر له وأدخله الجنة**»[1].

فإن هذا الحديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، ولا يجوز أن يكون من كلامه. فإن الشهادة درجةٌ عالية عند الله، مقرونةٌ بدرجة الصِّدِّيقيَّة؛ ولها أعمال وأحوال هى شرط فى حصولها. وهى نوعان: عامةٌ وخاصةٌ؛ فالخاصة: الشهادة فى سبيل الله. والعامةُ خمسٌ مذكورة فى الصحيح[2] ليس العشقُ واحداً منها وكيف يكون العشقُ - الذى هو شرْكٌ فى المحبة، وفراغٌ عن الله، وتمليك القلب والروح والحب لغيره - تُنال به درجةُ الشهادة؟! هذا من المحال: فإن إفساد عشق الصور للقلب فوقَ كل إفساد، بل هو خمرُ الروح: الذى يُسكرها، ويصدُّها عن ذكر الله وحبِّه، والتلذذِ بمناجاته، والأنسِ به، ويُوجب عبودية القلب لغيره. فإن قلب العاشق متعبِّد لمعشوقه، بل العشقُ لُب العبودية: فإنها كمال الذل والحب والخضوع والتعظيم. فكيف يكون تعبُّدُ القلب لغير الله، مما تُنال به درجةُ أَفاضلِ الموحدين وساداتهم وخواصِّ الأولياءِ؟! فلو كان

---

(١) حديث سنده ضعيف واهٍ.

(١) وهم: المطعون الذى مات فى الطاعون والمبطون مريض البطن والغريق وصاحب الهدم أى من مات تحت البناء المهدوم والشهيد فى سبيل الله وهو شهيد المعركة بين المسلمين والكفار وهو أفضلهم.

إسنادُ هذا الحديث كالشمس: كان غلطًا ووهمًا. ولا يُحفظ عن رسول الله ﷺ لفظُ العشق، فى حديث صحيح البتة.

ثم: إن العشق منه حلالٌ، ومنه حرامٌ. فكيف يُظن بالنبى ﷺ، أنه يحكم على كل عاشق يكتم ويعفُّ بأنه شهيد؟! فترَى من يعشَق امرأةَ غيره، أو يعشق المُرْدانَ والبَغايا يَنال بعشقه درجةَ الشهداء. وهل هذا إلا خلافُ المعلوم من دينه ﷺ. كيف؟ والعشقُ مرض من الأَمراض التى جعل الله سبحانه لها الأدويةَ شرعًا وقدراً؛ والتداوى منه إما واجب: إن كان عشقًا حرامًا؛ وإما مستحب؟! وأنت إذا تأملت الأَمراضَ والآفاتِ – التى حكم رسول الله ﷺ لأَصحابها بالشهادة –: وجدتها من الأَمراض التى لا علاج لها، كالمطعون والمبْطُون وصاحب الهدم والحريق والغريق، وموتِ المرأة يقتُلها ولدُها فى بطنها، فإن هذه بلايَا من الله لا صُنع للعبد فيها، ولا علاج لها؛ وليست أَسبابها محرمةً، ولا يترتب عليها من فساد القلب، وتعبُّده لغير الله –ما يترتب على العشق.

فإن لم يكفِ هذا فى إبطال نسبة هذا الحديث إلى رسول الله ﷺ، فقلدْ أئمةَ الحديث العالمين به وبعلله: فإنه لا يُحفظ عن إمام واحد منهم قط، أنه شهد له بصحة بل ولا بُحسن. كيف: وقد أنكروا على سُويدٍ هذا الحديث، ورموه لأَجله بالعظائم، واستحل بعضهم غزوه لأَجله؟. قال أبو أحمد بن عَدىٍّ فى كامله: «هذا الحديثُ أحدُ ما أُنكر على سُويد»؛ وكذلك قال البَيْهقىُّ: «إنه مما أُنكر عليه». وكذلك قال ابن طاهر فى الذخيرة وذكره الحاكم فى تاريخ نَيْسابور، وقال: «أنا أتعجب من هذا الحديث. فإنه لم يحدَّث به عن غير سويد، وهو ثقة». وذكره أبو الفرج بن الجوزىٍّ فى كتاب الموضوعات. وكان أبو بكر الأزرقُ يرفعه أَوّلاً عن سُويد؛ فعُوتب فيه: فأَسقط ذكر البنى ﷺ، وكان لا يُجاوِزُ به ابن عباس رضى الله عنهما.

ومن المصائب التى لا تحتمل: جعلُ هذا الحديث من حديث هشام بن عروةَ عن أَبيه، عن عائشة رضى الله عنها، عن النبى ﷺ. ومن له أدنى إلمام بالحديث وعلله: لا يحتمل هذه البتة. ولا يحتمل أن يكون من حديث ابن الماجشون، عن ابن أَبى حازم، عن ابن أَبى نَجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعًا. وفى صحته موقوفًا على ابن عباس نظر.

وقد ر[illegible] سويد بن سعيد –راوى هذا الحديث– بالعظائم، وأنكره عليه

يحيى بن مَعين، وقال: «هو ساقط كذاب؛ لو كان لى فرس ورمح: كنت أغزوه». وقال الإمام أحمد: متروكُ الحديث. وقال النَّسائيُّ: ليس بثقة. وقال البخارى: «كان قد عميَ، فيلقَّن ما ليس من حديثه». وقال ابن حبان: «يأتى بالمعضلات عن الثقات؛ يجب مجانبةُ ما رَوى» انتهى. وأحسنُ ما قيل فيه قولُ أبى حاتم الرازىِّ: «إنه صدُوق كثير التَّدْليس»؛ ثم قولُ الدَّارقُطنى: «هو ثقة. غير أنه لما كبر كان ربما قُرئَ عليه حديث فيه بعضُ النَّكارة، فيُجيزه» انتهى. وعيب على مسلم إخراجُ حديثه: وهذه حالُه. ولكن مسلم روى من حديثه: ما تابعه غيرُه ولم ينفرد به، ولم يكن منكرًا ولا شاذًّا. بخلاف هذا الحديث. والله أعلم.

فصل فى هديه ﷺ فى حفظ الصحة بالطِّيب

لما كانت الرائحة الطيبة غذاءَ الروح، والروحُ مطية القُوى، والقوى تزداد بالطيب - وهو ينفع الدماغَ والقلب وسائر الأعَضاء الباطنة، ويفرِّح القلب ويَسر النفس، ويبسطُ الروح. وهو أصدق شيءٍ للروح، وأشده ملاءَمةً لها؛ وبينه وبين الروح الطيبة نسبة قريبة: كان أحد المحبُوبَيْن من الدنيا، إلى أَطيب الطيبين صلوات الله عليه وسلامه (أى والثانى نساؤه ﷺ).

وفى صحيح البخارىِّ: «**أنه ﷺ كان لا يَردُّ الطِّيبَ**»(1). وفى صحيح مسلم، عنه ﷺ: «**من عُرض عليه رَيْحان فلا يَردَّه: فإنه طيِّبُ الريح، خفيفُ المَحْمَل**»(2). وفى سنن أبى داودَ والنسائىِّ - عن أبى هريرةَ رضى الله عنه، عن النبى ﷺ: «**من عُرض عليه طيب فلا يردَّه: فإنه خفيفُ المحملِ طيِّبُ الرائحة**»(3).

وفى مسند البزَّار، عن النبى ﷺ، أنه قال: «**إن الله طيِّب يُحبُّ الطِّيب نظيف يُحب النظافة. كريم يحب الكرم، جوادٌ يحب الجُودَ، فنظفوا أفناءَكم وساحاتِكم؛ ولا تَشبَّهوا باليهود: يجمعون الأَكباءَ فى دُورهم**»(4) (الأكباءَ) الزُّبالة.

وذكر ابن أبى شيبة: «**أنه ﷺ كان له سُكٌّ يتطيب منها**». وصح عنه أنه قال:

---

(1) هو في صحيح البخاري في كتاب اللباس، باب من لم يردالطيب.

(2) الحديث في صحيح مسلم في: ٤٠- كتاب الألفاظ من الأدب (٥) باب استعمال المسك، حديث رقم (٢٠).

(3) أخرجه أبو داود في كتاب الترجل (تسوية الشعر وتزيينه) (باب) في رد الطيب حديث رقم (٤١٧٢).

(4) أخرجه الترمذي في كتاب الأدب (باب) ما جاء فى النظافة، حديث رقم (٢٧٩٩).

«**إن لله حقًّا على كل مسلم: أن يغتسل في كل سبعة أيام، وإن كان له طيبٌ: أن يمسَّ منه**» (**والسُّكُّ نوع من الطيب**).

● **من خصائص الطِّيب:** وفي الطيب من الخاصية: أن الملائكة تحبه، والشياطين تنفر عنه. وأحب شيء إلى الشياطين: الرائحة المنتنة الكريهة، فالأرواح الطيبة تحب الرائحة الطيبة، والأرواح الخبيثة تحب الرائحة الخبيثة. وكل روح تميل إلى ما يناسبها: فالخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات، والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات. وهذا – وإن كان في النساءِ والرجال – فإنه يتناول الأعمال والأقوال، والمطاعم والمشارب، والملابس والروائح. إما بعموم لفظه، أو بعموم معناه.

فصل في هديه ﷺ في حفظ صحة العين

روى أبو داود في سننه، عن عبد الرحمن بن النعمان بن معبد بن هوْذة الأنصاري، عن أبيه، عن جده رضي الله عنه: «**أن رسول الله ﷺ أمر بالإثْمِد المروَّح عند النوم، وقال: ليتَّقِه الصائمُ**»(١). قال أبو عبيد: «المروَّح: المطيَّب بالمسك».

وفي سنن ابن ماجه وغيره، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «**كانت للنبيِّ ﷺ مُكحُلةٌ يَكتحل منها ثلاثًا في كل عين**»(٢). وفي الترمذي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «**كان رسول الله ﷺ إذا اكتحلَ: يجعلُ في اليُمْنى ثلاثًا، يبتدئُ بها ويختم بها، وفي اليسرى ثنتين**»(٣).

● **الإيتار في الاكتحال:** وقد روى أبو داود عنه ﷺ: «**من اكتحل فليوترْ**»(٤). فهل الوترُ بالنسبة إلى العينين كلتيهما – فيكون في هذه ثلاث وفي هذه اثنتان، واليمنى أولى بالابتداءِ والتفضيل – أو هو بالنسبة إلى كل عين: فيكون في هذه ثلاث، وفي هذه ثلاث؟ وهما قولان في مذهب أحمد وغيره.

● **من فوائد الاكتحال:** وفي الكحل حفظ لصحة العين، وتقويةٌ للنور الباصر، وجِلاءٌ لها، وتلطيفٌ للمادة الرديئة، واستخراجٌ لها مع الزينة في بعض أنواعه. وله عند

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصوم (باب) في الكحل عند النوم للصائم، حديث رقم (٢٣٧٧).
(٢) أخرجه ابن ماجه في: ٣١- كتاب الطب (٢٦) باب من اكتحل وترا، حديث رقم (٣٤٩٩).
(٣) أخرجه الترمذي في ٢٥- كتاب اللباس (باب) ما جاء في الإكتحال، حديث رقم (١٧٥٧).
(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة، حديث (٣٥).

النوم مزيد فضل: لاشتمالها على الكحل، وسكونها عقيبه عن الحركة المضرة بها، وخدمة الطبيعة لها. وللإثْمد فى ذلك خاصيَّة.

وفى سنن ابن ماجه - عن سالم، عن أبيه يرفعه: «**عليكم بالإثْمد. فإنه يجلو البصر وينبت الشعر**»(١) وفى كتاب أبى نعيم(٢): «**فإنه مَنْبَتةٌ للشَّعر، مَذْهبة للقذَى، مَصْفاة للبصر**». وفى سنن ابن ماجه أيضًا، عن ابن عباس رضى الله عنهما، يرفعه: «**خيرُ أكْحالكم الإثمد: يجلُو البصر، ويُنبت الشعرَ**»(٣).

فصـــل

فى ذكر شىء من الأدوية والأغذية المفردة التى جاءَت على لسانه ﷺ مرتبةً على حروف المعجم

حرف الهمزة

١- **(الإثْمد)**(٤): هو حجر الكحل الأسود، يؤتى به من أصفهانَ - وهو أفضله - ويؤتى به من جهة الغرب أيضًا. وأجوده: السريع التفتيتِ الذى لفتاته بصيصٌ وداخلُه أملسُ ليس فيه شىءٍ من الأوساخ.

ومزاجه بارد يابس: ينفع العين ويقوِّيها، ويشد أعصابها، ويحفظ صحتها ويُذهب اللحم الزائد فى القروح ويُدملها، وينقِّى أوساخها ويجلوها؛ ويذهب الصداع: إذا اكتُحل به مع العسل المائى الرقيق. وإذا دق وخلط ببعض الشحوم الطرية، ولُطخ على حرق النار. لم تعرض فيه خُشْكَريشةٌ، ونفع من التنفُّط الحادث بسببه، وهو أجود أكحال العين - لا سيَّما للمشايخ والذين قد ضعفت أبصارهم: إذا جُعل معه شىءٌ من المسك.

٢- **(الأتــرج)**(٥): ثبت فى الصحيح، عن النبى ﷺ، أنه قال:

(١) أخرجه ابن ماجه في: ٣١- كتاب الطب (٢٥) باب الكحل بالإثمد حديث رقم (٣٤٩٥).

(٢) كتاب «حلية الأولياء» (٣:١٧٨).

(٣) أخرجه ابن ماجه في: ٣١- كتاب الطب حديث رقم (٣٤٩٧).

(٤) الإثمد: عنصر معدني بلوري اللون، ويعرف بالانتيمون، قد يوجد في حالة نقية، وغالبًا متحدًا مع غيره من العناصر، يكتحل به، ويستعمل للزينة.

(٥) الأُتْرُجُ: ثمر كالليمون الكبار، ذهبى اللون، ذكى الرائحة، حامض الماء.

«مثل المؤمن الذى يقرأُ القرآن، كمثل الأُتْرُجَّة: طعمُها طَيِّبٌ، وريحُها طيب»[1].

وفى الأُترج منافع كثيرة. وهو مركب من أربعة أشياءَ: قشرٍ، ولحم، وحَمْضٍ، وبزرٍ. ولكل واحد منها مزاج يخصه: فقشره حار يابس، ولحمه حار رطب، وحمضُه بارد يابس، وبزرُه حار يابس.

ومن منافع قشره: أنه إذا جُعل فى الثياب منع السوس. ورائحته تصلح فساد الهواءِ والوباءِ. ويطيِّبُ النَّكْهة إذا أمسكها فى الفم، ويحلِّل الرياح. وإذا جعل فى الطعام كالأَبازير: أعان على الهضم. قال صاحب القانون: وعُصارة قشره تنفع من نهشْ الأَفاعى شربًا، وقشرُه ضمادًا، وحُرَاقة قشرِه طلاءٌ جيد للبرص» انتهى.

وأمَّا لحمه: فملطف لحرارة المعدة، نافع لأصحاب المِرَّة الصفراءِ، قامع للبخارات الحارة. وقال الغافقىُّ: «أكل لحمه ينفع البواسير» انتهى.

وأمَّا حُمَّاضُه: فقابضٌ كاسر للصفراء، ومسكنٌ للخفقان الحار، نافعٌ من اليَرَقان شربًا واكتحالاً، قاطعٌ للقيءِ الصفراوى، مُشَهٍّ للطعام، عاقل للطبيعة، نافعٌ من الإسهال الصفراوىِّ. وعُصارةُ حُمَّاضه يسكن غُلْمةَ النساءِ، وينفع طلاءً من الكَلَف، ويذهب بالقوبا. ويُستدل على ذلك من فعله فى الحِبر: إذا وقع على الثياب قَلَعه. وله قوةٌ تلطف وتقطع وتبرد، وتُطفىءُ حرارة الكبد، وتقوِّى المعدة، وتمنع حدة المِرَّة الصفراءِ، وتزيل الغم العارض منها، وتسكن العطش.

وأمَّا بزرُه: فله قوة محلِّلة مجففة. وقال ابن ماسويه: «خاصية حَبِّه: النفع من السموم القاتلة، إذا شرب منه وزنُ مثقالَيْن مقشَّرًا بماءٍ فاتر، وطلاءٍ مطبوخ. وإن دق ووضع على موضع اللسعة: نفع. وهو مليِّنٌ للطبيعة، مطيبٌ للنكْهة. وأكثر هذا الفعل موجودٌ فى قشره».

وقال غيره: «خاصية حبه: النفع من لَسْع العقارب، إذا شُرب منه وزنُ مثقالين مقشراً بماءٍ فاتر. وكذلك: إذا دق ووضع على موضع اللدغة».

وقال غيره: «حَبُّه يصلح للسموم كلها، وهو نافع من لدغ الهوام كلها».

---

(١) أخرجه البخاري في ٦٦- فضائل القرآن (١٧) باب فضل القرآن على سائر الكلام.

وذكـر: «أن بعض الأكاسرة غضب على قوم من الأطباء، فأمر بحبسهم وخيرَّهم أُدْما لا يزيد لهم عليه. فاختاروُا الأُتْرُجّ. فقيل لهم: لمَ اخترتموه على غيره؟ فقالوا: لأنه فى العاجل ريحانٌ، ومنظره مفرِّح، وقشرُه طيب الرائحة، ولحمه فاكهة، وحَمْضُه أُدم، وحبُّه ترياق، وفيه دُهنٌ».

وحقيقٌ بشىء هذه منافعه: أن يُشبَّهَ به خلاصةُ الوجود، وهو المؤْمن الذى يقرأُ القرآن. وكان بعض السلف يُحب النظر إليه، لما فى منظره: من التفريح.

٣- (الأرز): فيه حديثان باطلان موضوعان على رسول الله ﷺ، **(أحدهما)** «**أنه لو كان رجلاً لكان حليمًا**»[1]. **(الثانى):** «**كلُّ شىء أخرجته الأرضُ ففيه داءٌ وشفاءٌ، إلا الأُرزُ: فإنه شفاءٌ لا داءَ فيه**»[2] ذكرناهما: تنبيهًا وتحذيرًا من نسبتهما إليه ﷺ.

وبعد: فهو حار يابس. وهو أَغْذَى الحبُوب بعد الحِنْطة[3]، وأَحمدُها خلطا: يَشدُّ البطن شدًّا يسيرًا، ويُقوِّى المعدة ويَدبغُها، ويمكثُ فيها. وأَطباءُ الهند تزعم: أنه أَحمدُ الأَغذية وأَنفعُها إذا طُبخ بأَلبان البقر. وله تأْثيرٌ: فى خِصب البدن، وزيادة المنىِّ، وكثرة التغذية، وتصفية اللون.

٤- (الأرز) [4]**:** بفتح الهمزة وسكون الراء؛ وهو: الصَّنَوْبَر ذكره النبى ﷺ فى قوله: «**مَثلُ المؤْمنِ مَثلُ الخامةِ من الزرع تُفَيِّؤُها الرياح: تُقيمُها مرةً، وتُميلُها أُخرى. ومَثلُ المنافقِ مَثلُ الأَرْزَة: لا تزالُ قائمةً على أَصلها، حتى يكونَ انْجعافُها مرةً واحدةً**»[5].

وحَبُّه حار رطب، وفيه إنضاجٌ وتليين وتحليل، ولذعٌ يَذهب بنقعه فى الماء. وهو عسرُ الهضم، وفيه تغذيةٌ كثيرةٌ. وهو جيد للسُّعال ولتنقية رطوبات الرئة، ويَزيد فى المنىِّ، ويولِّد مغصًا. وترْياقُه: حَبُّ الرمان المزِّ.

---

(١) حديث باطل موضوع.

(٢) كذب، موضوع،

(٣) الأرز الأحمر الغير مقشور ذو فائدة أساسية لا توجد فى الأرز الأبيض المقشور.

(٤) أرز: شجر عظيم صلب من الفصيلة الصنوبرية، دائم الخضرة، يعلو كثيرًا، كان تصنع من خشبه السفن.

(٥) الحديث أخرجه البخاري في ٧٥- كتاب المرضى (١) باب ما جاء فى كفارة المرض.

٥- **(الإذخر)**[١]: ثبت في الصحيح، عنه ﷺ، أنه قال في مكةَ: «**لا يُختلى خلاها**». قال له العباس رضى الله عنه: إلا الإذْخرَ يا رسول الله، فإنه لقَيْنهم (الحدادين كانوا يوقدون به) ولبيوتهم. فقال: «إلا الإذخر»[٢].

والإذخرُ حارٌّ في الثانية، يابس في الأُولى، لطيف مفتِّح للسدد وأفواه العروق، يُدرُّ البول والطَّمْث، ويفتِّت الحصا، ويحلِّل الأورام الصُّلْبة في المعدة والكبد والكُلْيتين: شربًا وضِماداً. وأَصلُه: يقوِّى عمودَ الأسنان والمعدة، ويسكن الغَثَيان ويَعْقِل البطن.

حـرف البـاء

١- **(بطِّيخ)**: روى أبو داودَ والترمذيُّ – عن النبى ﷺ –: أنه كان يأكل البطيخ بالرُّطب، يقول: «**يَدفعُ حرُّ هذا بردَ هذا**»[٣]. وفى البطيخ عدةُ أحاديثَ لا يصح منها شيءٌ غيرُ هذا الحديث الواحد.

والمراد به: الأخضر. وهو بارد رطب، وفيه جلاءٌ. وهو أسرع انحداراً عن المعدة من القثاء والخيار. وهو سريع الاستحالة إلى أى خلط كان صادفه في المعدة. وإذا كان آكله مَحْرُوراً: انتفع به جداًّ؛ وإن كان مَبْروداً: دُفع ضررُه بيسير من الزَّنْجبيل ونحوه.

وينبغى أكله قبل الطعام، ويُتْبَعُ به. وإلا غَثَّى وَقيَّأ. وقال بعض الأطباء: «إنه قبل الطعام يَغسلُ البطن غسلاً، ويَذهبُ بالداء أَصلاً».

٢- **(بلَـح)**: روى النَّسائيُّ وابن ماجه في سننهما – من حديث هشام بن عروةَ، عن أبيه، عن عائشةَ رضى الله عنها – قالت: قال رسول الله ﷺ «**كلُوا البلحَ بالتَّمر. فإن الشيطانَ إذا نظرَ إلى ابن آدمَ يأكلُ البلحَ بالتمر، يقولُ: بَقىَ ابنُ آدمَ حتى أكل الحَديثَ بالعَتيق**»[٤] وفى رواية: «**كلوا البلح بالتمر، فإن الشيطان يحزَنُ إذا رأى ابنَ آدمَ يأكلُه، يقول: عاش ابنُ آدمَ حتى أكل الجديد بالخَلَق**». رواه البزار في مسنده، وهذا لفظه.

---

(١) «الإذخِر»: حشيش طيب الريح، واحدتها إذخِرَة، وهي شجرة صغيرة كان يُسَقَّفُ بها البيوت فوق الخشب، ويُطْحَنُ فيدخل في الطيب، ولذا فقد سُمِّيَ: طيب العرب.

(٢) أخرجه البخاري في: ٢٣- كتاب الجنائز (٧٦) باب الإذخر والحشيش في القبر.

(٣) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الأطعمة، باب في الجمع بين لونين في الأكل، حديث رقم (٣٨٣٦).

(٤) حديث ضعيف فى إسناده يحيى بن محمد، ضعفه ابن معين وغيره.

قلت، الباءُ فى الحديث بمعنى «مع»؛ أى: كلوا هذا معَ هذا.

قال بعض أطباء الإسلام: «إنَّما أمر النبيُّ ﷺ بأكل البلح بالتمر، ولم يأمُرْ بأكل البُسْر مع التمر -: لأن البلح بارد يابس، والتمر حار رطب؛ ففى كل منهما إصلاحٌ للآخر. وليس كذلك البُسْر مع التمر: فإن كُل واحد منهما حارٌّ، وإن كانت حرارةُ التمر أكثرَ» ولا ينبغى - من جهة الطب - الجمعُ بين حارَّين أو باردَين، كما تقدم.

وفى هذا الحديث: التنبيهُ على صحةِ أصل صناعة الطب، ومراعاةِ التدبير الذى يصلح فى دفع كيفيات الأغذية والأدوية بعضها ببعض، ومراعاةِ القانون الطبيِّ الذى يُحفظ به الصحة.

وفى البلح برودةٌ ويبوسةٌ. وهو ينفع الفمَ واللِّثةَ والمعدة. وهو رديءٌ للصدر والرِّئة: بالخشونة التى فيه، بطيء فى المعدة، يسيرُ التغذية، وهو للنخلة كالْحِصْرِم لشجرة العنب، وهما جميعًا يولِّدان رياحًا وقَراقرَ ونفخًا، ولا سيما: إذا شُرب عليهما الماء. ودفعُ مضرتهما: بالتمر أو بالعسل والزُّبد.

٣- (بُسْرٌ)[١]، ثبت فى الصحيح: **«أن أبا الهيثم بن التَّيِّهان لما ضافه النبى ﷺ وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما، جاءهم بعَذْق - وهو من النخلة كالعنقود من العنب - فقال له: هلاَّ انتقَيْت لنا من رُطبه! فقال: أَحببت أن تتنقَّوا من بسره ورطبه»**[٢].

البسر حار يابس، ويُبسه أكثر من حره. ينشف الرطوبة، ويدبغ المعدة، ويحبس البطن، وينفع اللِّثة والفم. وأنفعه: ما كان هشًّا وحلوًا. وكثرة أكله وأكل البلح يحدث السُّدد فى الأَحشاء.

٤- (بَيْضٌ)، ذكر البيهقى فى شعب الإيمان، أثرًا مرفوعًا: «أن نبيًّا من الأنبياء شكا إلى الله سبحانه الضعفَ، فأمره بأكل البيض». وفى ثبوته نظرٌ[٣].

---

(١) البُسْرُ مَا لَوَّنَ وَلَمْ يَنْضَجْ، وإذا نَضج فقد أَرْطَبَ (والبسر البلح الأحمر أو الأصفر).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ حديث رقم (٢٣٦٩).

(٣) قال ابن حبان: موضوع بلا شك. تفرد به ابن أزهر عن أبي الربيع، وفي اسناده الفيض بن وثيق قال ابن معين: كذاب خبيث.

ويُختار من البيض الحديثُ على العتيق، وبيضُ الدَّجاج على سائر بيض الطير. وهو معتدل يميل إلى البرودة قليلاً.

قال صاحب القانون [1]: «ومُحُّه حار رطب، يولِّد دمًا صحيحًا محمودًا، ويغذى غذاءً يسيرا، ويسرع الانحدار من المعدة: إذا كان رخواً». وقال غيره: «محُّ البيض (صفاره) مسكن للألم، مُمَلِّسٌ للحلق وقصبة الرئة، نافع للحلق والسعال وقروح الرئة والكُلى والمثانة، مذهب للخشونة لا سيما إذا أُخذ بدهن اللوز الحلو، ومنضجٌ لما فى الصدر ملين له، مسهل لخشونة الحلق».

وبياضه إذا قطر فى العين الوارمة ورمًا حارًا: برّده وسكن الوجع، وإذا لُطخ به حرقُ النار أولَ ما يعرض له: لم يدَعه يتنفَّط، وإذا لُطخ به الوجهُ: منع من الاحتراق العارض من الشمس، وإذا خلط بالكُنْدُر ولُطخ على الجبهة: نفع من النزلة.

وذكره صاحب القانون فى الأدوية القلبية، ثم قال: «وهو – وإن لم يكن من الأدوية المطلقة – فإنه مما له مدخل فى تقوية القلب جدًا، أعنى: الصفرةَ. وهى تجمع ثلاثة معان: سرعة الاستحالة إلى الدم، وقلة الفضل، وكون الدم المتولد منه مجانسًا للدم الذى يغذو القلبَ خفيفًا مندفعًا إليه بسرعة، ولذلك هو أوفقُ ما يُتلافى به عاديةُ الأمراض المحلِّلة لجوهر الروح».

٥- (بَصَلٌ): روى أبو داودَ فى سننه، عن عائشةَ رضى الله عنها: أنها سُئلتْ عن البصل، فقالت: «**إن آخر طعام أكلَه ﷺ، كان فيه بصل**»[2].

وثبت عنه فى الصحيحين: «**أنه منع آكلَه من دخول المسجد**»[3]. والبصلُ حار فى الثالثة، وفيه رطوبة فَضْليَّةٌ. ينفعُ من تغير المياه، ويدفع ريح السَّموم، ويفتِّق الشهوة، ويقوِّى المعدة، ويَهيج الباه، ويزيد فى المنىِّ، ويحسِّن اللون، ويقطع البلغم، ويجلو المعدة.

وبِزْرُه يُذهب البَهَق، ويدلَّك به حول داء الثعلب فينفع جدًا. وهو بالملح يقلع

---

(١) الفيلسوف والطبيب ابن سينا.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأطعمة، باب في أكل الثوم، حديث رقم (٣٨٢٩) وقد يكون بصلا مطبوخا.

(٣) أخـرج البخاري في صحيحه، في: ٧٠- كتاب الأطعمة (٤٩) باب ما يكره من الثوم والبقول، من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من أكل ثومًا أو بصلاً فليعتزلنا أو ليعتزل مسجدنا.

الثآليل. وإذا شمه من شرب دواءً مسهلا: منعه من القيء والغثيان، وأذهب رائحة ذلك الدواء. وإذا تُسعِّط بمائه: نقّى الرأس، ويقطّر في الأُذن: لثقل السمع والطّنين والقيح والماء الحادث في الأُذنين. وينفع من الماء النازل في العينين اكتحالا: يُكتَحل ببزره مع العسل، لبياض العين.

والمطبوخ منه كثيرُ الغذاء؛ ينفع من اليَرَقان والسعال وخشونة الصدر، ويُدرُّ البول، ويلين الطبع. وينفع من عضة الكَلْب غير الكَلِب: إذا نُطل عليها ماؤُه بملح وسَذَاب. وإذا احتُمل (في الشرج): فتح أفواهَ البواسير.

● **ضرر البصل (فصل)**، وأما ضررُه: فإنه يورث الشّقيقة (ألم في نصف الرأس والوجه)، ويصدِّع الرأس، ويولِّد أرياحًا، ويُظلم البصر. وكثرةُ أكله: تورث النسيان، ويُفسد العقل ويغيِّر رائحة الفم والنَّكْهة، ويؤْذي الجليس والملائكة. وإماتتُه طبخًا تَذهب بهذه المضرات منه.

وفي السنن: «**أنه ﷺ أمر آكلَه وآكل الثوم: أن يُميتهما طبخًا[1] ويُذهب رائحته مضغُ ورق السَّذَاب عليه**»[2].

٦- **(باذِنجان)**، في الحديث الموضوع المختَلق على رسول الله ﷺ «الباذنجانُ لما أُكل له»[3]. وهذا الكلام مما يُستقبح نسبته إلى آحاد العقلاء، فضلا عن الأنبياء.

وبعد، فهو نوعان: أَبيضُ وأَسودُ. وفيه خلاف: هل هو بارد؟ أَو حار؟ والصحيح: أنه حار. وهو مولِّد للسَّوداءِ والبواسير والسَّدد والسرطان والجُذام، ويُفسد اللون ويسوده، ويُضر بنتْن الفم. والأَبيض منه المستطيل عارٍ من ذلك.

حرف التاء

١- **(تَمْرٌ)**، ثبت في الصحيح عنه ﷺ: «**من تَصَبَّح بسبع تَمَرات** -وفي لفظ: من تمر العالية- **لم يضرَّه ذلك اليومَ سُمٌّ ولا سحرٌ**»[4].

---

(١) أخرجه مسلم في: ٥- كتاب المساجد، باب نهي من أكل ثومًا ... حديث (٧٨).

(٢) السَّذَابُ: جنس نباتات طِبِّيَّة من الفصيلة السَّذَابيَّة له رائحة قوية خاصة.

(٣) وقد تكلم عليه المصنف أيضًا في كتابه «المنار المنيف» في جملة حديثه على أمور كلية يعرف بها كون الحديث موضوعًا فقال: قَبَّحَ الله واضعه، فإن هذا لو قاله يوحنس أمهر الأطباء لسَخِرَ الناس منه، ولو أكلَ الباذنجان للحُمَّى والسوداء الغالبة، وكثير من الأمراض، لم يزدها إلا شدَّة، ولو أكلهُ فقير ليستغني، لم يُفده الغِنَى، أو جاهلٌ ليتعلَّم لم يفده العلم (انظر الكتاب من تحقيقنا ط دار المسلم).

(٤) تقدم الحديث في هديه صلى الله عليه وسلم في علاج المفؤود (والعالية مكان بالمدينة).

وثبت عنه أنه قال: «**بيتٌ لا تمر فيه جياعٌ أهله**»[1] وثبت عنه: أنه أكل التمرَ بالزُّبد، وأكل التمر بالخبز، وأكله مفردًا[2].

وهو حار فى الثانية. وهل هو رَطب فى الأولى؟ أو يابس فيها: على قولين.

وهو: مقوٍّ للكبد، مليِّن للطبع؛ يزيد في الباه ولا سيما مع حب الصَّنَوْبر، ويُبرىءُ من خشونة الحلق. ومن لم يعتدْه: كأهل البلاد الباردة. فإنه يُورث لهم السدد، ويؤْذى الأسنان، ويَهيج الصداع. ودفعُ ضرره باللَّوز والخَشْخاش.

وهو من أكثر الثمار تغذيةً للبدن، بما فيه: من الجوهر الحار الرطب وأكلُه على الريق يقتل الدود: فإنه -مع حرارته- فيه قوةٌ ترْياقيَّة، فإذا أديم استعمالُه على الريق: جفف مادة الدود وأضعفه، وقلَّله أو قتله، وهو فاكهة وغذاءٌ ودواءٌ وشراب وحلوى.

٢- (تِينٌ): لما لم يكن التين بأرض الحجاز والمدينة، لم يأْت له ذكرٌ فى السنة فإن أرضه تنافى أرضَ النخل. ولكن: قد أقسم الله به فى كتابه، لكثرة منافعه وفوائده. والصحيح: أن المقْسَم به هو التين المعروف.

وهو حار، وفى رطوبته ويبوسته قولان. وأجوده: الأبيض الناضج القشر، يجلو رمل الكُلى والمثانة، ويؤَمِّن من السُّموم. وهو أَغْذَا من جميع الفواكه، وينفع خشونة الحلق والصدر وقصبة الرئة، ويغسل الكبد والطحال، وينقِّى الخلْط البلغميَّ من المعدة، ويَغذُو البدن غذاءً جيداً. إلا أنه يولد القمل: إذا أكثر منه جداًّ.

ويابسُه: يَغذُو وينفع العصب، وهو مع الجَوْز واللَّوز محمودٌ. قال جالينوسُ: «وإذا أُكل مع الجوز والسَّذَاب -قبْل أخذ السم القاتل-: نفع وحفظ من الضرر».

ويُذكر عن أبى الدَّرْداء: «**أُهدى إلى النبى ﷺ طبقٌ من تين، فقال: كلُوا، وأكل منه وقال: لو قلتُ: إن فاكهةً نزلتْ من الجنة، قلتُ هذه لأَن فاكهة الجنة بلا عَجَم (بذور). فكلوا منها: فإنها تقطعُ البواسير، وتنفعُ من النِّقْرِس**». وفى ثبوت هذا نظرٌ. واللحم منه أَجودُ، وهو يُعطِّش المحرورين، ويسكن العطش الكائن عن البلغم المالح، وينفع السعال المُزْمن، ويُدر البول، ويفتح سدد الكبد والطحال، ويوافق الكُلى

(١) أخرجه مسلم في: ٣٦- كتاب الأشربة (٢٦) باب في إدخال التمر ونحوه من الأقوات للعيال، حديث رقم (١٥٢).
(٢) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأيمان والنذور حديث رقم (٣٢٥٩).

والمثانة. ولأكله على الريق منفعة عجيبة: في تفتيح مجارى الغذاء، وخصوصًا باللوز والجوز. وأكلُه مع الأغذية الغليظة رديءٌ جدًا.

● **التوت الأبيض:** والتوت الأبيض قريب منه. ولكنه أقلُّ تغذيةً، وأضرُّ بالمعدة.

٣- (تَلْبِينةٌ): قد تقدم: أنها ماءُ الشعير المطحون. وذكرنا منافعها، وأنها أنفع لأهل الحجاز من ماءِ الشعير الصحيح.

حــرف الــثاء

١- (ثَلْــجٌ): ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ، أنه قال: «**اللهم اغسلْني من خطاياى بالماء والثلج والبَرَد**»(١). وفي هذا الحديث - من الفقه - أن الداءَ يداوَى بضده. فإن في الخطايا، من الحرارة والحريق، ما يضادُّ الثلج والبرد والماءَ البارد.

ولا يقال: إن الماءَ الحار أبلغ في إزالة الوسخ. لأن في الماءِ البارد -: من تصليبِ الجسم وتقويته. ما ليس في الحار. والخطايا توجب أثرين: التدنيس والإرخاء. فالمطلوبُ تداويها بما ينظف القلب ويصلبه. فذكر الماءَ البارد والثلج والبرد، إشارةً إلى هذين الأمرين.

وبعــد: فالثلجُ بارد على الأصح. وغلط من قال: حارٌّ وشُبهته: تولُّد الحيوان فيه. وهذا لا يدل على حرارته: فإنه يتولد في الفواكه الباردة، وفي الخَل. وأما تعطيشه: فلتهييجه الحرارةَ، لا لحرارته في نفسه.

ويضرُّ المعدة والعصب. وإذا كان وجعُ الأسنان من حرارة مفرطة: سكنها.

٢- (ثُــومٌ): هو قريب من البصل. وفي الحديث: «**مَن أكلهما فلْيُمِتْهما طبخًا**»(٢). وأهدى إليه طعامٌ فيه ثوم، فأرسل به إلى أبي أيوب الأنصاريِّ، فقال: يا رسول الله، تَكْرهه وترسل به إليَّ؟! فقال: «**إنيِّ أُناجي من لا تناجي**»(٣).

● **من منافع الثوم:** وبعد فهو حار يابس في الرابعة، يسخن إسخانًا قويًا، ويجفف

---

(١) أخرجه مسلم في: ٥- كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٢٧) باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة، حديث رقم (١٤٧).

(٢) وهو في مسلم ح ٧٨.

(٣) أخرجه البخاري في ٩٦- كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الأحكام التى تعرف بالدلائل، وأخرجه مسلم في: ٥- كتاب المساجد (١٧) باب نهي من أكل ثومًا أو بصلاً أو كُرَّاثًا أو نحوها، حديث رقم (٧٣).

تجفيفًا بالغًا نافعًا للمَبْرُودين ولمن مزاجُه بلغميٌّ، ولمن أشرف على الوقوع في الفالج. وهو مجفف للمنيِّ، مفتح للسَّدد، محلل للرياح الغليظة، هاضم للطعام، قاطع للعطش، مطلق للبطن، مَدرٌّ للبول. يقوم في لسع الهوامِّ وجميع الأورام الباردة، مقام التِّرياق. وإذا دُق وعمل به ضِمادٌ على نهش الحيات أو في لسع العقارب: نفعها، وجذب السموم منها؛ ويسخن البدن، ويزيد في حرارته، ويقطع البلغم، ويحلل النفخ، ويصفِّي الحلق، ويحفظ صحة أكثر الأبدان، وينفع من تغير المياه والسعال المُزْمن. ويؤْكل نيئًا ومطبوخًا ومشويًّا. وينفع من وجع الصدر من البرد، ويخرج العلق من الحلق. وإذا دُق مع الخل والملح والعسل، ثم وضع على الضرس المتآكل: فتَّته وأسقطه، وعلى الضرس الوجِع: سكن وجعه. وإن دق منه مقدارُ درهمين، وأُخذ مع ماءِ العسل-: أخرجَ البلغم والدُّود. وإذا طلي بالعسل على البهق: نفع.

● **من مضار الثوم:** ومن مضاره: أنه يصدِّع ويضر الدماغ والعينين، ويضعف البصر والباهَ، ويعطش ويهيج الصفراءَ، ويجيِّف رائحة الفم. ويذهب رائحته: أن يمضغ عليه ورق السَّذاب.

٣- (ثَرِيدٌ): ثبت في الصحيحين عنه ﷺ، أنه قال: «**فضلُ عائشةَ على النساءِ: كفَضْل الثريدِ على سائر الطعام**»[1].

● **فضل الثريد:** والثريدُ - وإن كان مركَّبًا - فإنه مركب من خُبز ولحم. فالخبز أفضل الأقوات، واللحم سيد الإدام. فإذا اجتمعا: لم يكن بعدهما غايةٌ.

● **أيهما أفضل الخبز أم اللحم؟:** وتنازع الناس: أيُّهما أفضل؟ والصواب: أن الحاجة إلى الخبز أكثر وأعمُّ، واللحم أجلُّ وأفضل؛ وهو أشبهُ بجوهر البدن من كل ما عداه، وهو طعام أهل الجنة. وقد قال تعالى لمن طلب البقل والقثَّاء والفومَ والعدس والبصل: ﴿**أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِى هُوَ أَدْنَى بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ**؟!﴾ **(البقرة: ٦١)**. وكثير من السلف: على أن الفُومَ هو الحِنطة. وعلى هذا: فالآيةُ نصٌّ على أن اللحم خير من الحنطة. والله سبحانه أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري في: ٧٠- كتاب الأطعمة (٢٥) باب الثريد، وأخرجه مسلم في: ٤٤- كتاب فضائل الصحابة (١٣) باب في فضل عائشة، حديث رقم (٨٩).

حـــرف الجـــيم

١- **(جُمَّارٌ)**؛ وهو قلب النخل. ثبت في الصحيحين، عن عبد الله بن عُمرَ، قال: بَيْنَا نحنُ عندَ رسول الله ﷺ جلوسٌ، إذ أُتيَ بُجمَّار نخلة، فقال النبي ﷺ: «**إنَّ من الشجرِ شجرةً مثلَ الرجلِ المسلم لا يسقُط ورقُها**» الحديث[1].

والجمار (قلب النخلة) بارد يابس في الأولى: يختمُ القروح، وينفع من نفْث الدم، واسْتطْلاق البطن، وغلبة المِرَّة الصفراء، وثائرة الدم. وليس برديء الكَيْموس ويغذُو غذاءً يسيرًا، وهو بطيءُ الهضم. وشجرتُه كلها منافعُ. ولهذا مثَّلها النبي ﷺ: بالرجل المسلم: لكثرة خيره ومنافعه.

٢- **(جُبْنٌ)**؛ في السنن -عن عبد الله بن عمرَ-: «**أُتيَ النبي ﷺ بجبنة، في تبُوكَ، فدعا بسكين، وسمَّى وقطع**»[2]. رواه أبو داودَ، وأكله الصحابةُ رضى الله عنهم بالشام والعراق.

والرَّطبُ غيرُ المَمْلوح: جيدٌ للمعدة، هيِّنُ السلوك في الأعضاء؛ يزيد في اللحم، ويليِّن البطن تليينًا معتدلاً. والمَمْلوحُ أقلُّ غذاءً من الرَّطب؛ وهو رديءٌ للمعدة، مؤْذٍ للأمعاءِ. والعتيقُ يَعقِل البطن – وكذا المشويُّ وينفع القروح، ويمنع الإسهال.

وهو بارد رطب. فإن استُعمل مشويًّا: كان أصلحَ لمزاجه. فإن النار تُصلحه وتعدِّله، وتلطِّف جوهره، وتطيِّب طعمه ورائحته. والعتيقُ المالح حار يابس. وشَيُّه يُصلحه أيضًا: بتلطف جوهره، وكسر حَرَافته. لما تجذبه النار منه: من الأجزاء الحارة اليابسة المناسبة لها. والمملَّحُ منه يهزل، ويولِّد حَصاةَ الكُلى والمثانة. وهو رديءٌ للمعدة. وخلطُه بالملطِّفات أَردأُ: بسبب تنفيذها له إلى المعدة.

حـــرف الحـــاء

١- **(حنَّاءُ)**؛ قد تقدمتْ الأَحاديثُ في فضله وذكر منافعه. فأغنى عن إعادته.

٢- **(حَبةُ السَّوداءِ)**؛ ثبت في الصحيحين – من حديث أَبي سلمةَ، عن أَبي هريرةَ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٢:٢).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأطعمة (باب) في أكل الجبن، حديث رقم (٣٨١٩).

رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ، قال: «**عليكم بهذه الحبة السوداء. فإن فيها شفاءً من كل داءٍ، إلا السامَ**»(١). و (السامُ) الموت.

● **ما هى الحبة السوداء:** الحبة السوداء هى: الشُّونيزُ، فى لغة الفُرس. وهى: الكَمُّون الأَسود، وتسمى: الكمون الهندىَّ. قال الحَرْبىُّ عن الحسن –رضى الله عنه–: إنها الخَرْدل. وحكى الهَرَوىُّ: أنها الحبة الخضراءُ، ثمرةُ البُطْم. وكلاهما وهمٌ والصواب: إنها الشونيز.

وهى كثيرة المنافع جدا. وقوله: «**شفاءً من كل داءٍ**»؛ مثل قوله تعالى ﴿ **تُدَمِّرُ كلَّ شَىْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا** ﴾ **(الأحقاف: ٢٥)**؛ أى: كلَّ شىءٍ يَقبل التدميرَ؛ ونظائرِه. وهى نافعة من جميع الأَمراض الباردة. وتَدخل فى الأَمراض الحارة اليابسة بالعَرَض، فتوصِّل قُوى الأَدوية الباردة الرطبة إليها، بسرعة تنفيذها: إذا أَخذ يسيرُها.

وقد نص صاحب القانون وغيرُه، على الزَّعْفران فى قُرْص الكافور، لسرعة تنفيذه وإيصاله قوَّتَه. وله نظائرُ يعرفها حُذاق الصناعة. ولا تستبعد منفعةُ الحار فى أَمراض حارة بالخاصية. فإنك تجد ذلك فى أدوية كثيرة، منها: الأنزروت وما يركب معه من أدوية الرَّمَد، كالسكر وغيره من المفردات الحارة. والرمدُ ورم حار: باتفاق الأَطباء. وكذلك نفعُ الكبريت الحار جداًّ من الجرب.

● **منافع الحبة السوداء:** والشُونيزُ حار يابس فى الثالثة: مُذهب للنفخ، مخرج لحب القَرَع، نافع من البرَص وحُمَّى الرِّبع والبلغميَّة، مفتِّح للسُّدد، ومحلِّل للرياح، مجفِّف لبِلة المعدة ورطوبتها. وإن دُق وعجن بالعسل، وشرب بالماء الحار–: أذاب الحصاة التى تكون فى الْكُلْيَتَيْن والمثانة. ويُدر البول والحيض واللبن: إذا أُديم شربُه أياماً. وإن سخِّن بالخل، وطلىَ على البطن –: قَتل حب القرع فإن عجن بماء الحَنْظل الرَّطب أَو المطبوخ: كان فعله فى إخراج الدود أَقوى. ويجلو ويقطع ويحلِّل، ويشفى من الزكام البارد: إذا دُق وصُر فى خرقة واشتُم دائماً: أَذهبه.

ودُهنه نافع لداءِ الحية، ومن الثآليل والخِيلاَن. وإذا شُرب مِثقالٌ بماءٍ: نفع من

(١) أخرجه البخاري في ٧٦- كتاب الطب، (٧) باب الحبة السوداء. فتح الباري (١٠:١٤٣)، ومسلم في: ٣٩- كتاب السلام (٢٩) باب التداوي بالحبة السوداء، حديث رقم (٨٨).

البُهْر وضيق النفَس. والضمادُ ينفع من الصداع البارد. وإذا نقع منه سبعُ حبات عددا فى لبن امرأة وربط به صاحبُ اليرَقان: نفعه نفعا بليغا.

وإذا طبخ بخل، وتُمضمض به: نفع من وجع الأسنان عن بَرْد. وإذا استُعط به مسحوقًا (في الأنف): نفع من ابتداء الماء العارض فى العين وإن ضُمد به مع الخل: قلع البُثور والجرَب المتقرح، وحلل الأورام البلغمية المُزمنة، والأورامَ الصُّلبة.

وينفع من اللقوة[1]: إذا تَسعَّط بدُهنه. وإذا شُرب منه مقدارُ نصف مثقال إلى مثقال: نفع من لسع الرُّتَيْلاء. وإن سُحق ناعمًا، وخُلط بدُهن الحبة الخضراء، وقُطِّر منه فى الأُذن ثلاثَ قطرات: نفع من البرد العارض فيها، والريح والسدد.

وإن قُلىَ، ثم دُق ناعمًا، ثم نقع فى زيت، وقُطِّر فى الأَنف ثلاثَ قطرات أَو أَربع: نفع من الزكام العارض معه عُطاسٌ كثير.

وإذا أُحرق، وخُلط بشمع مُذاب بدُهن السَّوْسَن ودُهن الحناء، وطُلىَ القروحُ الخارجة من الساقين، بعدَ غسلها بالخل: نفعها وأزال القروح.

وإذا سُحق بخل، وطُلىَ به البَرصُ والبهقُ الأَسود والحَزَازُ الغليظ: نفعها وأبرأَها.

وإذا سُحق ناعمًا، واستَفَّ منه كلَّ يوم درهمين بماء بارد، مَن عضهُ كلبٌ كَلِب، قبل أَن يفرُغ من الماء: نفعه نفعًا بليغًا، وأَمن على نفسه من الهلاك. وإذا سُعط بدُهنه: نفع من الفالج والكُزَاز[2]، وقطع موادَّهما. وإذا دُخِّن به. طرد الهوامَّ.

وإذا أُذيب الأَنزروت بماء، ولُطخ على داخل الحَلْقة، ثم ذُرَّ عليها الشونيزُ كان من الذَّرُورات الجيدة، العجيبة النفع من البواسير. ومنافعُه أَضعاف ما ذكرنا. والشَّربة منه درهمان. وزعم قوم: أن الإكثار منه قاتلٌ.

٣- (حَرِيرٌ): قد تقدم: أن النبى ﷺ أَباحه للزُّبير ولعبد الرحمن بن عوف، من حكَّة[3] كانت بهما. وتقدم منافعه ومزاجُه. فلا حاجة إلى إعادته.

٤- (حُرْفٌ) أو حب الرشاد: قال أبو حنيفةَ الدِّينَوَرِىُّ: «هذا هو: الحب الذى

---

(١) اللقوة: داء يعرض للوجه يعوج منه الشدق.

(٢) الكُزاز هو مرض التيتانوس الخطير الذي ينشأ من بكتريا ذات سمية قوية توجد في الأرض، وفي السماد، أما طريقة الإصابة فهي تلوث الجرح بتراب أو رماد منتشر في الشمس ملوث بهذا النوع من البكتريا.

(٣) أخرجه البخاري.

يُتداوى به؛ وهو: الثُّفَّاءُ الذى جاءَ فيه الخبرُ عن النبى ﷺ. ونباتُه يقال له: الحُرْفُ: وتسميه العامة: «حَبُّ الرشاد». وقال أبو عُبيدٍ: «الثُّفَّاءُ هو الحُرْف».

قلت: والحديث الذى أشار إليه، ما رواه أبو عبيد وغيره - من حديث ابن عباس رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ- أنه قال: «**ماذا فى الأَمَرَّيْن من الشِّفاء؟ الثُّفَّاءِ والصبرِ**». ورواه أبو داودَ فى المراسيل[1].

وقوته فى الحرارة واليبوسة: فى الدرجة الثالثة. وهو: يسخن ويلين البطن، ويُخرج الدود وحب القرع، ويحلل أورام الطِّحال، ويحرك شهوة الجماع، ويجلو الجرَب المتقرح والقُوبَاءَ.

وإذا ضُمد به مع العسل: حلَّل ورم الطحال. وإذا طُبخ مع الحِناءِ: أخرج الفضول التى فى الصدر. وشربُه ينفع من نَهْش الهوامِّ ولسعها.

وإذا دُخن به فى موضع: طرد الهوامَّ عنه، ويمسك الشعر المتساقط. وإذا خُلط بسَويق الشعير والخل، وتُضُمِّد به: نفع من عرْق النَّسا، وحلَّل الأورام الحارة فى آخرها.

وإذا تُضمد به مع الماء: أنضج الدَّماميل. وينفع من الاسترخاء في جميع الأعضاء، ويزيد فى الباه، ويشهِّى الطعام. وينفع الرَّبو وعسرة النَّفَس وغلظ الطحال، وينقِّى الرئة، ويُدر الطَّمْث. وينفع من عرق النَّسا ووجع حُق الوَرِك - مما يخرج من الفضول-: إذا شُرب أو احتقن به. ويجلو ما فى الصدر والرئة: من البلغم اللزج.

وإن شُرب منه بعد سحقه: وزنُ خمسة دراهمَ بالماء الحار: أسهل الطبيعة، وحلَّل الرياح، ونفع من وجع القُولَنْج البارد السبب. وذا سُحق وشُرب: نفع من البرص.

وإن لُطخ عليه وعلى البهَق الأبيض بالخل: نفع منهما، وينفع من الصداع الحادث من البرد والبلغم. وإن قُلى وشُرب: عقَل الطبع - لا سيما إذا لم يُسحق-: لتحلل لزوجته بالقَلْى. وإذا غُسل بمائه الرأسُ: نقَّاه من الأوساخ والرطوبات اللزجة.

قال جالينوس: «قوتُه مثل قوة بزر الخرْدل. ولذلك قد يسخَّن به أوجاع الورك المعروفةُ بالنَّسا، وأوجاعُ الرأس، وكلُّ واحد من العلل التى تحتاج إلى التسخين: كما يسخِّن بزرُ الخردل. وقد يُخلط أيضًا فى أدوية يُسقاها أصحابُ الرَّبْو: من طريقِ أن

(١) الحديث أخرجه أيضا البيهقى ورمز له السيوطي بالضعف.

الأمر فيه معلومٌ أنه يقطع الأخلاط الغليظة تقطيعًا قويًا، كما يقطعها بزرُ الخردل. لأنه شبيهٌ به في كل شيء».

٥- (حُلْبَةٌ): يذكر عن النبي ﷺ: «**أنه عاد سعد بن أبى وقاص -رضى الله عنه- بمكة، فقال: ادعُوا له طبيبًا. فدُعىَ الحارث بن كلَدَةَ، فنظر إليه فقال: ليس عليه بأسٌ؛ فاتخذوا له فَريقةً - وهي: الحلبةُ مع تمرِ عجوةٍ رُطبةٍ يُطبخان فيُحْساهما. - ففُعل ذلك، فبرأَ**» (ابو داود (٣٨٧٥) بمعناه).

وقوة الحلبة من الحرارة فى الدرجة الثانية، ومن اليبُوسة فى الأُولى.

وإذا طُبخت بالماء: ليَّنتْ الحلق والصدر والبطن، وتسكِّن السعال والخشونة والرَّبْو وعُسر النفَس، وتزيد فى الباه، وهى جيدة للريح والبلغم والبواسير، مُحْدِرة الكَيْمُوسات المرتبكة فى الأمعاء. وتحلل البلغم اللزج من الصدر، وتنفع من الدُّبَيْلات وأمراض الرئة. وتستعمل لهذه الأدواء فى الأحشاء، مع السَّمن والفانيذ.

وإذا شربت مع وزن خمسة دراهم فُوَّة: أدرَّت الحيض، وإذا طُبخت وغُسل بها الشعرُ: جعَّدته وأذهبت الحزاز.

ودقيقُها إذا خُلط بالنطرون والخل، وضُمد به: حلَّل ورم الطِّحال. وقد تجلس المرأة فى الماء الذى طُبخت فيه الحلبة، فتنتفع به من وجع الرحم العارض من ورم فيه. وإذا ضمد به الأورامُ الصلبة القليلة الحرارة: نفعتها وحللتها. وإذا شُرب ماؤُها نفع من المغص العارض من الرياح، وأزلق الأمعاءَ.

وإذا أُكلت مطبوخة بالتمر أو العسل أو التين، على الريق: حللت البلغم اللزج العارض فى الصدر والمعدة، ونفعت من السعال المتطاول منه.

وهي نافعة من الحصر، مطلقة للبطن. وإذا وُضعت على الظُّفر المتشنِّج أصلحته. ودهنُها ينفع -إذا خُلط بالشمع- من الشُّقَاق العارض من البرد. ومنافعها أضعاف ما ذكرنا.

ويذكر عن القاسم بن عبد الرحمن، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**استشفُوا بالحُلْبة**»[1] وقال بعض الأطباء: «لو علم الناس منافعها، لاشتَروها بوزنها ذهبًا».

---

(١) الحديث الموضوع انظر المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم من تحقيقنا ط دار المسلم/ القاهرة.

حـــــرف الخـــــاء

١- (**خُبْـزٌ**)، ثبت فى الصحيح، عن النبى ﷺ، أنه قال: «**تكونُ الأَرضُ يوم القيامةِ خُبْزةً واحدة، يَتكَفَّؤُها الجبَّارُ بيده نُزُلاً لأَهل الجنة**»(١).

وروى أَبو داود فى سننه – من حديث ابن عباس رضى الله عنهما – قال: «**كان أَحبَّ الطعام إلى رسول الله ﷺ الثريدُ من الخُبز، والثريد من الحَيْس**»(٢).

وروى أَبو داود فى سننه أيضًا – من حديث ابن عمر رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَددت أَن عندى خبزةً بيضاءَ، من بُرَّةٍ سمراءَ: مُلَبَّقَةٍ بسمن ولبن. فقام رجل من القوم، فاتخذه فجاءَ به. فقال: فى أَيِّ شيءٍ كان هذا السمن؟ فقال: فى عُكَّة ضَبٍّ. فقال: ارفَعْه**»(٣).

وذكر البيهقىُّ – من حديث عائشة رضى الله عنها، ترفعه –: «**أَكرِمُوا الخبزَ. ومن كرامتِه: أَن لا يُنتظرَ به الأُدمُ**»(٤). والموقوف أَشْبَهُ. فلا يثبت رفعهٌ، ولا رفع ما قبله.

وأما حديث النهى عن قطع الخبز بالسكين، فباطل: لا أصل له عن رسول الله ﷺ. وإنما المروىُّ: النهى عن قطع اللحم بالسكين. ولا يصح أيضًا. قال مُهنَّأُ: «سألت أحمد عن حديث أَبى معشرٍ، عن هشام بن عروة، عن أَبيه، عن عائشة رضى الله عنها، عن النبى ﷺ: لا تقطعوا اللحم بالسكين، فإن ذلك من فعل الأعاجم. فقال: ليس بصحيح، ولا يُعرف هذا؛ وحديث عمرو بن أُميَّةَ خلاف هذا، وحديث المغيرة». يعنى بحديث عمرو بن أمية: «**كان النبى ﷺ يحتزُّ من لحم الشاة**»(٥). وبحديث المغيرة: «**أَنه لَمَّا أَضافه: أَمر بجنبٍ فشُوى، ثم أَخذ الشفرة فجعل يحزُّ**»(٦).

---

(١) أخرجه البخاري في: ٨١- كتاب الرقاق (٤٤) باب يقبض الله الأرض يوم القيامة، وأخرجه مسلم في: ٥٠- كتاب المنافقين (٣) باب نزل أهل الجنة، حديث رقم (٣٠).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأطعمة باب فى أكل الثريد برقم (٣٧٨٣).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الأطعمة باب الجمع بين لونين من الطعام، رقم (٣٨١٨).

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان، والحاكم عن عائشة وقال: صحيح وأقره الذهبي.

(٥) أخرجه البخاري في: ٧٠- كتاب الأطعمة، (٢٠) باب قطع اللحم بالسكين، وأخرجه مسلم في: ٣- كتاب الطهارة (٢٤) باب نسخ الوضوء مما مست النار، حديث رقم (٩٢)، (٩٣).

(٦) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة، باب في ترك الوضوء مما مست النار، حديث رقم (١٨٨).

● **أحمد أنواع الخبز (فصل)**؛ وأحمدُ أنواع الخبز: أجودُها اختماراً، وعجنا. ثم خبزُ التَّنُّور أجود أصنافه، وبعده خبزُ الفرن. ثم خبزُ المَلَّة (الجمر يخبز عليه) فى المرتبة الثالثة، وأجوده: ما اتخذ من الحنطة الحديثة.

● **أكثر أنواعه تغذية**؛ وأكثر أنواعه تغذيةً: خبزُ السَّميد، وهو أبطؤها هضماً لقلة نخالتة. ويتلوه خبز الحُوَّارَى، ثم الخشْكار.

● **أحمد أوقات أكله**؛ وأحمدُ أوقات أكله: فى آخر اليوم الذى خبز فيه. واللّيِّن منه أكثر تليينًا وغذاءً وترطيبًا، وأسرع انحدارا. واليابس بخلافه.

ومزاج الخبز من البُرِّ حارٌّ فى وسط الدرجة الثانية، وقريبٌ من الاعتدال فى الرطوبة واليبُوسة. واليُبسُ يغلب على ما جفَّفْته النار منه، والرطوبة على ضده.

وفى خبز الحنطة خاصيَّةٌ، وهو: أنه يسمِّن سريعًا. وخبز القطائف يولِّد خلطًا غليظًا، والفَتيتُ نفاخ بطيءُ الهضم. والمعمول باللبن مسدِّد، كثير الغذاءِ، بطيءُ الانحدار.

● **خبز الشعير**؛ وخبزُ الشعير بارد يابس فى الأُولى. وهو أقل غذاءً من خبز الحنطة.

٢- **(خَلٌّ)**؛ روى مسلم فى صحيحه - عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما -: «**أن رسول الله ﷺ سأل أهلَه الإدامَ، فقالوا: ما عندنا إلا خلٌّ فدعا به، وجعل يأكل ويقول: نعم الإدامُ الخلُّ، نعم الإدامُ الخلُّ**»(١). وفى سنن ابن ماجه - عن أم سعيد رضى الله عنها، عن النبى ﷺ: «**نعم الإدامُ الخلُّ، اللهم: بارك فى الخل. ولم يفتقرْ بيتٌ فيه الخلُّ**»(٢).

الخل مركب من الحرارة والبرودة، وهى أغلب عليه، وهو يابس فى الثالثة، قوىٌّ التجفيف. يمنع من انصباب المواد، ويلطِّف الطبيعة.

● **خل الخمر**؛ وخلُّ الخمر: ينفع المعدة الملتهبة، ويَقْمَع الصفراءَ، ويدفع ضرر الأدوية القتَّالة؛ ويحلل اللبن والدم: إذا جَمَدا فى الجوف. وينفع الطحال، ويدبغ

---

(١) أخرجه مسلم في: ٣٦- كتاب الأشربة، (٣٠) باب فضيلة الخل، حديث رقم (١٦٦).
(٢) أخرجه ابن ماجه في: ٢٩- كتاب الأطعمة (٣٣) باب الائتدام بالخل، حديث رقم (٣٣١٨).

المعدة، ويَعقِل البطن، ويقطع العطش، ويمنع الورم حيث يريد أن يحدث، ويُعين على الهضم، ويضاد البلغم، ويلطف الأغذية الغليظة ويُرِقُّ الدم.

وإذا شرب بالملح: نفع من أكل الفُطُر القتال. وإذا احتسىَ: قطع العلق المتعلق بأصل الحنك. وإذا تُمضمض به مسخَّنا. نفع من وجع الأسنان، وقوى اللِّثَة.

وهو نافع للدَّاحِس: إذا طليَ به، والنملةِ، والأورام الحارة، وحرق النار. وهو مُشَهٍّ للأكل، مطيِّب للمعدة، صالح للشباب، وفي الصيف لسكان البلاد الحارة.

٣- (خِلاَلٌ): فيه حديثان لا يثبُتان: **(أحدهما)** يروى من حديث أبى أيوبَ الأنصاريِّ -يرفعه- «**يا حبَّذا المتخللون من الطعام! إنه ليس شيءٍ أشد على الملَك من بقيةٍ تبقى في الفم، من الطعام**»[1]. وفيه واصلُ بن السائب، قال البخارى والرازى. منكَرُ الحديث. وقال النسائىُّ والأَزْدىُّ: متروك الحديث.

(الثانى): يروى من حديث ابن عباس، قال عبد الله بن أحمد: «سألت أبى عن شيخ روى عنه صالحٌ الوُحَاظىُّ - يقال له: محمد بن عبد الملك الأنصارى: حدثنا عطاءُ عن ابن عباس، قال: نهى رسول الله ﷺ أن يُتخلل باللِّيط[2] والآس[3]، وقال: إنهما يُسقيان عروقَ الجُذام فقال: إنى رأيت محمد بن عبد الملك، وكان أعمى، يضع الحديث ويكذب.

وبعد: فالخلالُ نافع اللِّثَة والأسنان، حافظ لصحتها، نافع من تغير النَّكهة. وأجوده: ما اتخذ من عيدان الأخلة، وخشب الزيتون، والخلاف والتخلل بالقصب والآس والريَّحان والبادروج مضرٌّ.

حـــرف الـــدال

١- (دُهْنٌ): روى الترمذى في كتاب الشمائل[4] من حديث أنس بن مالك رضى الله عنهما قال: «**كان رسول الله يُكثر دَهن رأسه، وتسريح لحيته؛ ويكثر القِناع. كأن ثوبه ثوب زيَّات**».

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٥:٤١٦).

(٢) الليط قشر القصب والنبات وكل ما كانت له صلابة.

(٣) الآس: شجر دائم الخضرة بيضى الورق أبيض الزهر أو ورديه عطرى وثماره لبية سود تؤكل غضة وتجفف فتكون من التوابل.

(٤) الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية انظره من تحقيقنا.

الدهن يسد مسامَّ البدن، ويمنع ما يتحلل منه. وإذا استعمل بعد الاغتسال بالماء الحار: حسَّن البدن ورطَّبه. وإن دهن به الشعر: حسنه وطوَّله، ونفع من الحصبة، ودفع أكثر الآفات عنه. وفى الترمذى - من حديث أبى هريرة رضى الله عنه، مرفوعًا: «**كلوا الزَّيت، وادَّهنوا به**»(1) وسيأتى إن شاءَ الله تعالى.

والدهن فى البلاد الحارة: كالحجاز ونحوه. من آكد أسباب حفظ الصحة، وإصلاح البدن. وهو كالضرورىِّ لهم. وأما البلاد الباردة: فلا يحتاج إليه أهلها. والإلحاح به فى الرأس، فيه خطرٌ بالبصر.

● **أنفع أنواع الدهن:** وأنفع الأدهان البسيطة: الزيت، ثم السمن، ثم الشَّيْرج.

وأما المركبة، فمنها بارد رطب: كدهن البنفسج - ينفع من الصداع الحار، وينوِّم أصحاب السهر، ويرطب الدماغ، وينفع من الشُّقاق وغلبة اليبس والجفاف، ويُطلى به الجرب والحكة اليابسة، فينفعها. ويسهل حركة المفاصل، ويصلح لأصحاب الأمزجة الحارة، فى زمن الصيف.

وفيه حديثان باطلان موضوعان على رسول الله ﷺ. **(أحدهما):** «**فضل دهن البَنَفسج على سائر الأدهان، كفَضْلى على سائر الناس**»(2). **(والثانى):** «**فضل دهن البنفسج على سائر الأدهان، كفضل الإسلام على سائر الأَديان**»(3).

ومنها حار رطب: كدهن البان. وليس دهنَ زهرة؛ بل: دهن يُستخرج من حبٍّ أبيض أغبرَ نحو الفُسْتق، كثير الدهنية والدسم. ينفع من صلابة العصب ويليِّنه. وينفع من البَرَش والنَّمَش والكَلَف والبَهق، ويسهل بلغمًا غليظًا، ويلين الأَوتار اليابسة، ويسخن العصب.

وقد رُوى فيه حديث باطل مختلَق لا أَصلَ له: «ادَّهنوا بالبان. فإنه أَحظى لكم عند نسائكم».

● **منافع دهن البان:** ومن منافعه أن يَجلوَ الأَسنان ويَكسبَها بهجةً، ويُنَقِّيهَا من

---

(1) الحديث أخرجه الترمذي من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما أخرجه أحمد والترمذي والحاكم عن أبي أسيد. وقال الحاكم: صحيح وأقره الذهبي.

(2) أورده ابن الجوزي في الموضوعات.

(3) الموضوعات لابن الجوزي (٣:٦٥).

الصدإ. ومَن مسح به وجهَه ورأسه: لم يُصبه حَصبة ولا شُقاق. وإذا دهن به حقوه (خصره = وسطه) ومذَاكيره وما والاها: نفع من برد الكُليتين وتقطير البول.

حرف الذال

١- (ذَرِيرَةٌ): ثبت في الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها، قالت: «**طيَّبت رسول الله ﷺ بيدى بذَريرَة، في حجة الوداع، لحلِّه وإحرامه**»(١).

تقدم الكلام في الذَّريرة ومَنافعها وماهيَّتها. فلا حاجة لإعادته.

٢- (ذُبَابٌ): تقدم في حديث أبي هريرة المتفق عليه، في أمره ﷺ بغَمْس الذباب في الطعام إذا سقط فيه، لأجل الشفاء الذى في جناحه وهو كالتِّرياق للسم الذى في الجناح الآخر. وذكرنا منافع الذباب هناك.

٣- (ذَهَبٌ): روى أبو داودَ والترمذىُّ: «**أن النبى ﷺ رَخص لعرْفَجة بن أسعد - لَمَّا قُطع أنفُه يومُ الكُلاب، واتَّخذ أنفًا من ورِق، فأنْتن عليه - فأمره النبى ﷺ: أن يَتخذَ أنفًا من ذَهب**»(٢). وليس لعَرْفجةَ عندهم غيرُ هذا الحديث الواحد.

● **من فوائد الذهب:** الذهبُ زينةُ الدنيا، وطِلَّسْم الوجود، ومفرح النفوس، ومقوِّى الظهور، وسرُّ الله فى أرضه. مِزاجُه فى سائر الكيفيات، وفيه حرارةٌ لطيفة تَدخل فى سائر المعجونات اللطيفة والمفرِّحات. وهو أعدل المعدنيَّات على الإطلاق وأشرفُها.

● **ومن خواص الذهب:** أنه إذا دفن فى الأرض: لم يضرَّه الترابُ ولم يَنقُصه شيئًا. وبُرادتُه إذا خُلطت بالأدوية: نفعت من ضعف القلب والرَّجَفان العارض من السوداء. وينفع من حديث النفس، والحزن والغم، والفزع والعشق. ويسمِّن البدن ويقوِّيه، ويُذهب الصفار، ويحسِّن اللون. وينفع من الجُذام وجميع الأوجاع والأمراض السَّوْدَاوِيَّة. ويَدخل بخاصيَّته فى أدوية داءِ الثعلب وداءِ الحية، شُربًا وطِلاءً. ويجلو العين ويقوِّيها، وينفع من كثير من أمراضها؛ ويقوِّى جميع الأعضاء.

---

(١) أخرجه البخاري في (٧٧) كتاب اللباس (٨١) باب الذريرة، فتح الباري، والذريرة: فتات قصب طيب الرائحة أصل زراعته بالهند.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الخاتم، (باب) ما جاء في ربط الأسنان بالذهب، ح (٤٢٣٢).

وإمساكُه فى الفم يُزيل البَخَر. ومَن كان به مرض يحتاج إلى الكَىِّ، وكُوى به-: لم يتنفطْ موضعُه، ويَبرأ سريعًا. وإن اتَّخذ منه ميلاً واكتَحل به: قوَّى العين وجَلاها. وإن اتخذ منه خاتمٌ فصُّه منه، وأحمىَ وكُوى به قَوادمُ أجنحة الحمَام: أَلفتْ أبراجَها، ولم تنتقل عنها.

● **إباحة الذهب فى الحرب:** وله خاصيَّة عجيبة فى تقوية النفوس، لأَجلها أُبيح فى الحرب والسلاح منه ما أبيح.

وقد روى الترمذىُّ – من حديث بُريدةَ العصْرى رضى الله عنه– قال: «**دخل رسول الله ﷺ، يوم الفتْح: وعلى سيفه ذَهبٌ وفضةٌ**»[1].

وهو معشوق النفوس التى متى ظفرتْ به: سلاَّها عن غيره من محبوبات الدنيا.

قال تعالى: ﴿**زُينَ للنَّاسِ حُبُّ الشَّهوَات منَ النسَاء والْبَنين وَالْقَنَاطير الْمُقَنْطَرة من الذَّهب والْفضَّة، والْخَيْل الْمُسَوَّمَة والأَنْعام وَالْحرْث**﴾ (آل عمران: ١٤).

وفى الصحيحين – عن النبى ﷺ: «**لو كان لابن آدمَ وادٍ من ذهب: لابْتَغى إليه ثانيًا. ولو كان له ثانٍ: لابتَغى ثالثًا. ولا يَملأُ جَوف ابنِ آدمَ إلا التُّرابُ؛ ويَتوبُ الله على مَن تابَ**»[2].

● **من مفاسد الذهب:** هذا وإنه أعظم حائلٍ بيْن الخليقة وبين فوزها الأكبر يومَ مَعادها؛ وأعظمُ شيءٍ عُصىَ اللهُ به. وبه قُطعت الأَرحامُ، وأُريقت الدماءُ، واستُحلت المحارمُ، ومُنعتْ الحقوقُ، وتَظالَم العبادُ. وهو المرغِّب فى الدنيا وعاجلها، والمزهِّد فى الآخرة وما أَعدَّه الله لأَوليائه فيها. فكم أميتَ به من حقٍّ، وأُحيى به من باطلٍ، ونصر به ظالمٌ، وقُهر به مظلومٌ. وما أحسن ما قال فيه أبو قاسمِ الحَريرى:

تَبًّا لَهُ مِنْ خادعٍ مُمَاذقِ	أَصْفَرَ ذى وَجْهَيْنِ كالْمُنافقِ
يَبْدُو بوَصْفَيْنِ لعَين الرَّامقِ:	زينة مَعْشُوقٍ، ولوْن عاشقِ
وحُبُّه عندَ ذَوى الْحقائقِ	يَدعُو إلى ارْتكاب سُخْط الْخالقِ

(١) أخرجه الترمذي في: ٢٤- كتاب الجهاد (١٦) باب ما جاء في السُّيوف وحِلْيَتها، ح (١٦٩٠).
(٢) أخرجه البخاري في: ٨١- كتاب الرقاق، (١٠) باب ما يتقى من فتنة المال، ومسلم في: ١٢- كتاب الزكاة (٣٩) باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثًا، ح (١١٦، ١١٨).

لَوْلاَهُ: لَمْ تُقطعْ يَمينُ السَّارقِ ولا بَدَتْ مَظْلمةٌ من فاسقِ
وَلاَ اشْمأزَّ باخلٌ من طارقِ ولا اشتكى الْمَمْطُولُ مَطْلَ الْعَائقِ
ولا اسْتُعيذَ من حَسُودٍ راشقِ وشَرُّ ما فيه منَ الْخَلائقِ
أن لَيْسَ يُغْني عنكَ في الْمَضَايقِ إلاَّ إذَا فَرَّ فِرارَ الآبقِ

حرف الراء

١- (رُطَبٌ)، قال الله تعالى لمريَمَ: ﴿ **وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا** ﴾ (مريم: ٢٥، ٢٦).

وفى الصحيحين، عن عبد الله بن جعفر، قال: «**رأيتُ رسول الله ﷺ يأكُلُ القِثَّاء بالرُّطَب**»[1]. وفى سنن أبى داودَ، عن أنس، قال: «**كان رسول الله ﷺ يُفطرُ على رُطَباتٍ قبلَ أن يُصليَ؛ فإن لم تكن رطباتٌ: فتمراتٌ. فإن لم تكن تمرَاتٌ: حسَا حُسْوَاتٍ من ماء**»[2].

طبْعُ الرُّطب طبعُ المياه، حار رَطب يقوِّى المعدة الباردة ويُوافقها، ويَزيد فى الباه، ويُخصب البدن، ويوافق أصحابَ الأمزجة الباردة، ويَغذُو غذاءً كثيرًا.

وهو من أعظم الفاكهة موافقةً لأهل المدينة وغيرها: من البلاد التى هو فاكهتُهم فيها. وأنفعها للبدن: وإن كان من لم يعتدْه يُسرع التعفُّنِ فى جسده، ويَتولد عنه دم ليس بمحمود، ويحدُث فى إكثاره منه صداعٌ وسوداءٌ ويؤْذى أسنانه. وإصلاحُه بالسَّكَنْجَبِين ونحوه.

● **فوائد الرطب للصائم والتمر والماء:** وفى فطر النبى ﷺ من الصوم، عليه أو على التمر أو الماء، تدبيرٌ لطيف جداً. فإن الصومَ يُخلى المعدة من الغذاء: فلا تجد الكبدُ فيها ما تَجذبه وترسله إلى القُوى والأعضاء. والحلوُ أسرع شيءٍ وصولاً إلى الكبد، وأحبُّه إليها – ولا سيما إن كان رُطبًا – فيشتدُّ قبولها له، فتنتفع به هى والقُوى. فإن

---

(١) أخرجه البخاري في: ٧٠- كتاب الأطعمة (٣٩) باب القثاء بالرطب، ومسلم في: ٣٦- كتاب الأشربة، (٢٣) باب أكل القثاء بالرطب، ح (١٤٧).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصوم (باب) ما يفطر عليه، حديث (٢٣٥٦)، والترمذي في: ٦- كتاب الصوم، (٧٠:٣).

لم يكن فالتمرُ: لحلاوته وتغذيته. فإن لم يكن فحُسْواتُ الماء: تطفىءُ لهيب المعدة وحرارة الصوم، فتنتبهُ بعده للطعام، وتأخذه بشهوة.

٢- (رَيْحانٌ)، قال تعالى: ﴿ **فَأَمَا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيم** ﴾ **(الواقعة: ٨٨، ٨٩)**، وقال تعالى: ﴿ **وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ** ﴾ **(الرحمن: ١٢)**.

وفى صحيح مسلم - عن النبى ﷺ - «**من عُرض عليه رَيحانٌ فلا يردَّه: فإنه خفيفُ المحمل، طيبُ الرائحة**»[1].

وفى سنن ابن ماجه - من حديث أسامةَ رضى الله عنه، عن النبى ﷺ - أنه قال: «**ألا مُشَمِّرٌ للجنة؛ فإن الجنة لا خطرَ لها. هى ورب الكعبة: نورٌ يَتلألأُ، ورَيْحانَةٌ تَهتَزُّ، وقصرٌ مَشيدٌ، ونهرٌ مُطَّرِدٌ، وثمرةٌ نَضيجَةٌ وزَوْجة حسناءُ جميلةٌ، وحُللٌ كثيرةٌ، ومُقامٌ فى أبَد فى دارٍ سليمة، وفاكهةٌ وخُضرَةٌ، وحَبْرَةٌ ونعمَةٌ، فى مَحلَّةٍ عاليةٍ بَهيَّة. قالوا: نعمْ يا رسول الله؛ نحن المشمِّرون لها. قال: قولوا إن شاءَ الله تعالى. فقال القوم: إن شاءَ الله**».

● **ما هو الريحان:** الريحان كل نبت طيب الريح. فكلُّ أهل بلد يخصونه بشىءٍ من ذلك: فأهل الغرب يخصونه بالآس، وهو الذى يعرفه العرب: من الريحان، وأهلُ العراق والشام يخصونه بالحبق.

● **الآس:** فأما الآس، فمزاجُه بارد فى الأولى، يابس فى الثانية. وهو -مع ذلك- مركب من قوى متضادة، والأكثرُ فيه الجوهر الأرضى البارد، وفيه شىءٌ حار لطيف، وهو يجفِّف الرأس تجفيفًا قويًّا. وأجزاؤه متقاربةُ القوة، وهى قوة قابضة جانسة من داخل وخارج معًا.

وهو قاطع للإسهال الصفراوىِّ، دافع للبخار الحار الرطب: إذا شم، مفرِّح للقلب تفريحًا شديداً وشمُّه مانع للوباء، وكذلك افتراشُه فى البيت.

ويُبرئُ الأورام الحادثة فى الحالبَيْن، إذا وُضع عليها، وإذا دُق ورقه وهو غضٌّ، وضُرب بالخل، ووُضع على الرأس-: قطع الرُّعاف، وإذا سُحق ورقُه اليابس، وذُر على القروح ذوات الرطوبة -: نفعها ويقوى الأعضاءَ

---

(١) تقدم تخريج الحديث.

الواهية: إذا ضُمد به، وينفع داءَ الداحِس: وإذا ذُر على البثور والقروح التى فى اليدين والرجلين: نفعها.

وإذا دُلك به البدنُ: قطع العرق، ونشف الرطوبات الفضلية، وأذهب نَتْن الإبْط، وإذا جُلس فى طبيخه: نفع من خروج المقْعدة والرحم، ومن استرخاء المفاصل، وإذا صُب على الكسور العظام التى لم تَلتحمْ: نفعها.

ويجلو قشورَ الرأس وقروحَه الرطبة وبُثورَه، ويمسك الشعر المتساقط، ويسوده. وإذا دُق ورقه وصُب عليه ماءُ يسير، وخُلط به شيءٌ من زيت أَو دُهن الورد، وضُمد به: وافق القروح الرطبة. والنملة والحُمرة، والأورام الحادةَ والشرَى والبواسير.

وحبُّه نافع من نفْث الدم العارض فى الصدر والرئة، دابغٌ للمعدة، وليس بضار للصدر ولا الرئة: لجلاوته. وخاصيتُه: النفع من اسْتطلاق البطن مع السُّعال. وذلك نادر فى الأدوية. وهو مُدر للبول، نافع من لذع المثانة، وعضِّ الرُّتَيْلاء، ولسْع العقارب. والتخلُّل بعرقه مضر، فَلْيُحذَر.

● **الريحان الفارسي:** وأما الريحانُ الفارسيُّ - الذى يسمى: الحبق - فحارٌّ فى أَحد القولين ينفع شمُّه من الصداع الحار: إذا رُش عليه الماءُ؛ ويُبْرد ويرطِّب بالعرَض. وباردٌ فى الآخر، وهل هو رطب؟ أَو يابس؟ على قولين. والصحيح: أَن فيه من الطبائع الأربع. ويَجلب النوم.

وبزرُه حابس للإسهال الصفراويِّ ومسكِّن للمغص، مقوٍّ للقلب، نافع للأمراض السوداويَّة.

٣- (رمَّانٌ) (١)**:** قال تعالى: ﴿ **فيهما فاكهةٌ ونخلٌ ورُمَّانٌ** ﴾(الرحمن: ٦٨).

ويُذكر عن ابن عباس - موقوفًا ومرفوعًا -: «**ما من رُمان، من رمانكم هذا، إلاَّ وهو مُلقَّحٌ بحبةٍ من رُمان الجنَة**»(٢). والموقوف أَشْبَهُ. وذكر حربٌ وغيره، عن على، أنه قال: «كلوا الرمَّانَ بشحْمِه؛ فإنه دباغُ المَعد».

---

(١) ورد ذكر الرمان في القرآن الكريم: الأنعام ٩٩، الأنعام ١٤١، الرحمن ٦٨.

(٢) في إسناد الحديث وضاع كما قال الشوكاني في الفوائد المجموعة وقال الذهبي: هذا من أباطيل محمد بن الوليد بن أبان.

● **حلو الرمان:** حلوُ الرمان حار رطب، جيد للمعدة، مقوٍّ لها بما فيه: من قبْضٍ لطيف. نافع للحلق والصدر والرِّئة، جيد للسُّعال. وماؤه مليِّن للبطن، يَغذُو البدن غذاءً فاضلاً يسيراً، سريع التحلُّل: لرقَّته ولطافته. ويولِّد حرارة يسيرة فى المعدة وريحًا. ولذلك يُعين على الباه، ولا يصلح للمَحْمُومين. وله خاصيَّة عجيبة: إذا أُكل بالخبز يمنعه من الفساد فى المعدة.

● **حامض الرمان:** وحامضه بارد يابس، قابض لطيف. ينفع المعدة الملتهبة، ويُدِر البول أكثر من غيره: من الرمان. ويسكِّن الصفْراءَ، ويقطع الإسهال، ويمنع القىءَ، ويلطِّف الفضول، ويُطفىءُ حرارة الكبد، ويقوِّى الأعضاءَ. نافع من الخَفَقان الصفراوىِّ، والآلام العارضة للقلب وفَم المعدة. ويقوِّى المعدة؛ ويدفع الفُضول عنها، ويُطفىءُ المِرَّة الصفراءَ والدم.

وإذا استُخرج ماؤُه بشَحْمه، وطُبخ بيسير من العسل حتى يصيرَ كالمَرْهم، واكتُحل به: قطع الصُّفرة من العين، ونقَّاها من الرطوبات الغليظة.. وإذا لُطخ على اللِّثَة: نفع من الأَكلة العارضة لها. وإن استُخرج ماؤُها بشحمها: أطلَق البطن، وأَحْدَر الرطوبات العَفنةَ المُرِّية، ونفع من حُميات الغب المُتطاولة (التي تأتى يوما وتذهب يوما).

● **الرمان المُزّ:** وأما الرمان المزُّ، فمتوسط طبعًا وفعلاً بين النوعين. وهذا أمْيَل إلى لطافة الحامض قليلا. وحبُّ الرمان مع العسل طِلاءٌ للداحس والقروح الخبيثة. وأَقماعُه للجراحات. قالوا: ومَن ابتلع ثلاثة من جُنْبُذ الرمان فى كل سنة، أَمِنَ الرَّمد سنةً كلَّها.

حرف الزاى

١- (زَيْتٌ): قال تعالى: ﴿**يُوقَدُ من شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ**﴾ **(النور: ٣٥).**

وفى الترمذىِّ وابن ماجه – من حديث أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ– أنه قال: «**كلُوا الزَّيتَ وادَّهِنُوا به، فإنه من شجرةٍ مباركة**»[1].

وللبَيْهَقىِّ وابن ماجه أيضًا، عن عبد الله بن عمرَ رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ائْتَدِموا بالزيت وادهنوا به، فإنه من شجرة مباركة**»[2].

(١) الحديث أخرجه ابن ماجه عن أبى هريرة، والحاكم وصححه.
(٢) سنن ابن ماجه ٢:١١٠٣، وصححه الحاكم (١٢٢:٤).

الزيت حار رطب فى الأولى. وغلط من قال: يابس والزيت بحسب زيتونه: فالمعتصَرُ من النَّضيج أعدله وأجوده؛ ومن الفجّ فيه برودةٌ ويُبوسة، ومن الزيتون الأحمر متوسطٌ بين الزيتَيْن، ومن الأسود يسخِّن ويرطِّب باعتدال، وينفع من السُّموم، ويُطلق البطن. ويخرج الدود. والعتيقُ منه أشد تسخينًا وتحليلاً. وما استُخْرِج منه بالماء، فهو أقل حرارة وألطف، وأبلغ فى النفع. وجميعُ أصنافه مليِّنة للبشرة، وتبطىءُ الشيب.

● **ماء الزيتون،** وماء الزيتون المالح يمنع من تنفُّط حرق النار، ويَشُد اللّثة. وورقُه ينفع من الحُمرة والنملة والقُروح الوَسِخة والشَّرَى، ويمنع العرق. ومنافعه أضعاف ما ذكرناه.

٢- (زُبْدٌ)، روى أبو داودَ فى سننه، عن ابنىْ بُسْرٍ السُّلَمِيَّيْن رضى الله عنهما، قالا: «**دخل علينا رسول الله ﷺ : فقدَّمنا له زُبدًا وتمرًا. وكان يُحب الزُّبدَ والتمرَ**»(١).

الزبد حار رطب، فيه منافعُ كثيرة؛ منها: الإنضاجُ والتحليل ويُبرىءُ الأورامَ التى تكون إلى جانب الأُذنَيْن والحالبَيْن، وأورام الفم، وسائرَ الأورام التى تَعرِض فى أبدان النساء والصبيان. إذا استُعمل وحده، وإذا لُعق، منه: نفع من نفْث الدم الذى يكون من الرئة، وأنضَج الأورام العارضة فيها.

وهو مليِّن للطبيعة والعصب والأورام الصُّلبة العارضة من المِرَّة السوداء والبلغم، نافعٌ من اليُبس العارض فى البدن. وإذا طُلى على منابت أسنان الطفل: كان مُعينًا على نباتها وطلوعها. وهو نافع من السُّعال العارض من البرد واليبس. ويُذهب القوبى والخشونة التى فى البدن، ويلين الطبيعة. ولكنه يُسقط شهوة الطعام، ويَذهب بوخامة الحلو: كالعسل والتمر.

وفى جمعه ﷺ بين التمر وبينه – من الحكمة: – إصلاحُ كل منهما بالآخر.

٣- (زَبيبٌ)، رُوى فيه حديثان لا يَصحَّان؛ **(أحدهما).** «نعمَ الطعامُ الزَّبيبُ: يطيِّبُ النَّكْهةَ، ويُذيبُ البلغم». **(والثانى)،** «نعمَ الطعامُ الزَّبيبُ: يذهبُ النَّصَبَ

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأطعمة، باب في الجمع بين لونين في الأكل، ح (٣٨٣٧)، وابن ماجه في: ٢٩- كتاب الأطعمة (٤٣) باب التمر بالزبد حديث رقم (٣٣٣٤).

ويَشُدُّ العصب، ويُطفِئُ الغضب، ويُصفى اللونَ، ويُطيِّبُ النَّكْهةَ». وهذا أيضًا لا يصح فيه شيءٌ عن رسول الله.

● **أجود أنواع الزبيب:** وبعد فأجودُ الزبيب ما كبر جسمه، وسمن شحمه ولحمه، ورقَّ قشره، ونُزع عَجمه، وصغُر حَبُّه. وجرْم الزبيب حار رطب فى الأُولى، وحبه بارد يابس وهو كالعنب المتخَذ منه: الحلوُ منه حار، والحامضُ قابض بارد، والأَبيضُ أشد قبضًا من غيره. وإذا أُكل لحمُه: وافق قصبة الرئة، ونفع من السعال ووجع الكُلى والمثانة. ويقوِّى المعدة، ويلين البطن.

والحلوُ اللحم أكثرُ غذاءً من العنب، وأَقلُّ غذاءَ من التين اليابس. وله قوةٌ منضجة هاضمة، قابضة محلِّلة باعتدال. وهو بالجملة: يقوى المعدة والكبد والطِّحال؛ نافعٌ من وجع الحلق والصدر والرئة والكُلى والمثانة.

● **أعدل أنواع الزبيب فى الأكل:** وأعدلُه: أن يؤكل بغير حبِّه. وهو يغذِّى غذاءً صالحًا، ولا يسدِّد كما يفعل التمرُ. وإذا أُكل منه بعجَمه: كان أكثر نفعًا للمعدة والكبد والطِّحال. وإذا لُصق لحمُه على الأظافير المتحركة: أسرع قلعها. والحلو منه وما لا عجم (بذر) له نافعٌ لأَصحاب الرطوبات والبلغم. وهو يخصب الكبد وينفعها بخاصيَّته.

وفيه نفعٌ للحفظ. قال الزُّهرى: «من أحبَّ أن يحفظ الحديث، فلْيأْكُلْ الزبيبَ». وكان المنصور يذكر عن جده عبدِ الله بن عباس: «عجمُه داءٌ، ولحمُه دواء».

٤- (زَنْجَبِيلٌ)، قال تعالى ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ: مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً ﴾ (الإنسان: ١٧).

وذكر أبو نُعيم فى كتاب الطب النبوىّ، من حديث أبى سعيد الخُدرىِّ رضىَ الله عنه، قال: «**أهدى ملك الرُّوم إلى رسول الله ﷺ جَرَّةَ زَنجبيلٍ، فأَطعَم كلَّ إنسان قطعةً، وأَطعمنى قطعةً**».

الزنجبيل حار فى الثانية، رطبٌ فى الأُولى. مسخِّن، معين على هضم الطعام ملين للبطن تليينًا معتدلاً؛ نافع من سُدد الكبد العارضة عن البرد والرطوبة، ومن ظُلمة

البصر الحادثة عن الرطوبة: أكلاً واكتحالاً. معين على الجماع. وهو محلِّل للرياح الغليظة الحادثة فى الأمعاء والمعدة.

وبالجملة: فهو صالح للكبد والمعدة الباردتَيْ المزاج. وإذا أُخذ منه مع السكر وزنُ درهمين بالماءِ الحار: أسهلَ فُضولاً لزجةً لُعابيةً. ويقع فى المعجونات التى تحلِّل البلغم وتُذيبه.

والمُزِّىُّ منه حار يابس، يهيج الجماع، ويزيد المنىَّ، ويسخِّن المعدة والكبد، ويُعين على الاستمراء، وينشِّف البلغم الغالب على البدن، ويزيد فى الحفظ. ويوافق برْدَ الكبد والمعدة: يُزيل بِلَّتَها الحادثة عن أكل الفاكهة. ويطيِّب النَّكْهة، ويُدفع به ضرر الأطعمة الغليظة الباردة.

حــرف الســين

١- **(سَنَا)**: قد تقدم، وتقدم «سنوت» أيضًا. وفيه سبعة أقوال: **(أحدها)**: أنه العسل. **(الثانى)**: أنه رُبُّ عُكَّة السمن، يخرج خططا سوداءَ على السمن. **(الثالث)**: أنه حب يُشبه الكمُّون، وليس بكمون. **(الرابع)**: الكمون الكَرْمانىُّ. **(الخامس)**: أنه الشِّبِتُ. **(السادس)**: أنه التمر. **(السابع)**: أنه الرَّازْيَانج.

٢- **(سَفَرْجَل)**: روى ابن ماجه فى سننه، حديثَ إسماعيل بن محمد الطلحىِّ، عن شعيب بن حاجب، عن أبى سعيد، عن عبد الملك الزُّبيرىِّ، عن طلحةَ بن عُبيد الله رضى الله عنه؛ قال: «**دخلتُ على النبىِّ ﷺ وبيده سَفَرْجلة فقال: دونكها يا طلحة؛ فإنها تجم الفؤاد**». ورواه النسائى من طريق آخر، وقال: «**أتيت النبى ﷺ وهو في جماعة من أصحابه، وبيده سفرجلة يقلِّبُها، فلمَّا جلستُ إليه: دحَا بها إلىَّ، ثم قال: دونَكَها أبا ذرٍّ، فإنها تَشُدُّ القلبَ، وتَطيِّبُ النفسَ، وتَذهب بطَخَاءِ الصدرِ**».

وقد رُوى فى السفرجل أحاديثُ أُخرُ: هذه أَمثَلُها؛ ولا تصح.

السفرجل بارد يابس، ويختلف فى ذلك باختلاف طعمه. وكلُّه بارد قابض، جيد للمعدة. والحلوُ منه أقلُّ بردًا ويُبسًا، وأَمْيَلُ إلى الاعتدال. والحامضُ أشد قبضًا ويُبسًا وبردًا. وكلُّه يسكن العطش والقىءَ، ويُدر البول، ويَعقل الطبع؛ وينفع من قَرْحة الأمعاءِ، ونفْث الدم، والهَيْضَة. وينفع من الغَثَيان. ويمنع من تصاعُد الأبخرة: إذا استُعمل بعد الطعام. وحُراقة أغصانه وورقه المغسولة، كالتوتياء فى فعله.

وهو قبل الطعام يقبض، وبعده يليِّن الطبع، ويسرع بانحدار الثقَل. والإكثارُ منه مضر بالعصب، مولِّد للقُولَنْج. ويُطفئُ المِرَّة الصفراءَ المتولدة فى المعدة.

وإن شُوِىَ: كان أقلَّ لخشونته وأخفَّ. وإذا قوِّر وسطُه، ونزع حبُّه، وجُعل فيه العسلُ، وطُيِّن جرمُه بالعجين، وأُودِع الرماد الحارَّ: نفع نفعًا حسنًا.

● **أجود ما أُكل من السفرجل:** وأجود ما أُكل مشويًّا أو مطبوخًا بالعسل. وحبُّه ينفع من خشونة الحلق، وقصبة الرئة، وكثير من الأمراض. ودُهنُه يمنع العرَق، ويقوى المعدة. والمربَّى منه تقوِّى المعدة والكبد، وتشُد القلب، وتطيِّب النفس.

ومعنى «تُجمُّ الفؤاد»: تُريحه. وقيل: تفتِّحه وتوسِّعه؛ من «جُمام الماء» وهو: اتساعه وكثرته. و «الطخاء» للقلب مثلُ الغيم على السماء؛ قال أبو عُبيد: «الطَّخاءُ: ثقَلٌ وغشاءٌ. تقول: ما فى السماء طخاءٌ؛ أى: سحابٌ وظُلمة».

٣- (سِوَاكٌ): فى الصحيحين، عنه ﷺ: «**لولا أن أشقَّ على أُمَّتى: لأمرتهم بالسِّواك عند كل صلاة**»(١). وفيهما: «**أنه ﷺ كان إذا قام من الليل: يَشُوصُ فاهُ بالسِّواك**»(٢). وفى صحيح البخارى، تعليقًا عنه ﷺ: «**السِّواك مَطْهَرَةٌ للفم، مرضاة للربِّ**»(٣). وفى صحيح مسلم: «**أنه ﷺ كان إذا دخل بيته: بدأ بالسِّواك**»(٤). والأحاديث فيه كثيرة.

وصح عنه: أنه استاك عند موته(٥). وصح عنه أنه قال: «**أكثرت عليكم فى السواك**»(٦).

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في: ١١- كتاب الجمعة (٨) باب السواك يوم الجمعة، ومسلم في: ٢- كتاب الطهارة، (١٥) باب السواك، ح (٤٢).

(٢) أخرجه البخاري.. فتح الباري (٢:٣٧٤)، ومسلم، في: ٢- كتاب الطهارة، (١٥) باب السواك، حديث (٤٦).

(٣) أخرجه البخاري تعليقًا بصيغة الجزم في: ٣٠- كتاب الصوم (٢٧) باب سواك الرطب واليابس للصائم، فتح الباري (٤: ١٥٨)، وأخرجه النسائي (١:١٠) والإمام أحمد فى «مسنده» (٦:٤٧، ٦٢، ١٢٤، ١٤٦، ٢٣٨).

(٤) أخرجه مسلم في: ٢- كتاب الطهارة، (١٥) باب السواك، حديث رقم (٤٣).

(٥) أخرج البخاري في صحيحه، في: ٦٤- كتاب المغازي (٨٣) باب مرض النبي ﷺ ووفاته، فتح الباري (٨:١٣٨)، من حديث عائشة -رضى الله عنها- قالت: «دَخَلَ عبد الرحمن بن أبى بكر على النبى ﷺ وأنا مُسْنِدَتُهُ إلى صدري ومع عبد الرحمن سواك رَطبٌ يَسْتَنُّ به، فأَبَدَّه رسول الله ﷺ بَصَرَهُ، فأخذتُ السواك فقضمته، ونفضته، وطيبته، ثم دفعته إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاستَنَّ به، فما رأيت رسول الله ﷺ استنَّ استنانًا قط أحسن منه، فما عدا أن فرغ رسول الله ﷺ رَفَع يده أو إصبعهُ، ثم قال: «في الرفيق الأعلى» ثلاثًا، ثم قضى، وكانت تقول: «مات بين حاقنتي وذاقنتي».

(٦) أخرجه البخاري في: ١١- كتاب الجمعة (٨) باب السواك يوم الجمعة، فتح الباري (٢:٣٧٤).

• أصلح أنواع السواك: وأصلح ما اتخذَ السواكُ: من خشب الأراك ونحوه. ولا ينبغي أن يؤخذ من شجرة مجهولة: فربما كانت سُمًّا. وينبغى القصد فى استعماله. فإن بالغ فيه: فربما أذهب طُلَاوةَ الأسنان وصقالتها، وهيَّأها لقبول الأبخرة المتصاعدة من المعدة والأوساخ. ومتى استعمل باعتدال: جلى الأسنان، وقوَّى العمود، وأطلق اللسان، ومنع الحفرَ، وطيَّب النَّكهة، ونقَّى الدماغ، وشهَّى الطعام.

• أجود ما يستعمل السواك: وأجود ما استعمل مبلولاً بماء الورد. ومن أنفعه: أُصول الجوْز؛ قال صاحب التيسير: «زعموا أنه إذا استاك به المستاك كلَّ خامس من الأيام: نقَّى الرأس، وصفَّى الحواسَّ، وأحدَّ الذهنَ».

• منافع السواك: وفى السواك عدة منافع: يطيِّب الفم، ويشد اللِّثة، ويقطع البلغم، ويجلو البصر، ويذهب بالحفر، ويُصحُّ المعدة، ويصفِّى الصوت، ويعين على هضم الطعام، ويسهل مجارى الكلام، وينشط للقراءَة والذكر والصلاة؛ ويطرُد النوم، ويُرضى الربَّ، ويعجب الملائكة، ويكثر الحسنات.

• متى يتأكد استعمال السواك: ويستحبُّ كلَّ وقت. ويتأكد: عند الصلاة، والوضوءِ، والانتباه من النوم، وتغيُّر رائحة الفم. ويستحب للمفطر والصائم فى كل وقت: لعموم الأحاديث فيه، ولحاجة الصائم إليه، ولأنه مرضاةٌ للرب: ومرضاتُه مطلوبة فى الصوم أشدَّ من طلبِها فى الفطر. ولأنه مَطْهَرَةٌ للفم، والطُّهور للصائم من أفضل أعماله.

• استياك الصائم ومضمضته: وفى السنن، عن عامر بن ربيعة رضى الله عنه، قال: «**رأيت رسول الله ما لا أُحصى، يستاكُ: وهو صائمٌ**»[1]. وقال البخاريُّ: قال ابن عمرَ: «يستاك أول النهار وآخره».

• الصائم أحوج إلى السواك من المفطر: وأجمع الناسُ: على أن الصائم يتمضمض وجوبًا. واستحبابًا. والمضمضة أبلغ من السواك. وليس لله غرضٌ فى التقرُّب إليه بالرائحة الكريهة، ولا هى من جنس ما شرع التعبُّدَ به. وإنما ذكر «طِيب الخُلوف عند

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصوم، باب السواك للصائم، ح (٢٣٦٤)، والإمام أحمد في «مسنده» (٣:٤٤٥).

الله يوم القيامة»: حثًّا منه على الصوم، لا حثًّا على إبقاءِ الرائحة. بل: الصائم أحوج إلى السواك من المفطر.

وأيضًا: فإن رضوان الله أكبر من استطابته لخلوف فم الصائم.

(وأيضًا): فإن محبته للسواك أَعظمُ من محبته لبقاءِ خُلوف فم الصائم.

(وأيضًا): فإن السواك لا يمنع طِيبَ الخُلوفِ – الذى يُزيله –: عند الله يوم القيامة؛ بل يأتى الصائم يوم القيامة: وخُلوفُ فمِه أَطيبُ من المسك، علامةً على صيامه، ولو أزاله بالسواك. كما أن الجريحَ يأتى يوم القيامة: ولون دم جُرحه لونُ الدم، وريحه ريحُ المسك. وهو مأمور بإزالته فى الدنيا.

(وأيضا): فإن الخُلوف لا يزول بالسواك. فإن سببه قائم، وهو: خلو المعدة عن الطعام. وإنما يزول أثره، وهو المنعقد على الأَسنان واللِّثة.

(وأيضًا): فإن النبى ﷺ علم أُمته ما يُستحب لهم فى الصيام، وما يُكره لهم. ولم يجعل السواك من القسم المكروه: وهو يعلم أنهم يفعلونه؛ وقد حضَّهم عليه بأبلغ أَلفاظ العموم والشمول: وهم يشاهدونه يَستاك وهو صائم، مرارًا كثيرة تفوت الإحصاءِ. ويعلم أنهم يقتدون به. ولم يقل لهم يومًا من الدهر: لا تستاكوا بعد الزَّوال. وتأْخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع. والله أعلم.

٤- **(سَمْنٌ)**: روى محمد بن جرير الطبرى بإسناده، من حديث صهيب يرفعه: «**عليكم بألبان البقَر: فإنها شفاءٌ، وسمنها دواءٌ، ولحومها داءٌ**». رواه عن أحمد ابن الحسن الترمذى: حدثنا محمد بن موسى النسائى، حدثنا دفَّاع بن دَغْفَلٍ السدوسى، عن عبد الحميد بن صَيفى بن صهيب، عن أبيه، عن جده. ولا يثبت ما فى هذا الإسناد.

والسمن حار رطب فى الأُولى. وفيه جلاءٌ يسير، ولطافة، وتفشية للأَورام الحادثة من الأَبدان الناعمة. وهو أَقوى من الزُّبد: فى الإنضاج والتَّلْيين وذكر جالينوس: «أنه أبرأَ به الأَورام الحادثة فى الأُذن، وفى الأَرنبة». وإذا دلك به موضعُ الأَسنان: نبتت سريعًا.

وإذا خلط مع عسل ولَوْز مرٌّ: جلا ما في الصدر والرئة، والكَيموسات الغليظة اللزجة. إلا أنه ضار بالمعدة: سيَّما إذا كان مزاجُ صاحبها بلغميا.

وأما سمن البقر والمعز؛ فإنه إذا شرب مع العسل: نفع من شرب السم القاتل، ومن لدغ الحيات والعقارب. وفى كتاب ابن السُّنى، عن على بن أبى طالب رضى الله عنه، قال: «لم يَسْتشفِ الناس بشيءٍ أفضل من السمن».

٥- (سَمَكٌ)؛ روى الإمام أحمد بن حنبل، وابن ماجه فى سننه، من حديث عبدالله بن عمر، عن النبى ﷺ، أنه قال: «**أُحلت لنا مَيتَتان ودمان: السمكُ والجراد، والكبد والطِّحال**»(١).

● **أجود أنواع السمك؛** أصناف السمك كثيرة. وأجوده: ما لذَّ طعمه، وطاب ريحه، وتوسط مقداره؛ وكان رقيق القشر، ولم يكن صُلب اللحم ولا يابسه؛ وكان فى ماءٍ عذب جارٍ على الحصباء، ويتغذى بالنبات، لا الأَقذار. وأَصلح أماكنه: ما كان فى نهر جيدِ الماء، وكان يأْوى إلى الأَماكن الصخرية، ثم الرملية، والمياه الجارية العذبة التى لا قذر فيها ولا حَمْأَة (الطين الأسود المنتن)، الكثيرة الاضطراب والتموج، المكشوفة للشمس والرياح.

● **السمك البحرى؛** والسمك البحرى فاضل لطيف. والطرى منه بارد رطب، عَسِر الانهضام، يولِّد بلغمًا كثيراً. إلا البحرى وما جرى مجراه: فإنه يولد خلْطًا محمودا. وهو يخصب البدن، ويَزيد فى المنيِّ، ويصلح الأَمزاج الحارة.

● **السمك المالح؛** وأَما المالحُ فأَجوده: ما كان قريب العهد بالتملُّح. وهو حار يابس، وكلما تقادم عهده: ازداد حره ويبسه. والسلور منه كثير اللزوجة، ويسمى الجرِّىَّ. واليهود لا تأْكله. وإذا أُكل طريًّا: كان مليِّنًا للبطن. وإذا ملِّح وعتق وأُكل: صفى قصبة الرئة، وجود الصوت. وإذا دُق وَوُضع من خارج: أَخرج السَّلَى والفضول من عمق البدن، من طريق أن له قوة جاذبة.

وماءُ ملح الجرى المالح إذا جلس فيه من كانت به قرحة الأَمعاءِ، فى ابتداءِ العلة، وافقه: بجذبه الموادّ إلى ظاهر البدن. وإذا احتقن به: أبرأَ من عرق النسا.

(١) أخرجه ابن ماجه في: ٢٨- كتاب الصيد، (٩) باب صيد الحيتان والجراد، ح (٣٢١٨)، ص (١٠٧٣).

● **أجود ما فى السمك**: وأجود ما فى السمك ما قربُ من مؤخرها. والطرىُّ السمين منه يخصب البدنَ لحمه ووَدَكه.

فى الصحيحين - من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما، قال: «**بعثنا النبى ﷺ فى ثلثمائة راكب، وأميرنا أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه. فأتينا الساحل، فأصابنا جوع شديد: حتى أكلنا الخَبط. فألقى لنا البحر حوتًا يقال لها: عَنبر. فأكلنا منه نصف شهرٍ، وائتدمْنا بوَدَكه: حتى ثابت أَجسامنا. فأخذ أبو عبيدة ضلعًا من أضلاعه، وحمل رجلا على بعيره، ونصبه فمرَّ تحتَه**»(1).

٦- **(سِلْقٌ)**: روى الترمذىُّ وأبو داودَ، عن أُم المُنذر، قالت: «**دخل رسول الله ﷺ ومعه علىٌّ رضى الله عنه، ولنا دَوَالٍ معلَّقَةٌ. (قالت): فجعل رسول الله ﷺ يأكلُ، وعلىٌّ معه يأكلُ. فقال رسول الله ﷺ: مَهْ يا علىُّ فإنك ناقهٌ. (قالت): فجعلتُ لهم سِلْقًا وشَعيراً؛ فقال النبى ﷺ: يا علىُّ فأَصِبْ من هذا: فإنه أَوفَقُ لك**»(2).

قال الترمذىُّ: حديثٌ حسن غريب.

السلق حار يابس فى الأُولى. وقيل: رطب فيها. وقيل: مركب منهما. وفيه برودةٌ ملطِّفة، وتحليلٌ وتفتيحٌ. وفى الأَسود منه قبضٌ، ونفعٌ من داء الثعلب، والكَلَف، والحزَازِ والثآليل: إذا طُلىَ بمائه. ويقتل القمل. ويُطلَى به القُوباءُ مع العسل، ويفتِّح سدد الكبد والطِّحال.

وأَسودُه يَعقلُ البطن ولا سيَّما مع العدَس، وهما رديئان. والأَبيض يليِّن مع العدس ويُحقن بمائه للإسهال، وينفع من القُولَنْج معه المرِىِّ والتَّوابل. وهو قليل الغذاءِ، ردىءُ الكَيْمُوس، ويحرق الدم، ويصلحه الخل والخَرْدَل. والإكثار منه يولِّد القبض والنفخ.

حـــرف الشـــين

١- **(شُونِيزٌ)**: هو الحبة السوداء، وقد تقدم فى حرف الحاء.

---

(١) أخرجه البخاري في: ٧٢- كتاب الذبائح والصيد، (١٢) باب قول الله تعالى ﴿أحل لكم صيد البحر﴾، فتح الباري (٩:٦١٤)، ومسلم في: ٣٤- كتاب الصيد والذبائح، (٤) باب إباحة ميتات البحر، حديث (١٧)، والخبط ما خبط على ورق الشجر ليسقط.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢:١٣٩).

٢- **(شُبْرُمٌ)**، روى الترمذىُّ وابن ماجه فى سننهما – من حديث أسماءَ بنت عمَيْس – قالت: «**قال رسول الله ﷺ: بماذا كنتِ تَسْتَمْشِين[(١)]؟ قالت: بالشُّبْرُم. قال: حَارٌّ يار**»[(٢)].

الشبرم[(٣)]: شجر صغير وكبير كقامة الرجل وأرجح له قضبانٌ حمر ملمعة ببياض، وفى رؤُوس قضبانه جُمَّةٌ من ورق؛ وله نَوْر صغار أصفر إلى البياض، يسقط ويخلفه مراودُ صغار: فيها حبٌّ صغير مثل البُطْم فى قدره أحمرُ اللون، ولها عروقٌ عليها قشورٌ حمر. والمستعمل منه: قشرُ عروقه، ولبن قضبانه.

وهو حار يابس فى الدرجة الرابعة. ويسهِّل السوداءَ والكَيْمُوسات الغليظةَ والماء الأَصفر والبلغم. مكربٌ مُغَثٌّ. والإكثار منه يقتل. وينبغى إذا استُعمل أن ينقَعَ فى اللبن الحليب يومًا وليلةً، ويغيَّر عليه اللبن – فى اليوم – مرتيْن أو ثلاثًا، ويُخرجَ ويجفَّفَ فى الظل، ويُخلط معه الوردُ والكَثيراءُ ويُشربَ بماءِ العسل أَو عصير العنب. والشربة منه: ما بيْن أَربعِ دوانــقَ إلى دانقَيْــن، على حسب القوة. قال حُنَيْن: «أَمَّا لبنُ الشُّبْرُم، فلا خير فيه، ولا أَرى شــربه البتة: فقــد قَتــل به أَطباءُ الطُّرقات كثيرًا من الناس».

٣- **(شَعِيرٌ)**، روى ابن ماجه – من حديث عائشة – قالت: «**كان رسول الله ﷺ إذا أَخذ أَحدا من أَهله الوَعْكُ: أَمَره بالحَسَاءَ من الشَّعير فصُنع؛ ثم أَمَرهم فحَسوا منه، ثم يقول: إنه ليرْتو فؤاد الحزين، ويَسْرو عن فؤاد السقيم: كما تسروا إحداكن الوسخ بالماءِ عن وجهها**»[(٤)]. ومعنى «يرثوه»: يشُدُّه ويقوِّيه. و«يَسرُو»: يكشف ويُزيل.

وقد تقدم أن هذا هو: ماء الشعير المغلىُّ. وهو أكثر غذاءً من سويقه. وهو نافع

---

(١) أى تمشية البطن لتليين الطبيعة.

(٢) هو في الترمذي، في: ٢٩- كتاب الطب، (٣٠) باب ما جاء في السَّنَا، ح (٢٠٨١)، كما أخرجه ابن ماجه (٢:١١٤٥) بلفظ حار جار وهو ما يسمى بالاتباع في اللغة.

(٣) الشبرم: نبات له حب يشبه الحمص، كان يستعمل قديمًا بطبخه وشرب مائه للتداوى، وبطل استعماله لكثرة أنواعه السام منها.

(٤) أخرجه الترمذي في: ٢٩- كتاب الطب (٣) باب ما جاء ما يُطعِمُ المريضُ، ح (٢٠٣٩).

للسعال وخشونة الحلق، وصالح لقَمْع حِدَّة الفُضول، مدرٌّ للبول، جلاء لما فى المعدة، قاطع للعطش، مُطْفِىءٌ للحرارة، وفيه قوة يجلو بها ويلطف ويحلل.

وصفتهُ: أن يؤخذَ من الشعير الجيد المرضُوض مقدارٌ، ومن الماءِ الصافى العذب خمسةُ أمثاله. ويُلقى فى قِدْر نظيف، ويطبخ بنار معتدلة إلى أن يَبقى منه خُمساه، ويُصفَّى ويُستعملَ منه مقدارُ الحاجة مُحلاً.

٤- (شَوِيٌّ): قال الله تعالى فى ضيافة خليله إبراهيم -عليه السلام- لأضيافه: ﴿ **فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ** ﴾ (هود: ٦٩). و (الحَنيذُ): المشوى على الرَّضْف؛ وهى: الحجارة المُحْمَاة.

وفى الترمذي – عن أُم سلمة رضى الله عنها-: «**أنها قرَّبت إلى رسول الله ﷺ جنبًا مشويًا، فأكل منه، ثم قام إلى الصلاة: وما توضأ**»[(١)] قال الترمذى: حديث صحيح. وفيه أيضًا، عن عبد الله بن الحارث، قال: «**أكلنا مع رسول الله ﷺ شواءً فى المسجد**»[(٢)]. وفيه أيضًا، عن مغيرةَ بن شعبة قال: «**ضفت مع رسول الله ﷺ ذات ليلة – فأمر بجنبٍ فشوىَ، ثم أخذ الشفرة فجعل يحزُّ لى بها منه. (قال): فجاءَ بلال يؤذن للصلاة، فألقى الشفرة، فقال: مالَه تَرِبَتْ يداه**»[(٣)].

● **أنفع الشَّوى:** أنفع الشوىٌ: شويُّ الضأن الحوْلىٌّ، ثم العجل اللطيف السمين. وهو حار رطب إلى اليبوسة، كثير التوليد للسوداء، وهو من أغذية الأقوياء والأصحاء والمُرتاضين. والمطبوخ أنفع وأخف على المعدة، وأرطب منه ومن المطجَّن.

● **أردأ الشوى:** وأردؤُه: المشوى فى الشمس. والمشوى على الجمر خير من المشوى باللهيب، وهو: الحنيذ.

● **(شَحْمٌ):** ثبت فى المسند عن أنس: «**أن يهوديًّا أضاف رسول الله فقدَّم له خبز شعير، وإهالةً سَنِخة**»[(٤)]. و (الإهالة): الشحم المذاب، والألية. و (السَّنِخة): المتغيرة (متغيرة الطعم من قدمها).

---

(١) أخرجه الترمذي في: ٢٦- كتاب الأطعمة (٢٧) باب ما جاء فى أكل الشِّواء، ح (١٨٢٩).

(٢) مسند أحمد (٤:١٩٠، ١٩١).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة (باب) في ترك الوضوء مما مست النار، ح (١٨٧).

(٤) الحديث في مسند الإمام أحمد (٣:٢١١، ٢٧٠).

وثبت فى الصحيح، عن عبد الله بن مغفل، قال: «**دلى جراب من شحم، يوم خيبر، فالتزمته وقلت: والله لا أعطى أحداً منه شيئًا فالتفتُّ فإذا رسول الله ﷺ: يضحك، ولم يقل شيئًا**»(1).

● **أجود الشحم:** أجود الشحم ما كان من حيوان مكتمل. وهو حار رطب، وهو أقل رطوبةً من السمن، ولهذا، لو أُذيب الشحم والسمن: كان الشحم أسرع جموداً.

● **فوائد الشحم:** وهو ينفع من خشونة الحلق، ويرخى، ويعفن. ويدفع ضرره باللَّيْمون المملُوح والزنجبيل. وشحم المَعز أقبض الشحوم. وشحم التُّيوس أشد تحليلا، وينفع من قروح الأمعاءِ. وشحم العنز أقوى فى ذلك، ويحتقَن به للسَّحْج والزَّحير.

حرف الصاد

١- (صَلاَةٌ): قال الله تعالى: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ، وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَىٰ الْخَاشِعِينَ**﴾ (البقرة: ٤٥). وقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ (البقرة: ١٥٣). وقال تعالى: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ؛ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ**﴾ (طه: ١٣٢).

وفى السنن: «**كان رسول الله ﷺ إذا حَزبه أمر فزع إلى الصلاة**» وقد تقدم ذكر الاستشفاء بالصلاة من عامة الأوجاع، قبل استحكامها.

● **من فوائد الصلاة:** والصلاة مَجلَبة للرزق، حافظةٌ للصحة، دافعة للأذى، مَطردة للأدواءِ، مقوية للقلب، مبيِّضة للوجه، مفرحة للنفس، مذهبة للكسل، منشِّطة للجوارح، ممدَّة للقُوى، شارحة للصدر، مغذية للرُّوح، منوِّرة للقلب؛ حافظة للنعمة، دافعة للنقمة، جالبة للبركة، مبعدة من الشيطان، مقرِّبة من الرحمن.

وبالجملة: فلها تأثيرٌ عجيب فى حفظ صحة البدن والقلب وقواهما، ودفع المواد الرديئة عنهما. وما ابتلى رجلان بعاهة أو داءٍ أو محنة أو بلية، إلا كان حظ المصلى منهما أَقلَّ، وعاقبتُه أَسلم.

وللصلاة تأثير عجيب: فى دفع شرور الدنيا، ولا سيما إذا أُعطيت حقها: من

---

(١) أخرجه البخاري في: ٥٧- كتاب الخمس، (٢٠) باب ما يصيب من الطعام في أرض الحرب، فتح الباري (٦:٢٥٥)، ومسلم في: ٣٢- كتاب الجهاد والسير، (٢٥) باب جواز الأكل من طعام الغنيمة في دار الحرب، ح (٧٢).

التكميل ظاهراً وباطناً. فما استدفعت شرور الدنيا والآخرة، واستجلبَت مصالحهما - بمثل الصلاة. وسرُّ ذلك: أن الصلاة صلةٌ بالله عز وجل، وعلى قدر صلة العبد بربه عز وجل، تفتح عليه من الخيرات أبوابها. وتُقطع عنه من الشرور أسبابها، وتفيض عليه مواد التوفيق من ربه عز وجل. والعافية والصحة، والغنيمة والغنى، والراحة والنعيم، والأفراح والمسرات - كلها محضرةٌ لديه، ومسارعةٌ إليه.

٢- **(صَبْرٌ):** الصبر نصف الإيمان: فإنه ماهيَّةٌ مركبة من صبرٍ وشكرٍ كما قال بعض السلف: «الإيمانُ نصفان: نصفٌ صبرٌ، ونصفٌ شكرٌ». قال تعالى: ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ** ﴾ (إبراهيم: ٥).

● **أنواع من الصبر:** والصبرُ من الإيمان، بمنزلة الرأس من الجسد. وهو ثلاثة أنواع: صبرٌ على فرائض الله، فلا يضيِّعها. وصبر عن مَحارمه، فلا يرتكبُها. وصبر على أقضيته وأقداره، فلا يتسخَّطُها. ومن استكمَلَ هذه المراتب الثلاث: استكمَل الصبرَ ولذةُ الدنيا والآخرة ونعيمُهما، والفوزُ والظفَرُ فيهما - فلا يَصِل إليه أحدٌ إلا على جسْر الصبر: كما لا يَصل أحد إلى الجنة إلا على الصراط قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «خيرُ عيشٍ أدركناه بالصبر».

وإذا تأملتَ مراتب الكمال المكتسب فى العالم: رأيتَها كلها مَنُوطةً بالصبر وإذا تأملتَ النقصان - الذى يُذم صاحبُه عليه، ويدخل تحت قدرته - رأيته كله من عدم الصبر. فالشجاعةُ والعفة والجود والإيثارُ - كلُّه صبرُ ساعة:

فالصَّبْرُ طِلَّسْمٌ عَلَى كَنْزِ الْعُلاَ مَنْ حَلَّ ذَا الطِّلَّسْمَ: فَازَ بِكَنْزِهِ

وأكثر أسقام البدن والقلب، إنما تنشأُ من عدم الصبر. فما حُفظتْ صحةُ القلوب والأبدان والأرواح، بمثل الصبر. فهو: الفاروق الأكبر، والتِّرياق الأعظم. ولو لم يكن فيه إلا معيةُ الله مع أهله: فإن الله مع الصابرين، ومحبتُه لهم: فإن الله يحب الصابرين، ونصرُه لأهله: «فإن النصرَ مع الصبر»؛ وأنه خير لأهله: ﴿ **وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ** ﴾ (النحل: ١٢٦)، وأنه سبب الفلاح: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ (آل عمران: ٢٠٠).

٣- **(صَبِرٌ):** روى أبو داودَ فى كتاب المَراسيل - من حديث قيس بن رافع

القَيْسيِّ رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «**ماذا في الأَمَرَّين من الشفاءِ؟: الصَبِرِ والثُّفَّاءِ**»(١).

وفي السنن لأبي داودَ – من حديث أُم سَلَمَةَ – قالت: «**دخل عليَّ رسول الله ﷺ، حين تُوفِّيَ أبو سلمةَ – وقد جعلتُ عليَّ صبراً – فقال: ما هذا يا أُمَّ سلمةَ؟ فقلت: إنما هو صبرٌ يا رسول الله، ليس فيه طِيبٌ. قال: إنه يَشُبُّ الوجه، فلا تجعليه إلا بالليل. ونَهى عنه بالنهار**»(٢).

● **منافع الصَّبِر:** الصَّبِرُ كثير المنافع – لا سيما الهنديَّ منه –: ينقِّي الفُضول الصفراويةَ التى فى الدماغ وأعصاب البصر؛ وإذا طُلِيَ على الجبهة والصُّدْغ بدُهن الورد: نفع من الصداع. وينفع من قروح الأنف والفم، ويسهل السَّوداءَ والماليخُولْيا.

● **الصَّبِر الفارسى:** والصبر الفارسي يذكِّي العقل، ويَشُد الفؤاد، وينقِّي الفضول الصفراويةَ والبلغميةَ من المعدة: إذا شُرب منه ملْعقتان بماءٍ. ويردُّ الشهوةَ الباطلة والفاسدة وإذا شُرب فى البرد: خِيف أن يُسهل دمًا.

٤- **(صَوْمٌ):** الصوم جُنةٌ من أدواءِ الروح والقلب والبدن، منافعُه تفوت الإحصاءَ. وله تأثيرٌ عجيب: فى حفظ الصحة، وإذابة الفضلات وحبْس النفس عن تناول مؤذياتها، ولا سيما: إذا كان باعتدال وقصد فى أفضلِ أوقاته شرعًا، وحاجة البدن إليه طبعًا. ثم إن فيه–: من إراحة القُوى والأعضاء. – ما يحفظ عليها قُواها. وفيه خاصيةٌ تقتضى إيثاره، وهى: تفريحه للقلب عاجلاً وآجلاً. وهو أنفع شيءٍ لأصحاب الأمزجة الباردة والرطبة، وله تأثير عظيم: فى حفظ صحتهم.

● **الصوم من الأدوية الروحانية:** وهو يدخل فى الأدوية الروحانية والطبيعية. وإذا راعى الصائم فيه ما ينبغى مراعاتُه طبعًا وشرعًا: عظُم انتفاعُ قلبه وبدنه به؛ وحبَس عنه الموادَّ الغريبة الفاسدة التى هو مستعد لها، وأزال الموادَّ الرديئة الحاصلة بحسب كماله ونقصانه. ويَحفظ الصائمَ مما ينبغى أن يتحفظ منه؛ ويُعينه على قيامه بمقصود الصوم وسره وعلته الغائيَّة. فإن القصد منه أمر آخر وراءَ ترك الطعام والشراب. وباعتبار ذلك الأمر، اختُصَّ من بين الأعمال: بأنه لله سبحانه. ولَمَّا كان وقايةً وجُنةً بيْن العبد

---

(١) الحديث ضعيف، وقد رواه أبو داود في المراسيل والثفاء حب الخردل.

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الطلاق، (باب) فيما تجتنبه المعتدة في عدتها، ح (٢٣٠٥).

وبيْن ما يؤذى قلبه وبدنه عاجلاً وآجلاً، قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ **(البقرة: ١٨٣)**. فأحدُ مقصودَى الصيام: الجُنةُ والوقاية؛ وهى حِمية عظيمةُ النفع. والمقصودُ الآخر: اجتماعُ القلب والهمِّ على الله تعالى، وتوفيرُ قُوى النفس على محابِّه وطاعته. وقد تقدم الكلام فى بعض أَسرار الصوم: عند ذكر هديه ﷺ فيه.

حـــرف الضـــاد

١- (ضَبٌّ): ثبت فى الصحيحين - من حديث ابن عباس -: أن رسول الله ﷺ سُئل عنه - لما قُدِّم إليه، وامتَنع من أكله -: أحرام هو؟ فقال: «**لا؛ ولكنْ لم يكن بأرض قومى، فأَجِدُنى أعافُه**». وأُكل بين يديه وعلى مائدته: وهو ينظر. وفى الصحيحين - من حديث ابن عمرَ رضى الله عنهما، عنه ﷺ- أنه قال: «**لا أُحلُّه، ولا أُحرِّمُه**».

وهو حار يابس، يقوِّى شهوة الجماع. وإذا دُق ووُضع على موضع الشَّوكة: اجتذَبَها.

٢- (ضِفْدِعٌ): قال الإمام أَحمدُ: «الضِّفدعُ لا يَحِل فى الدواء؛ نهى رسول الله ﷺ عن قتلها». يريد الحديثَ الذى رواه فى مسنده - من حديث عثمان بن عبد الرحمن رضى الله عنه-: «**أن طبيبًا ذكر ضِفدعًا فى دواءٍ، عندَ رسول الله ﷺ، فنهاه عن قتلها**».

قال صاحب القانون: «من أكل من دم الضفدع أو جرمه: ورِم بدنه، وكمد لونه، وقذف المنىَّ حتى يموتَ. ولذلك ترك الأَطباءُ استعماله: خوفًا من ضرره».

● **نوعان من الضفادع**: وهى نوعان: مائيَّة وترابيَّة. والترابية يقتل أَكلُها.

حـــرف الطـــاء

١- (طِيبٌ): ثبت عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «**حُبِّب إلىَّ من دنياكم النساءُ والطِّيبُ، وجُعلتْ قُرةُ عينى فى الصلاة**» وكان رسول الله ﷺ: يُكثرُ التطيُّبَ، وتشتدُّ عليه الرائحة الكريهة، وتَشقُّ عليه.

والطيب غذاءُ الروح التى هى مطية القُوى. والقُوى تتضاعف وتزيد بالطيب:

كما تزيد بالغذاء والشراب، والدَّعَة والسرور، ومعاشرة الأحبة، وحدوث الأُمور المحبوبة، وغَيبة من تسر غيبتُه، ويَثقُل على الروح مشاهدته كالثُّقلاء والبُغَضاء: فإن معاشرتهم تُوهِن القُوى، وتَجلب الهم والغم، وهى للروح بمنزلة الحُمَّى للبدن، وبمنزلة الرائحة الكريهة. ولهذا كان مما حبَّب الله سبحانه الصحابةَ نهيهُم، عن التخلُّق بهذا الخُلق في معاشرة رسول الله ﷺ، لتأذِّيه بذلك. فقال: ﴿**إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ**﴾ **(الأحزاب: ٥٣).**

● **الطيب مما أحبه ﷺ:** والمقصود: أن الطِّيب كان من أَحبِّ الأَشياءَ إلى رسول الله ﷺ وله تأْثيرٌ: فى حفظ الصحة، ودفع كثير من الآلام وأسبابها، بسبب قوة الطبيعة به.

٢- (طينٌ): ورد فى أَحاديثَ موضوعةٍ لا يصح منها شىءٌ، مثلُ حديث: «**من أَكل الطِّينَ فقد أَعانَ على قتلِ نفسه**»(1). ومثلُ حديث: «**يا حُمَيْراءُ لا تأْكلى الطينَ: فإنه يَعصِم البطنَ، ويصفِّر اللونَ، ويُذهب بهاءَ الوجه**»(2).

وكلُّ حديث فى الطين فإنه لا يصح، ولا أَصلَ له عن رسول الله ﷺ، إلا أنه رديءٌ مؤذٍ: يسُد مجارى العروق، وهو بارد يابس، قويُّ التجفيف. ويمنع استطلاقَ البطن، ويُوجب نفْثَ الدم، وقروحَ الفم.

٣- (طَلْحٌ): قال تعالى: ﴿**وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ**﴾ **(الواقعة: ٢٩).** قال أكثر المفسرين: «هو المَوْز». و (المنضودُ) هو: الذى قد نُضِد بعضُه على بعض كالمُشْط. وقيل: «الطلحُ: الشجر ذو الشوك، نُضد مكانَ كل شوكة ثمرةٌ. فثمرُه قد نُضد بعضُه إلى بعض؛ فهو مثل الموز». وهذا القول أَصح، ويكون من ذكر الموزَ - : من السلف. - أراد التمثيل، لا التخصيصَ. والله أعلم.

وهو حار رطب. أَجوده: النَّضيج الحلو. ينفع من خشونة الصدر والرئة والسعال، وقروح الكُلْيتَيْن والمثانة. ويُدِر البول، ويَزيد فى المنىِّ، ويحرِّك شهوة

---

(١) موضوع، الموضوعات لابن الجوزي (٣٠:٣).

(٢) موضوع، المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن قيم الجوزية من تحقيقنا.

الجماع، ويليِّن البطن. ويؤكل قبل الطعام. ويَضر المعدة، ويزيد في الصفراء والبلغم. ودفعُ ضرره: بالسكر أو العسل.

٤- (طَلْعٌ): قال تعالى: ﴿**وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ**﴾ **(ق: ١٠)**. وقال تعالى: ﴿**وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ**﴾ **(الشعراء: ١٤٨)**.

طلعُ النخل: ما يبدو من ثمرته في أول ظهوره. وقشرُه يسمى: الكُفرَّى. و (النضيدُ): المَنْضود الذى قد نُضد بعضه على بعض، وإنما يقال له نضيدٌ: ما دام في كُفُرَّاه فإذا انفتح فليس بنضيد. وأما (الهضيم) فهو: المنضم بعضُه إلى بعض، فهو كالنضيد أيضا. وذلك يكون قبل تشقُّق الكُفُرَّى عنه.

والطلع نوعان: ذكرٌ وأُنثى. و (التَّلْقيحُ) هو: أن يُؤخذَ من الذكر – وهو مثل دقيق الحنطة – فيُجعلَ في الأُنثى، وهو: التأبير. فيكون ذلك بمنزلة اللَّقاح بين الذكر والأُنثى.

وقد روى مسلم في صحيحه، عن طلحةَ بن عُبيد الله رضي الله عنه، قال: «**مررتُ مع رسول الله ﷺ في نخلٍ، فرأى قومًا يُلَقِّحون، فقال: ما يصنعُ هؤلاء؟ قالوا: يأخُذون من الذكر، فيجعلونه في الأُنثى. قال: ما أَظن ذلك يُغني شيئًا. فبلغهم فتركوه: فلم يَصلُحْ. فقال النبي ﷺ: إنما هو ظنٌّ؛ فإن كان يُغني شيئًا فاصنَعوه. فإنَّما أنا بشرٌ مثلُكم، وإن الظن يُخطيءُ ويُصيبُ. ولكنْ: ما قلتُ لكم عن الله عز وجل، فلن أكذب على الله**» انتهى(١).

• **منافع طلع النخل:** طلعُ النخل ينفع من الباه، ويَزيد في المُباضَعة. ودقيقُ طلعه إذا تحملتْ به المرأةُ قبل الجماع: أعان على الحبَل إعانةً بالغة. وهو في البرودة واليُبوسة، في الدرجة الثانية، يقوِّي المعدة ويخفِّفها، ويسكِّن ثابرة الدم مع غلظة وبطءِ هضم.

ولا يحتمله إلا أَصحابُ الأَمزجة الحارة. ومن أكثر منه فإنه ينبغي أن يأخذ عليه شيئًا من الجُوَارشات الحارة. وهو يَعقل الطبع، ويقوِّي الأحشاءَ. والجُمَّارُ يجري مجراه، وكذلك البلحُ والبُسرُ. والإكثارُ منه يُضر بالمعدة والصدر، وربما أورث القُولَنْج. وإصلاحُه: بالسمن، أو بما تقدم ذكره.

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في: ٤٣- كتاب الفضائل (٣٨) باب وجوب امتثال ما قاله شرعًا (٤: ١٨٣٥)، وأخرجه ابن حبان في: ١- كتاب الاعتصام بالسنة / الحديث رقم (٢٣).

حـــرف العـــين

١- (عِنَبٌ): فى الغَيْلانيَّات – من حديث حَبيب بن يَسَار، عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: «**رأيت رسول الله يأكلُ العنبَ خَرْطًا**»(١).

قال أبو جعفر العَقيلىُّ (في كتابه: الضعفاء الكبير): «لا أَصلَ لهذا الحديث».

قلت: وفيه داودُ بن عبد الجبار أبو سُلَيم الكوفىُّ، قال يحيى بن مَعين: كان يكذب.

ويُذكر عن رسول الله ﷺ: «**أنه كان يُحبُّ العنبَ والبِطيخَ**».

● **فوائد العنب:** وقد ذكر الله سبحانه العنب – فى ستة مواضعَ من كتابه – فى جملة نعمه التى أنعم بها على عباده(٢): فى هذه الدار، وفى الجنة. وهو من أَفضل الفواكه وأكثرها منافعَ. وهو يؤكل رطبًا ويابسًا، وأَخضرَ ويانعًا. وهو فاكهةٌ مع الفواكه، وقوتٌ مع الأَقوات، وأُدمٌ مع الإدام، ودواءٌ مع الأَدوية، وشرابٌ مع الأَشربة. وطبعُه طبعُ الحَبَّات: الحرارة والرطوبةُ. وجيدُه: الكُبَّار المائىُّ. والأَبيضُ أَحمدُ من الأَسود: إذا تساويا فى الحلاوة. والمتروكُ بعد قطفه يومين أَو ثلاثة، أَحمدُ من المقطوف فى يومه: فإنه مُنفخ مُطلق للبطن. والمعلَّقُ حتى يَضمُرَ قشرُه: جيدٌ للغذاء، مقوٍّ للبدن. وغذاؤُه كغذاءِ التِّين والزَّبيب. وإذا أُلقىَ عَجَمُ العنب: كان أكثر تليينًا للطبيعة. والإكثارُ منه مصدع للرأس ودفعُ مضرته: بالرمان المُزِّ. ومنفعةُ العنب: يُسهِّل الطبع، يسمن ويَغذو جيده غذاءً حسنًا.

وهو أَحد الفواكه الثلاث – التى هى ملوك الفواكه – وهو والرُّطب والتين.

٢- (عَسَلٌ): قد تقدم ذكر منافعه.

قال ابن جُرَيج: قال الزُّهرىُّ: «عليك بالعسل، فإنه جيد للحفظ».

وأَجودُه أَصفاه وأَبيضُه، وأَلينُه حدة، وأَصدقه حلاوة، وما يؤخذ من الجبال والشجر، له فضلٌ على ما يؤخذ من الخلايا. وهو بحسب مرعَى نَحْله.

٣- (عَجْـوَةٌ): فى الصحيحين من حديث سعد بن أَبى وقَّاص رضى الله عنه، عن النبى ﷺ، أنه قال: «**مَن تصبَّح بسبع تَمَرات عجوة، لم يضرَّه ذلك اليومَ سمٌّ ولا سحرٌ**».

---

(١) الموضوعات (٢:٢٧٨).

(٢) ورد ذكر العنب فى أحد عشر موضعًا فى القرآن الكريم انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٤٨٩.

وفى سنن النَّسائىِّ وابن ماجه – من حديث جابر وأبى سعيد رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ : «**العجوةُ من الجنة، وهى شفاءٌ من السم. والكَمْأةُ من المَنِّ، وماؤُها شفاءٌ للعين**».

وقد قيل: إن هذا فى عجوة المدينة. وهى أحد أصناف التمرِ بها، ومن أنفع تمر الحجاز على الإطلاق، وهى صِنف كريم ملذَّذ، متين الجسم والقوة، من ألين التمر وأطيبه وألذِّه.

وقد تقدم ذكرُ التمر وطبعه ومنافعه فى حرف التاءِ، والكلامُ على دفع العجوة للسم والسحر. فلا حاجة لإعادته.

٤- **(عَنْبَرٌ) من أنواع السمك:** تقدم فى الصحيحين، من حديث جابر، فى قصة أَبى عُبيدةَ وأكلِهم من العنبر نصفَ شهر، وأنهم تزوَّدوا من لحمه وشائقَ إلى المدينة، وأرسلوا منه إلى النبى ﷺ . وهو أحد ما يدل: على أن إباحة ما فى البحر لا يَختص بالسمك، وعلى أن ميتته حلال.

واعتُرِض على ذلك: بأن البحر ألقاه حيا، ثم جَزَر عنه الماءَ فمات، وهذا حلال: فإن موته بسبب مفارقته للماء.

وهذا لا يصح: فإنهم إنما وجدوه ميتًا بالساحل، ولم يشاهدوه قد خرج عنه حيًّا، ثم جزر عنه الماءُ. **(وأيضًا)**: فلو كان حيا لما ألقاه البحر إلى ساحله؛ فإنه من المعلوم أن البحر إنما يقذف إلى ساحله الميتَ من حيواناته، لا الحىَّ منها.

(وأيضًا): فلو قدِّر احتمالُ ما ذكروه، لم يجز أن يكون شرطا فى الإباحة: فإنه لا يُباح الشىءُ مع الشك فى سبب إباحته. ولهذا مَنع النبى ﷺ من أكل الصيد: إذا وجده الصائد غريقًا فى الماءِ؛ للشك فى سبب موته: هل هو الآلة؟ أم الماء؟.

● **العنبر أحد أنواع الطيب:** وأما العنبرُ الذى هو أحد أنواع الطِّيب، فهو من أفخر أنواعه بعد المسك. وأخطأ من قدَّمه على المسك، وجعله سيد أنواع الطِّيب. وقد ثبت عن النبى ﷺ، أنه قال فى المِسْك: «**هو أَطيبُ الطِّيب**»[1] وسيأتى إن شاءَ الله تعالى – ذكرُ الخصائص والمنافع التى خُص بها المسكُ، حتى إنه طيبُ الجنة. والكُثبانُ – التى هى مقاعدُ الصدِّيقين هناك – من مسكٍ لا من عنبرٍ.

---

(١) أخرجه مسلم في: ٤٠- كتاب الألفاظ من الأدب، (٥) باب استعمال المسك، ح (١٩).

والذى غَرَّ هذا القائلَ: أنه لا يدخله التغيُّر على طول الزمان، فهو كالذهب وهذا لا يدل على أنه أفضل من المسك: فإنه بهذه الخاصيَّة الواحدة، لا يقاوِم ما فى المسك من الخواصِّ.

● **أنواع من العنبر:** وبعد فضروبه كثيرة، وألوانه مختلفة. فمنه: الأبيض والأشهب، والأحمر والأصفر، والأخضر والأزرق، والأسود وذو الألوان. وأجوده: الأشهب، ثم الأزرق، ثم الأصفر. وأردؤه: الأسود.

● **من أى العناصر العنبر:** وقد اختلف الناس فى عنصره، فقالت طائفة: هو نبات يَنبُت فى قعر البحر، فيبتلعه بعض دوابِّه، فإذا ثملتْ منه: قذفتْه رَجيعًا، فيقذفه البحر إلى ساحله.

وقيل: طَلٌّ ينزل من السماءِ فى جزائر البحر، فتُلقيه الأمواج إلى الساحل. وقيل: رَوْثُ دابة بحرية، تُشبه البقرةَ. وقيل: بل هو جُفاءٌ من جُفَاءِ البحر، أى: زَبَدٌ.

وقال صاحب القانون: «هو -فيما يُظن- ينبع من عين فى البحر والذى يُقال-: أنهُ زبد البحر، أو روثُ دابة. بعيدٌ» انتهى.

● **فوائد العنبر:** ومزاجه حار يابس: مقوٍّ للقلب والدماغ والحواس وأعضاءِ البدن، نافع من الفالِج واللَّقْوة، والأمراض البلغمية، نافع من أوجاع المعدة الباردة، والرياح الغليظة؛ ومن السدد: إذا شُرب أو طُلىَ به من خارج. وإذا تُبخر به: نفع من الزُّكام والصُّداع، والشَّقيقة الباردة.

٥- (عُودٌ): العود الهندى نوعان: **(أحدهما)** يستعمل فى الأدوية، وهو: الكُست. ويقال له: القُسْط وسيأتى فى حرف القاف. **(الثانى)** يستعمل فى الطيب ويقال له: الأَلُوَّة.

وقد روى مسلم فى صحيحه - عن ابن عمر رضى الله عنهما -: «**أنه كان يستجمرُ بالأَلُوَّة غير مطرَّاة وبكافور يطرح معها، ويقول: هكذا كان يستجمر رسول الله ﷺ**»[١] وثبت عنه فى صفة نعيم أهل الجنة: «**مجامرهُم الأَلْوَّة**»[٢].

(١) أخرجه مسلم في: ٤٠- كتاب الألفاظ من الأدب، (٥) باب استعمال المسك.
(٢) أخرجه البخاري في: ٦٠- كتاب الأنبياء (باب) خلق آدم، فتح الباري (٢٦١:٦)، ومسلم في كتاب الجنة، (باب) أول زمرة تدخل الجنة، حديث رقم (١٥).

و (المجامر) جمع «مُجْمَر»، وهو: ما يتجمر به من عود وغيره. وهو أنواع: أَجودها الهندى، ثم الصينى، ثم القَمارى، ثم المنْدَلى. وأَجوده: الأَسود والأَزرق الصُّلب الرزين الدسم. وأقله جودة: ما خف وطفا على الماء. ويقال: إنه شجر يقطع ويدفن فى الأَرض سنة، فتأْكل الأَرض منه ما لا ينفع، ويبقى عود الطيب لا تعمل فيه الأَرض شيئًا، ويتعفن منه قشره وما لا طِيب فيه.

● **فوائد العود:** وهو حار يابس فى الثالثة: يفتح السدد ويكسر الرّياح، ويذهب بفضل الرطوبة، ويقوّى الأَحشاءَ والقلب ويفرِّحه، وينفع الدماغ، ويقوى الحواس، ويحبس البطن، وينفع من سَلَس البول الحادث عن برد المثانة.

قال ابن سمجون: «العود ضروب كثيرة، يجمعها اسم الأَلوة. ويستعمل من داخل وخارج، ويتجمَّر به مفرداً ومع غيره، وفى خلط الكافور به عند التَّخمير معنى طبى، وهو: إصلاح كل منهما بالآخر. وفى التخمير مراعاة جوهر الهواء وإصلاحه: فإنه أحد الأَشياء الستة الضرورية، التى فى صلاحها إصلاح الأَبدان».

٦- **(عَدَسٌ):** قد ورد فيه أَحاديث كلها باطلة على رسول الله ﷺ لم يقل منها شيئًا. كحديث: «إنه قدَّس فيه سبعون نبيًّا»[1]. وحديث: «إنه يُرق القلب، ويُغْزر الدَّمعة، وإنه مأْكول الصالحين». وأرفع شيءٍ جاءَ فيه وأَصحه: «إنه شهوةُ اليهود التى قدموها على المنِّ والسلوَى».

وهو قرين الثوم والبصل فى الذكر. وطبعه طبعُ المؤنث: بارد يابس. وفيه قوّتان متضادَّتان؛ **(إحداهما):** يَعقل الطبيعة. **(والأخرى):** يُطلقها. وقشره حار يابس فى الثالثة، حرِّيف مُطلق للبطن. وترياقُه فى قشره. ولهذا كان صَحاحه أَنفع من مطحونه، وأخف على المعدة، وأَقل ضرراً. فإن لُبَّه بطيء الهضم: لبرودته ويبوسته.

وهو مولِّد للسوداء، ويضر بالماليخوليا ضرراً بيِّناً، ويضر بالأَعصاب والبصر.

وهو غليظ الدم. وينبغى أن يتجنبه أَصحاب السوداءِ وإكثارهم منه يولد لهم أدواءً رديئة: كالوسواس، والجذام، وحمَّى الرِّبع. ويقلل ضرره السلقُ والأَسفاناخ وإكثار الدُّهن. وأردأ ما أكل بالمكسود وليُتجنب خلط الحلاوة به: فإنه يورث سُدداً

(١) انظر «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» (١٦١).

كبديَّة. وإدمانه يظلم البصر: لشدة تجفيفه؛ ويعسر البول، ويوجب الأورام الباردة، والرياح الغليظة. وأجوده: الأبيض السمين السريع النِّضَاج.

وأما ما يظنه الجهال، أنه كان سماط الخليل الذى يقدمه لأضيافه، فكذبٌ مفترى وإنما حكى الله عنه الضيافة بالشَّوِىِّ، وهو: العجل الحنيذ.

وذكر البيهقى عن إسحاق، قال: «سُئل ابن المبارك عن الحديث الذى جاءَ فى العدس: أنـه قُـدِّس على لسان سبعين نبيًّا. فقال: ولا على لسان نبى واحد، وإنه لمؤذ منفخ، من حدثكم به؟ قالوا: سَلم بن سالم. فقال: عمَّن؟ قالوا: عنك. قال: وعنى أيضًا؟!».

حـــرف الغـــين

١- (غَيْثٌ): مذكور فى القرآن فى عدة مواضعَ. وهو لذيذ الاسم على السمع، والمسمى على الروح والبدن: تبتهج الأسماع بذكره، والقلوب بوروده. وماؤُه أفضل المياه وألطفها، وأنفعها وأعظمها بركة، ولا سيما: إذا كان من سحاب راعد، واجتمع فى مستنقعات الجبال.

وهو أرطب من سائر المياه: لأنه لم تطل مدته على الأرض، فيكتسب من يبوستها، ولم يخالطه جوهر يابس، ولذلك يتغير ويتعفن سريعًا: للطافته، وسرعة انفعاله.

وهل الغيث الرَّبيعى ألطف من الشتوى، أو بالعكس؟ فيه قولان:

قالَ مَن رجَّح الغيث الشتوىَّ: حرارة الشمس تكون حينئذ أقل، فلا تجتذب من ماءِ البحر إلا ألطفه والجوُّ صافٍ، وهو خال من الأبخرة الدخانيَّة والغبار المخالط للماء. وكل هذا يوجب لطفه وصفاءَه، وخلوَّه من مخالط.

وقال من رجح الرَّبيعى: الحرارة توجب تحلُّلَ الأبخرة الغليظة، وتوجب رقة الهواءِ ولطافته. فيخف بذلك الماءُ، وتقل أجزاؤُه الأرضية، وتصادف وقت حياة النبات والأشجار وطَيِّبِ الهواءِ.

وذكر الشافعى -رحمه الله- عن أنس بن مالك رضى الله عنه، قال: «**كنا مع رسول الله ﷺ، فأصابنا مطرٌ: فَحَسَر ثوبَه عنه، وقال: إنه حديثُ**

عهد بربه»[1]: وقد تقدم فى هديه فى الاستسقاء، ذكر استمطاره ﷺ وتبرُّكه بماء الغيث عند أول مجيئه.

حـــرف الفـــاء

١- **(فَاتِحَةُ الْكِتَاب)**: وأُم القرآن، والسبع المثانى، والشفاء التام، والدواءُ النافع، والرُّقية التامة، ومفتاح الغنى والفلاح، وحافظة القوة، ودافعة الهم والغم والخوف والحزن، لمن عرف مقدارها، وأعطاها حقَّها، وأحسن ترتيلها على دائه، وعرف وجه الاستشفاء والتداوى بها، والسرَّ الذى لأجله كانت كذلك.

ولمَّا وقــع بعض الصحابـــة على ذلك: رقى بـهـا اللَّديغ، فبـرأ لوقته. فقال له النبى ﷺ: «**وما أدراك أنها رقية**»[٢].

● **أسرار الفاتحة**: ومَن ساعده التوفيق، وأُعين بنور البصيرة – حتى وقف على أسرار هذه السورة، وما اشتملت عليه: من التوحيد، ومعرفةِ الذات والأسماء والصفات والأفعال، وإثبات الشرع والقدَر والمعاد، وتجريد توحيد الربوبية والإلهية وكمال التوكل والتفويض إلى من له الأمر كله، وله الحمد كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله؛ والافتقارِ إليه فى طلب الهداية التى هى أصل سعادة الدارين. وعلم ارتباط معانيها بجلب مصالحهما، ودفع مفاسدهما، وأن العافية المطلقة التامة، والنعمة الكاملة، مَنوطة بها، موقوفة على التحقق بها. أغنته عن كثير من الأدوية والرُّقى، واستفتح بها من الخير وأبوابه، ودفع بها من الشر أسبابه.

وهذا أمر يحتاج استحداث فِطرةٍ أُخرى، وعقلٍ آخرَ، وإيمان آخرَ. وتالله لا تجدُ مقالة فاسدة، ولا بدعة باطلة، إلا وفاتحةُ الكتاب متضمنة لردها وإبطالها بأقرب طريق وأصحها وأوضحها. ولا تجدُ بابًا من أبواب المعارف الإلهية وأعمال القلوب وأدويتها من عللها وأسقامها، إلا وفى فاتحة الكتاب مفتاحُه، وموضعُ الدلالة عليه. ولا منزلا من منازل السائرين إلى رب العالمين، إلا وبدايتُه ونهايته فيها.

ولعمرُ الله: إن شأنها لأعظم من ذلك، وهى فوق ذلك. وما تحقَّق عبدٌ بها، واعتَصم بها، وعقَل عمن تكلَّم بها، وأنزلها شفاءً تامًّا، وعصمة بالغةً، ونوراً مبينًا:

(١) أخرجه مسلم في: ٩- كتاب صلاة الاستسقاء (٢) باب الدعاء في الاستسقاء، ح (١٣).

(٢) تقدم تخريجه.

وفهمَها وفهم لوازمَها كما ينبغي – ووقع في بدعة ولا شركٍ، ولا أصابه مرض من أمراض القلوب إلا إلمامًا غيرَ مستقر.

هـذا: وإنها المفتاح الأعظم لكنوز الأرض، كما أنها المفتاح لكنوز الجنة. ولكن: ليس كل واحد يُحسن الفتح بهذا المفتاح. ولو أن طلاب الكنوز وقفوا على سر هذه السورة، وتحقَّقوا بمعانيها، وركَّبوا لهذا المفتاح أسنانًا، وأحسنوا الفتح به: لوصلوا إلى تناول الكنوز من غير معاوِق، ولا ممانع.

ولم نقل هذا مجازفةً، ولا استعارةً؛ بل حقيقةً. ولكنْ: لله تعالى حكمةٌ بالغة في إخفاءِ هذا السر عن نفوس أكثر العالَمين، كما له حكمة بالغة في إخفاءِ كنوز الأرض عنهم. والكنوزُ المحجوبة قد استُخدم عليها أرواحٌ خبيثة شيطانية: تحول بين الإنس وبينها، ولا تقهرها إلاَّ أرواحٌ عُلْوية شريفة، غالبة لها بحالها الإيماني: معها منه أسلحةٌ لا تقوم لها الشياطين. وأكثر نفوس الناس ليست بهذه المثابة: فلا يقاومُ تلك الأرواح، ولا يقهرُها، ولا ينال من سلبِها شيئًا. فإنْ «من قتل قتيلاً فله سلبُه».

٢- (فَاغِيَةٌ): هي نَوْر الحناء. وهي من أطيب الرياحين. وقد روى البيهقيُّ في كتابه شُعب الإيمان – من حديث عبد الله بن بُريدةَ، عن أبيه رضي الله عنه، يرفعه–: «**سيدُ الرياحين – في الدنيا والآخرة –: الفاغية**»(١) وروى فيه أيضًا، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: «**كان أحبَّ الريَّاحين إلى رسول الله ﷺ الفاغيةُ**». والله أعلم بحال هذين الحديثين، فلا نشهدُ على رسول الله ﷺ بما لا نعلم صحته.

وهي معتدلة في الحر واليُبس، فيها بعض القبض. وإذا وضعت بين طيٍّ ثياب الصوف: حفظتْها من السوس. وتدخل في مراهم الفالج والتمدد. ودُهنُها يحلِّل الأعضاءَ، ويليِّن العصب.

٣- (فِضَّةٌ): ثبت «**أن رسول الله ﷺ كان خاتَمُه من فضة، وفصُّه منه**»(٢) «**وكانت قَبيعةُ سيفه فضة**»(٣). ولم يصحَّ عنه في المنع من لباس الفضة والتحلِّي بها

---

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٥: ٣٥) وسنده ضعيف جداً.

(٢) أخرجه البخاري في: ٧٧- كتاب اللباس، (٤٦) باب خاتم الفضة، فتح الباري (١٠: ٣١٨).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، (باب) في السيف يُحلى، ح (٢٥٨٣)، والنسائي (٨: ٢١٩)، وإسناده صحيح.

شىءٌ البتة، كما صح عنه المنع من الشرب فى آنيتها. وبابُ الآنية أضيق من باب اللباس والتحلى. ولهذا يُباح للنساء لباسًا وحليةً، ما يحرم عليهن استعماله آنيةً. فلا يلزم من تحريم الآنية، تحريم اللباس والحلية. وفى السنن عنه: «**وأما الفضة فالعبوا بها لعبًا**»(١). فالمنع يحتاج إلى دليل يُثبته: إما نصٌ أو إجماعٍ. فإن ثبت أحدهما، وإلا: ففى القلب من تحريم ذلك على الرجال شىءٌ. والنبى ﷺ أمسك بيده ذهبًا وبالأُخرى حريرًا، وقال: «**هذان حرامٌ على ذكور أُمتى، وحلٌ لإناثهم**»(٢).

● **من فوائد الفضة:** والفضة سرٌّ من أسرار الله فى الأرض، وطِلَّسمُ الحاجات، وأَحسابُ أَهل الدنيا بينهم. وصاحبها مرموق بالعيون بينهم، معظَّم فى النفوس، مصدَّر فى المجالس: لا تغلق دونه الأبواب، ولا تمل مجالسته ولا معاشرته، ولا يُستثقل مكانه؛ تشير الأَصابعُ إليه، وتعقد العيون نطاقها عليه، إن قال سُمع قوله، وإن شفع قُبلت شفاعته، وإن شهد زُكِّيت شهادته؛ وإن خطب فكفء: لا يُعاب، وإن كان ذا شيبة بيضاءَ فهى أجمل عليه من حِلية الشباب.

● **الفضة دواء:** وهى من الأَدوية المفرِّحة، النافعةِ من الهم والغم والحزن، وضعف القلب وخفقانه. وتدخل فى المعاجين الكبار، وتجتذب بخاصيتها ما يتولد فى القلب: من الأَخلاط الفاسدة، خصوصًا إذا أُضيفت إلى العسل المصفى والزعفران.

ومزاجها إلى البرودة واليبوسة. ويتولَّد عنها، من الحرارة والرطوبة، ما يتولد.

والجنان – التى أعدها الله عز وجل لأَوليائه، يوم يلقونه – أربع: جَنتان من ذهب وجنتان من فضة؛ آنيتهما، وحليتهما، وما فيهما.

● **النهى عن استعمال الفضة آنية:** وقد ثبت عنه ﷺ، فى الصحيح، أنه قال: «**الذى يشرب فى آنية الذهب والفضة، إنما يُجرجِرُ فى بطنه نار جهنم**»(٣). وصح

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الخاتم، باب الذهب للنساء، ح (٤٢٣٦)، والإمام أحمد في «مسنده» (٢:٣٣٤، ٣٧٨).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب اللباس، باب الحرير للنساء، والنسائي في كتاب الزينة – باب تحريم الذهب على الرجال.

(٣) أخرجه البخاري في: ٧٤– كتاب الأشربة (٢٧) باب الشرب في آنية الذهب، فتح الباري (١٠:٩٤)، ومسلم في: ٣٧– كتاب اللباس (١) باب تحريم استعمال أواني الذهب، والفضة في الشرب وغيره، على الرجال والنساء، ح (١).

عنه ﷺ، أنه قال: «**لا تشربوا فى آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا فى صحافهما. فإنها لهم فى الدنيا، ولكم فى الآخرة**»(1).

● **علة النهى عن اتخاذ الفضة آنية:** فقيل علةُ التحريم: تضييقُ النقود، فإنها إذا اتخذت أوانىَ فاتت الحكمةُ التى وُضعت لأجلها: من قيام مصالح بنى آدمَ. وقيل: العلةُ الفخر والخُيلاءُ. وقيل: العلةُ كسرُ قلوب الفقراء والمساكين، إذا رأوها وعاينوها.

وهذه العللُ فيها ما فيها: فإن التعليل بتضييق النقود يَمنع من التحلى بها، وجعلها سبائكَ ونحوَها: مما ليس بآنيةٍ ولا نقْدٍ. والفخرُ والخيلاءُ حرام بأى شىءَ كان. وكسرُ قلوب المساكين لا ضابطَ له: فإن قلوبهم تنكسر بالدُّور الواسعة، والحدائق المعجبة، والمراكب الفارهة، والملابسِ الفاخرة، والأطعمة اللذيذة، وغيرِ ذلك: من المباحات. وكلٌّ هذه عللٌ منتقَضة: إذ توجد العلةُ ويتَخلف معلولُها.

فالصواب أن العلة – والله أعلم – ما يكسب استعمالُها القلبَ: من الهيئة والحالة المنافية للعبودية منافاةً ظاهرة. ولهذا علَّل النبى ﷺ، بأنها للكفار فى الدنيا: إذ ليس لهم نصيب من العبودية التى ينالون بها فى الآخرة. فلا يصلح استعمالها لعبيد الله فى الدنيا؛ وإنما يستعملها مَن خرج عن عبوديته، ورضَى بالدنيا وعاجلها من الآخرة. والله أعلم.

حرف القاف

١- (**قرآنٌ**): قال تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ (**الإسراء: ٨٢**). والصحيح أن «من» ههنا لبيان الجنس، لا للتبعيض. وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ**﴾ (**يونس: ٥٧**).

● **القرآن والتداوى به:** فالقرآنُ هو: الشفاءُ التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواءِ الدنيا والآخرة، وما كلُّ أحد يؤهَّل ولا يوفَّق للاستشفاء به. وإذا أحسن العليل التداوىَ به، ووضعه على دائه بصدقٍ وإيمان، وقبولٍ تام، واعتقادِ جازم، واستيفاءِ شروطه: لم يُقاومْه الداء أبداً.

(١) أخرجه البخاري في: ٧٠- كتاب الأطعمة (٢٩) باب الأكل في إناء مفضض، فتح الباري (٩:٥٥٤).

وكيف تُقاوِم الأدواءُ كلامَ رب الأرض والسماء: الذى لو نزل على الجبال لصدَّعها أو على الأرض لقطَّعها؟! فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان، إلا وفى القرآن سبيلُ الدَّلالة على دوائه وسببه والحِمية منه، لمن رزقه الله فهمًا فى كتابه.

وقد تقدم - فى أول الكلام على الطب - بيان إرشاد القرآن العظيم إلى أصوله ومجامعه، التى هى: حفظ الصحة، والحمية، واستفراغ المؤذى. والاستدلالُ بذلك على سائر أفراد هذه الأنواع. وأما الأدويةُ القلبية، فإنه يذكرها مفصَّلةً ويذكر أسباب أدوائها وعلاجها. قال: ﴿**أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ**﴾ (العنكبوت: ٥١) فمن لمَ يشفه القرآنُ فلا شفاه الله، ومن لم يَكفه فلا كفاه الله.

٢- (قِثَّاءُ): فى السنن - من حديث عبد الله بن جعفر رضى الله عنه - «**أن رسول الله ﷺ كان يأكلُ القثَّاءَ بالرُّطب**». رواه الترمذىُّ وغيره.

● **فوائد القثاء**: القثاءُ بارد رطب فى الدرجة الثانية، مطفىءٌ لحرارة المعدة الملتهبة، بطىءُ الفساد فيها، نافع من وجع المثانة. ورائحته تنفع من الغَشْى. وبزرُه يُدِر البول. وورقُه إذا اتُّخذ ضِمادًا: نفع من عضة الكلب.

وهو بطىءُ الانحدار عن المعدة، وبرده مضر ببعضها، فينبغى أن يستعمل معه ما يصلحه ويكسر برودته ورطوبتَه. كما فعل النبى ﷺ: إذا أكله بالرُّطب. فإذا أُكل بتمر أو زبيب أو عسل: عدَّله.

٣- (قُسْطٌ) و (كست): بمعنى واحد. وفى الصحيحين - من حديث أنس رضى الله عنه، عن النبى ﷺ: «**خيرُ ما تداوَيْتُم به: الحجامة والقُسط البحرىُّ**».

وفى المسند - من حديث أم قيس، عن النبى ﷺ -: «**عليكم بهذا العودِ الهنديِّ؛ فإن فيه سبعة أشْفيةٍ، منها: ذاتُ الجَنْب**»[1].

● **القسط ضربان: (أحدهما)** الأبيض الذى يقال له: البحريُّ. **(والآخر)** الهندىُّ. وهو أشدهما حرًّا، والأبيض ألينهما. ومنافعهما كثيرة جدا.

وهما حاران يابسان فى الثالثة: ينشِّفان البلغم، قاطعان للزكام وإذا شُربا: نفعا من ضعف الكبد والمعدة، ومن بردهما، ومن حُمَّى الدَّور والربع، وقطعا وجع الجنب،

(١) أخرجه البخاري، في: ٧٦- كتاب الطب (١٠) باب السعوط بالقسط الهندي، فتح الباري (١٠: ١٤٧)، والإمام أحمد في «مسنده» (٦:٣٥٦).

ونفعا من السموم. وإذا طُلِيَ به الوجهُ معجونًا بالماء والعسل: قلع الكلَف. وقال جالينوسُ: «ينفع من الكُزَاز ووجع الجنْبَيْن، ويقتل حب القَرَع».

وقد خفَى على جهال الأطباء نفعُه من وجع ذات الجَنْب، فأنكروه. ولو ظفر هذا الجاهل بهذا النقل عن جالينوسَ، لنزله منزلة النص كيف: وقد نص كثير من الأطباء المتقدمين، على أن القُسط يصلح للنوع البلغميِّ من الجنب؟!. ذكره الخطَّابيُّ عن محمد بن الجَهْم.

وقد تقدم: أن طب الأطباء بالنسبة إلى طب الأنبياء، أقلُّ من نسبة طب الطُّرقيِّة والعجائز إلى طب الأطباء؛ وأن بين ما يُلقَى بالوحى وبيْن ما يُلقَى بالتجربة والقياس - من الفرْق - أَعظمَ مما بيْن القدم والفرق.

ولو أن هؤُلاء الجهال وجدوا دواءً منصوصًا عن بعض اليهود والنصارى والمشركين من الأطباء -: لتلقَّوه بالقبول والتسليم، ولم يتوقفوا عن تجربته.

نعـم: نحن لا ننكر أن للعادة تأثيرًا فى الانتفاع بالدواء وعدمه؛ فمن اعتاد دواءً وغذاءً: كان أنفعَ له وأوفقَ ممن لم يَعتدْه، بل ربما لم ينتفع به من لم يعتدهْ.

وكلام فضلاء الأطباء - وإن كان مطلَقًا - فهو بحسب الأمزجة والأزمنة، والأماكن والعوائد. وإذا كان التقيد بذلك لا يقدح فى كلامهم ومعارفهم، فكيف يقدح فى كلام الصادق المصدوق؟! ولكن نفوس البشر مركبةٌ عى الجهل والظلم، إلا من أمدَّه الله برُوح الإيمان، ونور بصيرتَه بنور الهدَى.

٤- (قَصَبُ السُكَّر): جاءَ فى بعض ألفاظ السنة الصحيحة فى الَحوض: «ماؤُه أحلى من السكَّر». ولا أَعرف «السكر» فى الحديث، إلا فى هذا الموضع.

والسكر حادث لم يتكلم فيه متقدِّمو الأطباء، ولا كانوا يعرفونه، ولا يصفونه فى الأشربة، وإنما يعرفون العسل، ويُدخلونه فى الأدوية.

● **فوائد قصب السكر:** وقصبُ السكر حار رطب: ينفع من السعال، ويَجلو الرطوبة والمثانة، وقصب الرئة. وهو أشد تلييناً من السكر. وفيه معونةٌ على القيء، ويُدر البول، ويزيد فى الباه. قال عفان بن مسلم الصفَّار: «مَن مص قصب السكر بعد طعامه، لم يزل يومَه أجمعَ فى سرور» انتهى. وهو ينفع من خشونة الصدر والحلق: إذا

شُوىَ. ويولِّد رياحًا دفعُها: بأن يُقشَّرَ ويُغسل بماءٍ حار. والسكر حار رطب على الأَصح، وقيل: بارد.

● **أجود أنواع السكر:** وأجوده الأبيض الشفاف الطبرزد، وعتيقه ألطف من جديده، وإذا طُبخَ ونُزعت رغوته، سكن العطش والسعال، وهو يضر المعدة التى تتولد فيها الصفراء لاستحالته إليها، ودفع ضرره بماء الليمون أو النارنج، أو الرمان اللفان.

● **العسل أفضل من السكر:** وبعض الناس يفضله على العسل لقلة حرارته ولينه، وهذا تحامل منه على العسل، فإن منافع العسل أَضعاف منافع السكر، وقد جعله الله شفاءً ودواءً، وإدامًا وحلاوة، وأين نفع السكر من منافع العسل: من تقوية المعدة، وتليين الطبع، وإحداد البصر، وجلاء ظلمته، ودفع الخوانيق بالغرغرة به، وإبرائه من الفالج واللقوة، ومن جميع العلل الباردة التى تحدث فى جميع البدن من الرطوبات، فيجذبها من قعر البدن، ومن جميع البدن، وحفظ صحته وتسمينه وتسخينه، والزيادة فى الباه[1]، والتحليل والجلاء، وفتح أفواه العروق، وتنقية المعى، وإحدار الدود، ومنع التخم وغيره من العفن، والأدم النافع، وموافقة من غلب عليه البلغم والمشايخ وأهل الأمزجة الباردة. وبالجملة: فلا شيء أنفع منه للبدن، وفى العلاج وعجز الأدوية، وحفظ قواها، وتقوية المعدة إلى أَضعاف هذه المنافع، فأين للسكر مثل هذه المنافع والخصائص أو قريب منها؟.

حـــرف الكـــاف

● **كـتاب للحـــمى:** قـال المروزى: بلغ أبا عبد الله أنى حممت، فكتب لى من الحمى رقعة فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله، وبالله، محمد رسول الله ﷺ ﴿ **قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ** ﴾ (الأنبياء: ٦٩، ٧٠)، اللهم رب جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، اشف صاحب هذا الكتاب بحولك وقوتك وجبروتك، إله الحق آمين.

قال المروزى: وقرأ على أبى عبد الله – وأنا أَسمع – أبو المنذر عمرو بن مجمع، حدثنا يونس بن حبان، قال: سألت أبا جعفر محمد بن على أن أعلق التعويذ، فقال:

---

(١) شهوة الوطء.

إن كان من كتاب الله أو كلامٍ عن نبى الله فعلِّقه واستشف به ما استطعت. قلت: أكتب هذه من حُمى الربع: باسم الله، وبالله، ومحمد رسول الله ﷺ آخره؟ قال: أى نعم.

وذكر أحمد عن عائشة رضى الله عنها وغيرها، أنهم سهلوا فى ذلك.

قال حرب: ولم يُشدِّد فيه أحمد بن حنبل. قال أحمد: وكان ابن مسعود يكرهه كراهة شديدة جدًا. وقال أحمد وقال سئل عن التمائم تُعلَّقُ بعد نزول البلاء؟ قال: أرجو أن لا يكون به بأس.

قال الخلال: وحدثنا عبد الله بن أحمد، قال: رأيت أبى يكتب التعويذ للذى يفزع، وللحمى بعد وقوع البلاء.

● **كتاب لعسر الولادة:** قال الخلال: حدثنى عبد الله بن أحمد، قال: رأيت أبى يكتب للمرأة إذا عَسُرَ عليها ولادتها فى جام أبيض، أو شيء نظيف، يكتب حديث ابن عباس رضى الله عنه: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين: ﴿ **كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلاغٌ** ﴾ (الأحقاف: ٣٥)، ﴿ **كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا** ﴾ (النازعات: ٤٦).

قال الخلال: أنبأنا أبو بكر المروزى، أن أبا عبد الله جاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله تكتب لامرأة قد عُسر عليها ولدها منذ يومين؟ فقال: قُل له: يجيء بجام واسع، وزعفران، ورأيته يكتب لغير واحد. ويذكر عن عكرمة، عن ابن عباس قال: مرَّ عيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم على بقرة قد اعترض ولدها فى بطنها، فقالت: يا كلمة الله ادع الله لى أن يُخلصنى مما أنا فيه، فقال: يا خالق النفس من النفس، ويا مخلص النفس من النفس، ويا مخرج النفس من النفس، خلصها. قال فرمت بولدها، فإذا هى قائمة تَشُمُّه. قال: فإذا عسر على المرأة ولدها، فاكتبه لها. وكل ما تقدم من الرقى، فإن كتابته نافعة.

ورخص جماعةٌ من السلف فى كتابة بعض القرآن وشربه، وجعل ذلك من الشفاء الذى جعل الله فيه.

● **كتاب آخر لذلك:** يُكتب فى إناء نظيف: ﴿ **إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا**

وَحُقَّتْ * وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ (الانشقاق: ١-٤)، وتشرب منه الحامل، ويرش على بطنها.

● **كتاب للرعاف:** كان شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- يكتب على جبهته: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ ﴾ (هود: ٤٤) وسمعته يقول: كتبتها لغير واحد فبرأ، فقال: ولا يجوز كتابتها بدم الراعف، كما يفعله الجهال، فإن الدم نجس، فلا يجوز أن يكتب به كلام الله تعالى.

● **كتاب آخر له:** خرج موسى عليه السلام برداء، فوجد شعيبًا، فشده بردائه ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ (الرعد: ٣٩).

● **كتاب آخر للحزاز:** يُكتب عليه: ﴿ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ﴾ (البقرة: ٢٦٦) بحول الله وقوته.

● **كتاب آخر له:** عند اصفرار الشمس يُكتب عليه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحديد: ٢٨).

● **كتاب آخر للحمى المثلثة:** يُكتب على ثلاث ورقات لطاف: بسم الله فرَّت، بسم الله مرت، بسم الله قلَّت، ويأخذ كل يوم ورقة، ويجعلها في فمه، ويبتلعها بماء.

● **كتاب آخر لعرق النَّسا**(١)**:** بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم رب كل شيء، ومليك كل شيء، وخالق كل شيء، أنت خلقتني، وأنت خلقت النَّسا، فلا تُسلطه على بأذى، ولا تُسلطني عليه بقطع، واشفني شفاء لا يُغادر سقمًا، لا شافي إلا أنت.

● **كتاب للعرق الضارب:** روى الترمذي في «جامعه»: من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ كان يُعلمهم من الحمى، ومن الأوجاع كلها أن يقولوا: «**بسم الله الكبير، أعوذ بالله العظيم من شر كل عرْق نعَّار، ومن شر حرِّ النار**»(٢).

● **كتاب لوجع الضرس:** يكتب على الخد الذي يلي الوجع: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا

---

(١) النَّسَا: العصب الوركى وهو عصب يمتد من الورك إلى الكعب إذا حدث به التهاب آلم صاحبه جدا.
(٢) ضعيف الترمذي في الطب (٢٠٧٥) في إسناده إبراهيم بن إسماعيل بن أبى حبيبة.

تَشْكُرُونَ ﴾ (الملك: ٢٣)، وإن شاء كتب: ﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (الأنعام: ١٣).

• **كتاب للخُرَّاج،** يكتب عليه: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا ﴾ (طه: ١٠٥-١٠٧).

• **كماة** [1]: ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «**الكمأة من المنِّ وماؤُها شفاءٌ للعين**»، أخرجاه فى «الصحيحين»[2].

قال ابن الأعرابى: الكمأة: جمع، واحده كَمْءٌ، وهذا خلاف قياس العربية، فإنَّ ما بينه وبين واحده التاء، فالواحد منه بالتاء، وإذا حذفت كان للجمع، وهل هو جمع، أو اسم جمع؟ على قولين مشهورين، قالوا: ولم يخرج عن هذا إلا حرفان: كمأة وكمءٌ، وجبأة وجبء، قال غير ابن الأعرابى: بل هى على القياس: الكمأة للواحد، والكمء للكثير، وقال غيرهما: الكمأة تكون واحداً وجمعاً.

واحتج أصحاب القول الأول بأنهم قد جمعوا كمئًا على أكمؤ، قال الشاعر:

ولقَدْ جَنَيتُكَ أَكْمُؤًا وعَسَاقِلاً ... ولقــد نَهَيتُكَ عن بَنَاتِ الأوبَرِ[3]

وهذا يدل على أن «كمء» مفرد، و «كمأة» جمع.

والكمأة تكون فى الأرض من غير أن تزرع، وسميت كمأة لاستتارها ومنه كمأ الشهادة: إذا سترها وأخفاها، والكمأة مخفية تحت الأرض لا ورق لها، ولا ساق، ومادتها من جوهر أرضى بخارى محتقن فى الأرض نحو سطحها يحتقن ببرد الشتاء وتُنميه أمطار الربيع، فيتولد ويندفع نحو سطح الأرض متجسداً، ولذلك يقال لها: جُدرى الأرض، تشبيهًا بالجدرى فى صورته ومادته؛ لأن مادته رطوبة دموية، فتندفع عند سن الترعرع فى الغالب، وفى ابتداء استيلاء الحرارة، ونماء القوة.

وهى مما يوجد فى الربيع، ويؤكل نيئًا ومطبوخًا، وتُسميها العرب: نبات الرعد؛

---

(١) الكَمْأ: فطر من الفصيلة الكمأية وهى أرضية تنتفخ حاملات أبواغها فتجنى وتؤكل ويختلف حجمها بحسب الأنواع.

(٢) صحيح البخاري في الطب (٥٧٠٨)، ومسلم في الأشربة (٢٠٤٩/١٥٧).

(٣) العساقل: ضرب من الكمأة أبيض اللون صالح للأكل وبنات الأوبر: ضرب من الكمأة صغار مزغبة بلون التراب سيئة الطعم.

لأنها تكثر بكثرته، وتنفطر عنها الأرض، وهى من أطعمة أهل البوادى، وتكثر بأرض العرب، وأجودها ما كانت أرضها رملية قليلة الماء.

وهى أصناف: منها صنف قتال يضرب لونه إلى الحُمرة يُحدث الاختناق.

وهى باردة رطبة فى الدرجة الثالثة، رديئة للمعدة، بطيئة الهضم، وإذا أدمنت، أورثت القولنج والسكتة، والفالج، ووجع المعدة، وعسر البول، والرطبة أقل ضرراً من اليابسة، ومن أكلها فليدفنها فى الطين الرطب، ويسلقها بالماء والملح والصعتر، ويأكلها بالزيت، والتوابل الحارة؛ لأن جوهرها أرضى غليظ، وغذاؤها ردىء، لكن فيها جوهر مائى لطيف يدل على خفتها، والاكتحال بها نافع من ظلمة البصر والرمد الحار، وقد اعترف فضلاء الأطباء بأن ماءها يجلو العين، وممن ذكره المسبحى، وصاحب القانون وغيرهما.

وقوله ﷺ: «**الكمأة من المن**»، فيه قولان:

أحدهما: أن المن الذى أنزل على بنى إسرائيل لم يكن هذا الحلو فقط، بل أشياء كثيرة، منَّ الله عليهم بها من النبات الذى يُوجد عفواً من غير صنعة ولا علاج ولا حرث، فإن المنَّ مصدر بمعنى المفعول، أى «ممنون» به، فكل ما رزقه الله العبد عفواً بغير كسب منه ولا علاج، فهو مَنٌّ محضٌ، وإن كانت سائر نعمه منًّا منه على عبده، فخصَّ منها ما لا كسب له فيه، ولا صنع باسم المنِّ، فإنه منٌّ بلا واسطة العبد، وجعل سبحانه قُوتَهم بالتيه الكمأة، وهى تقوم مقام الخبز، وجعل أُدمهم السَّلوى، وهو يقوم مقام اللحم، وجعل حلواهم الطلَّ الذى ينزلُ على الأشجار يقوم لهم مقام الحلوى، فكَمُل عيشهم.

وتأمل قوله ﷺ: «**الكمأة من المنِّ الذى أنزله الله على بنى إسرائيل**»[1] فجعلها من جملته، وفرداً من أفراده، والترنجبين الذى يسقط على الأشجار نوع من المن، ثم غلب استعمال المن عليه عرفًا حادثًا.

والقول الثانى: أنه شَبه الكمأة بالمن المنزل من السماء، لأنه يُجمع من غير تعب ولا كلفة ولا زرع بذر ولا سقى.

(١) صحيح مسلم في كتاب الأشربة (١٥٩/٢٠٤٩).

فإن قلت: فإن كان هذا شأن الكمأة، فما بال هذا الضرر فيها، ومن أين أتاها ذلك، فاعلم أن الله سبحانه أتقن كلَّ شيء صنعه، وأحسن كل شيء خلقه، فهو عند مبدأ خلقه، بريء من الآفات والعلل، تامُّ المنفعة لما هُيِّئ وخُلِقَ له، وإنما تعرض له الآفات بعد ذلك بأمور أخر من مجاورة، أو امتزاج واختلاط، أو أسباب أخر تقتضى فساده، فلو تُرِكَ على خِلقته الأصلية من غير تعلق أسباب الفساد به، لم يفسد.

ومن له معرفة بأحوال العالم ومبدئه يعرف أن جميع الفساد فى جوه ونباته وحيوانه، وأحوال أهله حادث بعد خلقه بأسباب اقتضت حدوثه، ولم تزل أعمال بنى آدم ومخالفتهم للرسل تحدث لهم من الفساد العام والخاص ما يجلب عليهم من الآلام، والأمراض، والأسقام، والطواعين[1]، والقحوط، والجدوب، وسلب بركات الأرض، وثمارها، ونباتها، وسلب منافعها، أو نقصانها أموراً متتابعة يتلو بعضها بعضاً، فإن لم يتسع علمك لهذا فاكتف بقوله تعالى: ﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ** ﴾ **(الروم: ٤١)**، ونزِّل هذه الآية على أحوال العالم، وطابق بين الواقع وبينها، وأنت ترى كيف تحدث الآفات والعلل كل وقت فى الثمار والزرع والحيوان، وكيف يحدث من تلك الآفات آفات أُخرُ متلازمة، بعضها آخذ برقاب بعض، وكلما أحدث الناس ظلماً وفجوراً، أحدث لهم ربهم تبارك وتعالى من الآفات والعلل فى أغذيتهم وفواكههم، وأهويتهم ومياههم، وأبدانهم وخلقهم، وصورهم وأشكالهم وأخلاقهم من النقص والآفات، ما هو موجب أعمالهم وظلمهم وفجورهم[٢].

ولقد كانت الحبوب من الحنطة وغيرها أكبر مما هى اليوم، كما كانت البركة فيها أعظم. وقد روى الإمام أحمد بإسناده: أنه وجد فى خزائن بعض بنى أمية حنطة أمثال نوى التمر مكتوب عليها. هذا كان ينبت أيام العدل.

القصة، ذكرها فى «مسنده»[٣] على أثر حديث رواه.

وأكثر هذه الأمراض والآفات العامة بقية عذاب عُذِّبت به الأمم السالفة، ثم بقيت منها بقية مرصدةٌ لمن بقيت عليه بقيةٌ من أعمالهم حكمًا قسطًا، وقضاء عدلاً،

---

(١) جمع طاعون وهو المرض المعروف.

(٢) وانظر إلى الأمراض المستحدثة التى لم تكن فى أسلافنا مثل نقص المناعة أو فقدانها.

(٣) أحمد ٢/٢٩٦.

وقد أشار النبى ﷺ إلى هذا بقوله فى الطاعون: «**إنه بقية رجز أو عذاب أُرسل على بنى إسرائيل**»(1).

وكذلك سلَّط الله سبحانه وتعالى الريح على قوم سبع ليال وثمانية أيام(2)، ثم أبقى فى العالم منها بقية فى تلك الأيام، وفى نظيرها عظةً وعبرة.

وقد جعل الله سبحانه أعمال البرِّ والفاجر مقتضيات لآثارها فى هذا العالم اقتضاء لا بد منه، فجعل منع الإحسان والزكاة والصدقة سببًا لمنع الغيث من السماء والقحط والجدب، وجعل ظلم المساكين، والبخس فى المكاييل والموازين، وتعدى القوى على الضعيف سببًا لجور الملوك والولاة الذين لا يرحمون إن استُرحموا، ولا يَعطفُونَ إن استُعطفوا، وهم فى الحقيقة أعمال الرعايا ظهرت فى صور ولاتهم، فإن الله سبحانه بحكمته وعدله يُظهر للناس أعمالهم فى قوالب وصور تُناسبها، فتارةً بقحط وجدب، وتارة بعدو، وتارة بولاة جائرين، وتارة بأمراض عامة، وتارة بهموم وآلام وغموم تحضرها نفوسهم لا ينفكون عنها، وتارة بمنع بركات السماء والأرض عنهم، وتارة بتسليط الشياطين عليهم تَؤُزُّهم إلى أسباب العذاب أزًّا، لتحق عليهم الكلمة، وليصير كل منهم إلى ما خُلق له، والعاقل يسيِّر بصيرته بين أقطار العالم، فيشاهده، وينظر مواقع عدل الله وحكمته، وحينئذ يتبين له أن الرسل وأتباعهم خاصة على سبيل النجاة، وسائر الخلق على سبيل الهلاك سائرون، وإلى دار البوار صائرون، والله بالغ أمره، لا مُعقِّبَ لحكمه، ولا راد لأمره، وبالله التوفيق.

وقوله ﷺ فى الكمأة «وماؤها شفاء للعين» فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن ماءها يُخلط فى الأدوية التى يُعالج بها العين، لا أنه يستعمل وحده، ذكره أبو عبيد.

الثانى: أن يُستعمل بحتا بعد شيِّها، واستقطار مائها؛ لأن النار تُلطفه وتنضجه، وتُذيبُ فضلاته، ورطوبته المؤذية، وتبقى المنافع.

الثالث: أن المراد بمائها الماء الذى يحدث به من المطر، وهو أول قطر ينزل إلى

(1) سبق تخريجه.
(2) هم قوم عاد واقرأ الآية السابعة من سورة الحاقة.

الأرض، فتكون الإضافة إضافة اقتران، لا إضافة جزء، ذكره ابن الجوزى، وهو أبعد الوجوه وأضعفها.

وقيل: إن استعمل ماؤها لتبريد ما فى العين، فماؤها مجردًا شفاء، وإن كان لغير ذلك، فمركب مع غيره.

وقال الغافقى: ماء الكمأة أصلح الأدوية للعين إذا عُجنَ به الأثمد واكتُحل به، ويقوى أجفانها، ويزيد الروح الباصرة قوةً وحدة، ويدفع عنها نزول النوازل.

كَبَاثٌ: فى «الصحيحين»: من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما، قال كنا مع رسول الله ﷺ نجنى الكباث، فقال: «**عليكم بالأسود منه، فإنه أطيبه**»[1].

الكباث: بفتح الكاف، والباء الموحدة المخففة، والثاء المثلثة - ثمرُ الأراك وهو بأرض الحجاز، وطبعه حار يابس، ومنافعه كمنافع الأراك: يُقوى المعدة، ويُجيد الهضم، ويجلو البلغم، وينفع من أوجاع الظهر، وكثير من الأدواء. قال ابن جُلجُل: إذا شُربَ طحينهُ، أدرَّ البول، ونقَّى المثانة، وقال ابن رضوان: يقوى المعدة، ويُمسك الطبيعة.

كتم: روى البخارى فى «صحيحه» عن عثمان بن عبد الله بن موهب، قال دخلنا على أم سلمة رضى الله عنها، فأخرجت إلينا شعرًا من شعر رسول الله ﷺ، فإذا هو مخضوب بالحناء والكتم[2].

وفى «السنن الأربعة» عن النبى ﷺ أنه قال: «**إن أحسن ما غيرتُم به الشيب الحناء والكتم**»[3].

وفى «الصحيحين»: عنْ أنس رضى الله عنه، أن أبا بكر رضى الله عنه اختضب بالحناء والكتم[4].

وفى سنن أبى داود: عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: مر على النبى ﷺ رجلٌ قد خضب بالحناء فقال: «**ما أحسن هذا؟**» فمر آخر قد خَضَب بالحناء والكتم،

(١) صحيح البخاري في الأطعمة (٥٤٥٣)، ومسلم فى الأشربة (٢٠٥٠/١٦٣).
(٢) صحيح البخاري في اللباس (٥٨٩٧).
(٣) صحيح أبو داود في الترجل (٤٢٠٥)، والترمذي في اللباس (١٧٥٣).
(٤) صحيح مسلم في الفضائل (٢٣٤١/١٠٠، ١٠١).

فقــال : «**هذا أحسنُ من هذا**» فمرَّ آخر قد خضبَ بالصفرة، فقال : «**هذا أحسنُ من هذا كلِّه**»(١).

قال الغافقى: الكتم نبتٌ ينبت بالسهول، ورقه قريب من ورق الزيتون، يعلو فوق القامة، وله ثمر قدرَ حبِّ الفلفل، فى داخله نوى، إذا رُضخَ اسودَّ، وإذا استُخرجت عصارة ورقه، وشُرب منها قدر أوقية، قيَّأ قيئًا شديدًا، وينفع عن عضة الكلب وأصله إذا طبخ بالماء كان مدادٌ يكتب به.

وقال الكندى: بزر الكتم إذا اكتُحلَ به، حلل الماء النازل فى العين وأرأها.

وقد ظن بعض الناس أن الكَتَم هو الوسمة، وهى ورق النيل، وهذا وهم، فإن الوسمة غير الكتم، قال صاحب «الصحاح»: الكتم بالتحريك: نبت يُخلط بالوسمة يُختضب به. قيل: والوسمة نباتٌ له ورقٌ طويل يضربُ لونه إلى الزرقة أكبر من ورق الخلاف، يُشبه ورق اللوبيا، وأكبر منه، يُؤتى به من الحجاز واليمن.

فإن قيل: قد ثبت فى «الصحيح» عن أنس رضى الله عنه، أنه قال: لم يختضب النبى ﷺ(٢).

قيل: قد أجاب أحمد بن حنبل عن هذا وقال: قد شَهدَ به غير أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه خضب، وليس مَنْ شَهدَ بمنزلة من لم يشهد، فأحمد أثبت خضاب النبى ﷺ، ومعه جماعة من المحدثين، ومالك أنكره.

فإن قيل: فقد ثبت فى «صحيح مسلم» النهى عن الخضاب بالسواد فى شأن أبى قُحافة لما أُتى به ورأسه ولحيته كالثغامة بياضًا، فقال: «**غيروا هذا الشيب وجنبوه السواد**»(٣). والكتم يسود الشعر.

فالجواب من وجهين، أحدهما: أن النهى عن التسويد البحت، فأما إذا أضيف إلى الحناء شىء آخر، كالكتم ونحوه، فلا بأس به، فإن الكتم والحناء يجعل الشعر بين الأحمر والأسود بخلاف الوسمة، فإنها تجعله أسود فاحمًا، وهذا أصح الجوابين.

الجواب الثانى: أن الخضاب بالسواد المنهى عنه خضاب التدليس، كخضاب شعر

(١) ضعيف أبو داود في الخاتم (٤٢١١)، وابن ماجه في اللباس (٣٦٢٧).
(٢) صحيح البخاري في اللباس (٥٨٩٤)، ومسلم في الفضائل (١٠٢/٢٣٤١).
(٣) صحيح مسلم في اللباس (٧٩/٢١٠٢) من حديث جابر وانظر سيرة ابن هشام وشمائل الترمذي من تحقيقنا.

الجارية، والمرأة الكبيرة تغرُّ الزوج والسيد بذلك، وخضاب الشيخ يغرُّ المرأة بذلك، فإنه من الغش والخداع، فأما إذا لم يتضمن تدليسًا، ولا خداعًا فقد صح عن الحسن والحسين رضى الله عنهما أنهما كان يخضبان بالسواد، ذكر ابن جرير عنهما فى كتاب «تهذيب الآثار»، وذكره عن عثمان بن عفان، وعبد الله بن جعفر، وسعد بن أبى وقاص، وعُقبة بن عامر، والمغيرة بن شعبة، وجرير بن عبد الله، وعمرو بن العاص، وحكاه عن جماعة من التابعين، منهم: عمرو بن عثمان، وعلى بن عبد الله بن عباس، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وعبد الرحمن بن الأسود، وموسى بن طلحة، والزهرى، وأيوب، وإسماعيل بن معدى كرب.

وحكاه ابن الجوزى عن محارب بن دثار، ويزيد، وابن جريج، وأبى يوسف (صاحب أبى حنيفة النعمان)، وأبى إسحاق، وابن أبى ليلى، وزياد بن علاقة، وغيلان بن جامع، ونافع بن جبير، وعمرو بن على المقدمى، والقاسم بن سلام.

كرم: شجرة العنب، وهى الحَبَلَةُ، ويكره تسميتها كَرمًا، لما روى مسلم فى «صحيحه» عن النبى ﷺ أنه قال: «**لا يَقُولنَّ أحدكُم للعنب الكرم، والكرم: الرجل المسلم**» وفى رواية: «**إنما الكرم قلب المؤمن**»[1]. وفى أخرى: «**لا تقولوا: الكرم، وقولوا: العنب والحَبَلةُ**»[2].

وفى هذا معنيان:

أحدهما: أن العرب كانت تُسمى شجرة العنب الكرم، لكثرة منافعها وخيرها، فكره النبى ﷺ تسميتها باسم يهيج النفوس على محبتها ومحبة ما يتخذ منها من المسكر، وهو أم الخبائث، فكره أن يسمى أصله بأحسن الأسماء، وأجمعها للخير.

والثانى: أنه من باب قوله: «**ليس الشديدُ بالصُّرعة**»[3]. «**وليس المسكين بالطواف**»[4]. أى: أنكم تُسمون شجرة العنب كرمًا لكثرة منافعه، وقلبُ المؤمن أو

---

(١) صحيح مسلم في الألفاظ (٦/٢٢٤٧، ٧) من حديث أبى هريرة.

(٢) صحيح مسلم في الألفاظ (١٢/٢٢٤٨) من حديث وائل.

(٣) صحيح البخاري في الأدب (٦١١٤)، ومسلم في البر والصلة (١٠٧/٢٦٠٩، ١٠٨)، والصرعة القوى الذى يصرع غيره.

(٤) صحيح مسلم في الزكاة (١٠١/١٠٣٩) من حديث أبى هريرة، والطواف هو الذى يطوف على الناس راضيا بالقليل.

الرجل المسلم أولى بهذا الاسم منه، فإن المؤمن خيرٌ كله ونفع، فهو من باب التنبيه والتعريف بما فى قلب المؤمن من الخير، والجود، والإيمان، والنور، والهدى، والتقوى، والصفات التى يستحق بها هذا الاسم أكثر من استحقاق الحَبَلَة له.

وبعد: فقوة الحبلة باردة يابسة، وورقها وعلائقها وعرموشها باردة فى آخر الدرجة الأولى، وإذا دُقت وضمد بها من الصداع سكنته، ومن الأورام الحارة والتهاب المعدة. وعصارة قضبانه إذا شُربت سكنت القىء، وعقلت البطن، وكذلك إذا مُضغت قلوبها الرطبة، وعصارة ورقها، تنفع من قروح الأمعاء، ونفث الدم وقيئه، ووجع المعدة، ودمع شجره الذى يحمل على القضبان، كالصمغ إذا شُربَ أخرج الحصاة، وإذا لُطخَ به، أبرأ القوب والجربَ المتقرح وغيره، وينبغى غسل العضو قبل استعمالها بالماء والنطرون، وإذا تمسح بها مع الزيت حلق الشعر، ورماد قضبانه إذا تُضمِّد به مع الخل ودهن الورد والسذاب، نفع من الورم العارض فى الطحال، وقوة دهن زهرة الكرم قابضة شبيهة بقوة دهن الورد ومنافعها كثيرة قريبة من منافع النخلة.

كرفس: روى فى حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَن أكله ثم نام عليه، نام ونكهته طيبةٌ، وينام آمنًا من وجع الأضراس والأسنان»، وهذا باطل على رسول الله ﷺ، ولكن البُستانى منه يطيب النكهة جدًا، وإذا علق أصله فى الرقبة نفع من وجع الأسنان.

وهو حار يابس، وقيل: رطب مفتح لسداد الكبد والطحال، وورقه رطبًا ينفع المعدة والكبد الباردة، ويدر البول والطمث، ويفتت الحصاة، وحبه أقوى فى ذلك، ويهيج الباه (شهوة الجماع)، وينفع من البخر (رائحة الفم المتغيرة)، قال الرازى: وينبغى أن يُجتنب أكله إذا خيف من لدغ العقارب.

كراث: فيه حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، بل هو باطل موضوع: «مَن أكل الكراث ثم نام عليه نام أمنًا من ريح البواسير واعتزله الملك لنتنِ نكهته حتى يُصبح»(1).

وهو نوعان: نبطى وشامى، فالنبطى: البقل الذى يوضع على المائدة. والشامى:

(1) موضوع: فيه ابن عراق وانظر تنزيه الشريعة المرفوعة ٢/٢٢٦.

الذى له رؤوس، وهو حار يابس مصدع، وإذا طُبخ وأكل، أو شرب ماؤه، نفع من البواسير الباردة، وإن سُحق بزره، وعُجن بقطران، وبخرت به الأضراس التى فيها الدود نثرها وأخرجها، ويُسكن الوجع العارض فيها، وإذا دُخنت المقعدة ببزره خفت البواسير، هذا كله فى الكراث النبطى.

وفيه مع ذلك فساد الأسنان واللثة، ويصدع، ويُرى أحلامًا رديئةً، ويُظلم البصر، وينتن النكهة، وفيه إدرار للبول والطمث، وتحريك للباه، وهو بطيء الهضم.

حرف اللام

لحم: قال الله تعالى: ﴿ **وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ** ﴾ **(الطور: ٢٢)**. وقال: ﴿ **وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ** ﴾ **(الواقعة: ٢١)**.

وفى «سنن ابن ماجه» من حديث أبى الدرداء، عن رسول الله ﷺ: «**سيد طعام أهل الدنيا، وأهل الجنة اللحم**»[١]. ومن حديث بريدة يرفعه: «**خير الإدام فى الدنيا والآخرة اللحم**»[٢].

وفى «الصحيح» عنه ﷺ: «**فضل عائشة كفضل الثريد على سائر الطعام**»[٣].

والثريد: الخبز واللحم، قال الشاعر:

إذا مَا الخُبْزُ تَأدِمُهُ بلحمٍ فَذَاكَ أَمَانَةَ اللهِ الثَّرِيد

قال الزهرى: أكل اللحم يزيد سبعين قوة. وقال محمد بن واسع: اللحم يزيد فى البصر، ويُرْوى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه: كلوا اللحم فإنه يصفى اللون ويُخمص البطن، ويُحسن الخلق. وقال نافع: كان ابن عمر إذا كان رمضان لم يفته اللحم، وإذا سافر لم يفته اللحم، ويُذكر عن على: من تركه أربعين ليلة ساء خلقه.

وأما حديث عائشة رضى الله عنها، الذى رواه أبو داود مرفوعًا: «**لا تقطعوا**

---

(١) ضعيف جدا: ابن ماجه في الأطعمة (٣٣٠٥)، فى إسناده مجهولان، وسليمان بن عطاء ضعيف، وقد اتهم بالوضع.

(٢) ضعيف جدا: البيهقى في الشعب (٥٩٠٢)، فى إسناده العباس بن بكر، وهو كذاب يضع، وانظر: الفوائد المجموعة.

(٣) صحيح البخاري في الفضائل (٣٧٦٩)، ومسلم في فضائل الصحابة (٧٠/٢٤٣١).

اللحم بالسكين، فإنه من صنيع الأعاجم، وانهسوه، فإنه أهنأ وأمرأ»[1]. فرده الإمام أحمد بما صح عنه ﷺ من قطعه بالسكين في حديثين، وقد تقدما.

واللحم أجناس يختلف باختلاف أصوله وطبائعه، فنذكر حكم كل جنس وطبعه ومنفعته ومضرته.

لحم الضأن: حار في الثانية، رطب في الأولى، جيده الحولي[2]، يولد الدم المحمود القوى لمن جاد هضمه، يصلح لأصحاب الأمزجة الباردة والمعتدلة، ولأهل الرياضات التامة في المواضع والفصول الباردة، نافع لأصحاب المرة السوداء، يُقوى الذهن والحفظ. ولحم الهرم والعجيف ردىء، وكذلك لحم النعاج، وأجوده: لحم: الذكر الأسود منه، فإنه أخف وألذ وأنفع، والخصى أنفع وأجود، والأحمر من الحيوان السمين أخف وأجود غذاءً، والجزع من المعز أقل تغذية، ويطفو في المعدة.

وأفضل اللحم عائذة بالعظم[3]، والأيمن أخف وأجود من الأيسر، والمقدم أفضل من المؤخر، وكان أحب الشاة إلى رسول الله ﷺ مقدمها، وكل ما علا منه سوى الرأس كان أخف وأجود مما سفل، وأعطى الفرزدق رجلاً يشترى له لحمًا وقال له: خذ المقدم، وإياك والرأس والبطن، فإن الداء فيهما، ولحم العنق جيد لذيذ، سريع الهضم خفيف، ولحم الذراع أخف اللحم وألذه وألطفه وأبعده من الأذى وأسرعه انهضاماً.

وفي «**الصحيحين**»: أنه كان يُعجب رسول الله ﷺ[4]. ولحم الظهر كثير الغذاء، يولد دمًا محموداً. وفي «سنن ابن ماجه» مرفوعًا: «أطيب اللحم لحم الظهر»[5].

لحم المعز: قليل الحرارة، يابس، وخلطه المتولد منه ليس بفاضل وليس بجيد الهضم، ولا محمود الغذاء. ولحم التيس[6] ردىء مطلقًا، شديد اليُبس، عسر الانهضام، مولد للخلط السوداوى.

قال الجاحظ: قال لي فاضل من الأطباء: يا أبا عثمان، إياك ولحم المعز، فإنه

---

(١) ضعيف سبق تخريجه، ونهس اللحم أخذه بمقدم أسنانه ونتفه للأكل.
(٢) ما مضى له من العمر عام.
(٣) يقولون أفضل اللحم ما قرب من العظم.
(٤) سبق تخريجه.
(٥) صحيح لغيره: ابن ماجه في الأطعمة (٣٣٠٨)، والنسائي في الكبرى (٦٦٥٧)، وأحمد ٢٠٤/١.
(٦) هو ذكر المعز إذا أتى عليه عام.

يــورث الغـم، ويُحـرك السـوداء، ويُورث النسـيـان، ويفـسـد الدم، وهو والله يَخْـبِلُ الأولاد.

وقال بعض الأطباء: إنما المذموم منه المسن، ولا سيما للمسنين، ولا رداءة فيه لمن اعتاده. وجالينوس جعل الحولى منه من الأغذية المعتدلة المعدلة للكيموس(1) المحمود، وإناثه أنفع من ذكوره.

وقد روى النسائى فى «سننه» عن النبى ﷺ. «**أحسنوا إلى الماعز وأميطوا عنها الأذى فإنه من دوابِّ الجنة**»(2). وفى ثبوت هذا الحديث نظر. وحكم الأطباء عليه بالمضرة حكم جزئى ليس بكلى عام، وهو بحسب المعدة الضعيفة، والأمزجة الضعيفة التى لم تعتده، واعتادت المأكولات اللطيفة، وهؤلاء أهل الرفاهية من أهل المدن، وهم القليلون من الناس.

لحم الجدى: قريب إلى الاعتدال، خاصة ما دام رضيعًا، ولم يكن قريب العهد بالولادة وهو أسرع هضمًا لما فيه من قوة اللبن، ملين للطبع، موافق أكثر الناس فى أكثر الأحوال، وهو ألطف من لحم الجمل، والدم المتولد عنه معتدل.

لحم البقر: بارد يابس، عسر الانهضام، بطىء الانحدار، يولد دمًا سوداويًا، لا يصلح إلا لأهل الكد والتعب الشديد، ويُورث إدمانه الأمراض السوداوية، كالبهق والجرب، والقُوباء، والجُذام، وداء الفيل، والسرطان، والوسواس، وحمى الربع، وكثير من الأورام، وهذا لمن لم يعتده، أو لم يدفع ضرره بالفلفل والثوم والدارصينى، والزنجبيل ونحوه، وذكره أقل برودةً، وأنثاه أقل يبسًا. ولحم العجل ولا سيما السمين من أعدل الأغذية وأطيبها وألذها وأحمدها، وهو حار رطب وإذا انهضم غذى غذاءً قويًا.

لحم الفرس: ثبت فى «الصحيح» عن أسماء رضى الله عنها قالت: نحرنا فرسًا فأكلناه على عهد رسول الله ﷺ(3). وثبت عنه ﷺ أنه أذن فى لحوم الخيل، ونهى عن لوم الحُمر، أخرجاه فى «الصحيحين»(4).

---

(1) الكيموس: المواد الغذائية التى تتجمع على شكل كتلة عجينية فى المعدة قبل أن تدخل الأمعاء الدقيقة.

(2) رواه البزار في كشف الأستار (١٣٢٩) بسند ضعيف.

(3) صحيح البخارى فى الذبائح والصيد (٥٥١٩).

(4) صحيح البخاري فى الذبائح والصيد (٥٥٢٠).

ولا يثبت عنه حديث المقدام بن معدى كرب -رضى الله عنه- أنه نهى عنه قاله أبو داود وغيره من أهل الحديث[1].

واقترانه بالبغال والحمير فى القرآن لا يدل على أن حكم لحمه حكم لحومهم بوجه من الوجوه، كما لا يدل على أن حكمها فى السهم فى الغنيمة حكم الفرس، والله سبحانه يَقرنُ في الذكر بين المتماثلات تارةً، وبين المختلفات، وبين المتضادات، وليس فى قوله: ﴿ لِتَرْكَبُوهَا ﴾ **(النحل: ٨)**، ما يمنع من أكلها، كما ليس فيه ما يمنع من غير الركوب من وجوه الانتفاع، وإنما نص على أجل منافعها، وهو الركوب، والحديثان فى حلها صحيحان لا مُعارض لهما، وبعد: فلحمها حار يابس، غليظٌ سوداوى مضر لا يصلح للأبدان اللطيفة.

لحم الجمل: فرق ما بين الرافضة وأهل السنة، كما أنه أحد الفروق بين اليهود وأهل الإسلام، فاليهود والرافضة تذمه ولا تأكله، وقد عُلمَ بالاضطرار من دين الإسلام حله، وطالما أكله رسول الله ﷺ وأصحابه حضراً وسفراً.

ولحم الفصيل منه من ألذ اللحوم وأطيبها وأقواها غذاءً، وهو لمن اعتاده بمنزلة لحم الضأن لا يضرهم البتة، ولا يُولد لهم داء، وإنما ذمه بعض الأطباء بالنسبة إلى أهل الرفاهية من أهل الحضر الذين لم يعتادوه، فإن فيه حرارة ويُبسًا، وتوليداً للسوداء، وهو عسر الانهضام، وفيه قوةٌ غير محمودة، لأجلها أمر النبى ﷺ بالوضوء من أكله فى حديثين صحيحين[2] لا معارض لهما، ولا يصح تأويلهما بغسل اليد، لأنه خلاف المعهود من الوضوء فى كلامه ﷺ، لتفريقه بينه وبين لحم الغنم، فخيَّر بين الوضوء وتركه منها، حتَّم الوضوء من لحوم الإبل، ولو حمل الوضوء على غسل اليد فقط، لحمل على ذلك فى قوله: «**مَنْ مَسَّ فرجهُ فليتوضأ**»[3].

وأيضا: فإن آكلها قد لا يباشر أكلها بيده بأن يوضع فى فمه، فإن كان وضوؤه غسل يده، فهو عبث، وحمل لكلام الشارع على غير معهوده وعرفه، ولا يصحُّ

(١) ضعيف أبو داود في الأطعمة (٣٧٩٠)، فى إسناده بقية بن الوليد ضعفوه، كثير التدليس عن الضعفاء، والحديث عنعن.

(٢) الحديث الأول: رواه مسلم في الحيض (٣٦٠/٩٧) عن جابر بن سمرة. الحديث الثانى: رواه أبو داود (١٨٤)، والترمذي (٨١).

(٣) صحيح أبي داود في الطهارة (١٨١).

معارضته بحديث: كان آخر الأمرين من رسول الله ﷺ ترك الوضوء مما مست النار[1] لعدة أوجه:

أحدها: أن هذا عام، والأمر بالوضوء منها خاص.

الثاني: أن الجهة مختلفة، فالأمر بالوضوء منها بجهة كونها لحم إبل سواء كان نيئًا، أو مطبوخًا، أو قديدًا، ولا تأثير للنار فى الوضوء. وأما ترك الوضوء مما مسَّت النار، ففيه بيان أن مس النار ليس بسبب للوضوء، فأين أحدهما من الآخر؟ هذا فيه إثبات سبب الوضوء، وهو كونه لحم إبل، وهذا فيه نفى لسبب الوضوء، وهو كونه ممسوس النار، فلا تعارض بينهما بوجه.

الثالث: أن هذا ليس فيه حكاية لفظ عام عن صاحب الشرع، وإنما هو إخبارٌ عن واقعة فعل فى أمرين، أحدهما متقدم على الآخر، كما جاء ذلك مبينًا فى نفس الحديث، أنهم قربوا إلى النبى ﷺ لحمًا، فأكل، ثم حضرت الصلاة، فتوضأ فصلى، ثم قرَّبوا إليه فأكل، ثم صلى، ولم يتوضأ، فكان آخر الأمرين منه ترك الوضوء مما مست النار، هكذا جاء الحديث، فاختصره الراوى لمكان الاستدلال، فأين فى هذا ما يصلح لنسخ الأمر بالوضوء منه، حتى لو كان لفظًا عامًّا متأخرًا مقاوما، لم يصلح للنسخ، ووجب تقديم الخاص عليه، وهذا فى غاية الظهور.

لحم الضب[2]: تقدم الحديث فى حله، ولحمه حار يابس، يُقوى شهوة الجماع.

لحم الغزال: الغزال أصلح الصيد وأحمده لحمًا، وهو حار يابس، وقيل: معتدل جدًّا، نافع للأبدان المعتدلة الصحيحة، وجيده الخشف (الصغير من الغزلان).

لحم الظبى: حار يابس فى الأولى، مجفِّف للبدن، صالح للأبدان الرطبة. قال صاحب «القانون»[3]: وأفضل لحوم الوحش لحم الظبى مع ميله إلى السوداوية.

لحم الأرانب: ثبت فى «الصحيحين»: عن أنس بن مالك قال: أنفجنا أرنبًا فسعوا فى طلبها، فأخذوها فبعث أبو طلحة بوركها إلى رسول الله ﷺ فقبله[4].

---

(١) صحيح أبو داود في الطهارة (١٩٢)، والترمذي في الطهارة (٨٠).
(٢) حيوان من جنس الزواحف غليظ الجسم خشنه وله ذنب عريض حرش أعقد يكثر في صحارى الأقطار العربية.
(٣) الرئيس ابن سينا.
(٤) صحيح البخاري في الذبائح والصيد (٥٥٣٥)، ومسلم في الصيد والذبائح (١٩٥٣) ونفج: أثار.

لحم الأرنب: معتدل إلى الحرارة واليبوسة، وأطيبها وركها، وأحمده أكل لحمها مشويًّا، وهو يعقل البطن، ويدر البول، ويُفتت الحصى، وأكل رؤوسها ينفع من الرعشة.

لحم حمار الوحش: ثبت في «الصحيحين»: من حديث أبي قتادة رضي الله عنه، أنهم كانوا مع رسول الله ﷺ في بعض عُمره، وأنه صاد حمار وحش، فأمرهم النبي ﷺ بأكله وكانوا محرمين، ولم يكن أبو قتادة محرمًا[1].

وفي «سنن ابن ماجه»: عن جابر قال: أكلنا زمن خيبر الخيل وحُمُر الوحش[2].

لحمه حار يابس، كثير التغذية، مولد دمًا غليظًا سوداويًّا، إلا أن شحمه نافع مع دهن القسط لوجع الظهر والريح الغليظة المرخية للكلى، وشحمه جيد للكلف طلاء، وبالجملة فلحوم الوحوش كلها تتولد دمًا غليظًا سوداويًّا، وأحمده الغزال وبعده الأرنب.

لحوم الأجنة: غير محمودة لاحتقان الدم فيها، وليست بحرام، لقوله ﷺ: «**ذكاة الجنين ذكاةُ أمه**»[3].

ومنع أهل العراق[4] من أكله إلا أن يُدركه حيًّا فيذكيه، وأوَّلوا الحديث على أن المراد به أن ذكاته كذكاة أمه. قالوا: فهو حجة على التحريم، وهذا فاسد، فإن أول الحديث أنهم سألوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، نذبح الشاة، فنجد في بطنها جنينًا أفنأكله؟ فقال: «**كلوه إن شئتم فإن ذكاته ذكاة أمه**». وأيضًا: فالقياس يقتضي حلَّه، فإنه ما دام حملاً فهو جزء من أجزاء الأم، فزكاتها زكاة لجميع أجزائها، وهذا هو الذي أشار إليه صاحب الشرع بقوله: «**ذكاته ذكاة أمه**»، كما تكون ذكاتها ذكاة سائر أجزائها، فلو لم تأت عنه السنة الصريحة بأكله، لكن القياس الصحيح يقتضي حله.

لحم القديد: في «السنن»: من حديث ثوبان رضي الله عنه قال: ذبحت

---

(1) صحيح البخاري في الصيد والذبائح (٥٤٩٠)، ومسلم في الحج (١١٩٦).
(2) صحيح ابن ماجه في الذبائح (٣١٩١).
(3) صحيح لغيره أبو داود في الضحايا (٢٨٢٧)، والترمذي في الأطعمة (١٤٧٦).
(4) أي فقهاء العراق.

لرسول الله ﷺ شاةٌ ونحن مسافرون، فقال: «**أصلح لحمها**» فلم أزل أطعمه منه إلى المدينة[1].

القديد: أنفع من النمكسود، ويُقوى الأبدان، ويُحدث حكة، ودفع ضرره بالأبازير الباردة الرطبة، ويصلح الأمزجة الحارجة، والنمكسود: حار يابس مجفف، جيده من السمين الرطب، يضر بالقولنج، ودفع مضرته طبخه باللبن والدهن ويصلح للمزاج الحار الرطب.

فصل فى لحوم الطير

قال الله تعالى: ﴿ **وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ** ﴾ (الواقعة: ٢١).

وفى «مسند البزار» وغيره مرفوعًا «**إنك لتنظر إلى الطير فى الجنة، فتشتهيه، فيخر مشويا بين يديك**»[2].

ومنه حلال، ومنه حرام. فالحرام: ذو المخلب، كالصقر والبازى والشاهين وما يأكل الجيف كالنسر والرَّخم واللقلق والعقعق والغُراب الأبقع والأسود الكبير، وما نُهى عن قتله كالهُدهد والصرد، وما أُمر بقتله كالحدأة والغُراب.

والحلال أصناف كثيرة، فمنه الدجاج، ففى «الصحيحين»: من حديث أبى موسى، أن النبى ﷺ أكل لحم الدجاج[3]. وهو حار رطب فى الأولى، خفيف على المعدة، سريع الهضم، جيد الخلط، يزيد فى الدماغ والمنى، ويُصفى الصوت، ويحسنُ اللون، ويقوى العقل، ويُولد دمًا جيداً، وهو مائل إلى الرطوبة، ويقال: إن مداومة أكله تورث النقرس، ولا يثبت ذلك.

ولحم الديك أسخن مزاجًا، وأقل رطوبة، والعتيق منه دواء ينفع القولنج والربو والرياح الغليظة إذا طُبخ بماء القُرطم، والشبث، وصغيرها محمود الغذاء، سريع الانهضام، والفراريج سريعة الهضم، ملينة للطبع، والدم المتولد منها دمٌ لطيف جيد.

لحم الدراج: حار يابس فى الثانية، خفيفٌ لطيف، سريع الانهضام، مولد للدم المعتدل، والإكثار منه يحدُّ البصر.

---

(١) صحيح مسلم في الأضاحى (١٩٧٥/٣٥، ٣٦)، وأبو داود في الضحايا (٢٨١٤).
(٢) انظر تفسير: ابن كثير ٢٨٧/٤.
(٣) صحيح البخاري في الذبائح (٥٥١٧)، ومسلم في الأيمان (٩/١٦٤٩).

لحم الحَجل: يولد الدم الجيد، سريع الانهضام.

لحم الإوز: حار يابس، ردىء الغذاء إذا اعتيد، وليس بكثير الفضول.

لحم البط: حار يابس، كثير الفضول، عسر الانهضام، غير موافق للمعدة.

لحم الحبارى: «فى السنن» من حديث برية بن عمر بن سفينة، عن أبيه، عن جده رضى الله عنه قال: أكلت مع رسول الله ﷺ لحم حبارى(1).

وهو حار يابس، عسر الانهضام، نافعٌ لأصحاب الرياضة والتعب.

لحم الكركى: يابس خفيف، وفى حره وبرده خلاف، يولد دمًا سوداويًّا، ويصلح لأصحاب الكد والتعب، وينبغى أن يُترك بعد ذبحه يومًا أو يومين، ثم يؤكل.

لحم العصافير والقنابر: روى النسائى فى «سننه»: من حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما، أن النبى ﷺ قال: «**مَا من إنسان يقتُل عُصفورًا فما فوقه بغير حقه إلا سأله الله عز وجل عنها**»، قيل: يا رسول الله، وما حقه؟ قال: «**تذبحه فتأكله، ولا تقطع رأسه وترمى به**»(٢).

وفى «سننه» أيضًا: عن عمرو بن الشريد، عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ قتل عصفورًا عبثًا، عجَّ إلى الله يقول: يا رب إن فُلانًا قتلنى عبثًا، ولم يَقتلنى لمنفعة**»(٣).

ولحمه حار يابس، عاقلٌ للطبيعة، يزيد فى الباه، ومرقه يُلين الطبع، وينفع المفاصل، وإذا أُكلت أدمغتها بالزنجبيل والبصل، هيجت شهوة الجماع، وخلطها غير محمود.

لحم الحمام: حار رطب، وحشيُّه أقل رطوبة، وفراخه أرطب خاصية، وما رُبى فى الدور وناهضه أخف لحمًا، وأحمده غذاء، ولحم ذكورها شفاءٌ من الاسترخاء والخدر والسكتة والرعشة، وكذلك شم رائحة أنفاسها، وأكل فراخها معينٌ على النساء، وهو جيد للكلى، يزيد فى الدم، وقد روى فيها حديث باطل لا أصل له عن

---

(١) حسن: أبو داود في الأطعمة (٣٧٩٧).
(٢) حسن: النسائى في الصيد (٤٣٦٠) في إسناده صهيب مولى ابن عامر لم يوثقه غير ابن حبان.
(٣) حسن: النسائى في الضحايا (٤٤٥٨)، أى عج العصفور برفع صوته.

رسول الله ﷺ : أن رجلاً شكى إليه الوحدة، فقال: «**اتخذ زوجًا من الحمام**». وأجود من هذا الحديث أنه ﷺ رأى رجلاً يتبع حمامة، فقال: «**شيطان يتبع شيطانه**»(1).

وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه في خطبته يأمر بقتل الكلاب وذبح الحمام.

لحم القطا: يابس، يُولد السوداء، ويحبس الطبع، وهو من شر الغذاء، إلا أنه ينفع من الاستسقاء.

لحم السماني: حار يابس، ينفع المفاصل، ويضر بالكبد الحار، ودفع مضرته بالخل والكُسفرة.

وينبغي أن يُجتنب من لحوم الطير ما كان في الآجام والمواضع العفنة، ولحوم الطير كلها أسرع انهضامًا من المواشي، وأسرعها انهضامًا، وأقلها غذاءً، هي الرقاب والأجنحة، وأدمغتها أحمد من أدمغة المواشي.

لحم الجراد: في «الصحيحين»: عن عبد الله بن أبي أوفى قال: غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات نأكل الجراد(2).

وفي «المسند» عنه: «**أُحلت لنا ميتتان ودمان: الحوت (السمك) والجراد، والكبد والطحال**»(3). يُروى مرفوعًا وموقوفًا على ابن عمر رضي الله عنه.

وهو حار يابس، قليل الغذاء، وإدامة أكله تُورث الهزال، وإذا تُبُخر به نفع من تقطير البول وعسره، وخصوصًا للنساء، ويُتبخر به للبواسير، وسمانه يُشوى ويوكل للسع العقرب، وهو ضار لأصحاب الصرع، رديء الخلط، وفي إباحة ميتته بلا سبب قولان، فالجمهور على حله، وحرمه مالك، ولا خلاف في إباحة ميتته إذا مات بسبب، كالكبس والتحريق ونحوه.

فصل

عدم المداومة على أكل اللحم

وينبغي أن لا يُداوم على أكل اللحم، فإنه يُورث الأمراض الدموية والامتلائية

---

(1) حسن: أبو داود في الأدب (٤٩٤٠). (2) صحيح: البخاري في الذبائح (٥٤٩٥). (3) سبق تخريجه.

والحميات الحادة، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: إياكم واللحم، فإن له ضراوة كضراوة الخمر، ذكره مالك فى «الموطأ» عنه[1]. وقال أبقراط: لا تجعلوا أجوافكم مقبرة للحيوان.

اللبن: قال الله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ** ﴾ (النحل: ٦٦) وقال فى الجنة: ﴿ **فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ** ﴾ (محمد: ١٥). وفى «السنن» مرفوعًا: «**من أطعمه الله طعامًا فليقل: اللهم بارك لنا فيه، وارزقنا خيرًا منه، ومَنْ سقاه الله لبنًا، فليقل: اللهم بارك لنا فيه، وزدنا منه، فإنى لا أعلم ما يُجزئ من الطعام والشراب إلا اللبن**»[2].

● **اللبن وتركيبه:** اللبن وإن كان بسيطًا فى الحس، إلا أنه مركب فى أصل الخلقة تركيبًا طبيعيًّا، من جواهرَ ثلاثة: الْجُبنيَّة، والسَّمنية–، والمائية. فالجُبنية باردة رطبة، مغذية للبدن. والسمنية معتدلة فى الحرارة والرطوبة، ملائمة للبدن الإنساني الصحيح، كثيرة المنافع. والمائية حارة رطبة، مطلقة للطبيعة، مرطبة للبدن. واللبنُ – على الإطلاق– أبرد وأرطب من المعتدل. وقيل: قوَّته عند حلبه الحرارةُ والرطوبة. وقيل: معتدل فى الحرارة والبرودة.

● **أجود ما يكون اللبن:** وأجود ما يكون اللبن: حين يُحلب. ثم لا يزال تنقص جودتُه على ممر الساعات، فيكون حين يُحلب أقل برودةً، وأكثر رطوبة، والحامض بالعكس ويُختار اللبن بعد الولادة بأربعين يومًا. وأجوده: ما اشتد بياضه، وطاب ريحه، ولذ طعمه، وكان فيه حلاوة يسيرة، ودسومة معتدلة، واعتدل قوامه فى الرقة والغلظة، وحُلب من حيوان فتيٍّ صحيح: معتدلِ اللحم، محمود المرعَى والمشْرَب. وهو محمود: يولِّد دمًا جيدًا، ويرطب البدن اليابس ويغذو غذاءً حسنًا، وينفع من الوَسواس والغم والأمراض السوداويَّة. وإذا شُرب مع العسل: نقى القُروح الباطنة، من الاخلاط العفِنة. وشربُه مع السكر يحسن اللون جدًّا.

● **الحليب من اللبن:** والحليب يتدارك ضرر الجماع، ويوافق الصدر والرئة؛ جيد

---

(١) ضعيف: مالك في الموطأ في صفة النبي ﷺ ٧١٣/٢ (٣٦) في سنده انقطاع.
(٢) سبق تخريجه.

لأصحاب السل، رديءٌ للرأس والمعدة والكبد والطِّحال. والإكثارُ منه مضر بالأسنان واللِّثة. ولذلك ينبغى أن يُتمضمض بعده بالماء. وفى الصحيحين: «**أن النبى ﷺ شرب لبناً، ثم دعا بماءٍ فتمضمض، وقال: إن له دسَماً**»(١).

وهو رديءٌ للمحمومين وأصحاب الصداع، مؤذٍ للدماغ والرأس الضعيف. والمداومة عليه تحدث ظلمة البصر والعشاء (ضعف الرؤية ليلا)، ووجع المفاصل، وسدة الكبد، والنفخ فى المعدة والأحشاء. وإصلاحهُ: بالعسل والزنجبيل المربَّى ونحوه. وهذا كله لمن لم يعتده.

● **(لبن الضأن)**: لبن الضأن أغلظ الألبان وأرطبها، وفيه: من الدسومة والزُّهومة. ما ليس فى لبن الماعز والبقر. يولد فضولا بلغمية، ويُحدث فى الجلد بياضًا: إذا أُدمن استعماله. ولذلك ينبغى أن يُشرب هذا اللبن بالماء: ليكون ما نال البدنُ منه أقلَّ: وتسكينُه للعطش أسرع، وتبريدُه للبدن أكثر.

● **(لبن المعز)**: لبن المعْز لطيف معتدل، مطلق للبطن، مرطِّب للبدن اليابس، نافع من قروح الحلق، والسعال اليابس، ونفث الدم.

● **(اللبن الخالص)**: واللبنُ المطلَقُ أنفع المشروبات للبدن الإنسانىِّ: لما اجتمع فيه من التغذية والدموية، ولاعتياده حال الطفولية، وموافقته للفطرة الأصلية. وفى الصحيحين: «**أن رسول الله ﷺ أُتىَ ليلة أُسرِىَ به، بقدَح من خمر، وقدح من لبن. فنظر إليهما، ثم أخذ اللبن. فقال جبرائيل عليه السلام: الحمد لله الذى هداك للفطرة، لو أخذت الخمر: غوتْ أُمَّتُك**».

● **(اللبن الحامض)**: والحامض منه بطيء الاستمراء، خامُ الخلط. والمعدة الحارة تهضمه وتنتفع به.

● **(لبن البقر)**: لبن البقر يغذُو البدن ويُخصبه، ويُطلق البطن باعتدال. وهو من أعدل الألبان وأفضلها، بين لبن الضأن، ولبن المعز: فى الرقة والغلظ والدسم.

وفى السنن - من حديث عبد الله بن مسعود، يرفعه -: «**عليكم بألبان البقر، فإنها ترْتمُّ من كل الشجر**»(٢).

(١) أخرجه البخاري في: ٤- كتاب الوضوء (٥٢) باب هل يمضمض من اللبن، فتح الباري (١:٣١٣)، ومسلم في: ٣- كتاب الحيض (٢٤) باب نسخ الوضوء مما مست النار، ح (٩٥).
(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤:١٩٧).

● **(لبن الإبل)**: لبن الإبل تقدم ذكره فى أول الفصل، وذكر منافعه. فلا حاجة لإعادته.

● **(اللُّبان)**: لُبانٌ هو: الكُنْدُر. قد ورد فيه عن النبى ﷺ: «**بخِّروا بيوتكم باللُّبان والصَّعتر**». ولا يصح عنه.

● **ما ينفع للنسيان**: ولكن يروى عن على، أنه قال لرجل شكا إليه النسيان: «عليك باللبان، فإنه يشجع القلب، ويذهب بالنسيان». ويُذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما: «أن شربه مع السكر على الريق، جيد للبول والنسيان» ويُذكر عن أنس رضى الله عنه: «أنه شكا إليه رجلُ النسيانَ، فقال: عليك بالكُنْدُر، وانقعه من الليل، فإذا أصبحت فخذ منه شربةً على الريق: فإنه جيد للنسيان».

ولهذا سبب طبيعيٌّ ظاهر: فإن النسيان إذا كان لسوء مزاج بارد رطب يغلب على الدماغ، فلا يحفظ ما ينطبع فيه نفع من اللبان، وأما إذا كان النسيان لغلبة شىءٍ عارض: أمكن زواله سريعًا بالمرطِّبات: والفرق بينهما أن اليبوسىَّ يتبعه سهر وحفظ للأمور الماضية دون الحالية، والرُّطوبىَّ بالعكس.

وقد يُحدث النسيانَ أشياء بالخاصية: كحجامة نُقْرة القفا، وإدمان أكل الكُسبرة الرطبة والتفاح الحامض، وكثرة الهم والغم، والنظر فى الماء الواقف والبول فيه، والنظر إلى المصلوب: والإكثار من قراءة ألواح القبور، المشى بين جملين مقطُورين، وإلقاء القمل فى الحياض، وأكل سُور الفأر. وأكثر هذا معروف بالتجربة.

● **منافع اللُّبان**: والمقصود أن اللُّبان مسخِّن فى الدرجة الثانية، ومجفِّف فى الأَولى. وفيه قبض يسير. وهو كثير المنافع، قليل المضار، فمن منافعه: أنه ينفع من قذف الدم ونزفه، ووجع المعدة واستطلاق البطن، ويهضم الطعام، ويطرُد الرياح، ويجلو قروح العين، ويُنبت اللحم فى سائر القروح، ويقوِّى المعدة الضعيفة ويسخِّنها، ويجفف البلغم، وينشف رطوبات الصدر، ويجلو ظلمة البصر، ويمنع القروح الخبيثة من الانتشار.

وإذا مضغ وحده أو مع الصَّعْتر الفارسى: جلب البلغم، ونفع من اعتقال اللسان، ويزيد فى الذهن ويذكِّيه. وإن بُخر به: نفع من الوباء، وطيَّب رائحة الهواء.

حـــرف الميـــم

١- **(مـــاء):** مادةُ الحياة، وسيد الشراب، وأحد أركان العالَم، بل ركنه الأَصليُّ: فإن السموات خُلقتْ من بخاره، والأَرضَ من زَبَده، وقد جعل الله منه كل شيءٍ حى.

وقد اختُلف فيه: هلْ يغذُو؟ أَو يُنفذ الغذاءَ فقط؟ على قولين. وقد تقدما، وذكرنا القول الراجح ودليله. وهو بارد رطب: يقمع الحرارة ويحفظ على البدن رطوباتهِ ويرُد عليه بدل ما تحلَّل منه، ويرقق الغذاء ويُنفذه فى العروق.

● **ما تعرف به جودة الماء:** وتعتبر جودة الماء من عشرة طرق: **(أحدها):** من لونه: بأَن يكون صافيًا. **(الثانى):** من رائحته: بأن لا يكون له رائحة البتة. **(الثالث):** من طعمه: بأن يكون عذب الطعم حلوه، كماء النيل والفرات. **(الرابع):** من وزنه خفيفًا رقيق القِوام. **(الخامس):** من مجراه: بأَن يكون طيب المجرى والمسلك. **(السادس):** من منْبَعه: بأَن يكون بعيد المنبع. **(السابع):** من بروزه للشمس والريح: بأَن لا يكون مختفيًا تحت الأَرض فلا تتمكن الشمس والريح من قُصارته. **(الثامن):** من حركته: بأَن يكون سريع الجرى والحركة. **(التاسع):** من كثرته: بأَن يكون له كثرة تدفع الفضلات المخالطةَ له. **(العاشر):** من مصبه: بأَن يكون آخذاً من الشَّمال إلى الجنوب، أو من المغرب إلى المشرق.

● **أكمل أنهار الدنيا:** وإذا اعتُبرَت هذه الأَوصاف، لم تجدها بكمالها إلا فى الأنهار الأربعة: النيل، والفُرات، وسَيْحونَ، وجَيْحونَ. وفى الصحيحين – من حديث أبى هريرة رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيْحَانُ وجيْحَانُ والنِّيلُ والفُرات، كلها من أنهار الجنة**»(١).

وتعتبر خفة الماء من ثلاثة أوجه: **(أحدها):** سرعة القبول للحر والبرد: قال أَبقراط: «الماء الذى يسخُن سريعًا ويبرُد سريعًا، أَخفُّ المياه».

(الثانى): بالميزان. **(الثالث):** أَن تُبل قطنتان متساويتان الوزن بماءَين مختلفين، ثم يُجففَّا بالغًا، ثم توزَنا. فأَيُّهما كانت أَخف، فماؤُها كذلك.

والماءُ – وإن كان فى الأَصل بارداً رطبًا – فإن قوته تنتقل لأَسباب عارضة توجب

---

(١) أخرجه مسلم في: ٥١- كتاب الجنة، (١٠) ما جاء في الدنيا من أنهار الجنة، ح (٢٦).

انفعالها. فإن الماءَ المكشوف للشَّمال، المستورَ عن الجهات الأُخر -: يكون باردا، وفيه يبس مكتسب من ريح الشَّمال. وكذلك الحكمُ على سائر الجهات الأُخر. والماء الذى ينبع من المعادن: يكون على طبيعة ذلك المعدن، ويؤثر فى البدن تأثيرَه.

● **الأحوال التى يشرب فيها الماء ومتى لا يشرب:** والماء العذب نافع للمرضى والأصحاء، والباردُ منه أنفع وألّذ. ولا ينبغى شربه على الريق، ولا عقيب الجماع ولا الانتباه من النوم، ولا عقيب الحمام ولا عقيب أكل الفاكهة وقد تقدم. وأما على الطعام، فلا بأس به إذا اضطُر إليه، بل يتعين. ولا يكثر منه، بل يتمصَّصه مصًّا. فإنه لا يضره البتة، بل يقوى المعدة، ويُنهض الشهوة ويُزيل العطش.

والماءُ الفاتر ينفخ ويفعل ضد ما ذكرناه. وبائتُه أجود من طريِّه. وقد تقدم. والبارد ينفع من داخل، أكثر من نفعه من خارج. والحار بالعكس. وينفع البارد من عفونة الدم، وصعود الأبخرة إلى الرأس. ويدفع العفونات، ويوافق الأمزجة والأسنان، والأزمان والأماكن الحارة. ويضر على كل حالة تحتاج إلى نُضج وتحليل: كالزكام والأورام. والشديد البرودة منه يؤذى الأسنان. والإدمانُ عليه يحدث انفجار الدم والنزلات، وأوجاع الصدر.

والبارد والحار بإفراط ضارَّان للعصب ولأكثر الأعضاء، لأن أحدهما محلِّل، والآخر مكثِّف. والماء الحار يسكِّن لذع الأخلاط الحارة، ويحلل ويُنضج، ويخرج الفضول، ويرطب ويسخِّن، ويفسد الهضمَ شربُه، ويَطفو بالطعام إلى أعلى المعدة ويُرخيها، ولا يسرع فى تسكين العطش، ويُذبل البدن، ويؤدى إلى أمراض رديئة، ويضر فى أكثر الأمراض. على أنه صالح للشيوخ وأصحاب الصَّرْع والصداع البارد والرمد. وأنفعُ ما استُعمل من خارج.

ولا يصح فى الماءِ المسخَّن بالشمس حديثٌ ولا أثرٌ، ولا كرهه أحد من قدماء الأطباءِ ولا عابوه. والشديد السخونة يُذيب شحم الكُلى.

وقد تقدم الكلام على ماءِ الأمطار، فى حرف الغين.

● **(ماءُ الثلج والبَرَد):** ثبت فى الصحيحين، عن النبى ﷺ، أنه كان يدعو فى الاستفتاح وغيره: «**اللهم، اغسلنى من خطاياى بماءِ الثلج والبرَد**».

● **مـــاء الثلـــج:** الثلـــج له فى نفسه كيفية حادة دخَانية، فماؤُه كذلك. وقد تقـدم وجـه الحكمـة فى طلب الغسل من الخطايا بمائه، لما يحتـاج إليـه القلب: من التبريد والتصْليب والتقوية. ويستفاد من هذا أصلُ طب الأَبدان والقلوب، ومعالجةُ أَدوائها بضدها.

● **ماء البَرَد وماء الجليد:** وماءَ البرَد ألطف وألذ من ماءِ الثلج. وأما ماءُ الجَمَد – وهو: الجليد – فبحسب أصله.

والثلـج يكتسب كيفـيـة الجبال والأَرض – التـى يسـقط عليها –: فى الجودة والرداءَة.

● **متى يمتنع عن شرب الماء المثلوج:** وينبغى تجنُّب شرب الماء المثلوج، عقيبَ الحمَّام والجماع والرياضة والطعام الحار، ولأَصحاب السعال ووجع الصدر وضعف الكبد، وأَصحاب الأَمزجة الباردة.

● **(ماءُ الآبار والقُنىُّ):** مياهُ الآبار قليلة اللطافة. وماءُ القُنىِّ المدفونة تحت الأَرض ثقيل: لأَن أحدهما محتقَن لا يخلو عن تعفُّن، والآخر محجوب عن الهواء. وينبغى أن لا يُشربَ على الفور: حتى يصمدَ للهواءِ وتأتَى عليه ليلةٌ. وأَردؤُه: ما كانت مجاريه من رَصاص، أَو كانت بئره معطلة، ولا سيما إذا كانت تربتها رديئة؛ فهذا الماءُ وبىءٌ وخيم.

● **(ماءُ زمزمَ):** سيد المياه وأَشرفها وأَجلها قدرًا، وأَحبُّها إلى النفوس وأَغلاها ثمنًا، وأَنفَسُها عند الناس، وهو هَزْمَة جبرائيلَ، وسُقيَا إسماعيلَ[1].

وثبت فى الصحيحين، عن النبى ﷺ، أنه قال لأَبى ذر – وقد أقام بين الكعبة وأستارها أربعين ما بيْن يوم وليلة: وليس له طعام غيرُه – فقال النبى ﷺ: «**إنها طعامُ طُعْمٍ**»[2]، وزاد غير مسلم بإسناده: «**وشفاءُ سُقْمٍ**»[3].

وفـى سـنن ابن ماجه – من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ – أنه قال: «**ماءُ زمزمَ لما شُرِب له**»[4].

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» على الصحيحين (١:٤٧٣).

(٢) أخرجه مسلم في: ٤٤- كتاب فضائل الصحابة (٢٨) باب من فضائل أبى ذر، ح (١٣٢).

(٣) أخرجه البيهقي في السنن (٥:١٤٨)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣:٢٨٦).

(٤) الحديث في سنن ابن ماجه في: ٢٥- كتاب المناسك (٧٨) باب الشرب من ماء زمزم، ح (٣٠٦٢).

وقد ضعَّف هذا الحديثَ طائفةٌ، بعبد الله بن المؤمَّل: رواية عن محمد بن مسلم المكيِّ.

وقد روينا عن عبد الله بن المبارَك: «**أنه لَّما حج: أَتى زمزم، فقال: اللهم، إن ابن أَبى الموالى حدثنا عن محمد بن المُنْكَدر، عن جابر رضى الله عنه عن نبيك ﷺ، أنه قال: ماءُ زمزمَ لما شرب له. فإِنى أَشرب لظمإِ يوم القيامة**». وابن أبى الموالى ثقة. فالحديث إذًا حسن. وقد صححه بعضهم، وجعله بعضهم موضوعًا. وكلا القولين فيه مجازفة.

● **الاكتفاء بماء زمزم عن الغذاء:** وقد جربت أنا وغيرى – من الاستسقاءِ بماء زمزمَ – أُموراً عجيبة، واستشفيت به من عدة أمراض: فبرأتُ بإِذن الله. وشاهدت من يتغذَّى به الأَيامَ ذواتِ العدد – قريبًا من نصف الشهر أَو أَكثرَ – ولا يجدُ جوعًا، ويطوف مع الناس كأَحدهم؛ وأخبرنى: أنه ربما بقَى عليه أربعين يومًا، وكان له قوةٌ: يجامع بها أهله، ويصوم، ويطوف مراراً.

● **(ماءُ النِّيل):** أَحد أَنهار الجنة، أَصله من وراءِ جبال القمر – فى أَقصى بلاد الحبشة – من أَمطار تجتمع هناك، وسيول يُمد بعضُها بعضا، فيسوقُه الله تعالى إِلى الأَرض الجُرُز التى لا نبات لها، فيُخرج به زرعًا تأْكل منه الأَنعام والأَنام.

ولَّما كانت الأَرض التى يسوقه إليها إِبْليزًا[1] صلَبة – إن أُمطرت مطر العادة: لم تروَ، ولم تتهيأْ للنبات. وإن أُمطرت فوق العادة: ضُرتْ المساكن والساكن، وعُطلتْ المعايش والمصالح –: فأَمطَر البلاد البعيدة، ثم ساق تلك الأمطار إلى هذه الأَرض فى نهر عظيم، وجعل سبحانه زيادته فى أوقات معلومة، على قدر رى البلاد وكفايتها. فإذا رَوَّى البلاد وعمَّها أذن سبحانه بتناقصه وهبوطه. ولتتم المصلحة بالتمكن من الزرع، واجتمع فى هذا الماء الأُمور العشرة[2] التى تقدم ذكرها؛ وكان من أَلطف المياه وأَخفَّها، وأَعذبها وأَحلاها.

● **(ماءُ البحر):** ثبت عن النبى ﷺ، أَنه قال فى البحر: «**هو الطَّهورُ ماؤُه الحلُّ ميتتُه**»[3].

(١) (الإبليز) هو الغرْيَن. (٢) إلا أنه يجرى من الجنوب إلى الشمال. (٣) سنن الترمذي – الطهارة (٦٩).

● **(الحكمة من ملوحة البحر)**: وقد جعله الله سبحانه ملحًا أُجَاجًا، مُرًّا زُعَاقًا، لتمام مصالح مَن هو على وجه الأَرض: من الآدميين والبهائم. فانه دائم راكد، كثير الحيوان. وهو يموت فيه كثيرا ولا يُقبر. فلو كان حلواً: لأَنتَنَ من إقامته وموت حيوانه فيه وأَجاف؛ وكان الهواءَ المحيط بالعالم يكتسب منه ذلك ويَنتَن ويُجَيِّف، فيفسد العالم. فاقتضت حكمة الرب سبحانه وتعالى أن جعله كالملاحة التى لو أَلقىَ فيه جيف العالم كلها وأَنتانُه وأَمواتُه: لم تغيرْه شيئًا، ولا يتغير على مكثه من حين خُلق وإلى أن يطوىَ الله العالم. فهذا هو السبب الغائىُّ الموجب لملوحته. وأَمَّا الفاعلىُّ فكونُ أَرضِه سَبخةً مالحة.

● **فوائد ماء البحر وضرره**: وبعد فالاغتسالُ به نافع من آفات عديدة فى ظاهر الجلد، وشربهُ مضر بداخله وخارجه: فإنه يُطلق البطن ويهزل، ويُحدث حِكة وجربا، ونفخا وعطشا.

● **تقطير ماء البحر**: ومن اضطر إلى شربه، فله طرق من العلاج يدفع به مضرتَه. **(منها)**: أَن يُجعل فى قِدر، ويجعل فوق القِدر قصباتٌ وعليها صوف جديد منفوش، ويُوقد تحت القدر حتى يرتفع بخارها إلى الصوف. فإذا كثر: عَصَره، ولا يزال يفعل ذلك حتى يجتمع له ما يريد فيحصل فى الصوف من البخار ماء عذْب، ويبقى فى القِدر الزُّعاقُ.

(ومنها): أَن يُحفر على شاطئه حفرةٌ واسعة يرشح ماؤُه إليها، ثم إلى جانبها قريبًا منها أُخرى ترشَح هى إليها، ثم ثالثةٌ إلى أن يعذُب الماءُ.

وإذا أَلجأَتْه الضرورة إلى شرب الماءَ الكَدِر، فعلاجُه: أَن يُلقىَ فيه نَوى المشمش، أَو قطعة من خشب الساج، أَو جمرًا ملتهبًا يُطفأُ فيه، أَو طينًا أَرْمَنيًّا، أَو سَويقَ حنطة. فإن كُدرتَه ترسُب إلى أسفلَ.

٢- (مِسْكٌ): ثبت فى صحيح مسلم – عن أَبى سعيد الخدرىِّ رضى الله عنه، عن النبى ﷺ – أَنه قال: «**أَطيبُ الطِّيب: المِسكُ**»(١).

(١) أخرجه مسلم في: ٤٠- كتاب الألفاظ من الأدب، (٥) باب استعمال المسك، ح (١٩).

وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها: «**كنت أطيِّب النبى ﷺ - قبل أن يُحرمَ، ويومَ النحر، وقبل أن يطوفَ بالبيت - بطيبٍ فيه مسكٌ**»(١).

المسك: ملكُ أنواع الطيب وأشرفها وأطيبها، وهو الذى يُضرب به الأمثال، ويُشبَّه به غيرُه، ولا يشبَّه بغيره. وهو كُثبان الجنة.

● **فوائد المسك**: وهو حار يابس فى الثانية: يسر النفس ويقوِّيها، ويقوِّى الأعضاءَ الباطنة جميعها: شربًا وشمًّا؛ والظاهرةَ: إذا وُضع عليها. نافع للمشايخ والمبرودين المرطوبين لا سيما زمن الشتاء، جيد للغَشْى والخفقان وضعف القوة: بإنعاشه للحرارة الغريزية. ويجلوا بياض العين وينشِّف رطوبتها، ويَفشُّ الرياح منها ومن جميع الأعضاء، ويُبطل عمل السموم، وينفع من نهش الأفاعى، ومنافعه كثيرة جدًّا. وهو أقوى المفرِّحات.

٣- **(مرزَنْجوش)**: ورد فيه حديث - لا نعلم صحته -: «**عليكم بالمَرْزَنْجُوش؛ فإنه جيدٌ للخُشام**»(٢). و (الخشام): الزكام.

وهو حار (فى الثالثة)، يابس فى الثانية: ينفع شمه من الصداع البارد والكائن عن البلغم والسوداء والزكام والرياح الغليظة، ويفتح السُّدد الحادثة والأوجاع الباردة الرطبة.

وإذا احتُمل: أدرَّ الطَّمث، وأعان على الحبَل. وإذا دُق ورقه اليابس وكُمِّد به: أذهب آثارَ الدم العارضة تحت العين. وإذا ضُمد به مع الخل: نفَع لسعة العقرب.

ودهنُه نافع لوجع الظهر والركبتين، ويذهب بالإعياء. ومن أدْمَن شمه: لم ينزل فى عينيه الماء. وإذا استُعط (أي بالأنف) بمائه مع دُهن اللَّوز المُر: فتح سدد المَنخرَين، ونفع من الريح العارضة فيها وفى الرأس.

٤- **(ملحٌ)**: روى ابن ماجه فى سننه - من حديث أنس، يرفعه -: «**سيدُ إدامكم: المِلحُ**»(٣). وسيد الشيءَ هو: الذى يُصلحه ويقوم عليه. وغالبُ الإدام إنما يصلح بالمالح.

(١) أخرجه البخاري (باب) الطيب عند الإحرام.
(٢) أخرجه ابن السنى وأبو نعيم في الطب عن أنس، ورمز له السيوطى بالضعف.
(٣) أخرجه الحكيم الترمذي والطبرانى، والديلمى من حديث عيسى البصرى عن رجل عن أنس، وعيسى هذا: متروك كما جاء فى تقريب التهذيب، وقال أحمد: لا يساوى شيئًا.

وفى مسند البزَّار مرفوعًا: «**سيوشكُ أن تكونوا فى الناس كالملح فى الطعام، ولا يصلُح الطعام إلا بالملح**»(1).

وذكر البغوىُّ فى تفسيره - عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، مرفوعًا -: «**إن الله أنزل أربعَ بركاتٍ من السماءِ إلى الأرض: الحديدَ، والنارَ، والماءَ. والملح**» والموقوف أشبَهُ.

● **منافع الملح:** الملح يُصلح أجسام الناس وأطعمتهم، ويُصلح كلَّ شيءٍ يخالطه حتى الذهبَ والفضة. وذلك: أن فيه قوةً تزيد الذهبَ صفرةً، والفضةَ بياضًا. وفيه جلاءٌ وتحليل، وإذهاب للرطوبات الغليظة وتنشيف لها، وتقوية للأبدان ومنعٌ من عفونتها وفسادها، ونفع من الجرب المتقرح.

وإذا اكتُحل به: قلع اللحم الزائد من العين، ومحَق الصفرة، والأَندرانى أبلغ فى ذلك، ويمنع القروح الخبيثة فى الانتشار، ويُحدر البراز. وإذا دُلك به بطونُ أصحاب الاستسقاءِ: نفعهم. وينقى الأَسنان، ويدفع عنها العفونة، ويشد اللِّثة ويقويها. ومنافعه كثيرة جدًا.

حـــرف النـــون

١- (نَخْلٌ): مذكور فى القرآن فى غير موضع. وفى الصحيحن، عن ابن عمر رضى الله عنهما، قال: «**بينَا نحن عند رسول الله ﷺ جلوسٌ: إذ أُتِىَ بجُمار نخلة، فقال النبى ﷺ: إن من الشجر شجرةً مَثَلُها مثل الرجل المسلم: لا يسقطُ ورقها؛ أخبرونى: ما هى؟ فوقع الناس فى شجر البوادى. فوقع فى نفسى: أنها النخلة، فأردبت أن أقول: هى النخلة، ثم نظرتُ فإذا أنا أصغرُ القوم سنا فسكتُّ. فقال رسول الله ﷺ: هى النخلة. فذكرت ذلك لعمرَ، فقال: لأنْ تكونَ قلتَها أحبُّ إلَىَّ من كذا وكذا**»(2).

● **(ففى هذا الحديث):** إلقاءُ العالم المسائلَ على أصحابه وتمرينُهم، واختبارُ

(١) «مجمع الزوائد» للهيثمى (١٠:١٨)، وعزاه للبزار، والطبرانى.

(٢) رُوي الحديث عن ابن عمر؛ فمن طريق قُتَيْبَة عن إسماعيل بن جَعْفَر، عن عَبْد الله بن دينار، عن ابن عمر، أخرجه البخاري في: ٣- كتاب العلم (٤) باب قول المحدث «حَدَّثنا»، أو «أخبرنا» أو «أنبأنا»، الفتح (١:١٤٥). ومن هذا الطريق رواه مسلم في: ٥٠- كتاب صفات المنافقين (١٥) باب مَثَلُ المؤمن مَثَلُ النخلة.

ما عندهم. **(وفيه)**: ضربُ الأمثال والتشبيه. **(وفيه)**: ما كان عليه الصحابة: من الحياءِ من أكابرهم وأجلاَّئهم، وإمساكهم عن الكلام بين أيديهم. **(وفيه)**: فرحُ الرجل بإصابة ولده وتوفيقه للصواب. **(وفيه)**: أنه لا يُكره للولد أن يجيب بما عرف بحضرة أبيه، وإن لم يَعرفه الأبُ. وليس فى ذلك إساءَةُ أدب عليه. **(وفيه)**: ما تضمنه تشبيهُ المسلم بالنخلة: من كثرة خيرها، ودوام ظلها، وطيب ثمرها، ووجوده على الدوام.

● **من فوائد النخلة**: ثمرُها يؤكل رطبًا ويابسًا وبلحًا ويانعًا. وهو غذاءٌ ودواءٌ، وقوت وحلْوى، وشراب وفاكهة. وجذوعُها للبناءِ والآلات والأوانى. ويُتخذ من خوصها: الحصرُ والمكاتل والأوانى والمراوح، وغير ذلك. ومن ليفها: الحبالُ والحشايا، وغيرُها. ثم آخر شيء: نواها علْف للإبل، ويدخل فى الأدوية والأكحال. ثم جمالُ ثمرتها ونباتها، وحسنُ هيأتها، وبهجةُ منظرها، وحسنُ نَضدِ ثمرها وصنعته وبهجته، ومسرةُ النفوس عند رؤُيته. فرؤيتُها مذكِّرة لفاطرها وخالقها وبديع صنعته، وكمال قدرته، وتمام حكمته. ولا شيءَ أشبَهُ بها من الرجل المؤمن: إذ هو خير كله، ونفع ظاهر وباطن.

وهى الشجرة التى حَنَّ جذعُها إلى رسول الله ﷺ، لَمَّا فارقه: شوقًا إلى قربه وسماع كلامه[1]. وهى التى نزلت تحتها مريمُ لَمَّا ولدتْ عيسى.

وقد ورد فى حديث -فى إسناده نظرٌ-: «**أكرِمُوا عمتكم النخلةَ: فإنها خُلقتْ من الطين الذى خُلق منه آدم**»[2].

وقد اختلف الناس فى تفضيلها على الحَبْلة (شجرة العنب) أو بالعكس، على قولين: وقد قرن الله بينهما فى كتابه، فى غير موضع. وما أَقْرَبَ أحدَهما من صاحبه! وإن كان كل واحد منهما فى محل سلطانه ومَنبته، والأَرض التى توافقه - أفضلَ وأنفع.

٢- (نَرْجس): فيه حديث لا يصح: «عليكم شَم النرجس. فإن فى القلب حبةَ الجنون والجُذام والبَرص، لا يقطعُها إلاَّ شمُّ النرجس»[3].

(١) انظر كتابنا معجزات النبى ﷺ.
(٢) موضوع انظر الضعفاء الكبير للعقيلى من مراجعتنا
(٣) لا أصل له. الموضوعات ٣-٦١.

وهو حار يابس فى الثانية. وأصلُه يَدمُل القروح الغائرة إلى العصب. وله قوة غسَّالة جالبة جابذة. وإذا طُبخ وشُرب ماؤُه، أو أُكل مسلوقًا: - هيَّج القيءَ، وجذب الرطوبة من قعر المعدة. وإذا طُبخ مع الكِرْسنَّة والعسل: نقَّى أوساخ القروح، وفجَّر الدُّبيْلاَت العسرةَ النضج.

● **زهر النرجس:** وزهرهُ معتدل الحرارة لطيف: ينفع الزكام البارد. وفيه تحليل قوى، ويفتِّح سدد الدماغ والمنخرين، وينفع من الصداع الرطب والسوداوىِّ، ويصدِّع الرؤُوس الحارة. والمحرق منه إذا شُق بصلُه صَليبًا وغُرس: صار مضاعفًا. ومَن أدْمَن شمَّه فى الشتاء: أَمِن من البِرْسام فى الصيف.. وينفع من أوجاع الرأس الكائنة من البلغم والمِرَّة السوداء. وفيه من العِطرية: ما يقوِّى القلب والدماغ، وينفع من كثير من أمراضها، وقال صاحب التيسير: «شمُّه يَذهب بصَرْع الصبيان».

٣- (نُورَةٌ): روى ابن ماجه - من حديث أُم سلمة رضى الله عنها: «**أن النبى ﷺ كان إذا طَلى: بدأ بعورته فطَلاَها بالنُّورَة، وسائرَ جسده**»(١) وقد ورد فيها عدةُ أحاديثَ هذا أمثَلُها.

وقد قيل: إن أَول من دخل الحمام، وصُنعتْ له النُّورةُ -: سليمانُ بن داودَ.

● **أصل النُّورة:** وأصلُها كِلْس جزآن، وزِرْنيخ جزءٌ، يُخلطان بالماء، ويُتركان فى الشمس أو الحمام بقدر ما ينضج وتشتد زُرقته. ثم يطلى به، ويجلس ساعة رَيْثما يعمل، ولا يمس بماء. ثم يغسل، ويطلى مكانها بالحناء: لإذهاب ناريَّتها.

٤- (نَبْقٌ): ذكر أبو نُعيم - فى كتابه الطب النبوى، مرفوعًا-: «**أن آدم لَمَّا هبط إلى الأَرض، كان أَولَ شيءٍ أكل من ثمارها النبقُ**».

وقد ذكر النبى ﷺ النبقَ - فى الحديث المتفق على صحته -: «**أنه رأى سِدْرَة المُنتهى ليلَة أُسْرىَ به: وإذا نبقُها مثل قِلالِ هجَرٍ**»(٢).

والنبق: ثمر شجر السدر، يعقل الطبيعة، وينفع من الإسهال، ويدبغُ المعدة، ويسكن الصفراءَ، ويَغذو البدن، ويشهِّى الطعام، ويولد بلغمًا، وينفع الذرْب

---

(١) حديث ضعيف. الجامع الصغير ٥ - ١٠٥.

(٢) من حديث المعراج رواه البخارى فى صحيحه - انظره من تحقيقنا.

الصفراوىَّ. وهو بطىءُ الهضم، وسَويقه يقوى الحشاءَ. وهو يصلح الأمزجة الصفراوية. وتُدفع مضرتُه بالشهد.

واختُلف فيه: هل هو رطب؟ أو يابس؟ على قولين. والصحيح: أن رطبه بارد رطب، ويابسه بارد يابس.

حرف الهاء

١- **(هِنْدبًا)**: ورد فيه ثلاثة أحاديث - لا تصح عن رسول الله ﷺ، بل هي موضوعة:

هي بقل زراعى حولى من الفصيلة المركبة يطبخ ورقه أو يجعل مشهيا (سلطة).

(أحدها): «كلوا الهندبا، ولا تُنَفِّضُوه. فإنه ليس يومٌ من الأيام إلا وقَطَراتٌ من الجنة تَقْطُر عليه»[1].

(الثانى): «من أكل الهندبا، ثم نام عليه: لم يَحُلْ فيه سمٌّ ولا سحرٌ».

(الثالث): «ما من ورقةٍ - من ورق الهندبا - إلا وعليها قطرةٌ من الجنة».

وبعد: فهى مستحيلة المزاج، منقلبة بانقلاب فصول السنة: فهى فى الشتاء باردة رطبة، وفى الصيف حارة يابسة، وفى الربيع والخريف معتدلة، وفى غالب أحوالها تميل إلى البرودة واليبس، وهى قابضة مبردة، جيدة للمعدة. وإذا طُبخت وأُكلت بخلٍّ: عقلت البطن وخاصةً البَرى منها. فهى أجود للمعدة وأشد قبضًا، وتنفع من ضعفها.

وإذا ضمد بها: سكَّنت الالتهاب العارضَ فى المعدة؛ وتنفع من النقْرِس، ومن أورام العين الحارة، وإذا تُضمد بورقها وأُصولها: نفعت من لسع العقرب.

وهى تقوى المعدة، وتفتح السُّدد العارضة فى الكبد، وتنفع من أوجاعها حارها وباردها، وتفتح سدد الطحال والعروق والأحشاء، وتنقى مجارى الكُلى.

وأنفعها للكبد أمرُّها. وماؤُها المعتصر ينفع من اليَرَقان السدَدى، ولا سيما إذا خلط به ماءَ الرَّازِيَانَج الرطب. وإذا دُق ورقها، ووُضع على الأورام الحارة -: برَّدها وحللها، ويجلو ما فى الصدر، ويطفىءُ حرارة الدم والصفراءَ.

وأصلح ما أُكلت غير مغسولة ولا منفوضة: لأنها متى غُسلت أو نفضت، فارقتها قوتها. وفيها -مع ذلك- قوة ترياقيَّة تنفع من جميع السموم.

---

(١) أورد ابن الجوزي بعض هذه الأخبار في موضوعاته والشوكانى فى الأحاديث الموضوعة.

وإذا اكتحل بمائها: نفع من الغشاء. ويدخل ورقها في الترياق، وينفع من لدغ العقرب، ويقاوِم أكثر السموم. وإذا اعتُصر ماؤُها، وصب عليه الزيت: خلص من الأدوية القتَّالة كلها. وإذا اعتصر أَصلها وشُرب ماؤُه: نفع من لسع الأَفاعي، ولسع العقرب، ولسع الزُّنْبُور. ولبن أَصلها يجلو بياض العين.

حـــرف الـــواو

١- (وَرْسٌ) [١]**،** ذكر الترمذي في جامعه - من حديث زيد بن أَرْقَمَ، عن النبي ﷺ: «**أنه كان ينعتُ الزيت والورْس، من ذات الجنب**»، قال قتادة: «**يُلَدُّ به، ويُلدُّ من الجانب الذي يشتكيه**» (جانب الفم). وروى ابن ماجه في سننه - من حديث زيد بن أرقم أيضًا - قال: «**نعت رسول الله ﷺ، من ذات الجنب، ورسًا وقُسطًا وزيتًا: يُلَدُّ به**»[٢].

وصح عن أُم سلمة رضي الله عنها، قالت: «**كانت النُّفَساءُ تقعد بعد نفاسها أَربعين يوما، وكانت إِحدانا تَطلي الورس على وجهها من الكَلَف**»[٣].

قال أَبو حنيفة اللغوي[٤]: «الورس يزرع زرعًا، وليس بَبَرِىٍّ (ينبت بنفسه). ولست أعرفه بغير أَرض العرب، ولا من أرض بغير بلاد اليمن».

وقوته في الحرارة واليبوسة: في أَول الدرجة الثانية. وأَجودها: الأَحمر الليِّن في اليد، القليل النُّخالة. ينفع من الكلَف والحكة والبثور الكائنة في سطح البدن: إذا طُلِيَ به. وله قوة قابضة صابغة. وإذا شرب: نفع من الوَضَح. (البياض المرضى) ومقدار الشربة منه: وزن درهم.

وهو - في مزاجه ومنافعه - قريب من منافع القُسط البحرىِّ. وإذا لطخ به على البَهق والحِكة والبثور والسَّعَفة: نفع منها. والثوب المصبوغ بالوَرْس يقوِّى على الباه.

٢- (وَسْمَةٌ)؛ هي: ورق النيل. وهي تسود الشعر.

---

(١) الورس: نبت من الفصيلة القرنية، وثمرتها قرن مغطى بغدد حمراء، كما يوجد عليه زغب قليل، يستعمل لتلوين الملابس الحريرية.

(٢) سنن ابن ماجه (٢: ١١٤٨).

(٣) رواه أصحاب الصحاح إلا النسائي.

(٤) هو أبو حنيفة الدينوري صاحب كتاب النبات وليس الإمام الأعظم أبا حنيفة بن النعمان صاحب المذهب المتبوع.

وقد تقدم قريباً ذكر الخلاف: في جواز الصبغ بالسواد، ومَن فعله.

حــرف اليـــاء

١- (يَقْطِينٌ)[1]**:** وهو الدُّباءَ والقرع؛ وإن كان اليقطين أعم. فإنه في اللغة: كل شجرة لا تقوم على ساق، كالبطيخ والقثاء والخيار. قال الله تعالى: ﴿ **وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ** ﴾ **(الصافات: ١٤٦).**

فإن قيل: ما لا يقوم على ساق يسمى نجمًا، لا شجراً. والشجر: ماله ساق. قال أهل اللغة. فكيف قال: ﴿ **شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ** ﴾ **(الصافات: ١٤٦).**

فالجواب: أن الشجر إذا أُطلق: كان ماله ساق يقوم عليه، وإذا قُيد بشيء: تقيَّد به. فالفرق بين المطلق والمقيَّد في الأسماء باب مهم عظيم النفع في الفهم ومراتب اللغة. واليقطين المذكور في القرآن هو: نبات الدُّباء، وثمره يسمى: الدباءَ والقرْعَ وشجرةَ اليقطين.

● **أكلـــه ﷺ للدباء:** وقد ثبت في الصحيحين – من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه –، «أن خياطًا دعا رسول الله ﷺ لطعام صنَعه. (قال أنس): فذهبت مع رســول الله ﷺ، فقرَّب إليه خُــبزاً من شعير، ومرَقًا فيه دُباءُ وقَديدٌ. (قال أنس): فرأيت رسول الله ﷺ يتتبَّع الدباءَ من حوالى الصحفة، فلم أزل أُحب الدباءَ من ذلك اليوم».

وقال أبو طالُوتَ: «دخلت على أنس بن مالك –رضى الله عنه–: وهو يأكل القَرْع، ويقول: يا لكِ من شجرة ما أَحبَّك إلي! لحبِّ رسول الله ﷺ إياك».

وفى الغَيْلانيَّات – من حديث هشام بن عروةَ، عن أبيه، عن عائشةَ رضى الله عنها – قالت: قال لى رسول الله ﷺ: «**يا عائشةُ؛ إذا طبختم قدراً: فاكثِروا فيها من الدُّباء؛ فإنها تَشُدُّ قلب الحزين**»[2].

● **فوائد اليقطين:** اليقطين بارد رطب، يغذو غذاءً يسيراً. وهو سريع الانحدار. وإن لم يفسُد قبل الهضم: تولَّد منه خِلْط محمود. ومن خاصيته: أنه يتولَّد منه خِلط

---

(١) يقطين: القرع المحلى، من فصيلة الكوسا.

(٢) خبر ضعيف.

محمود مجانس لما يصحبه. فإن أُكل بالخَرْدل: تولد منه خِلطٌ حرِّيف، وبالملح خِلطٌ مالح، ومع القابض قابضٌ. وإن طُبخ بالسفرجل: غذَا البدن غذاءً جيداً.

وهو لطيف مائىٌّ: يغذو غذاءً رطبًا بلغميًّا، وينفع المحْرورين، ولا يلائم المبْرودين ومَن الغالب عليهم البلغمُ. وماؤُه يقطع العطش، ويُذهب الصداع الحار: إذا شُرب أَو غُسل به الرأسُ. وهو مليِّن للبطن كيف استُعمل. ولا يُتداوَى المحرورون بمثله ولا أعجلَ منه نفعًا.

● **من منافع اليقطين:** ومن منافعه أنه إذا لُطخ بعجين وشُوىَ فى الفرن أَو التَّنُور، واستُخرج ماؤُه، وشُرب ببعض الأَشربة اللطيفة -: سكَّن حرارة الحمَّى الملتهبة، وقطع العطش، وغذا غذاءً حسنًا.

وإذا شرب بترنْجبين وسفَرْجَل مربًّى: أَسهل صفراءَ محضةً.

وإذا طبخ القرعُ، وشُرب ماؤُه بشىءٍ من عسل وشىءٍ من نَطْرون - أَحدر بلغمًا ومِرَّة معًا، وإذا دُق وعُمل منه ضِمادٌ على اليافوخ: نفع من الأورام الحارة فى الدماغ.

وإذا عُصرت جُرادتُه، وخُلط ماؤُها بدُهن الورد، وقطِّر منها فى الأُذن -: نفعتْ من الأَورام الحارة. وجُرادتُه نافعة من أورام العين الحارة، ومن النِّقْرِس الحار.

وهو شديد النفع لأَصحاب الأَمزجة الحارة والمحمومين. ومتى صادف فى المعدة خِلطًا رديئًا: استحال إلى طبيعته وفسد، وولَّد فى البدن خلطًا رديئًا. ودفعُ مضرته: بالخل والمُرِّى.

وبالجملة: فهو من أَلطف الأَغذية وأَسرعها انفعالا، ويُذكر عن أَنس رضى الله عنه: «**أَن رسول الله ﷺ كان يُكثرُ من أَكله**».

المحاذير والوصايا

(فصل): وقد رأَيت أن أَختم الكلام فى هذا الباب، بفصل مختصر عظيم النفع فى المحاذير والوصايا الكلية النافعة. لتتمَّ منفعة الكتاب.

ورأَيت لابن ماسويْه فصلا فى كتاب «المحاذير» نقلته بلفظه. قال «من أكل البصل أَربعين يومًا، وكلِف (وجهُهُ)، فلا يلومَنَّ إلا نفسه. ومن افتصد فأكل مالحا،

فأصابه بهَق أو جرب، فلا يلومنَّ إلا نفسه. ومن جمع فى معدته البيض والسمك، فأصابه فالجٌ أو لَقوة، فلا يلومنَّ إلا نفسه. ومن دخل الحمام وهو ممتلىءٌ فأصابه فالج، فلا يلومنَّ إلا نفسه. ومن جمع فى معدته اللبن والسمك، فأصابه جُذام أو برَص أو نقْرس، فلا يلومنَّ إلا نفسه. ومَن جمع فى معدته اللبن والنبيذ، فأصابه برص أو نقرس، فلا يلومنَّ إلا نفسه. ومَن احتَلم، فلم يغتسل حتى وطىءَ أهلَه – فولدت مجنونًا أو مُخَبَّلاً – فلا يلومنَّ إلا نفسه، ومن أكل بيضًا مسلوقًا بـاردًا، وامتلأ منه – فأصابه رَبوٌ – فلا يلومنَّ إلا نفسه. ومن جامع، فلم يصبر حتى يُفرغَ –فأصابه حصاة– فلا يلومنَّ إلا نفسه. ومن نظر فى المرآة ليلاً – فأصابه لَقْوة، أو أصابه داءٌ – فلا يلومنَّ إلا نفسه».

(فصل): وقال ابن بُخْتَيشُوع: «احذر أن تجمع بين البيض والسمك: فإنهما يورثان القُولنْج وأرياح البواسير، ووجع الأضراس. وإدامةُ أكل البيض تولِّد الكَلَف فى الوجه. وأكلُ الملوحة والسمك المالح والافتصاد بعد الحمَّام، يولد البهَق والجرب. وإدامةُ أكل كُلى الغنم يعقر المثانة. والاغتسالُ بالماء البارد، بعد أكل السمك الطرى، يولد الفالج. وطءُ المرأة الحائض، يولد الجذام، الجماعُ من غير أن يُهَريقَ الماءَ عقيبه، يولد الحصاة. طول المكث فى المَخْرج، يولد الداءَ الدَّوِىَّ».

وقال أبقراط: «الإقلال من الضار، خير من الإكثار من النافع». وقال: «استديموا الصحة بترك التكاسل عن التعب، وبترك الامتلاء من الطعام والشراب».

● **من أراد الصحة:** وقال بعض الحكماء: «من أراد الصحة: فليجود الغذاءَ، وليأكل على نقاء، وليشرب على ظمإ وليقللْ من شرب الماء؛ ويتمددْ بعد الغداء، ويتمش بعد العشاء؛ ولا ينم حتى يعرض نفسه على الخلاء، وليحذر دخول الحمام عقيب الامتلاء. ومرةٌ فى الصيف خير من عشر فى الشتاء، وأكل القديد اليابس بالليل معين على الفناء؛ ومجامعة العجائز تُهرم أعمار الأحياء، وتسقم أبدان الأصحاء». ويروى هذا عن على كرم الله وجهه. ولا يصح عنه، وإنما بعضه من كلام الحارث بن كلَدَةَ طبيب العرب، وكلام غيره.

وقال الحارث: «من سرَّه البقاءُ - : ولا بقاءَ - فليباكرْ الغَداءَ، وليعجل العشاءَ، وليخفف الرداءَ، وليُقلَّ غِشيان النساءِ».

وقال الحارث: «أربعة أشياءَ تهدم البدن: الجماع على البطْنة، ودخول الحمام على الامتلاء، وأكل القديد، وجماع العجوز».

ولمَّا احتُضِرِ الحارث، اجتمع إليه الناس، فقالوا: مُرْنا بأمر ننتهى إليه من بعدك. فقال: «لا تتزوجوا من النساءِ إلا شابةً، ولا تأكلوا من الفاكهة إلا فى أوان نُضجها، ولا يتعالجنَّ أحدكم ما احتمل بدنه الداءَ. وعليكم بتنظيف المعدة فى كل شهر: فإنها مُذيبة للبلغم، مُهلكة للمرَّة، منبتة للحم. وإذا تغذَّى أحدكم: فلينم على إثر غذائه ساعة. وإذا تعشى: فليمش أربعين خطوة».

وقال بعض الملوك لطبيبه: لعلك لا تبقى لى، فصفْ لى صفة آخذها عنك. فقال: «لا تنكِحْ إلا شابةً، ولا تأكل من اللحم إلا فَتيًّا، ولا تشرب الدواءِ إلا من علة، ولا تأكل الفاكهة إلا فى نضجها. وأَجِدْ مضغ الطعام. وإذا أكلت نهارًا: فلا بأس أن تنام. وإذا أكلت ليلاً: فلا تنم حتى تمشيَ ولو خمسين خطوة. ولا تأكلن حتى تجوع، ولا تتكارَهنَّ على الجماع، ولا تحبس البول. وخذ من الحمام قبل أن يأخذ منك. ولا تأكلن طعامًا: وفى معدتك طعام. وإياك أن تأكل ما تعجز أسنانك عن مضغه، فتعجزَ معدتك عن هضمه. وعليك فى كل أسبوع بقيئة تنقى جسمك. ونعم الكنز الدم فى جسدك، فلا تخرجه إلا عند الحاجة إليه. وعليك بدخول الحمام: فإنه يخرج من الأطباق ما لا تصل الأَدوية إلى إخراجه».

• نصائح طبية للإمام الشافعي: وقال الشافعى رحمه الله تعالى: أربعة تقوِّى البدن: أكل اللحم، وشم الطيب، وكثرة الغسل من غير جماع، ولُبْس الكتَّان. وأربعة توهن البدن: كثرة الجماع، وكثرة الهم، وكثرة شرب الماء على الريق، وكثرة أكل الحامض. وأربعة تقوِّى البصر: الجلوس تِجاه الكعبة، والكحل عند النوم، والنظر إلى الخضرة، وتنظيف المجلس. وأربعة توهن البصر: النظر إلى القذَر، وإلى المصلوب، وإلى فرج المرأة، والقعود مستدبرَ القبلة. وأربعة تزيد فى الجماع: أكل العصافير، والإطرفل

الأكبر، والفستق، والخرُّوب. وأربعة تزيد فى العقل: ترك الفضول من الكلام، والسواكُ، ومجالسة الصالحين، ومجالسة العلماء».

وقال أفلاطون: «خمسٌ يذبْنَ البدن -وربما قتلن-: قصرُ ذات اليد، وفراق الأحبة، وتجرع المغايظ، وردّ النصح، وضحك ذوى الجهل بالعقلاء».

وقال طبيب المأمون: «عليك بخصالٍ -مَن حفظها فهو جدير أن لا يعتل إلا علةَ الموت-: لا تأكل طعامًا: وفى معدتك طعام. وإياك أن تأكل طعامًا تتعب أضراسُك فى مضغه، فتعجزَ معدتك عن هضمه. وإياك وكثرة الجماع: فإنه يقتبس نور الحياة. وإياك ومجامعة العجوز: فإنه يورث موت الفَجْأة. وإياك والفصد إلا عند الحاجة إليه. وعليك بالقيءِ فى الصيف».

ومن جوامع كلمات أبقراط، قوله: «كُلُّ كثير فهو مُعادٍ للطبيعة».

وقيل لجالينوسَ: ما لك لا تمرض؟ فقال: «لأنى لم أجمع بين طعامَين رديئين، ولم أدخل طعامًا على طعام، ولم أحبس فى المعدة طعامًا تأذّيتُ به».

(فصل): وأربعة أشياءَ تُمرض الجسم: الكلامُ الكثير، والنومُ الكثير، والأكلُ الكثير، والجماعُ الكثير. فالكلام الكثير: يقلل مخ الدماغ ويُضعفه، ويعجل الشيب، والنوم الكثير: يصفر الوجه، ويُعمى القلب، ويُهيج العين، ويُكسل عن العمل، ويولد الرطوبات فى البدن. والأكلُ الكثير: يُفسد فم المعدة، ويُضعف الجسم، ويولد الرياح الغليظة، والأدواءَ العَسِرة. والجماعُ الكثير: يَهُدُّ البدن، ويُضعف القُوى، ويجفف رطوبات البدن، ويُرخى العصب، ويُورث السُّدد، ويعُم ضرره جميع البدن، ويخصُّ الدماغ لكثرة ما يتحلَّل به: من الروح النفسانى. وإضعافُه أكثر من إضعاف جميع المستفرِغات، ويَستفرغ من جوهر الروح شيئًا كثيرا.

وأنفع ما يكون: إذا صادف شهوةً صادقة من صورة جميلة حديثة السن حلالاً، مع سن الشُّبوبية، وحرارةِ المزاج ورطوبته، وبُعدِ العهد به، وخَلاءِ القلب من الشواغل النفسانية؛ ولم يُفرطْ فيه، ولم يُقارنْه ما ينبغى تركه معه: من امتلاءِ مفرط، أو خَوَاءٍ واستفراغ، أو رياضة تامة، أو حر مفرط، أو برد مفرط. فإذا راعى فيه هذه الأمورَ

العشرة: انتفَعَ به جداً. وأيُّها فُقِد: حصل له من الضرر بحسبه. وإن فقدتْ كلها أو أكثرُ: فهو الهلاك المعجَّل.

● **لا حمية مفرطة فى الصحة (فصل)؛** والحِميةُ المفرطة فى الصحة، كالتخليط فى المرض. والحميةُ المعتدلة نافعة.

● **نصائح من اتبعها فلا حاجة له لطبيب؛** وقال جالينوسُ لأصحابه: «اجتنبوا ثلاثًا، وعليكم بأربع. ولا حاجة لكم إلى طبيب. اجتنبوا الغُبار والدخان والنَّتْن. وعليكم بالدسم والطِّيب والحَلْوى والحمَّام. ولا تأكلوا فوق شِبعكم، ولا تتخلَّلوا بالباذَرُوج والريحان، ولا تأكلوا الجَوز عند المساء. ولا ينم من به زُكمةٌ على قفاه، ولا يأكل من به غمٌ حامضًا. ولا يسرع المشى من افتَصد: فإنه يكون مخاطرةَ الموت. ولا يتقيَّأ من تؤلمه عينه. ولا تأكلوا فى الصيف لحمًا كثيراً. ولا ينم صاحب الحمَّى الباردة فى الشمس. ولا تقربوا الباذَنجان العتيق المبزر. ومَن شرب كلَّ يوم فى الشتاء، قدحًا من ماءٍ حار، أَمِنَ من الأعلال. ومَن دلَّك جسمه فى الحمام بقشور الرمان، أَمِنَ من الجرَب والحِكة. ومن أكل خمس سوسنات – مع قليل من مصطَكى رومى. وعودٍ خام. ومسك – بقىَ طولَ عمره لاتضعُف معدته ولا تفسُد. ومن أكل بزر البِطيخ مع السكر نظَّف الحصى من معدته، وزالت عنه حُرْقة البول.

● **أربعة وأربعة فى الفوائد والمضار (فصل)؛** أربعةٌ تَهدِم البدن: الهمُّ، والحزنُ، والجوعُ، والسهرُ.

وأربعة تُفرح؛ النظرُ إلى الخضرة، وإلى الماء الجارى، والمحبوب، والثمار.

وأربعةٌ تُظلم البصر؛ المشىُ حافيًا، والتصبُّحُ والإمساءُ بوجه البغيض والثقيل والعدو، وكثرةُ البكاء، وكثرةُ النظر فى الخط الدقيق.

وأربعةٌ تقوى الجسم؛ لُبس الثوب الناعم، ودخولُ الحمام المعتدل، وأكلُ الطعام الحلو والدسِم، وشمُّ الروائح الطيبة.

وأربعةٌ تُيبس الوجه، وتُذهب ماءَه وبهجته وطلاقته-؛ الكذبُ، والوقاحةُ، وكثرةُ السؤال عن غير علم، وكثرةُ الفجور.

وأربعة تَزيد فى ماءِ الوجه وبهجته: المروءَةُ، والوفاءُ، والكرم، والتقوى.

وأربعةٌ تَجلِب البغضاءَ والمقت: الكِبرُ، والحسدُ، والكذبُ، والنَّميمةُ.

وأربعةٌ تَجلب الرزق: قيامُ الليل، وكثرةُ الاستغفار بالأسحار، وتعاهُد الصدقة، والذكْرُ أَولَ النهار وآخرَه.

وأربعةٌ تمنع الرزق: نوم الصُّبْحة، وقلةُ الصلاة، والكسلُ، والخيانة.

وأربعةُ تُضر بالفهم والذهن: إدمان أكل الحامض والفواكه، والنومُ على القفا، والهمُّ، والغمُّ.

وأربعةٌ تزيد فى الفهم: فراغُ القلب، وقلةُ التملِّى من الطعام والشراب، وحسنُ تدبير الغذاء بالأشياءِ الحُلوة والدسمة، وإخراجُ الفَضلات المثقلة للبدن.

ومما يُضر بالعقل: إدمانُ أكل البصل والباقِلا والزيتون والباذنجان، وكثرةُ الجماع، والوحدةُ، والأفكارُ، والسُّكْرُ، وكثرةُ الضحك، والغم.

وقال بعض أهل النظر: « قُطِعتُ فى ثلاث مجالس، فلم أَجِد لذلك علةً: إلاَّ أَنى أكثرت من أكل الباذنجان فى أحد تلك الأيام، ومن الزيتون فى الآخر، ومن الباقِلاَّ فى الثالث ».

● نسبة طب الطبائعيين إلى الطب النبوى (فصل): قد أَتَيْنا على جمل نافعة من أجزاءِ الطب العلمى، لعل الناظر فيها لا يظفَر بكثير منها إلا فى هذا الكتاب. وأَرَيْناك قُرب ما بينها وبين الشريعة، وأن الطب النبوىَّ: نسبةُ طب الطبائعيين إليه، أَقلُّ من نسبة طب العجائز إلى طبهم.

والأمر فوق ما ذكرناه، وأعظمُ مما وصفناه بكثير. ولكن: فيما ذكرناه تنبيهٌ باليسير على ما وراءَه. ومن لم يرزقْه الله بصيرة على التفصيل، فليعلم ما بيْن القوةِ المؤَيَّدة بالوحى من عند الله، والعلوم التى رزقها الله الأنبياءِ، والعقول والبصائر التى منحهم الله إياها، وبيْن ما عند غيرهم.

ولعل قائلاً يقول: ما لهدىِ الرسول ﷺ، وما لهذا (الباب) وذكْرِ قُوى الأَدوية وقوانينِ العلاج، وتدبيرِ أَمر الصحة؟!.

وهذا من تقصير هذا القائل، فى فهم ما جاءَ به الرسول ﷺ. فإن هذا وأضعافَه، وأضعافَ أضعافه- : من فهم بعض ما جاءَ به، وإرشاده إليه ودلالته عليه. وحسنُ الفهم عن الله ورسوله : منٌّ يمنُّ الله به على من يشاءُ من عباده.

فقد أوجدناك أصولَ الطب الثلاثةَ فى القرآن. وكيف تُنكر أن يكون شريعة المبعوث بصلاح الدنيا والآخرة، مشتملة على صلاح الأَبدان : كاشتمالها على صلاح القلوب، وأنها مرشدة إلى حفظ صحتها، ودفع آفاتها، بطرق كليَّة : قد وُكل تفصيلُها إلى العقل الصحيح والفطرة السليمة، بطريق القياس والتنبيه والإيماء، كما هو فى كثير من مسائل فروع الفقه. ولا تكن ممَّن إذا جهل شيئًا عاداه.

ولو رُزق العبدُ تضلُّعًا من كتاب الله وسنة رسوله، وفهمًا تامًّا فى النصوص ولوازمها- : لاستغنىَ بذلك عن كل كلام سواه، ولاستنبَط جميع العلوم الصحيحة منه.

فمدارُ العلوم كلها على معرفة الله وأمره وخَلْقه. وذلك مُسَلَّم إلى الرسل صلوات الله عليهم وسلامه : فهم أعلم الخلق بالله وأمره وخَلْقه، وحكمته فى خلقه وأمره.

وطبٌّ أتباعهم أصح وأنفع من طب غيرهم. وطبُّ أتباع خاتَمهم وسيدهم وإمامهم : محمد بن عبد الله، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم. أكملُ الطب وأصحه وأنفعه.

ولا يعرف هذا إلا مَن عرف طبَّ الناس سواهم وطبَّهم، ثم قارن بينهما فحينئذٍ : يظهر له التفاوت. وهم أصح الأمم عقولاً وفطَرًا، وأعظمهم علمًا، وأقربهم فى كل شىءٍ إلى الحق. لأنهم خيرة الله فى الأُمم، كما رسولُهم خيرتُه من الرسل. والعلمُ الذى وهبهم إيَّاه والحلمُ والحكمة – أمرٌ لا يدانيهم فيه غيرهم.

وقد روى الإمام أحمد فى مسنده – من حديث بهْز بن حكيم، عن أبيه عن جده رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : «**أنتم تُوَفُّون سبعين أمَّةً ؛ أنتم خيرُها وأكرمُها على الله**».

فظهر أثر كرامتها على الله سبحانه: فى علومهم وعقولهم، وأحلامهم وفِطَرهم. وهم الذين عُرضت عليهم علومُ الأُمم قبلهم، وأعَمالُهم ودرجاتُهم - فازدادوا بذلك علماً وحلماً وعقولاً، إلى ما أَفاض الله سبحانه وتعالى عليهم: من علمه وحلمه.

ولذلك كانت الطبيعة الدمويَّةُ لهم، والصفراويَّةُ لليهود، والبلغميَّةُ للنصارى.

ولذلك غلَب على النصارى: البلادةُ وقلةُ الفهم والفِطنة[1]؛ وغلب على اليهود: الحزنُ والهم والغم والصَّغار، وغلَب على المسلمين: العقلُ والشجاعة، والفهمُ والنجدة، والفرحُ والسرور.

وهذه أسرار وحقائقُ إنما يعرف مقدارها: مَن حَسُن فهمُه، ولطُف ذهنُه، وَغَزُر علمه، وعرف ما عند الناس. وبالله التوفيق.

تم الكتاب المبارك بعون الله
والصلاة والسلام على رسوله
والحمد لله رب العالمين



(١) أطلق هذا الكلام ابن القيم وكل ملة فيها الذكى والغبى.

فهرس الكتاب

حرف الصاد 243

حرف الضاد 246

حرف الطاء 246

حرف العين 249

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

